

نفاضة اجمراب
في
علاثة الاغتراب

للسان الدين بن الخطيب
(776 - 713 هـ / 1313 - 1374 م)

الجزء الثالث

تقديم وتحقيق
الدكتورة السعدية فاغية

نفاضة الجراب في علائق الاغراب

للسان الدين بن الخطيب
(776 - 713 هـ / 1313 - 1374 م)

الجزء الثالث

تقديم وتحقيق
الدكتورة السعدية فاغية

شكر وتقدير

اتقدم بخالص شكري وامتناني الى استاذي الجليل الدكتور فرناندو دي لاکرانخا الذي قبل الإشراف على هذا العمل وأولاه كل رعاية واهتمام، والى اساتذتي الكرام الذين ما بخلوا علي بوقتهم الثمين وتوجيهاتهم السديدة، وهم العلامة محمد المنوني، د. محمد بن شريفة - د. كورينطي - د. محمد الديباجي - والأستاذ سعيد اديوان تغمده الله برحمته.

وكما لا يفوتني ان أنوه بالمساعدة التي حظيت بها في مدريد من طرف كل من أعضاء القسم العربي بجامعة كومبلتس، والمعهد العربي الإسباني. والمعهد الأعلى للبحث العلمي بمدريد، وكذلك أعضاء الخزانة الحسنية بالرباط، وأتوجه بالشكر الى كل من ساعدني ولو بكلمة تشجيع.

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

من مطالع العصر الحديث، بدأ المغرب يتفتح - أكثر - على تراث لسان الدين ابن الخطيب، فصارت أوضاعه الأدبية حسب المقرئ، هي قبلة أصحاب الإنشاء بالمغرب، وهو طابع استمر - واضحا - في أساليب الكتاب المغاربة، وكذلك في صياغات الشعراء حتى وقت متأخر.

وإلى هذه الطريقة الأدبية، يترسم مؤرخون من المنطقة ذاتها، منهجية لسان الدين في بعض أعماله، والقصد - أولا - إلى أرجوزته «رقم الحلل في نظم الدول»، فيحتذيها ابن القاضي في رجزه «درة السلوك». فيمن حوى الملك من الملوك»، ثم الزياني في «ألفية السلوك في وفيات الملوك»، وثالثا : محمد غريظ، في ترجمته لتاريخ الدولة العلوية باسم «نزهة المجتلي في أبناء أبي الحسن علي».

ومن جهة أخرى : يقلد عبد الحفيظ الفاسي، تركيب التراجم في كتاب «الإحاطة»، ويسير عليه في تراجم فهرسه : «معجم الشيوخ».

وسنستنتج من هذا المسرد، معرفة طائفة من كتب ابن الخطيب، التي كانت مقروءة بالمغرب، وهي مؤلفاته الأدبية، مع أرجوزة «رقم الطل»، وكتاب الإحاطة.

ونضيف لهذه القائمة : رسالة «مغلى الطريقة في ذم الوثيقة»، وقد درسها علي بن هارون الفاسي على شيخه محمد ابن غازي، ثم نضيف «جيش التوشيح»، حيث أعجب به عبد العزيز الفشتالي، وذيل عليه «بمدد الجيش».

وفي اتجاه آخر، نشير إلى «اتحاف أشرف الملا، ببعض أخبار الرباط وسلا» لمحمد بن علي الدكالي : أرجوزة مطولة قصد بها ناظمها إلى مناقشة لسان الدين، في نقط من رسالته «مفاخرة» مألقة وسلا.

كما أن الكتاني احتفظ بالسند إلى مؤلفات ابن الخطيب، وأثبته في فهرس الفهارس.

وفي عصر الطباعة، ساهم المغرب بنشر طائفة من التراث الخطيبي انطلاقا من عام 1907/1325، وهو تاريخ نشر «معيان الاختيار» في مطبعة أحمد يماني بفاس، وبالمطبعة ذاتها نشرت قطعة من أول «الكتيبة الكامنة».

ومع التاريخ المعاصر، نشير إلى أعمال الإعلام : القسم الثاني نشر بالرباط، والثالث بالدار البيضاء، ومن تطوان صدرت رسالة «مقنعة السائل، من المرض الهائل»، ونشر منها بالأعداد الأولى من مجلة لسان الدين، وثالثا : «مغلى الطريقة» ثم التعريف بالحب الشريف.

وقد كان هذا أول الرسائل التي ناقشتها جامعة محمد الخامس عن تراث ابن الخطيب، والثانية هي التي تحمل عنوان : «الشاعر لسان الدين ابن الخطيب».

ومن كلية الآداب بالرباط : نشير إلى «معهد مولاي الحسن» بتطوان، فيقترح بين أبحاثه لجائزة سنة 1948 : موضوع «وزير غرناطة ومؤلفاته».

وفي نفس المدينة تنظم كلية الآداب ندوة ابن الخطيب، حيث كان بين تدخلاتها عرض للأستاذ الباحث عبد السلام شقور، وفيه أعلن عن عثوره على قطعة جديدة من كتاب الاحاطة، وهي التي نشرها - وشيكا - بطنجة.

وإلى هنا نتبين من هذا المسرد ألوانا من تقدير المغرب لتراث لسان الدين، ونضيف لذلك تمييز الجهة ذاتها، بأنها كانت ولا تزال المعقل الذي حافظ على غالبية كتب ابن الخطيب، وهو ما يشهد به باحث مختص قائلا عن المنوه به : «معظم كتبه وصل إلينا من المغرب»، وفي تعبير آخر : «معظم تراثه المخطوط مودع بين أيديهم (المغاربة) في الخزائن المغربية الجليية».

ومن الجدير بالذكر، أن بين هذه الكتب ما تنفرد به الخزنة المغربية عن أي جهة أخرى، ومن ذلك السفر الثالث من «نفاضة الجراب في عللة الاغتراب»، وهو الذي درسته وحققته دة. السعدية فاغية، في أطروحتها الجامعية التي تقدمت بها للدكتوراه إلى كلية الآداب بجامعة مدريد 1985.

وقد توفقت الباحثة في اختيارها لنص بالغ الأهمية بين آثار ابن الخطيب، بما يكشف عنه من معلومات جديدة عن حياة المؤلف، وعن واقع الأندلس والمغرب خلال ق 14/8.

وإلى هذا توفقت الدارسة - مرة أخرى - في تعاملها مع النص المحقق : تصحيحا وشكلا، فضلا عن مجهود المقارنة والتعليق الوافية.

وتزداد أهمية هذا العمل إذا تذكرنا أن النص المنوه به، كان إلى حدود الستينيات، يعتبر من الكتب الضائعة.

ومن حسن الاتفاق، أن يناقش ثم ينشر هذا الكتاب، في توقيت غير بعيد عن موعد الذكرى الستمئة لوفاة ابن الخطيب 1374/776.

وبهذا الاعتبار وما تقدمه، جاء عمل الباحثة يعبر عن توفيق في اختيارها، وعمق في تحقيقها، ومجد كلها به إعدادها للكتاب المنوه به، فضلا عن مساهمة أطروحتها في تخليد ذكرى المؤلف.

فلتهنأ السعدية فاغية بنجاحها في مجهودها، وليهنأ البحث التاريخي بظهور السفر الثالث من «نفاضة الجراب في عللة الاغتراب».

الرباط : الثلاثاء 24 جمادى الأولى 1409

3 يناير 1989

محمد المنوني

مقدمة

1. الكتاب الذي نقدم هو السفر (الجزء) الثالث من نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، أحد مؤلفات لسان الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن الخطيب السلماي (713 - 776 هـ / 1313 - 1374 م) (1).

الجزء الأول، وكذلك الرابع - الذي نرجح وجوده - لازال مفقودين.

أما السفر الثاني : فقد حققه د. مختار العبادي عن نسخة فريدة بالاسكوريال تحت رقم 1755، ونشره بالقاهرة (د. تا) . كما كان موضوع اطروحة دكتوراة بانكلترا (2).

أشار د. العبادي في مقدمة الكتاب الى الخطأ الذي وقع فيه البعض في ظنهم أن السفر الثالث موجود بالاسكوريال (3). كما أشار الى رحلة قام بها الى المغرب سنة 1963 قبل نشر الكتاب حيث التقى بالسيد المنوني والكتاني اللذين تحدث معهما عن موضوع نفاضة الجراب فأخبراه بوجود مخطوط نادر بالخزانة العامة بالرباط، كان يعتقد أنه نسخة من اللمة البدرية لابن الخطيب، لأن مقدمته كانت هي مقدمة اللمة، ثم اتضح بعد ذلك أن موضوعه يختلف تماما عن موضوع اللمة (4)، وأصبح الشك يقينا إذ اثبت العلامة محمد المنوني بخط يده على الصفحة الأولى من مخطوطتنا ما يلي : «هذا المجلد هو السفر الثالث من نفاضة الجراب لابن الخطيب وهو السفر الأخير حسبما يؤخذ من كلمتها الختامية...».

وبوضع فهرس للخزانة الحسنية (الملكية سابقا) تصدت مخطوطتنا لتصنف ضمن مخطوطاته، فحظيت بوصف د. عنان لنسختها : احدهما تتوفر عنها الخزانة الحسنية تحت رقم 6593، وهي غير صالحة، والثانية توجد بالخزانة العامة تحت رقم 256 ك (5) وهي التي اعتمدها في التحقيق.

2. عدد أجزائه :

ذكر ابن الخطيب في إحاطته بأن كتاب نفاضة الجراب يتألف من أربعة أسفار «ونفاضة الجراب في علالة الاغتراب موضوع جليل في أربعة أسفار» (6).

هذا العدد الذي اثبته جل المؤرخين، فابن الأحمر أبو الوليد اسماعيل يقول «ونفاضة الجراب في أربعة أسفار، وهي من أحسن تأليفه ولم أزل أكثر البحث في هذا التاريخ عنها فلم أقف منها على عين ولا اثر إلا عدة أوراق متفرقة، وقد كنت رأيت بعضها (7)، هذا العدد الذي اثبته كل من المقرئ ويونس بويجس والدكتوران هلال ناجي ومحمد ماخور وغيرهم (8).

لكن بظهور مخطوطتنا الى حيز الوجود بدانا نلاحظ تحفظ بعض الباحثين في ذكر عدد أجزاء النفاضة وإثبات البعض الآخر أن أصل الكتاب من ثلاثة أجزاء.

نذكر من الفئة الأولى د. محمد الكتاني حيث قال : «نفاضة الجراب في ثلاثة أجزاء... لم يعثر منه إلا على سفره الثاني والثالث من أصل ثلاثة أو أربعة أسفار» (9).

أما الدكتور أحمد مختار العبادي، فقد اتهم ابن الخطيب بالتناقض إذ قال : «أما عن عدد أجزاء فابن الخطيب يشير في آخر النسخة التي بين أيدينا أن الكتاب يقع في ثلاثة أسفار، ولكنه يعود فيناقض نفسه في الإحاطة فيقول : «ونفاضة الجراب في أربعة أسفار» (10).

أما الفئة الثانية فنذكر منها العلامة المنوني والدكتور عنان حيث اثبتا أن نفاضة الجراب من ثلاثة أسفار، معتمدين على قول ابن الخطيب، في آخر مخطوطتنا «تم السفر الثالث وبتمامه تم جمع الديوان...».

لقد أشار د. عنان في مقدمة الإحاطة الطبعة الأولى الى أن عدد أجزاء النفاضة أربعة مجموعة في سفر بالاسكوريال تحت رقم 1755، وباطلاعه على مخطوطتنا أصلح الخطأ في الطبعة الثانية بأن الرقم المذكور مجرد السفر الثاني من النفاضة، لكنه اثبت بأن عدد أجزاء الكتاب ثلاثة (11)، وهذا ما اثبتة أيضا في كتابه عن ابن الخطيب. حيث يقول : «.. لم تصلنا من الكتاب نسخة كاملة بل وصلنا منه فقط سفراه الثاني والثالث، وهو يتكون من ثلاثة أسفار حسبما يخبرنا ابن الخطيب نفسه في نهاية السفر الثاني (نسخة الاسكوريال) وحسبما ورد في نهاية السفر الثالث (نسخة الرباط)» (12).

أما العلامة المنوني فقد نشر كتابا قيما عن المصادر العربية لتاريخ المغرب وأدرج كتاب النفاضة ضمنها، يقول : «نفاضة الجراب في ثلاثة أجزاء... يقع أصلها في ثلاثة أسفار يعرف منها الآن الثاني والثالث...» (13).

ما يجعلنا نرجح ان كتاب النفاضة يتالف من اربعة اسفار ما يلي :

- ابن الأحمر الذي سبق ان اوردنا قوله، لا يمكن اغفال شهادته، خصوصا وهو أحد معاصري ابن الخطيب وقد صرح بأنه رأى بعضها.

- قول ابن الخطيب في النفاضة بأنها من ثلاثة اسفار وفي الإحاطة بأنها من اربعة، ليس فيه أي تناقض، وليس مبررا للشك في عدد اجزاء الكتاب، فابن الخطيب عندما ذكر مؤلفاته في النفاضة (ج 3) ، قال : «صدر عني لهذا العهد»14، فلو تتبعنا التسلسل التاريخي لذكر مؤلفاته لا تضح لنا ضبطه التام، ففي السفر الثاني من النفاضة التي يشير الى أن عددها ثلاثة يقول بأن الإحاطة سبعة اسفار(15)، نتابع استمراره في التأليف فيزيد سفرين في الإحاطة وسفرا في النفاضة ويعلن ذلك في الإحاطة، فيقول بأن نفاضة الجراب في اربعة اسفار والإحاطة في تسعة(16)، وهكذا يذكر ابن الخطيب عدد اجزاء مؤلفاته وفقا لتواريخ كتابتها، حيث يتعرض مرة أخرى لانتاجاته فيثبت بأن الإحاطة تتالف من خمسة عشر سفرا ونفاضة الجراب من اربعة(17)، ومن المعروف أن الإحاطة استغرق في تأليفها زمنا طويلا.

- بالنسبة للعبارة الواردة في آخر مخطوطاتنا (انتهى السفر الثالث...) . فقد ورد قبلها مباشرة قول ابن الخطيب : «وقد أن لنا أن نختم هذا السفر ونقتصر عليه الى أن يسنى الله الوجهة الحجازية، فنستأنف تقييدا آخر متصلا به في ذكر ما نحل به من الأقطار ونتلقاه من الأخير». (ل 290).

اذن فابن الخطيب كان ينوي مواصلة تأليفه في موضوع الرحلة، ولم تتح له الظروف الرحلة الى الحجاز ولكنه رحل الى المغرب، ليست هذه رحلة حرية بالتسجيل، بل في نفس موضوع الغربية عن الوطن الذي كان حافزا لتأليف الأجزاء الأولى، الا يمكن أن يضع سفرا رابعا يضمه ما صاحب رحلته من أحداث تاريخية؟...

- أورد الناسخ في آخر الإحاطة قصيدتين لابن الخطيب وعلق عليهما بقوله: «... من كتاب نفاضة الجراب لابن الخطيب المذكور الذي الفه في العودة بعد صرفه عن الأندلس واستقراره بالعودة بأخرة من عمره، وقرب وفاته ولذلك سماه نفاضة الجراب(18).

لم يثبت د . العبادي القصيدتين في فصل الضمائم، ولكنه ناقش قول الناسخ بأن كتاب النفاضة وضع سنة 772 هـ، دليلا على ذلك: تواريخ الأحداث التي تناولها

السفر الثاني لا تتعدى الفترة (760 . 763 هـ / 1559 - 1361م)، ثم احالة ابن الخطيب القارىء في كتابه اللمحة على النفاضة للتوسع... علما بان اللمحة انتهت من تأليفها في أواخر محرم 765 هـ.

من المعروف ان الأحداث التي عرضها السفران الثاني والثالث لا تتجاوز الفترة الممتدة ما بين (760 - 764). وان هجرته الأخيرة الى المغرب كانت ما بين (772 - 776 هـ / 1370 - 1378م)، لكن قول الناسخ يدفعنا الى التساؤل، الا يكون الناسخ نقل فعلا القصيدتين من سفر رابع الف في الفترة الأخيرة، وما دام الموضوع لم يتغير : الإغتراب... فقد اختلط الأمر على الناسخ وظن ان كتاب النفاضة وضعت كل أجزاءه في نفس الفترة الزمنية، وقد رجح الدكتور عنان بدوره انتماء القصيدتين الى الفترة المتأخرة لما يحملان من ألم وحسرة واستنكار لموقف أهل بلده منه... (19).

على كل ما وصلنا الآن هما الجزءان الثاني والثالث.

3 . عنوان الكتاب وظروف تأليفه :

ابن الخطيب اطلق على كتابه اسم الرحلة اكثر من مرة، وقد اتفق الباحثون على ان كتاب الرحلة هو نفسه كتاب نفاضة الجراب (20)، لكننا نلاحظ ان بعض المتأخرين وقع لهم خلط في العنوان، حيث سماه ابن غازي «نفاضة الجراب فيمن بقي من الأصحاب» (21)، وسماه عبد الحي الكتاني : «نفاضة الجراب فيمن جمعني وإياه الإغتراب» (22).

اما العنوان الذي اثبتناه : «نفاضة الجراب في علالة الإغتراب» فقد نص عليه ابن الخطيب نفسه في الإحاطة واللمحة البدرية (23).

ما يسترعي الانتباه في عنوان الكتاب هو اختيار ابن الخطيب لألفاظ لها دلالات عميقة : نفاضة، علالة، اغتراب. كل لفظة تعبر عن مضمون من مضامين الكتاب.

وإنبدأ باهمها :

- اغتراب : لقد ألف ابن الخطيب كتابه في أحلك فترات حياته التي عانى فيها غربة عن الوطن وبعدا عن الأصدقاء، حيث هبت ثورة في غرناطة بتاريخ 28 رمضان 760 هـ / 23 غشت 1359م اطاحت بملك الغني بالله محمد الخامس، وفر السلطان الى وادي آش بينما استمر ابن الخطيب وزيرا لاسماعيل، وشك هذا الأخير في

اخلاص ابن الخطيب فسجنه وصادر ممتلكاته، ويتدخل من أبي سالم المريني سمح لابن الخطيب بمغادرة الأندلس رفقة سلطانه، ونزلا ضيفين على سلطان المغرب يوم 6 محرم 761 هـ / 28 نونبر 1359 م .

جاء ابن الخطيب الى المغرب لاجئا سياسيا... مهيب الجناح ... بلا ممتلكات ولا اموال... بلا منصب ولا وطن، كل ما يملكه ثقافته الواسعة، ومقدرته الأدبية التي وظفها في مدح ملوك المغرب ورؤسائه... مدح تتبثق المرارة والحزن من الفاظه لتصور واقعا اليما واقعا عاشه ابن الخطيب، يقول ضمن رسالة كتبها الى السلطان أبي زيان بمناسبة توليه الملك : «... فلم يتح الله نعمة ترعى الضيف، وتحمي الذليل إلا على يديكم... (24).

ويقول في قصيدة مرفوعة الى نفس السلطان (25) :

امولاي راع الدهر سربي وغالني فطرفي مذعور وقلبي خفاق
وليس لكسري غيرك اليوم جابر ولا ليدي إلا لمجدك اعلاق

هذا الواقع الذي فرض على ابن الخطيب ان يمدح وزراء يشعر في قرارته بتعاليه عنهم، فتعبر أشعاره عن ذلك ، يقول في مدح الوزير المغربي السبيع : (26)

لعمرك ما تدري الوزارة كفوها سواك يميننا لا يخاف من الوزر
ومثلك من يعنى بمثلي فانسي تهيم المعالي في ثنائي وفي شكري

ورغم ما لقي ابن الخطيب من حفاوة وكرم في المغرب فالحسرة على فراق وطنه لم تفارق قلبه، ولم يخفف ذلك من حدة شعوره بالغرابة، فصور مخطوطنا معاناته أصدق تصوير.

نفاضة : لقد نفذ ابن الخطيب في كتابه رصيده الثقافي، فجاء كخلاصة مركزة لفروع ثقافته المتشعبة : أدبية، تاريخية، جغرافية، فلسفية ودينية.

علالة : كان الكتاب بمثابة مذكرات شخصية بثها ابن الخطيب احساساته، وانطباعاته عن المغرب ورجالاته، رافقته في رحلاته، وفي حفلات اعياد المولد النبوي، وفي الحروب والفتن، فكان يتعلل بها في ظروف اغترابه، وبذلك حق لكتابتنا أن يسمى نفاضة الجراب في علالة الإغتراب :

4- تاريخ تأليف الكتاب :

لم يحدد ابن الخطيب تاريخ تأليف الكتاب، لكن الأحداث التاريخية التي سجلها في الجزئين الثاني والثالث تنحصر بين (760 - 764 هـ / 1359 - 1362م).

أما الجزء الثالث، موضوع بحثنا، فبيّدتىء بأول حدث مؤرخ بربيع الأول 763هـ / يناير 1362م، وهو سفر ابن الخطيب من سلا متوجها الى فاس لتقديم ولائه للسلطان الجديد أبي زيان اثر عودته من قشتالة، وينتهي بوصف حفل عيد المولد النبوي الذي أقامه محمد الخامس في غرناطة بعد استرجاعه لملكه وذلك بتاريخ 12 ربيع الأول 764هـ / 30 دجنبر 1362م.

وهكذا تجدر الإشارة الى أن ابن الخطيب بدا تأليف الكتاب في المغرب وأنهى الجزء الثالث في غرناطة بعدما رجع اليها باستدعاء من محمد الخامس.

رغم أن ابن الخطيب لم يحدد تاريخ انتهائه من تأليف الجزء الثالث من النفاضة فهناك بعض المعطيات تجعلنا نرجح أنه تم قبل محرم 765 هـ / 1363م. وبعد ربيع الأول 764 هـ / دجنبر 1362 م :

1. ابن الخطيب اثبت في آخر كتابه اللمحة البدرية تاريخ انتهائه من تأليفه وهو آخر محرم 765 / 1363م، كما علق عن الكتاب بقوله : «وهذا الكتاب عيون ونكت ومن أراد الاستقصاء فعليه بكتاب نفاضة الجراب من تأليفنا» (27).

بمقارنة الأحداث الواردة في جزئي النفاضة بما ورد في اللمحة ، كان آخر حدث في كتاب اللمحة عبارة عن إشارة خاطفة الى ثورة قامت ضد محمد الخامس بعد استرجاعه لملكه يقول فيها ابن الخطيب : «وثار عليه في الحضرة بممالة الاشرار من جنده على بن علي بن أحمد بن نصر، الشيخ المزمّن، فأظفره الله به» (28).

هذه الثورة وجدنا الحديث مفصلا عنها في مخطوطتنا (29)، ومسجلة بتاريخ ذي الحجة 763 هـ / اكتوبر 1362م.

معناه أن ابن الخطيب انهى مخطوطتنا قبل اللمحة اي قبل محرم 765.

ب . ما يجعلنا نشك أن آخر حدث انتهى به كتابنا لا يمكن اعتباره تاريخ الافراغ من تأليفه أننا وجدنا في المتن رسالة من ابن الخطيب الى ابن خلدون بمناسبة زفاه بجارية تدعى هند (30)، لم يذكر ابن الخطيب تاريخ إرسالها ولم يشر إليها ابن خلدون في تعريفه رغم أنه تحدث عن رحلته الى غرناطة (31) ووصوله إليها يوم 8 ربيع الأول 764 هـ / 26 دجنبر 1362م، وأكد ابن الخطيب في مخطوطتنا مشاركة ابن خلدون في حفل عيد المولد النبوي بقصيدة (32) يوم 12 ربيع الأول، فهل يعقل أن يتزوج ابن خلدون بين التاريخين المذكورين وما لم ولم يرتح من عناء السفر؛ بالإضافة الى ما يستلزمه الموقف من شكليات الاتصال بالبلاط والتهيب للحفل الخ...

نرجح اذا ان الجزء الثالث من النفاضة تم وضعه بين سنتي (763 - 764 هـ / يناير 1362 - 1363).

5 . خلاصة محتوى الكتاب :

قبل أن نعطي عرضاً موجزاً لمحتوى مخطوطاتنا يجدر بنا أن نلقي ولو لمحة خاطفة على محتوى الجزئين الأول والثاني.

الجزء الأول :

سبق أن اشرنا الى أن هذا الجزء لازل مفقوداً، ولكننا حاولنا تصور بعض موضوعاته انطلاقاً من منهجية ابن الخطيب في الجزئين الثاني والثالث حيث ذكر الأحداث التاريخية متتابعة حسب التسلسل الزمني (33) فتناول في الجزء الثاني الفترة الممتدة ما بين (أواسط عام 761 هـ - 1360م) و(ربيع الأول 763 هـ / يناير 1362م)، هذا التاريخ الأخير يبتدىء به الجزء الثالث الذي يتطرق الى الأحداث بتسلسل اى غاية 12 ربيع الأول 764 هـ / 30 دجنبر 1362م.

إذن فمن المرجح أن الجزء الأول يتناول الأحداث التاريخية ابتداء من 26 رمضان 760 هـ / 26 غشت 1359، أي من الانقلاب الأول الذي أدى الى خلع محمد الخامس ولجونه رفقة وزيره ابن الخطيب الى المغرب، وابن الخطيب - كما لا يخفى - مؤرخ وأديب، يؤرخ ويصف بدقة متناهية كل ما تقع عليه عيناه، لذلك فقد يتضمن هذا الجزء وصفا مفصلاً للانقلاب الأول.

- من خلال الجزء الثاني عرفنا أن ابن الخطيب لما نزل ضيفا على أبي سالم

طلب منه الترخيص له برحلة الى ربوع المغرب ، فسمح له السلطان بذلك لكننا وجدنا الجزء الثاني يبتدىء بصعود جبل (درن) ويستمر في وصف المناطق الجنوبية، فبدون شك أن ابن الخطيب فصل بداية رحلته في آخر الجزء الأول ويؤكد ذلك بعض النصوص المبثوثة في مصادر أخرى نقلا عن النفاضة والتي تحتوي وصف مكناسة الخ ...

- عقد د. العبادي فصلا سماه الضمائم (34) جمع فيه النصوص التي عثر عليها في مصادر أخرى أخذتها عن النفاضة ولم يجدها في الجزء الثاني وهي :

- 1 . وصف مكناسة الزيتون.
- 2 . وصف لقائه بعلماء مكناسة.
- 3 . وصف لقائه بالشيخ الزاهد أبي العباس بن عاشر.
- 4 . في وصف مراكش وتامسنا.
- 5 . قصيدة في مدح الرسول (صلعم) ليلة ميلاده.

نضيف الى هذه النصوص قصيدتين أوردتهما ناسخ الإحاطة معلقا عليها بأنهما من نفاضة الجراب (35).

بمقارنة هذه النصوص بمحتويات المتن وجدنا الأبيات التي قالها في وصف مراكش وتامسنا (36)، أما باقي النصوص التي جمعها د. العبادي فنرجح أنها من الجزء الأول ما عدا البيت الآتي :

بولي الله فابدا وابتدر واحد الأحاد في باب الورع

فقد اورد د. العبادي هذا البيت ضمن النص الذي وصف فيه ابن الخطيب لقاءه مع الشيخ أبي العباس السبتي، أخذا عن الإستقصا والنفح ، ولم يشرده. العبادي الى التعليق الموجود في كلا الكتابين، وهو : «وقال رحمه الله من قصيدته العينية السلاوية التي وجهها الى سلا أيام خلف بها أهله وولده» (37) هذا البيت من قصيدة وجدناها كاملة في المتن (38) .

- نحتمل أن الجزء الأول يتضمن فصلا عن وصف احتفال ابي سالم بعيد المولد يوم 12 ربيع الأول 761 هـ / يناير 1360م، والقصائد التي أنشدها الشعراء بالمناسبة، وذلك بناء على ما يأتي :

باستقراءنا للنصوص المشار إليها اثار اهتمامنا قصيدة في مدح الرسول ذكرها ابن الخطيب في الإحاطة وأوردها المقري في نفحه كما جعلها د. العبادي ضمن

فصل الضمائم(39)، هذه القصيدة قال عنها ابن الخطيب : «ثبت في كتاب «نفاضة الجراب» من تأليفنا عند ذكر المدعى الكبير بباب ملك المغرب ليلة ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر من أنشد ليتنذ من الشعراء ما نصه : وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي في جملة السذاجة وكرم الخلق وطيب النفس وخذن العافية وابن الصلاح والعبادة ونشأة القرآن، المتحيز الى حزب السلامة المنقبض عن الغمار، العزوف عن فضول القول والعمل، جامع المحاسن من عقل رصين، وطلب ممتع وأدب ونقاوة ويد صناع، أبو القاسم بن أبي زكريا البرجي، فانشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة :

اصفى الى الوجد لما جد عاتبه صب له شغل عمن يعاتبه

والقصيدة طويلة، لكن ما يهمنا فيها هو تردد اسم الخليفة ابراهيم ابي سالم حيث يقول(40) :

لولا الخليفة ابراهيم لا نبهت طُرق المعالي ونال الملك غاصبه

حقا ان القصيدة لا تحمل تاريخا، ولكن لا يمكن أن يكون غير ما ذكرناه ذلك لأن ابن الخطيب وفد على فاس في محرم 761 هـ / 1359. وشارك في الاحتفال بعيد المولد النبوي، حيث أن الظهير الذي رخص له بالرحلة صدر يوم 21 ربيع الثاني 761 هـ / 1360م (41)، وقد فضل ابن الخطيب الإقامة في سلا وطلب الإذن من السلطان ابي سالم فاذن له بذلك بتاريخ 11 رجب 761 هـ / 28 مايو، وظل مقيما بها الى أن غادرها نهائيا الى غرناطة يوم 14 رجب 763 هـ / 9 مايو 1362م، عندما نعرف بأن ابا سالم قتل يوم 21 ذي القعدة 762 هـ / سبتمبر 1361م نتأكد ان ابن الخطيب تمكن من حضور الحفل الأول، أما الحفل الثاني فقد ذكر في الجزء الثاني من النفاضة أنه أناب ابنه عنه في قراءة القصيدة لأن الظروف لم تسمح له بالسفر الى فاس(42).

من خلال هذه التصورات يمكن القول بأن الجزء الأول يتضمن أحداثا مغربية وأندلسية، وفصلا عن بداية رحلته في المغرب، وفصلا عن وصف عيد المولد النبوي والقصائد التي أنشدت فيه، وكعادة ابن الخطيب في الجزئين الثاني والثالث، فهو بين الحين والآخر يعقد فصلا يسجل فيه ما صدر عنه من نظم ونثر لذلك العهد، قد لا يخلو السفر الأول منه.

ملخص الجزء الثاني

خصص د. العبادي عرضا وافيا عن محتويات الكتاب في مقدمته لذلك سنكتفي بإيراد اشارات تاريخية موجزة دون التطرق الى الجانب الأدبي.

- يبتدىء الكتاب بصعود ابن الخطيب الى جبل هنتاة (درن) ثم يستمر في رحلته واصفا المدن التي مر بها والأشخاص الذين تعرف بهم مسجلا خروجه من مركش قاصدا اسفي بتاريخ 23 جمادى الثانية 761 هـ / 21 مايو 1360م.

- 11 رجب 761 هـ / 28 مايو 1360م وصل الى سلا، ومنها بعث رسالة الى أبي سالم يتوسل اليه أن يسمح له بالإقامة في سلا.

- 8 شعبان 761 هـ / 24 يونيو 1360م حدث انقلاب ثاني في غرناطة ادى الى مقتل اسماعيل أخي محمد الخامس واعتلاء ابن عمه أبي سعيد البرميخو عرش المملكة.

- ربيع الأول 762 هـ / يناير، فبراير 1361 وصل بعض القادة العسكريين فارين من غرناطة الى المغرب.

- شوال 762 هـ / 1361م : عبر محمد الخامس الى سبتة بمساعدة السلطان أبي سالم، ومن ثم ذهب الى جبل الفتح حيث تمت بينه وبين سلطان قشتالة اتصالات... منتظرا امدادات عسكرية من أبي سالم، في نفس هذه الظروف قتل الوزير عمر بن عبد الله السلطان ابا سالم ويبيع اخاه ابن تاشفين الملقب بالموسوس.

- كرد فعل بعث ابو سعيد البرميخو عبد الحليم ابن عم السلطان أبي سالم لمطالبته بحقه في الملك، لكن صادف ذلك مقتل أبي سالم واستياء الناس من سلطنة ابن تاشفين مما جعل بعض القبائل تتحاز اليه، فاستولى على مكناسه وتازا، وخاف الوزير من استفحال نفوذ عبد الحليم فبعث الى سلطان قشتالة يطلب منه السماح لأبي زيان بالقدوم الى المغرب، وتم ذلك بشروط...

- صفر 763 هـ / 1361م بويغ أبو زيان بالخلافة.

- ربيع الأول 763 هـ / 1362م فر عبد الحليم الى سجلماسة.

- جمادى الثانية 763 هـ / فر أبو سعيد البرميخو الى قشتالة.

ملخص لمحتويات الجزء الثالث

حاولنا تقسيم الكتاب الى عشرة فصول وسنشير الى اهم الأحداث الواردة

فيها :

الفصل الاول :

يشترك هذا الفصل مع آخر الجزء الثاني الذي حققه د. العبادي، ويستهله بمقدمة للمحة البدرية، ذلك ان ابن الخطيب ذكر ما صدر عنه من شعر ونثر حتى ذلك العهد، فأورد مؤلفاته وأشار الى انه ابتدا تأليف المحة البدرية التي تحمل المقدمة المثبتة في كتابنا والتي كانت سببا في الاعتقاد بانه المحة البدرية.

الفصل الثاني :

يبتدىء بالجملة «رجع التاريخ»، هذه الجملة التي تتكرر كلما اراد ابن الخطيب تسجيل الأحداث التاريخية اندلسية أو مغربية.

وفي هذا الفصل يسلط الأضواء على فترة غامضة من تاريخ المغرب في عهد المرينيين محددة بسنة 763 هـ / 1362م. حيث يصف اثار الجفاف على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ويشير الى داء الطاعون الذي كان منتشرا في المغرب خلال هذه الفترة، كما يصور الفتنة والاضطرابات الداخلية...

يصف ابن الخطيب رحلته الى فاس تحت سيول من الأمطار انهدت سنوات الجفاف، واشاعت بعض الاطمئنان في النفوس، وكان قصده من الرحلة تقديم ولائه للسلطان الجديد أبي زيان، وسجل ابن الخطيب لقاءه بالسلطان بتاريخ 30 ربيع الأول 763 هـ / 27 يناير 1362م. كما اثبت القصيدة التي مدحه بها والظهيرين اللذين اصدرهما السلطان في حقه : أحدهما يخول له عدة امتيازات، والثاني يرخص له الرحلة الى جنوب المغرب بناء على طلبه.

ولم يفت ابن الخطيب اثناء اقامته في فاس ان يسجل الأحداث التاريخية التي شاهدها كوصفه لشخصية منصور أخي عبد الحليم الذي اتى لمساعدة أخيه، وتم القبض عليه بمحض من ابن الخطيب، كما وصف حفل عرس ابي ثابت عامر الهنتاتي كما شاهده، مشيرا إلى تنصيبه رئيسا للجند بمراكش.

وفي هذا لفصل اشارة الى شروط المعاهدة التي تمت بين ابي زيان وملك قشتالة.

وقد انتهى الفصل بوصف لما آلت اليه احوال الدولة المرينية من تدهور وانحطاط نتيجة استبداد الوزير عمر بن عبد الله بشؤون الدولة.

الفصل الثالث :

يوم 23 ربيع الثاني 763 هـ / 9 فبراير 1362 خرج ابن الخطيب من فاس متجها الى جنوب المغرب، لكنه مرض في الطريق مما جعله يؤجل الرحلة ويكتب رسالة الى السلطان مبلغه بمرضه.

بعد عشرة أيام يستأنف ابن الخطيب رحلته ويورد وصفا دقيقا للمدن والقرى التي مر بها ابتداء من فاس ثم دشار البوير، مكول، ماغوس، تامسنا، محلة سفيان، طريق مراكش، منار الكتبية...

كما وصف لقاءاته بشيوخ القبائل، والابيات التي نظمها في مدحهم وفي هجاء بعض المدن والقرى المغربية...

الفصل الرابع :

وفيه تصوير للثورات الداخلية في المغرب نتيجة الصراعات القبلية.

كما يعرض هذا الفصل انشقاق المغرب الى مملكتين، مملكة فاس تحت سلطنة أبي زيان الشكلىة، بينما المسير الحقيقي هو عمر بن عبد الله الياباني، ومملكة مراكش تحت سلطنة الطفل أبي الفضل بن أبي سالم، بينما المستبد بشؤونها أبو ثابت عامر الهنتاتي، وقد تم هذا التقسيم باتفاق بين الوزيرين.

الفصل الخامس :

وفيه ذكر لأحداث أندلسية، حيث حقق محمد الخامس انتصارا على ابن عمه أبي سعيد البرميخو، واحتل عدة حصون من جملتها مالقة التي دخلها يوم 16 جمادى الثانية 763 هـ / 12 أبريل 1362م، ومنها بعث رسالة الى ابنه بفاس ليخبره بانتصاراته، فابو سعيد البرميخو فر الى قشتالة محملا بذخيرة هائلة من المجوهرات، وصفها ابن الخطيب وصفا دقيقا لأن أبا الحجاج سبق أن اطلعه عليها.

كما تعرض ابن الخطيب الى فشل سفارة ابن كماشة في المغرب.

الفصل السادس :

ويستهله بإشارات موجزة جدا عن الوضعية العامة في غرناطة، ثم ينتقل الى

وصف رحلته مع أسرة محمد الخامس عائدين من المغرب الى غرناطة، وقد نجح ابن الخطيب في اقناع الوزير عمر بن عبد الله بالسماح لهم، بالعودة الى وطنهم هذه المهمة التي فشل فيها ابن كماشة، وقد صحبهم في رحلته أبو يحيى بن أبي مدين مبعوثا من طرف ملك المغرب، خرجوا من فاس بتاريخ 20 رجب 763هـ / 15 مايو 1362م، ووصلوا غرناطة بتاريخ 20 شعبان / 14 يونيو.

الفصل السابع :

وفي هذا الفصل يذكر نفي ابن كماشة الى تونس، كما يتعرض بتفصيل الى ثورة ضد الغني بالله محمد الخامس بذى الحجة 763 هـ / اكتوبر 1326م.

وفيه أيضا خطبة لابن الخطيب على لسان محمد الخامس لتهدئة الناس بعد الثورة، وكذلك رسالة من انشائه الى المغرب واصفا فيها أحداث الثورة، ممهدا لها بوصف الانقلاب السابق.

الفصل الثامن :

ويتضمن مجموعة من رسائل ابن الخطيب اخوانية ودبلوماسية وبعض أشعاره التي كتبها بعد عودته الى غرناطة، ما يسترعي الانتباه في هذا الفصل هو الجانب الجديد : قصائد زجلية لابن الخطيب، فقد عرف كزجال دون ان تصلنا ازجاله، وينفرد كتابنا بهذه الميزة الا وهي الاحتفاظ بقصائد زجلية لم يعثر على بعضها حتى الآن، ونسب بعضها خطأ الى الششتري.

الفصل التاسع :

وفيه وصف دقيق ورائع للمشور الذي بناه محمد الخامس بقصر الحمراء، والذي اقام فيه الاحتفال بعيد المولد النبوي بتاريخ 12 ربيع الأول 764 هـ / 1362م. كما وصف الحفل وصفا متناهيا في الدقة، ووصف أيضا الساعة الميكانيكية التي ظهرت لأول مرة في غرناطة عند محمد الخامس، زين بها قاعة الحفل تقليدا لأبي عنان، كما اثبت ابن الخطيب مقطوعات شعرية كان ينشدها عند انتهاء كل ساعة من ليلة الحفل.

الفصل العاشر:

وقد خصصه ابن الخطيب للقصائد التي انشدت في الحفل بمناسبة عيد المولد النبوي من طرف شعراء مختلفين، انفرد كتابنا بجلها.

اهمية الكتاب

يعتبر كتاب نفاضة الجراب في علالة الاغتراب من اهم مؤلفات ابن الخطيب. باتفاق القدماء والمحدثين، فابن الأحمر يجعله من احسن مؤلفات ابن الخطيب اذ يقول «ونفاضة الجراب في اربعة أسفار وهي من احسن تأليفه» (43)، ويصنفه الدكتور عنان في الدرجة الثانية بعد الإحاطة حيث يقول : «يعتبر من أهم كتب ابن الخطيب بل ربما كان أهمها بعد كتاب الإحاطة» (44)، وتكمن هذه الأهمية في كونه يؤرخ لمرحلة من أدق وأحرج المراحل التاريخية بالنسبة لمملكتي بني مرين وبني نصر، وهي السنوات الممتدة ما بين (760 - 764 هـ / 1359 - 1362 هـ)، حيث عرف المغرب خلالها حكم أربعة ملوك، وانقسم الى مملكتين : مملكة فاس ومملكة مراكش، كما عاشت مملكة غرناطة صراعات داخلية وخارجية، ففي هذه الفترة الوجيزة عاشت اربعة انقلابات، ذكرت المصادر ثلاثة، وانفرد هذا الكتاب بتفصيل وقائع الانقلاب الرابع.

فالكتاب اذا يكشف حقائق تاريخية ظلت مجهولة الى الآن، كما يرسم صورة واضحة للوضعية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لكل من المملكتين : النصرية والمرينية، ويبين نوعية العلاقة الدبلوماسية التي كانت تربط بينهما.

بالإضافة الى أهمية هذا الكتاب (الجزء الثالث) التاريخية، فإن له أهمية أدبية كبرى، حيث نجد كل حدث تاريخي مزيلا بقصيدة شعرية أو رسالة أدبية من إنتاج ابن الخطيب أو غيره من مشاهير عصره كابي اسحاق بن الحاج وابن خلدون وابن خاتمة والنباهي وابن مرزوق وغيرهم ممن احتفظ المتن ببعض انتاجهم أما شعرا وإما نثرا .

ومما يثبت قيمة الكتاب الأدبية أنه ضم 2131 بيتا من الشعر الموزون المقفى، منها 765 بيتا لابن الخطيب تكون قصائد مطولة ومقطوعات؛ و 1340 بيت منظومة في 25 قصيدة مطولة لشعراء معاصرين لابن الخطيب، انفرد الكتاب بجلها؛ تبقى 26 بيتا مفردا، لشعراء مختلفين. كما انفرد الكتاب بست قصائد زجلية لابن الخطيب.

أما الرسائل والقطع النثرية فيضم الكتاب 38 قطعة نثرية، منها 30 رسالة من إنتاج ابن الخطيب، 20 رسالة دبلوماسية، 10 رسائل، إخوانية، كما وردت 5 رسائل لكتاب آخرين : رسالتان لابن خلدون، رسالة لابن خاتمة، ثلاث رسائل لا يعرف كاتبها، وخطبة لابن الخطيب. وظهيران من أبي زيان إلى ابن الخطيب لم يذكر كاتبهما.

فالكتاب لا تخفى أهميته وصعوبته لذلك فإنا أقدمه إلى القارئ الكريم والأمل يحذونني أن أكون قد وضعت بين يديه مصدرا من أهم المصادر التاريخية والأدبية تشفع أهميته هفواتي، وتبرر مناعة أسلوبه ما أكون قد وقعت فيه من أخطاء.

تعليقات

- (1) لسان الدين بن الخطيب : شخصية غنية عن التعريف، فقد كتبت عنه دراسات كثيرة تناولت شخصيته ومؤلفاته، لذلك ارتأينا ان نكتفي بالإشارة الى بعضها دون تكرار الحديث عن حياته ومؤلفاته.
- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان (ت 808 هـ / 1406م) : ديوان المبتدأ والخبر ، تح. خليل شحاده ومراجعة سهيل زكار، 8 ج، بيروت 1981، ج 7 / 440-445 : 452-455.
- ابن الأحمر، أبو الوليد اسماعيل، (ت 807 هـ / 1405م) : نشير فرائد الجمال في نظم فحول الزمان، تح. رضوان الداية، القاهرة 1967، ص 242 . 292.
- المقرئ، أبو العباس أحمد (ت 1041 هـ / 1633م) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح. احسان عباس، 8 ج، بيروت 1968، تناول الكتاب حياة ابن الخطيب وانتاجاته شعرية ونثرية، أما مؤلفاته فتمتلك الصفحات 97 - 108 من الجزء السابع.
- الناصري السلوي (ت 1319 هـ / 1901م) : الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، نشر جعفر الناصري ومحمد الناصري، 9ج، الدار البيضاء 1954، ج 4 / 8 . 31 . 44 . 49.
- ابن عبد الله عبد العزيز : الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، تطوان 1953.
- محمد أبو بكر التطواني : ابن الخطيب من خلال كتبه، القاهرة 1954، ج2.
- احمد مختار العبادي : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، الإسكندرية 1968.
- محمد عبد الله عنان : لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري، القاهرة 1968.
- الحسن السايح : منوعات ابن الخطيب، الرباط 1978.
- كما ترجم له جل من حققوا مؤلفاته نذكر منها :
- الإحاطة، تح. عنان، ج 1 / 17 . 71.
- اللحة البدوية، تح. محب الدين الخطيب، ص 5 . 12.
- أعمال الأعلام، تح. العبادي، الكتاني، ج 3 / المقدمة.
- روضة التعريف تح. د. الكتاني ج 1 / 11 . 60.
- ديوان الصيب والجهام، ت. شريف قاهر، ص 47 . 87.
- معيار الاختيار، تح. د. شبانة ص 13 . 29.
- نشير أيضا الى بعض الدراسات الأجنبية عن ابن الخطيب، ومؤلفاته :

El,II 42 (C. F . Seybold);

E. I, III, 859 - 60 (J. BOSCH-Vilá);

F. PONS BOIGUES, Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos , arábigo-españoles, Madrid 1898, PP. 343-447 ;

- R. Arié, "Lisán al-dín al-Khaḥīb, quelques aspects de son oeuvre", en Atti del terzo Congresso di studi Arabi e Islamici, Nápoles 1967 , PP. 69 - 81;

- W. Hoenerbach, "El historiador Ibn al-Jaḥīb : pueblo, gobierno, estado", en Andalucía islámica, I, (1980), pp. 43-63,

- M. Schatzmiller, l'historigraphie merinide, Ibn Khaldūn et ses contemporains, Leiden 1982, PP. 76-88.

- E. Santiago Simón, El polígrafo granadino Ibn al-Jaṣīb y el sufismo Granada 1983.

F.A.M. Warburton ; "The Nufāḍat al ḡirāb" of Lisān al-Dīn Ibn al-Kḡaṭīb, Ph.D. (2) (Cambridge) 1965-66.

وقد نقلنا هذا عن :

(Theses on Islam, the Middle East and North-West Africa 1880-1978, accepted by universities in the United Kingdom and Irland comp. por P. slyglett, Londres 1983)

(3) النفاضة 2/ 5 . 6.

(4) (النفاضة 2/ 9).

(5) محمد عبد الله عنان : فهارس الخزائن الملكية، الرباط ، ج 1، ص 343 . 344.

(6) الإحاطة 4/ 459، 462.

(7) المقرئ : ازهار الرياض 1/ 189.

(8) المقرئ : النفع 7/ 98، ازهار الرياض 1/ 189.

- الإحاطة تح عنان، ط 1 القاهرة 1956 (المقدمة).

جيش التوشيح، تح. هلال ناجي ومحمد ماخورد (المقدمة).

- Pons Boigues : Ensayo, P 343.

(9) ابن الخطيب : روضة التعريف، تح د. الكتاني (المقدمة).

(10) النفاضة 2/ 5.

(11) الإحاطة، ط 2 القاهرة 1973، ج 1 (المقدمة).

(12) عنان : لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري ص 242

(13) المنوني : المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي الي نهاية العصر الحديث، ج 1،

الرباط 1983، ص 110.

انظر أيضا مقالاته : «المصادر التاريخية المكتوبة في العصر المريني الثاني» مجلة كلية الآداب

بالرباط، 7 (1981)، ص 176.

(14) النفاضة 2/ 343.

(15) النفاضة 2/ 368.

(16) الإحاطة 4/ 461-462، النفع 8/ 98.

(17) الإحاطة 4/ 459.

(18) الإحاطة 4/ 637.

(19) الإحاطة 4/ 639 حاشية 1.

(20) جمع ابن غازي بين اسمي الرحلة والنفاضة في قوله : وذكر ابو عبد الله ابن الخطيب في

رحلته المسماة بنفاضة الجراب، انظر (الروض الهمتون ص 44)، وأشار د. العبادي في مقدمة

الجزء الثاني من النفاضة ان ابن الخطيب لما ترجم للشيخ ابي ثابت عامر الهنتاني وأورد ما قال فيه

من نظم وشعر احوال القارئ على كتاب الرحلة للاستزادة من أخبار الشيخ، وقد وجد فعلا في

النفاضة 2 مما جعل د. العبادي يؤكد ابن الخطيب يسمي كتابه الرحلة، (ص 9).

نتفق مع د. العبادي ونؤيد رأيه فقد عثرنا بدورنا على مطلع لقصيدة النباهي، وهو:

خليلي مرأً على أرض مآرب ولا تعدلا إنني غير آئب

- علق عليه ابن الخطيب بقوله : «وهي طويلة ثبتت في الرحلة فليُنظرها كل من أراد استيفاء اغراضها، وانظر الإحاطة 4/ 95». وقد وجدنا هذه القصيدة كاملة في كتابنا، انظر : النفاضة 3 ص 299.
- يقول العلامة المنوني : «نفاضة الجراب في علالة الإغتراب اسم الرحلة المغربية التي كتبها ابن الخطيب ايام اقامته في المغرب، انظر : (المصادر العربية لتاريخ المغرب ص 110).
- (21) الروض الهتون ص 44.
- (22) فهرس الفهارس والاثبات 17991.
- (23) الاحاطة 4/ 462، اللحة ص 125/ ط 2.
- (24) المتن ص 42
- (25) المتن ص 64
- (26) المتن، ص 43
- (27) اللحة ص 131.
- (28) اللحة ص 129.
- (29) المتن ص 168.
- (30) المتن ص 210.
- (31) التعريف، تم ابن تاويت، ص 84.
- (32) المتن ص 297.
- (33) عن منهاج ابن الخطيب التاريخي راجع : محمد زنيير : «ابن الخطيب والتجديد في المنهاج التاريخي»، مجلة كلية الآداب بالرباط، 2 (1977)، ص 79 . 126.
- (34) النفاضة 2/ 371 . 386.
- (35) الإحاطة 4/ 637 . 639.
- (36) المتن ص 94، النفاضة 2/ 380 . 381.
- (37) الإستقصا 4/ 24.
- (38) المتن ص 227، النفاضة 2/ 379.
- (39) النفاضة 2/ 383.
- (40) النفاضة 2/ 386.
- (41) الإحاطة 4/ 453 . 455.
- (42) النفاضة 2/ 172.
- (43) المقري : ازهار الرياض 1/ 189.
- (44) عنان : لسان الدين بن الخطيب، حياته وتراثه الفكري ص 242

منهجية تحقيق الكتاب

صعوبات جمة تعترض كل محقق، فتفرض عليه صبورا طويلا واستقصاء دائبا للمصادر، فكيف بنا ونحن امام مؤلف لابن الخطيب حرص على أن يبرز فيه ثقافته الواسعة بأسلوب يمثل أقصى ما وصل اليه فن الصنعة آنذاك، ويستفحل الأمر أكثر فلا تصلنا الا نسخة واحدة صالحة للاستعمال، لم يتورع الناسخ من اثقالها بالتحريف والتصحيف. لقد كان لزاما علينا الإطلاع على مؤلفات ابن الخطيب الأخرى، وكذلك على مصادر معاصرة لها أو متأخرة عنها، علنا نعثر فيها على بعض مما يحتويه كتابنا، وفعلا لقد وجدنا بعض النصوص الشعرية والنثرية مبنوثة في كتاب ريحانة الكتاب والإحاطة وديوان الصيب والجهام والكتيبة الكامنة ونفح الطيب.. مما استدعى المقابلة بينها وبين المتن.

فيما يخص ريحانة الكتاب والإحاطة فقد اشرنا في الحاشية الى أرقام صفحاتهما المطبوعة لكن الاعتماد كان على نسخ مخطوطة اشرنا الى لوحاتها، وذلك لأسباب معروفة لا داعي لتكرارها.

قسمنا المتن الى عشرة فصول حسب الموضوعات، كما وضعنا عناوين تقريبية، وذلينا كل فصل بتعليقات تتضمن شرح الألفاظ الغامضة، تعريف الأشخاص والأماكن والقبائل، ونسبنا الأبيات الشعرية الى أصحابها، كما استخرجنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال.. ورقمناها بالأرقام العربية، بينما رقمنا الاختلافات بين النصوص بأرقام هندية.

ولا يفوتنا أن نشير الى أن الفصل الأول من كتابنا يشترك مع آخر الجزء الثاني من النفاضة المنشور، قمنا بإعادة تحقيقه اعتبارا منا أن الجزء الثالث بمثابة نسخة جديدة.

والكتاب غني بالأحداث التاريخية والاثار الأدبية، كما يعكس جوانب متعددة من ثقافة ابن الخطيب المتنوعة وهذا من شأنه أن يملي فهرس للكتاب، فكانت كما يلي :

– فهرس الأحداث التاريخية حسب تسلسلها الزمني.

– فهرس الأشخاص والقبائل.

– فهرس الأماكن.

– فهرس الأشعار.

– فهرس الرسائل والقطع النثرية .

– فهرس الآيات القرآنة.

– فهرس الأحاديث النبوية.

– فهرس الأمثال.

– فهرس مؤلفات ابن الخطيب التي ذكرها في المتن.

رموز التحقيق :

[]	: زيادة من النصوص المقارن معها.
()	: ساقط.
< >	: زيادة من عند المحققة.
ل	: اللحة البدرية، بيروت 1987.
ر	: ريحانة الكتاب (مخ، الاسكوريال رقم 1825)
ط.	القاهرة : ريحانة الكتاب، تحقيق د. عنان، القاهرة 1981. ج 2.
ف	: نفاضة الجراب، ج 2، تحقيق العبادي، القاهرة (د.تا).
ح س	: الإحاطة (مخ. الاسكوريال رقم 1673، 1674).
ح	: الإحاطة (مخ. الاكاديمية الملكية بمدريد، رقم 142).
ط.	القاهرة : الإحاطة، تحقيق د. عنان، ط 2 القاهرة - 1977، ج 4.
ن	: نفح الطيب، تحقيق احسان عباس، بيروت 1968، ج 8.
م	: نفاضة الجراب (مخ. الخزانة العامة رقم 256 ك). الجزء الثالث.
د	: ديوان الصيب والجهام، تحقيق قاهر، الجزائر 1973.
ك	: الكتيبة الكامنة، تحقيق د. احسان عباس، بيروت 1968.
ش	: ديوان الششتري، تحقيق النشار، الإسكندرية 1960.

وصف المخطوطة

للمخطوطة نسختان :

احدهما تحت رقم 6593 تحتفظ بها الخزانة الحسينية بالرباط، وهي قديمة متلاشية، ملتصقة الأوراق مبتورة الأول والآخر، وغير صالحة للإستعمال.

النسخة رقم 256 ك وتوجد في الخزانة العامة، هي التي اعتمدت في التحقيق، عدد اللوحات : 290 مرقمة بالطريقة الحديثة (حسب الصفحات).

حجمها: 20,6 X 26,9 سم.

الغلاف : بني من الورق المقوى تليه ورقة مضافة الى الكتاب مكتوب عليها اسم اللمحة البدرية، وفي نفس الصفحة كتب العلامة المنوني بقلم حبر جاف أزرق ما يلي :

«هذا المجلد هو السفر الثالث من نفاضة الجراب لابن الخطيب وهو السفر الأخير حسبما يؤخذ من كلمتها الختامية. وقد كتب في طالعته على قطعة من الورق مغايرة للورق الأصلي اسم ابن الخطيب من غير ذكر اسم الكتاب الذي ربما يتوهم أنه اللمحة البدرية وهو غيرها قطعاً كما يعلم من مقابلة الكتاب باللمحة من سياق الكتاب الذي يتماثل مع سياق الجزء المعروف منه والمحفوظ بالاسكوريال وأن هذا الجزء المتحدث عنه يكمل نسخة الاسكوريال التي تليها ويوضح أن جزء الاسكوريال هو الثاني ويحدد أن الجزء الذي لا يزال ضائعاً هو الأول وهو الذي اقتبس منه ابن غازي في الروض وهو أيضاً بدون شك الذي يفصل رحلة ابن الخطيب.

الخط : أندلسي مليح، كتبت بعض الألفاظ بقلم غليظ اشارة الى الرجوع الى السطر.

كما كانت تتخلله فواصل وهي عبارة عن ثلاث نقط مترادفة.

الشكل : شكل الناسخ بعض الالفاظ السهلة، أما المستعصية فاكتفى برسمها كما هي أو كما فهمها.

تبتدىء المخطوطة بما يلي :

«بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله على سيدي ومولاي محمد وعلى آله وصحبه» .

قال الشيخ الإمام العلامة، البحر الفهامة، ابو عبد الله محمد بن الخطيب السلماي الأندلسي، رحمه الله ورضي عنه :

الحمد لله الذي جعل دول الأملاك، كأنجم الاحلاك، تطالعها من المشارق نيرة. وتلعب بها مستقيمة أو متحيرة.

وتنتهي بقول ابن الخطيب :

وقد آن لنا ان نختم هذا السفر ونقتصر عليه، الى أن يسنى الله الوجهة الحجازية، فنستأنف تقييدا آخر متصلا به في ذكر ما نحل به من الاقطار، ونتلقاه من الاخير، ان شاء الله.

تم السفر الثالث وبتمامه تم جمع الديوان والحمد لله الذي هدانا للإيمان وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وذريته الطيبين الأكرمين أجمعين وسلم تسليما الى يوم الدين.

المخطوطة لا تحمل اسم الناسخ ولا تاريخ الانتهاء من النسخ، ولكنها قديمة.

قال الشيخ الامام العلامة في البحر
 العقائبية ابو عبد الله بن ابي الخطاب
 الكوفي الاندلسي رحمه الله في شرحه
الحجج لله الذي جعل في الارض الامم والاعمال والاعمال والاعمال
 وتلعب بها مستديرة او مستقيمة ثم تتركها بما عاقبوا شقيها. المشابك والوضوح والوجود
 والعس من الموت وجان والزم معتز ولا تجل. بل ما قرأ الرضا عن عبيد الاحكام. والمرب شريد
 الشمام. والورقة ششيرة. والافوا بفرقة النشيرة. والسرور فرسمل العشي
 ولا كرايا بلقما الامراء. والاصغة يشمرها الاعترا. ولا اقول بالجو كذا القدر او
 جيمنا الامراء. والرياء تغفر ولا عكيا. تغفر انما زاتي ابا نواب مجبور. والرسوق
 كعز ملة ولا مروي. والم كفا فرسنت. وايزيد الامد الله قد نكت. جلا ان يشمر نسام. ولا مرس
 فاه. ولا انرا. ما اشبه الميلة بالبارجة. والغادية بالهجرة. انما من الجنة الدنيا كذا اخر
 لنا من السماء ما خيلك به نساء الارض ما فتح شيشما نرروا الرياح. فالقول المنزلة نكتة بعد
 الى ان نوحها بحيل يريه. بل فرغنا من عيشة التسمية التسمية. واضاع جوامع من الربيعة
 غير التسمية سونرا حانة الله في المسافك العقيمة وكوس
 از عرو المصير وكما فاض الرضا النجيب. بالسيا محمد لا تغر وشماتا. وتليد من هجة نيدر
 شاعا

أول صفحة من مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، رقم 256 ك.

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا مَثَّبَتْ حُبًّا وَامْتَهَنَتْ حُضْرًا وَتَمَرَّتْ بِمُرُورِ
وَالْحَدِيثِ كَثِيرًا يَذِيحُ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَبَابِ مَعْدُومًا فَحَضْرِيهِ الْأَنْ
 فَجِيذُهُ وَالْفَيْبَةُ لِأَبِي فِي الْحَسَنِ السَّكَاطِ مِنْ أَمَلِ الْأَكْثَارِ فِيهِ وَأَبْنَيْهِ وَالْفَيْبَةُ
 الْأَبِي فِي يَحْيَى الْفُكْرَانِ وَالْفَيْبَةُ لِأَبِي فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى نَهْ **مَرَاتٍ**
 مَا أَسْرَمَ الشَّيْخُ لِتَشْيِيرِ فَرَاتِيْنِيَا حَضْرَتُهُ مِنْ عَمْرِو الْقَهْرِ وَالْأَخْيَارِ وَالْعَمَلِ
 الْبَعْدُ تَشْعَبُ فِي السَّيِّدِ وَالْحَبَابِ تَلِيحُ بِحَيْرِيَّةٍ وَالْأَكْثَارِ حَكْمٌ وَيُقْتَضَى
 الْبَحْرُ وَالْمَشْرِقُ مَعِ الْوَيْحَةِ وَتَحْسُ تَسْتَعْرِفُ اللَّهُ مِنْ زِلَالِ الْغَوَا وَالْعَمَلِ
 وَتَسْوِي إِلَيْهِ أَيْدِي مَوْلَانِي الرَّحِيمِ وَفَرَاتِيْنِيَا أَنْ تَحْسُ مِنْ السَّيِّدِ
 وَتَقْبِرُكَ بِنَيْهِ إِلَى زَيْبِ اللَّهِ الْوَجِيذِ الْحَبَابِيَّةِ فَتَسْتَأْتِي تَقْبِيرُ الْخَضْرِ
 مُتَّجِدِيهِ فِي ذِكْرِهِ مِنْ الْأَفْكَارِ وَتَسْلَفُ مِنْ الْأَخْيَارِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 تَمَّ السَّبْعُ الثَّلَاثُ وَبِمَا مَدَّ تَجْمِيغُ الْبُرْجَانِ وَالْحَبَابِيَّةِ
 الْبُرْجَانِ مِنْ فَايَلَا مِيلَانَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَسِيرِنَا وَمَوْلَانِي
 مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَذُرِّيَّتِهِ الْكَلِيمِينَ الْأَكْرَمِينَ
 أَجْمَعِينَ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ

آخر صفحة من مخطوطة الخزانة العامة بالرياض رقم 256 ك.

الفصل الأول

رسائل وأشعار ومؤلفات كتبها ابن الخطيب أثناء إقامته في المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدي ومولاي محمد وآله وصحبه. /1 /
قال الشيخ الإمام العلامة، البحر الفهامة، أبو عبد الله محمد بن الخطيب
السلاماني الأندلسي، رحمه الله ورضي عنه (١) :
[وصدر عني لهذا العهد من نظم الكلام، ونثره ما يُذكر :

فمن التوايف : رجز في الأغذية^[1]، إذ كنت قد فرغت من النظم في العلاج
والسياسة، تضمن ذكر الأغذية على أحرف المعجم وطباعتها ومنافعها ومضارها.
وإصلاح خللها، وما تعلق بها من وجوه المعالجة، ولم أقف في هذا الغرض على
نظم. وشرعت في تأليف يختص بتاريخ الدولة النصرانية على أسلوب مختصر منبه
على العين، سميت «باللمحة البدرية في الدولة النصرانية^(٢)» [افتتحته بما نصه^(٣)]:
الحمد لله الذي جعل [الأزمنة كالأفلاك، و^(٤)] ودول الأملاك كأنجم الأحلاك،
تطلعها من المشارق نيرة. وتلعب بها مستقيمة أو متحيرة، ثم تذهب بها غائرة^(٥)
متغيرة، السابق عجل، وطبع الوجود مرتجل، والحي من الموت وجل، والدهر [لا^(٦)]
معتذر، ولا خجل بينما ترى الدست عظيم الزحام، والموكب^(٧) شديد الإلتحام،
والوزعة تشير، والأبواب يقرعها البشير، والسرور قد شمل [الأهل^(٨)] والعشير،
والأطراف تلثمها^(٩) الإشراف، والرايات^(١٠) تعقد، والأعطيات تنقد، إذ رأيت
الأبواب مهجورة والدسوت لا مؤملة ولا مزورة، والحركات قد سكنت، وأيدي الإدالة
قد تمكنت، «فكأن لم يسمر (بها) (١١) سامر»^[2]، ولا نهى ناه ولا أمر أمر، ما
أشبه الليلة بالبارحة»^[3]، والغادية بالرائحة، «إنما مثل الحياة الدنيا كماء
أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذوره الرياح^[4]»،

فالويل لمن [لم] (١٢) يترك حسنة تتفعه، أو ذكرا جميلا يرفعه، فلقد عاش عيشة (١٣) البهيمة النهيمة، وأضاع جواهر عمره الرفيعة [القيمة، في السبل] (١٤) غير المستقيمة، ويذر أمانة الله في المساقط (١٥) العميقة، وطوبى لمن عرف المصير (٥) وغافص (١٦) الزمن القصير، في اكتساب محمدة تبقى بعده شهابا، وتخليد منفعة (١٧) تفيده / ثناء وثوابا، فالذكر كلما تخلد استدعى الرحمة وطلبها، واستدنى المغفرة واستجلبها، فلمثله فليعمل العاملون؛ وغايته فليؤمل (١٨) الآملون، «الدار الآخرة خير لو كانوا يعلمون» [6]، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي شرح حقارة الدنيا على الله وبين، وحد (١٩) البلوغ منها وعين، وخفض الكلفة ولين، وحسن الدار الآخرة وزين، وخفض أمرهذه الدار الغرور، وهين وقال صلى الله عليه وسلم : «أكثرنا من ذكر هادم اللذات [7]» كيلا تتشبت بها يد «ولتنتظر نفس ما قدمت لغد» [8]، والرضى عن آله الذين جازوا على جسرها الممتود ومروا، ولقوا الله وهم لم يغتروا، فكانوا إذا عاهدوا بروا، وإذا سمعوا اللغو فروا، وإذا تليت عليهم آيات الرحمان خروا، وكانوا عن حدود تقواه لا يبرحون، ويسوى (٢١) مواهبه الباقية لا يفرحون، وفي مرضاته يمسون ويصبحون، «أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون» [9].

أما بعد، فإن تاريخ الدول عبرة لأولي النهى، وذكرى لمن غفل عن الله وسها، لتحول الأحوال، وتصير الأمور الى الزوال، وتلاعب زعازع الأهوال بالنفوس والأموال، الى إمتاع المجالسة، وإتحاف المؤانسة عند الملابس، لا سيما التاريخ الذي لم يهتد لضمه لديوان (٢٢) لقلّة عيان، أو تأخر زمان، فالنفوس اليه متطلعة، وياجتلاه أغراضه متولعة، لذلك ما جلبت في هذا الكتاب ذكر «ملوك الدول النصرية» على نسق، واطلعت منهم في ليل الحبر بدور غسق، إذ كنت جهينة أخبارهم، [10]، [وقطب مدارهم] (٢٣)، وزمام دارهم، فذكرت نبذا من حال وطنهم الذي سكنوه، وأفقههم الذي حسنوه بسيرهم الحميدة وزينوه، ومن دال قبلهم من أمير، أو ذي خبر شهير، ثم تعاقبهم بحسب الزمان، وسعة الإمكان، ومن اختص بهم من كاتب وقاض، (٢٤) ووزير، أو كان على عهدهم من ملك / كبير، أو حادث يليق بتخليد أو تسطير، وسميته «باللمحة البدرية، في الدولة النصرية». فإن كانت الإجابة فهو القصد (٢٥)، وإن (٢٦) كانت الأخرى بذل الجهد، وحصلت البراءة من العجز وله الحمد، وما أنا أبندي وباله أهنتدي، وعفوه يتغمد ما خطته يدي، وينقسم حسبما يذكر :

القسم الأول : في ذكر المدينة التي اقتعد هذا الملك سريرها، وأحكم تدبيرها.

القسم الثاني : فيما يرجع إليها من الأقاليم والأقطار، على الإيجاز والاختصار.

القسم الثالث : فيمن دال بها من أمير . وسلطان شهير.

القسم الرابع : في عوائد أهلها وأوصافهم، على تباين أصنافهم.

القسم الخامس : في نسق الدول، واتصال الأواخر منها بالأول، وما يختص بكل دولة من الألقاب، والأذيال المستطرفة (٧٧) والأعقاب (٧٨).

ومن المنظوم والمنثور في شتى الأغراض، من ذلك في مخاطبة الوزير عماد الدولة أبي عبد الله عمر بن عبد الله [١١١] في بعض ما فتح الله عليه (٢٩) [فيه ما نصه] (٣٠) :

(سريع)

لا تَرَجُّ إِلَّا اللُّهَ فِي شِدَّةِ وثِقْ بِهِ فَهَوَ الَّذِي أَيْدَكَ
حَاشَاكَ أَنْ تَرَجُّوْا إِلَّا الَّذِي فِي ظِلْمَةِ الْأَحْشَاءِ قَدْ صَوَّرَكَ (٣١)
فَاشْكُرْهُ بِالرَّحْمَةِ فِي خَلْقِهِ وَوَجْهَكَ أَبْسَطْ بِالرِّضَى أَوْ يَدَكَ (٣٢)
وَاللَّهُ لَا تُهْمَلُ الطَّافِقَةُ قِلَادَةَ الْحَقِّ الَّذِي (٣٣) قَلْبَكَ
مَا أَسْعَدَ الْمَلِكَ الَّذِي سُنَّتُهُ يَا عُمَرَ الْعَدْلُ وَمَا أَسْعَدَكَ

نخص الوزير الذي بهر سعده، وحمد في المضاء قصده، وعول على الشيم الذي اقتضاها مجده، وأورثه إياها أبوه، وجدته، الكذا ابن الكذا (٣٤)، أبقاه الله ثابت القدم، خافق العلم، شهيرا حديث سعده / في الأمم، مثلا خبر بسالته وجلالته في العرب والعجم.

تحية معظم مجده الكبير، المستشف الى عهده (٣٥) الوثيق وحسبه الشهير، المسرور بما سنأه (٣٦) الله له من نجح التدبير، والنصر العديم النظير، وإنجاده إياه عند إسلام النصير (٣٧)، وفراق القبيل والعشير، فلان بن فلان (٣٨)، واليد ممدودة الى الله تعالى في صلة سعد الوزير، أبقاه الله بدوام (٣٩) عصمته، واللسان يطنب ويسهب في شكر نعمته، والأمل متعلق بأسبابه الكريمة وأذمته، وقد كان شيعته مع الشفقة التي اذابت الفؤاد، وألزمته (٤٠) الأرق والسهاد، على علم بأن عناية الله عليه عاكفة، وديم الأثنه لديه واكفة، فإن الذي أقدره وأيده ونصره، وأنفذت مشيئته ما دبره، كفيل بإمداده، وملي باسعاده (٤١)، ومرجو لإصلاح دنياه ومعاده، وفي أثناء هذه الأراجيف استولى على معظم وزارته الجزع،

وتعاورته الأفكار تأخذ وتدع، فإني - كما يعلم الوزير [أعزه الله] (٤٧) - منقطع الأسباب، متوحش من الجهة (٤٣) الأندلسية على بعد الجناح، ومستعدى على في كوني (٤٤) من المعدودين فيمن له من الخالصاء (٤٥) والأحباب، فشرعت في نظر أحصل منه على زوال اللبس، وأمان النفس، والحقق بمأمن يرعاني برعي الوزير خلال ما يدبر الأمر من له التدبير، ففي اثنا عشر، وتمهيد أساس بنائه، ورد البشير بما سنأه الله لسيدتي وجابر كسري، ومنصقي بفضل الله من دهري، من الصنع الذي بهر، وراق نوره وظهر [فأمنت وإن لم أكن ممن جنى، وحقتني المسرات بين فرادى وثنى، وانشرح بفضل الله صدري، وزارتنى النعم والتنهاني من حيث أدري ولا أدري، ووجهت الولد الذي شملته نعمة الوزير وأحسانه، وسبق إليه امتنائه، نائباً عني في تقبيل يده، وشكر يده، والوقوف ببابه، والتمسك بأسبابه، وأثرته بذلك لأمر، منها : المزاوله (٤٦) فيما كان يكلفه من أمر إخوته (٤٧) الأصاغر، وتدريبه على خدمة الجلال الباهر، ولعائق عن ضعف الحركة، [وإفرادي له بالبركة] (٤٨)، وبعد ذلك أشرع بفضل الله في العمل على تجديد العهد بباب الوزارة العلية، عارضاً من ثنائها ما يكون وفق الأمنية، ورب عمل أغنى عنه فضل نية (٤٩) [12]، والسلام الكريم على سيدتي ورحمة الله، وبركاته] (٥٠).

[13]
[وخطبت عميد الجهة المراكشية أبا ثابت عامر بن محمد الهنتاتي في
غرض الشفاعة : (٥١)]

سيدتي الذي هو رجل المغرب كله، والمجمع على طهارة بيته وزكاء أصله، علم أهل المجد والدين، وبقية كبار الموحدين (٥٢)، بعد السلام الذي يجب لتلك الجلالة الراسخة القواعد، السامية المصاعد، والدعاء لله أن يفتح لك في مضيقات هذه الأهوال (٥٣) مسالك التوفيق، ويعلقك (٥٤) من عصمته بالسبب الوثيق، أعرفك أن جبلك اليوم وقد عظم الرجفان، وفار (٥٥) التور وطفى الطوفان، تؤمل النفوس الفرقي جودي [14] جوده، وترجو التمسك بالوجود مع وجوده (٥٦)، / ووالله لولا العلق (٥٧) [15] الذي يجب لها الالتزام، ما وقع على غير قصدك الإعتزام، فإله يمدك بإعانتته على تحمل القصاد، ويبقى محلك (٥٨) رفيع العماد، كثير الرماد [16]، ويجعل (٥٩) أبا يحيى عوضاً (٦٠) منك بعد عمر النهاية البعيد الأماد، ويبقي كلمة التوحيد (باقية) (٦١) فيكم الى يوم التناد [17]، وحامله القائد كذا بيته معروف النباهة والجهاد، ومحل لا ينكر في الفؤاد (٦٢)، لما اشتبهت السبل، والتبس القول والعمل، لم يجد أنجى من الركون الى جنابك، والتمسك بأسبابك، والإنتظام في جملة (٦٣) خواصك وأحبابك، حتى ينبج الصبح، ويظهر النجح، ويكون بعد هجرته الفتح، ومثلك من قصد وأمل، وانضم (٦٤) إليه المطي وأعمل، وأما الذي عندي من

القيام بحق تلك الذات الشريفة، والقول بمنابقتها المنيفة، فهو شيء لا تفي به العبارة، ولا تؤديه الألفاظ المستعارة، (والله المسؤول في صلة عزة سيدي، ودام سعده) (٦٥)، والسلام.

وخاطبت (٦٦) شيخ الدولة المرينية على هذا العهد [المرجى] (٦٧) يحيى بن رحو [18] وكان قد صدر له مني بر عند وصوله الى غرناطة (٦٨)، ونشأت مداخلة عميقة (٦٩) الى الآن :

سيدي الذي له المزية العظمى، والمحل الأسمى، شيخ قبيل بني مرين، وقطب مدار الأحرار على الإجمال والتعيين، والمتميز بالدهاء والرجاحة (٧٠) والمعرفة الفسيحة الساحة، والصدقة المباحة، وشرط (٧١) الصوفية من ترك الأذى ووجود الراحة، أسلم على ذاتك الطاهرة التي بخلت الأزمان والله أن تأتي بنظيرها، وتنافسست الدول في تكبيرها، وسارت المواكب الملكية بمسيرها، وأثنت الألسن بفضلها وخيرها، وأقرد لديها أنني أعددت من معرفتها بالأندلس كنزا لم أنفق منه الى اليوم وزنا، إعدادا له وخزنا، إذ لا يخرج العتاد الكبير الا عن حاجة وفاقة (٧٢)، ولا ترد اليد الى الذخيرة إلا في اضاقة، وعجز طاقة، وما كانت الوصلة بمثله / ليهملها مثلي جهلا بقيمتها الغالية وإزراء بجهتها (٧٣) الكافلة الكافية، لكن ثابت عن يدها أيد، وأعفى عن ابتذالها ما كيف الله من عمرو وزيد، والآن أقرد أنني كادت حاجتي الى ذلك العتاد (٧٤) أن تتمحص، وزيدته أن تتمخض، إذ هو حظي من رعي ذلك القبيل الذي قصرت عليه رياسته، والوزير الذي من رأيه يستمد (٧٥) سياسته، وإذا وفد خاصة (أهل) (٧٦) هذه المدينة مهنيين، وبشكر الإيالة (٧٧) الكريمة مثنين، فخيمته ظلي الظليل (٧٨)، ومشاركته معتمدي في الكثير فكيف ولا غرض لي إلا في القليل، وعندني أن رعيه لمثلي لا يحتاج (٧٩)، الى وسيلة تجلب، ولا ذمام يحسب، فمثله من قدر قدر الثناء، وشيد أعلام الحمد سامية البناء، وعرف أن الدنيا على الله أحقر الأشياء، وقد رفعت أمري كله بعد الله الى رأيك، وغنيت عن سعبي لنفسي (٨٠) بجميل سعيك. والسلام.

وخاطبت في هذه الحال صاحب خطة العلامة، الأمير الناجم أبا سعيد بن رشيد [19] بما نصه من المنظوم والمنثور، واتفق أن لم يوجه شيء من ذلك كله ولا مما قبله، لفصل الدهر هذه الخطة بإذن مصرفه سبحانه (٨١).

(وافر)

بِكَ الْخَطِّ الرَّفِيعَةِ فَلْتَهْنَأُ فَإِنَّكَ سَعْدُهُمَا لَفْظاً وَمَعْنَى

إذا ذُكِرَ العلاءُ فَأُنْتُ أَعْلَى
محاسنُكَ اغْتَدَّتْ جَنَاتُ عَدْنٍ
فمهما حلَّها إنسانٌ عَيْنٌ
هزرتُ أبا سعيدٍ منك نوحاً
فَكُنْ حَيْثُ اقْتَضَاهُ بِكَ (٨٣) اعتدادي
فَتَى الفتيانِ أَنْتَ بلا نِزاعٍ
وإنْ ذُكِرَ السناءُ فَأُنْتُ أَسْنَى
لَنْ يَرْتَادُ إِحْسَانًا وَحُسْنًا
فلإنسانٍ فيها ما تَمَنَّى
به ما شئتُ (٨٤) مَنْ ظَلُّ وَمَجْنَى
وَشَدُّ لِي مِنْ كَرِيمِ الرَّعِي مَبْنَى
ومثلي مَنْ وَفَى بِبَدْرِ وَأَنْسَى

الحمد لله حمد من لم يعدم اللطف، ولم يفقد (٨٤) على البذل العطف، والشكر لله الذي سحب السحب الوطف [20]، وسوغ من أفنان نعمه القطف، وأطالع سيدي الذي وسم السعد كنيته وأعملها (٨٥)، وقبل الإجماع حجة فضله وسلمها، وتيمنت باسمه وصورته ومعرفته الدولة التي خدمها، لما عجل لها الوسيلة وقدمها، إني (٨٦) لما اتصل بي خبير استقلاله برياسة القلم الأعلى، والرتبة الفضلى، والدرجة (٨٧) التي هو الأحق بها الأولى، ذاتا وصفات (٨٨) وقولا، قلت هذه فريضة لي فيها حظ وتعصيب، وغنم (٨٩) لي فيه إرضاخ ونصيب، وهدف لي فيه سهم مصيب، العروة الوثقى (٩٠) والآخرة خير وأبقى [21] ، اللهم أوزعنا شكر نعمتك، ولا تقطع عنا عوائد فضلك وكرمك، سادة ككعوب الريح، فضلهم أوضح من فلق الصبح، كلما أقل منهم أقل، أو غاب كاف كافل، أرى من أقبل على من أدبر، وقال لسان الحال هذا أكبر، سيما هذا الفاضل الذي هو فضل (٩١) كله، وطبعه على الفضائل يده، ما شئت من رشد وسعد، ووجه سبب وحسب جعد، وقبل ويعد بمخيلة نُجج لا تُخلف بوعد، ورئاسة هذا القلم الأعلى، أبقى الله سيدي مؤرد مثلي ممن أصبح سلعة (٩٢) تتغالي فيها أولو النوات الفاخرة، ويتناغي المتنافسون في إحياء العظام الناخرة، وحظ الدنيا والآخرة، فإذا رُفِع في الرتبة علم خفاق، وخفاف، وتعين إجماع (٩٣) وإصفاق [22]، فهو قبلي التي أرضاها (٩٤)، ووجهتي التي عينها الحق (٩٥) واقتضاها، فهنأت أولا نفسي بوفور حظها من النعمة، وفوزها بالقدح الأعلى (٩٦) عند القسمة، ثم هنأت الرتبة التي ظفرت بالكفاء والكريم، ولازمها اليمن والسعد ملازمة الغريم، وقدمت بين يدي قنومي [علي سيدي] (٩٧) الذي لا محط لي إلا على نار قراره، ولا سير لي إلا لذراه، فقد جمع لي الصيد قراره، وحمد عزمي / عند صحيح وجهة (٩٨) المشرق وسراه [23] بفضل الله وتبنيه مثله على رعي مثلي جفوة يسعها كماله، ويتغمدها إفضاله. إذ

ذاتهُ أشرفُ، وهو بما تُوحِيه طباعُهُ الكريمةُ أعرفُ، حفظَ اللهُ علينا منه جُمْلَةً الكمالِ، وقِبْلَةَ الأمالِ، وعرفه عوارفَ الإقبالِ بفضله. والسلام [الكريم يخصه ورحمة الله وبركاته] (١٩).

وخاطبت صاحب أشغال الدولة الناجمة يوسف بن الكناني كذلك : (١٠٠).

سيدي الذي يشار إليه (١٠١) بالبنانِ عندَ ذِكْرِ الأعيانِ، وعندَهُ يقفُ حَمْدُ اللسانِ، في عرضِ أولي الحُسنِ والإحسانِ، سَهَمَ كَنَانَهُ الصائبِ، وفخر الآتي منها على الذاهِبِ، أبقاك اللهُ واضحَ المسالكِ في الفصلِ والمذاهِبِ.

حَصَلَتْ بيَني وبينِ ابنِ عمِّكَ مداخلةٌ أُوجِبَها المجدُّ الذي أنتَ فيه قسيمُهُ، والسرُّو الذي راق العيونَ وسيمُهُ والخلقُ الذي هو الرُوضُ تَضَوُّغُ نسيمةً، وأنا حريصٌ أن أجمعَ من صنعيتي (١٠٢) الدهرَ علي بمعرفتي بكما بين (١٠٣) أُختينِ، هما انشراحُ الصدرِ وقُرَّةُ العينِ، فسهل سبيلَ الثناءِ على مجدك، وسوغ (١٠٤) المكارمِ التي هي من بعضِ البنينِ لجدك، فإني (١٠٥) من يومِ نَزَعْتَ عن وطني، وضاق بالإنغترابِ عطني [24]، عيال على الأعيانِ الأعلامِ، سيما حَمَلَةَ الأقالِمِ، وقد رُمْتُ قُربِكَ فأما معنَى وحبًّا فتيسرَ، وأما حسناً ظاهراً، فتعسرَ وتعذُرُ، وبادرتُ تهتئةً سيدي بالولاية التي هي إرث عن السلف (١٠٦)، وعن سابقٍ ومؤتلفٍ، وإن أغفلتُ قبلَ فقد ذكرتُ، أو أخطأتُ فقد اعتذرتُ، والفروضُ تُقضى إذ فاتت وهي العبادةُ، فكيف المعاملاتُ التي تتفمدها السادةُ، وأنا على إثرِ الكتابِ وقدمته لأجد محلهُ فسيحاً لأملي، كفيلاً بجذلي، وجانبه مسرحاً (١٠٧) لناقتي وجملي بحولِ الله.

ولما تمَّ الأمرُ لمولانا السلطانِ أبي زيان [25]، خاطبتُه على يَدَي مُصرِّحِ أمره عامر بن محمد بن علي، بما نصه، وقد حملته ما ينهيه إليه من تشييعي : (١٠٨)

(كامل)

يا مَنْ علَّاهُ ليسَ يحصرُ حاصرُ
لولاكَ أصبَحُ وفورِ سَمِ دأثرِ
بسعوده قلَّكَ المشيئةُ دائرُ
إذ كُنْتَ أنتَ لها الوليُّ الناصرُ
حَرْبُ مُضَرِّمَةٍ (١١٥) وبِحَرْزِ أخيرِ
حَسُنْتَ لَهُ العقبى وعزُّ الآخرِ
والله يَعْلَمُ ما تُكِنُّ ضمائرُ
كسري وحظِّي مِنْكَ حَظٌّ وافِرُ

يا بِنَ الخلائفِ يا سَمِي مُحَمَّدُ
أبشِرُ فأنْتَ مجدُّ (١٠٩) المُلُكِ الذي
من ذا يعاندُ مِنْكَ وارثُهُ الذي
ألقَتْ إِلَيْكَ يَدَ الخِلافةِ أمرُها-
هذا وبينك للصريحِ [26] وبينها
من كان (١١١) هذا الصنعُ أولُ أمره
مولاي عندي في عِلاكِ مَحَبَّةٍ
قَلْبِي يَحْدِثُني بِأَنَّكَ جابِرُ

فَوَسَّيْتَنِي لِعَالَاكَ نَوْرًا بِأَهْر
يَلْقَى لَكَ سَيْفَ أَمْرٍ [27]
وَنَضَى الْعَزِيمَةَ وَهُوَ سَيْفٌ بَاتِرٌ (١١٢)
خَذَلْتَ عِلَاهُ قِبَائِلَ وَعِشَائِرِ [28]
فِي كَلِّ مُغْضَلَةٍ طَيِّبٍ مَاهِرٍ
لَكَ إِذْ عَذَانِي عَنْكَ عَذْرٌ ظَاهِرٌ (١١٤)
فَهِ الرِّيَاضِ وَالرِّيَاضِ بَوَاكِرِ

بِأَرَى جِدْوَدَكَ قَدْ وَضَعْتُ (١١٢) حَقِيبَتِي
وَبَذَلْتُ وَسْعِي وَاجْتِهَادِي مِثْلَمَا
وَهُوَ الْوَلِيُّ لَدَى الَّذِي أَقْتَحَمَ الرَّدَى
وَوَلِيَّ جَدِّكَ فِي الشَّدَائِدِ عِنْدَمَا
فَاسْتَهْدَ مِنْهُ النَّصِيحَ وَاعْلَمَ أَنَّهُ
وَرَفَعْتَهَا لِتَنْوِبٍ قَبْلَ تَوْصَلِي
إِنْ كُنْتُ قَدْ عَجَلْتُ بَعْضَ مَدَائِحِي

مولانا وعمدة ديننا ودينانا الذي سخر الله البر والبحر لأمره (١١٥)، وحكم
فوق السماوات السبع بعز نصره، وأغنى يوم سعه عن سل السلاح وشهره،
وفتق عن زهر الصنع (١١٦) الجميل كمامة / تسليمه وصبره، وقبض له في علم غيبه
وزيرا مذخورا لشد أزره، وقود الملك إليه على (١١٧) حال حصره، الخليفة الإمام
الذي استبشر به الإسلام، وخفقت بعزته (١١٨) الأعلام، ولاح بدر محياء فافتضح
(١١٩) الإظلام، المقتدى بالنبي الكريم سمي في المرشد التي تألق منها الصبح،
والمقاصد التي لازمها (١٢٠) النجج. والتمحيص الذي نبع منه المنح، حتى في الهجرة
التي جاء بعدها الفتح، أبو زيان بن مولانا ولي العهد ترشيفا وحالا (١٢١)، ومؤمل
الإسلام تقلدا للمذهب الصريح (١٢٢) وانتحالا، وأمير المسلمين لو أوسع القدر
إمهالا، ووسطى عقد البنين خلانق متعددة وخلالا، المتحف بالسعادة ولما يعرف
بدره هلالا، المعوض بما عند الله سعادة ألبسته سريالا، وأبلغته من رضاه (١٢٤)
أمالا، أبي عبد الرحمان (١٢٥) بن مولانا أمير المسلمين عظيم الخلفاء، وعنصر الصبر
والوفاء، وستر الله المسدول علي الضعفاء، والمجاهد في سبيل الله بنفسه وماله،
المنيف على مراكز النجوم بهمته وأماله (١٢٦)، المقدس أبي الحسن بن موالينا
الخلفاء الطاهرين، والأئمة المرتضين (١٢٧)، من قبيل بني مرين، وصفوة الله في هذا
(١٢٨) ما أورثه من سرير الملك الأصيل، وخوله من سعادة الدنيا والدين على الإجمال
والتفصيل، وتوجه من تاج العزة القعاء عند اشباه السبيل، وعوضه من قبيل
الملائكة عند تشتت القبيل، وجعل قدمه الراسخة، وآيته (١٢٩) الناسخة، وربوته
السامية الباذخة، وعزة نصره الشادخة (١٣٠) وأوزعه الآله في الخلاص من ملكة
أعدائه، وخطر البحر وعدوان مائه، وغول السفر، وارتكاب الغرر [29] وثبات أقدام

/10

أوليائه الذين «ما بدلوا تبديلاً» [30]، ولا ارتضوا لقبلة طاعته بعد أن ولّوا وجوههم شطّرها تحويلاً، بل صَبَرُوا صَبْرًا / جَمِيلًا، وَبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ (١٣١) تَتَمِيمًا لِعَقْدَةِ إيمانهم، وتكميلًا. يَسْلُمُ عَلَى مَقَامِكُمُ الَّذِي وَسَمَ السَّعْدُ مَشْرِقَ جَبِينِهِ، وَذَخِرَتْ قَبْلُ الطَّاعَةِ لِيَمِينِهِ، وَأَقْسَمَ الدَّهْرُ بِمُظَاهَرَةِ أَمْرِهِ السَّعِيدِ فَبِرُّ، وَالشُّكْرُ لِلَّهِ، فِي يَمِينِهِ، عِبْدِكُمُ الَّذِي اعْتَلَقَ مِنْكُمْ بِالْوَسِيلَةِ الْكُبْرَى، وَقَرُّ بِمَلِكِكُمْ عَيْنًا وَشَرَحَ صَدْرًا، وَبَذَلَ الْجَهْدَ وَإِنْ جَمَلَ قَدْرَةَ وَقَدْرًا (١٣٢)، وَالتَّمَسَّ لَكُمْ الدُّعَاءَ عَلَنًا وَسِرًّا، فَلَنْ الَّذِي حَطَّ رَحْلَ انْتِظَارِهِ (١٣٤) بِتَرَابِ الْمُلُوكِ الْكَرَامِ مِنْ جِدْوَدِكُمْ، مَحَارِبِ بَرِكُمْ، وَأَسْبَابِ جِدْوَدِكُمْ، وَابْيَانِكُمُ الَّذِينَ فِي مَظَاهِرِ بَرِهِمْ (١٣٥) وَرَعِيهِمْ يَظْهَرُ لِلنَّاسِ مَخَائِلُ هِدَاكُمُ وَتَدْرُسُ سَحَابُ جِدْوَدِكُمْ، مَلْتَحِفًا مِنْذُ سَنِينَ عَدَّةٍ (١٣٦) بِأَصْوِنَةِ قَبُورِهِمْ وَثِيَابِهَا، مُسْتَظَلًّا بِبِنَاهَا (١٣٧) الْمُعْظَمَةَ وَقَبَائِبِهَا، مَمْرَغًا خَدَّهُ بِتَرَابِهَا، وَمَوَاصِلَ الصَّرَاخِ بِيَا آلِ مَرِينٍ وَيَا آلَ يَعْقُوبَ (١٣٨) مُتَطَارِحًا عَلَى أَبْوَابِهَا، فَلَمْ يَتَّحِ اللَّهُ نِعْرَةَ تَرَعَى الضَّيْفِ وَتَحْمِي الدَّلِيلِ (١٣٩)، أَوْ حَمِيَّةَ تَرْفَعُ الضَّمِيمَ وَتَشْفِي الْفَلِيلَ، إِلَّا عَلَى يَدِكُمْ أَيُّهَا الْكَرِيمُ (١٤٠) ابْنِ الْكَرِيمِ، وَيَطْلُ الْمِيدَانَ فِي مَوْقِفِ الْهَوْلِ الْعَظِيمِ، الْمَذْخُورِ لِنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَانْتِصَافِ (١٤١) الْغَرِيمِ، وَإِجَالَةِ (١٤٢) أَقْلَامِ الْفَتْحِ بِفَتْحِ الْأَقَالِيمِ. كَتَبَهُ مَهْنُتًا بِمَا سَنَاهُ اللَّهُ لِلْمَلِكِ مِنَ الصَّنْعِ (١٤٣) الَّذِي خَرَقَ حِجَابَ الْعَادَةِ، وَأَرَى إِعْجَازَ السَّعَادَةِ (١٤٤)، مُعْجَلًا ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْ الْمُبَادَرَةِ إِلَى لَثْمِ بِسَاطِكُمْ الَّذِي يَشْرَفُ وَجُوهَهَا مَلِيحَةَ الْوُجُوهِ (١٤٥)، وَتَخْشَاهُ الْأَمْلَاقُ الْجَبَابِرَةَ وَتَرْجُوهُ، وَأَدَاءَ (١٤٦) الْوَاجِبِ مِنَ الْقِيَامِ بِمَنْظُومٍ شَنَاهُ فِي الْحَقْلِ الْمَشْهُودِ، وَإِبْلَاحِ لِسَانِ الْحَمْدِ وَسَعِ الْمَجْهُودِ، وَالْقَاءِ (١٤٧) مَا عِنْدَ الْعَبْدِ مِنْ خُلُوصِ وَجْنُوحِ، وَحَبِّ وَأَضْحِ (١٤٨)، أَيْ وَضُوحِ، قَوْلِي دَعْوَتِكُمُ الشَّيْخِ أَبُو ثَابِتٍ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - يُقَرِّدُهُ، وَيُبَيِّنُ مُجْمَلَهُ وَيُفَسِّرُهُ، وَالْعَبْدُ وَاثِقٌ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَى يَدَيْكُمْ، وَمَلْتَمَسٌ النَّظَرَ (١٤٩) لَدَيْكُمْ، وَقَاطِعٌ بِأَنْ طَلَبْتَهُ بِكُمْ تَسْتَسْنِي (١٥٠) وَأَنْكُمْ سَبَبُ عَاقِبَتِهِ الْحُسْنَى، إِمَّا بِالظُّهُورِ عَلَى الْوَطَنِ الَّذِي تَجْرَأُ الْمُنْقَلَبُ بِهِ عَلَى مَلِكِكُمْ، وَمَدَ الْيَدِ إِلَى نَثْرِ (١٥١) سَلِكِكُمْ، وَنَقْضِ إِرْتِكُمْ (١٥٢) الْمُسْلِمِ / الْمَحْرَرِ، وَزَلْزَلِ وَطَنِكُمْ الْمُؤَسَّسِ عَلَى الطَّاعَةِ لَكُمْ (١٥٣)، وَأَضْرَمِ النَّارَ فِي بَسَائِطِكُمْ وَجِبَالِكُمْ، وَأَطْلُقْ يَدَ الْفِتْنَةِ عَلَى بِيوتِ أَمْوَالِكُمْ، مُتَكَثِّرًا عَلَيْكُمْ بِالْقَلَّةِ، مُتَعَزِّزًا بِالذَّلَّةِ، جَانِيًا عَلَى دَارِكُمْ بِمَا لَا تَبِيحُهُ الْمَلَّةُ، أَوْ بِالشَّفَاعَةِ الْجَازِمَةِ إِنْ لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ فِي الْإِنْتِصَافِ (١٥٤)، وَاللَّهُ يَجْعَلُ الظُّهُورَ لَكُمْ مِنَ الْأَوْصَافِ، وَيُعِينِكُمْ عَلَى جَبْرِ الْكَسِيرِ، وَتَيْسِيرِ الْأَمْرِ (١٥٥) الْعَسِيرِ، وَيَهْنِكُمْ مَنحَةَ الْمَلِكِ الْكَبِيرِ، وَيُبْقِي كَلِمَتَهُ فِي عَقْبِكُمْ بَعْدَ تَمَلُّقِ التَّعْمِيرِ، وَالسَّلَامِ.

وخاطبت الوزير كبير الدولة [31] على أثر الفتح الثاني الذي تكيف له: (١٥٦)

سيدي الذي أُسْرُ بسعادته، وظهور عناية الله به في إبدائه وإعادته، وأعلم كريم (١٥٧) مجادته، وأعترف بسيادته، الوزير الميمون الطائر، الجاري حديث سَعْدَه ومضائه (١٥٨) مَجْرَى المثل السائر، الكذا ابن الكذا - أبقاه الله عزيز الأنصار، جارية يَمُنُّ نَقِيْبَتَهُ حركةُ الفلك الدوار، معصوماً من المكاره بعصمة (الله) (١٥٩) الواحد القهار، مُعْظَمُ سيادته الرفيعة الجانب، وموقرٌ وزارته الشهيرة المناسب، الداعي الى الله بطول بقاءه في عز واضح المذاهب، وصنِّعَ وإكف السحائب - فلان (١٦٠) من كذا عن الذي يعلم سيدي من لسان طلق بالثناء، ويد مَمْدُودَة الى الله بالدعاء، والتماس لما يُعَدُّ (١٦١) من جزيل النعماء، «والفتحُ الذي تَفْتَحُ له أبواب السماء» [32] ، وقد أتصل (به) (١٦٢) ما سنَى (١٦٣) الله له من النصر والظهور، والصنع البادي السفور، لما التقى الجمعان، وتهوديت أكواس الطعان، وتميز (١٦٤) الشجاع من الجبان، وظهر (١٦٥) من حزامه سيدي وبسالته ما تحدث به ألسنة الركبان، حتى كانت الطائفة لحزبه، وظهرت عليه عناية ربه، فقلت الحمد لله الذي جعل سعد عمادي متصل الآيات، بعيد الغايات، وصنع الله له باهر الآيات، واضح الغرر / والنشآت. وقد كنت بعثت أهنئه بما تقدم من صنع جميل، وبلوغ تأميل، فقلت : «اللهم أقد عليه (١٦٦) التهاني تترى، واجعل الكبرى من نعمتك السالفة نعمتك الرادفة المخالفة هي الصغرى (١٦٧). واجمع له بين نعم الدنيا والآخرة، والناس - أبقى الله سيدي - لهم مع الاستناد إليك جهات، وأمور متشابهات (١٦٨)، إلا المحب المنتشيع فجهتك هي التي أنست الغربية. وفرجت الكربة، ووعدت بالخير (١٦٩)، وضمنت عاقبة الصبر (١٧٠)، وأنا أرتقب ورود التعريف الملوي على عبيده بهذه المدينة وأصل - إن شاء الله - لمباشرة (١٧١) الهناء، وقررة العين بمشاهدة الآلاء، والله - عز وجل - يديم سعادة سيدي ويطيل بقاءه، ويرادف قبله نعمه وآلاءه، بفضل (١٧٢)، والسلام.

وخاطبت (١٧٣) الرئيس الماجد أبا ثابت عامر بن محمد (الهنثاتي) (١٧٤) مراجعا عن مخاطبة (١٧٥) براءة وردت [33] قبل وصوله لمصارخة (١٧٦) الملك.

يا سيدي الذي لبستُ من يده البيضاء طوقاً، وسموت بمعرفته فوقاً فوقاً، وعجزت عن معرفة قدره مقالا فقلدها حالا وذوقاً. ورد علي مشرف (١٧٧) المراجعة وفضله عميم، ومصدره - أبقاه الله - كهف فهو لأجل ذلك رقيم، فقلت قول بلقيس : «إني ألقى إلي كتاب كريم» [34] أطرب بدنو اللقاء، وبشر على الظما (١٧٨) المبرج بالسقاء، وهي علم الله الأمنية، والمنحة السنوية، سيما لثني ممن خير وتنخل، وجود ويخل، (١٧٩) وأعمل ميزان الاختبار، وماز الشبه [35] من النصار (١٨٠)، فوَقَّتْ عليك اختياره، وشهد بطيب تيرك معياره، فانت، والله يتيك، ويصل بك الامتاع ويبيك،

لست من الزمن في شيء بعد أن صار رشده لفي، ونشره لطي، إنما أنت بقية من منحة (١٨١) الإمام، وزهر تلك الكمام، ورفعة من تلك الحل الرفيعة، وعض (١٨٢) من تلك الزريعة، أبقته الأيام لتباهي به يوم الزينة (١٨٣) / وتدل على من ذهب من رجالها وهي جد حزينة.

وكان مما أوصى (١٨٤) علي يد سيدي أن أقاسمه المراحل ، وأجدد ببقائه (١٨٥) أنسي [الماحل] (١٨٦)، لولا ما طرقتني من تشتيت صيرني داية طفل، وحارس باب غير ذي قفل، والإنسان محلّ تأثير، وباعتبار التغييرات غير أثر والله عز وجل - يؤاخذ ببعض ما كسب العبد ويعفو عن كثير، ومع ذلك فلقاء سيدي روح من الله ينفس الكروب، ويبلغ المرغوب، وحركته (١٨٧) - بفضل الله - حركة اقبال، [وعند] (١٨٨) اللقاء يفسر كل إجمال، بحول الله، والله - عز وجل - يمنع عن سيدي نواجذ الدهر (١٨٩)، ويحفظه في السر والجهر، ويقر عينه (١٩٠) بولده، ويرده مرد السلامة والغنم الى بلده، ويجعل أيدي مناوئه تحت يده، كما جعل يومه في الفضل مقصرا عن غده، بفضل الله، والسلام.

ومما خاطبت (١٩١) به وزير الدولة الناجمة، محمد بن موسى الملقب بالسبيح، ولم يقض انفاذه (١٩٢) :

(طويل)

أيا سبَّعَ المَيْدانَ غَيْرَ مَدافِعِ
ومن شأنه والله يرفع شأنه
أهنيك أم يهني الوزارة أنها (١٩٣)
لئن صغروا منك السبَّعَ فأنه
كما فعلوا في الموتِ والخُطْبِ خُطْبُهُ
إذا بَرَّقَتْ تحتَ العجاجِ المناصِلُ
عَفافٌ وإِقْدامٌ وحِزْمٌ ونائلٌ [36]
أنافَ عليها منك كافٍ وكافلٌ
لتصغيرِ تَعْظِيمِ به الفخرِ حاصلٌ
تُويهيَةٌ تصفرُ منها الأنامِلُ

ومما صدرت به إليكم كتابا لم يتأت إيصاله (١٩٤)

(طويل)

أيا سبَّعَ المَيْدانَ دَعْوَةَ آمِلِ
عيا لا (١٩٦) على الأحرارِ أصبَحَتْ فلتقم
وأنت الذي جليت في كل حلبة (١٩٨)
إلى الحسبِ الوضاحِ والشيمِ العكسي
لعمرك ما تُدرِي الوزارةَ كُفأها
ومثلك من يعنى بمثلني فإنني
على [يدك] (١٩٥) النصر العزيز على الدهر
[بأمرى قيام] (١٩٧) الواحد الماجد الحر
من الجود (١٩٩) والإقدام في حدة العمر
إلى الرأي [والفهم] (٢٠٠) المسدد (٢٠١) والشعر
سواك يميننا لا يخاف من الوذر
تهيم (٢٠٢) المعالي في ثنائي وفي شكري

ومن المقطوعات المستملحات قولي، وقد قلت لبعض الأصحاب عقيب فكاهة
ولوذعية أنكرتها على نفسي، ما رأيت ضيفا أهون ولا أهضم لدي من هذا الشيب،
أعني الشيب الذي عاجلني، فقال : هو جنى على نفسه، فإنه طرقتك على غفلة في
غير وقته الذي يستعد فيه لكرامته فيه (٢٠٢) :

(خفيف)

قَلْتُ لِلشَّيْبِ لَا يَرِيْبُكَ جَفَائِي فِي اخْتِصَارِي (٢٠٤) لَكَ الْبُرُودَ وَمَقْتَكُ
أَنْتَ بِالْعَتَبِ يَا مَشِيْبِي أَوْلَى جَنَّتَنِي غَفْلَةٌ وَفِي غَيْرِ وَقْتِكُ

ومما وقع من الملح، وقد جرى ذكر علي بن كماشة [37] من قواد الأندلس،
وقد مر ذكره، وهو مشهور بالشؤم في حركاته، معروف بذلك، وتوجه في خدمة
السلطان [إلى الأندلس] فلم ينجح القصد فقلت (٢٠٥) :

(طويل)

كُمَاشِيْكُم مِّنْ أَجْلِهِ انْكَمَشَ السَّعْدُ إِذَا مَا اطَّرَحْتُمْ شُؤْمَهُ أَنْجَزَ الرَّعْدُ
وَمَنْ لَمْ يَكُنْ (٢٠٦) مِنْ قَبْلِ السَّعْدِ عِنْدَهُ مَخِيلَةٌ نُجِجَ كَيْفَ تُرْجَى لَهُ يَعْدُ
وَتَصْرِيفُهُ الْمَشُؤْمُ فَلْتَتَذَكَّرُوا وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدُ [38]

وجرى أيضا ذكر ما يوصف به، فكان من التملح فيه (٢٠٨).

/16/

(مجزوء الرمل)

قِيلَ لِي مَا تَأْتَتْ فَرَاشَةَ مِنْ بُخَارِ ابْنِ كُمَاشَةَ
أَحْرَزْتَ أَجْرَ شَهِيْدٍ نَالَهُ الطَّعْنُ وَنَاشَهُ
رَحْمَةُ اللَّهِ وَرِضْنُوا نَ عَلَى تِلْكَ الْفَرَاشَةَ

وفي مثل ذلك أيضا (٢٠٩) :

(كامل)

مَرُّ الذَّبَابِ عَلَى فَمِ ابْنِ كُمَاشَةَ فَانْقَضَ عَسْكَرُهُ وَهِيضَ جَنَاحُهُ
فَكَانَهُمْ صَرَعَى وَقَدْ عَصَفَتْ بِهِمْ مَسْمُومَةٌ عِنْدَ الصَّبَاحِ رِيَاحُهُ
سَرِعَانَ حَرْبٍ مِنْ بَنِي حَرْبٍ أَتَتْ حَمَلَ السَّلَاحِ عَلَيْهِمْ سَفَاحُهُ
أَعْلِي جَلُ (٢١٠) اللَّهُ كَمَ مِنْ خَائِنٍ نَاجِيَّتُهُ صَبْحاً فَسَاءَ صَبَاحُهُ

وقلت (٢١١) وقد حدث ما أوجبه (٢١٢) :

(مخلع البسيط)

مَنْ طَلَبَ الْوَدَّ مِنْ سَلَاوِي (٢١٢)
هَآوِيَةً أُمَّهُ وَفِيهَا
رَاوِيَةً (٢١٤) الْفَضْلُ فِي انْقِطَاعِ
حَمَقِي فَمَا شُنَّتْ مِنْ دِمَاغِ
مَرْضَى مِنَ الْجَهْلِ لَا حَكِيمِ
لَيْسَ لَهُمْ فِي النَّشَابِ (٢١٥) نَدَى
قُبْحَهَا اللَّهُ مِنْ وَجْهِهِ
يَا لَيْتَنِي إِذْ سَكَنْتُ فِيهِمْ

أنشأه الله من مساوي
أبوه من بعد ذلك هاوي
عنهم إذا ما فرضت راوي
قد عدوا المخ فهو خاوي
ولا طبيب ولا مسداوي
ولا نظير ولا مساوي
أدحضها الله من دعاوي
من أرض والاتن قناوي [39]

وخاطبت شيخ العرب [40] المخصوص بالزنية لهذا العهد، منبها على بر
من قصده، مستعينا بجاهه من الأصحاب (٢١٦) :

(كامل)

عَرَصَاتُ (٢١٧) دَارِكٌ لِلضِّيَافِ مَبَارِكُ
وَنَوَالِكُ الْمَبْدُولُ قَدْ شَمَلَ الْوَرَى
(وَقَالَ الَّذِي قَالَ الْجُودُ قَدْ انْطَوَى
وَالْجُودُ لَيْسَ لَهُ غَمَامٌ هَاطِلٌ
جَمَعَ الشَّجَاعَةَ (٢٢١) وَالرَّجَاعَةَ وَالنَّدَى
لِلدَّيْنِ وَالدَّنْيَا وَاللَّشِيمَ الْعَلَى
(عِنْدَ الْهِيَاجِ رَبِيعَةٌ بَنُ مَكْدَمٍ
وَرِثَ الْجَلَالََةَ عَنِ أَبِيهِ وَجَدَّهُ
فَجِيَادُهُ لِلْأَمَلِينَ مَرَاكِبٌ
فَإِذَا الْمَعَالِي أَصْبَحَتْ مَمْلُوكَةً
يَا فَارِسَ الْعَرَبِ الَّذِي مِنْ بَيْتِهِ
يَا مَنْ تَيْسَرَ (٢٢٧) بِأَسْمِهِ قَصَادُهُ
أَنْتَ الَّذِي اسْتَأَثَرْتُ فِيكَ بِغَيْطَتِي
لَا زَلَّتْ نَوْرًا يَهْتَدَى بِضِيَائِهِ
وَيُخْصُ مَجْدَكَ مِنْ سَلَامِي عَاطِرٌ

ويضوء نار قراك يهدي السالك
طرا وفضلك ليس فيه مشارك (٢١٨)
والبأس ليس له حسام فاتك (٢١٩)
والمجد ليس له سنام تارك (٢٢٠)
والبأس والرأي الأصيل مبارك
والجود إن شح الغمام الماسك [41] (٢٢٢)
والفضل (٢٢٣) والتقوى الفضيل ومالك (٢٢٤)
فكانهم ما غاب منهم (٢٢٥) هالك
وخيامه للقاصدين أرائك
أعناقها بالحق فهو المالك
حرم لها حج به (٢٢٦) ومناسك
فلهم إليه مسارب ومسالك
وسواك فيه ماخذ ومتارك
من جنه للروع ليل حالك
كالمسك صاك به الغوالي صائك

8 /

الحمد لله الذي جعل بيتك شهيرا وجعلك للعرب أميراً، وجعل اسمك فالاً، ووجهك جمالاً، وقربك جاهاً، ومالاً، وآل رسول الله لك آلاً، اسلم عليك يا أمير العرب وابن أمرائها، وقطب ساداتها وكبرائها، وأهنتك بما منحك الله من شهرة تبقى، ومكرمة لا يضل المتصف (٢٢٨) بها ولا يشقى، إذ جعل خيمتك في هذا المغرب على اتساعه واختلاف أشياعه مأمناً للخائف، على تباين (٢٢٩) المذاهب والطوائف، وصرف الألسنة إلى مدحك، والقلوب إلى حبك، وما ذلك إلا لسريرة عند ربك، ولقد كنت أيام جمععتني (٣٣٠) وإياك المجالس (٢٣١) السلطانية على معرفتك متهالكا وطوع الأمل سالكا، لما يلوح لي على وجهك من سيما المجد والحياة، والشيم الدالة على العلية، وزكاء الأصول وكرم الأباء، وقد (٢٣٢) كان والدي - رحمه الله - عين للقاء خال السلطان قريبيكم (٢٣٣) لما توجه في الرسالة إلى الأندلس نائباً في تأنيسه عن مخدومه، ومنوها حيث حل بقدمه، واتصلت بعد ذلك بينهما المهادة (٢٣٤) والمعرفة، والوسائل المختلفة، (ثم لما حل والدي (٢٣٥) بفنائكم شملته مكارمكم (٢٣٦) العربية. ونالته فضائلكم التي اقتضتها الأصول الزكية، والنفس الأبية) (٢٣٧)، فعظم لأجل هذه الوسائل شوقني إلى التشرف بزيارة ذلك الجنب الذي حلوه شرف وفخر، ومعرفته كنز وذخر، فلما ظهر الآن لمحل لأخ (٢٣٨) القائد الكذا فلان اللحاق بك، والتعلق بسببك، رأيت أنه قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعض (٢٣٩) والله ييسر في البعض عند تقرير الأمر وهدنة الأرض، وهذا الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت أصالة وجهاد، وماجد وابن أمجاد، ومثلك لا يوصي (٢٤٠) بحسن جواره، ولا ينيه / على إيثاره، وقبيلك من العرب في الحديث والقديم (٢٤١) وهو الذي أوجب لها مزية التقديم، لم تفخر (٢٤٢) قط بذهب يجمع، ولا نخر يرفع، ولا قصر يبني ولا غرس يجنى، إنما فخرها بعدو يغلب (٢٤٣) وثناء يجلب، وجزز تنخر، وحديث يذكر، وجود على الفاقة، ومحااجة بجهود الطاقة (٢٤٤)، فلقد ذهب الذهب، وبقي النشب، وتمزقت الأثواب، وهلكت الخيل العراب، «وكل الذي فوق التراب تراب» [42]، وبقيت المحاسن تروى وتنقل، والأعراض تجلى وتصقل، والله درّ الشاعر إذ يقول :

(رجز)

ولنما المرء حديث بعده فكن (٢٤٥) حديثاً حسناً لمن وعى [43]
هذه مقدمة أرجو أن يسني (٢٤٦) الله بعدها لقاء الأمير، فيجلى اللسان عما
في الضمير،

(طويل)

ومدحي على الأملك وقف وإنما (٢٤٧)
وأيتك منها فامتدحت على رسم (٢٤٨)
وما كنت بالمهدي لغيرك مدحتي
ولو أنه قد حل في مفرق النجم

وطلب مني صاحب العلامة الرئيس الفاضل، أبو القاسم بن رضوان [44] أن أكتب لولده على ظهر مجموع انتسخ له من شعري بالإجازة، فكتبت له ما نصه(٢٤٩):

أما بعد حمد الله الذي جعل الفضائل بدرا وزرعا (٢٥٠)، وأصلا يخلف فرعا، فإن أهمل الأصل فهو من أهمال الفرع (٢٥١)، وإن ترك الزرع ضاق بالحاجة الضرع (٢٥٢)، فحفظها لهذا السبب حافظ الأنواع، وأغرى بها سليمة الفطر وكريمة الطباع، فاطردت العناية واستمرت، وانثالت (ودرت) (٢٥٣) ونجحت الأعمال وانبعثت الآمال، وتعديت شروط الوجوب الى شروط الكمال، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي فضلت ملته الملل، وشفت هدايته العلل، فكان مما انفردت به رواية الخلف عن السلف، وتلافى الفوائد الفعلية من قبل التلف / ، والرضى عن اله الطيبين، وصحابته المنتخبين (٢٥٤)، فإني لما استدعاني السيد الكبير الحبر، الإمام صاحب القلم الأعلى، والطريقة المثلى، والذات الفضلى، ريحانة الأندلس التي تزور منها المغرب، وتغنى بحديث فضله (٢٥٥) الحادي المطرب، وفخر الأفق الجهادي بيتا معمورا بالوزراء الأخيار، والصلحاء الأبرار، ونسب في خرقة (٢٥٦) الأنصار، من بني النجار ، وحسبك بخؤولة المختار، وعفاف طاهر الثوب ضافي الأزار (٢٥٧)، الى الوجه المبشر بالسعادة، وبيمين (٢٥٨) النقية في الإبداء والإعادة، والحياء الذي نضر الوجه، وأرق (٢٥٩) البشرة، والذات التي لا تعرف الشره، والعلم من أزمة الفنون المسلم له في الأبيكار [منه] (٣١٠) والعون، أبو فلان لإجازة ولده (الأسعد) (٣١١) الأمجد، وارث رتبته السماء، بعد تملي الحياة (٣١٢) وطول البقاء، وقررة عين المجادة والعلياء، أبي فلان (٣١٣) وابن أخيه الفاضل ، الصدر، الرفيع القدر، أبي الفضل، وهو الولد الأسعد، أبو فلان (٣١٤)، شمل الله الجميع بستره وعصمته، ووصل لهم ما عودهم من نعمته، وشغلهم بالعلم النافع، وحرمته (٣١٥)، وأعلقهم بوسائل العرفان وأذمته (٣١٦) ، تضاءت علم الله إجلالا بمحله من التبحر في المعارف، واستظلله بظلها الوارف، لكن أقدمت امتثالا، وحذوت (٣١٧) من أمره مثالا، وبادرت اعتمادا على اغضائه واتكالا، فقلت : «أجزت الولدين المذكورين فيما يصح لي أن أجز في من رواية اشرك هذا الفاضل في بعضها، وأسهم بنقله (٣١٨) في فرضها، نظم (٣١٩) ونثر هذا المكتتب من بعض قلمه(٣٢٠)، وتأليف ينبه عليه : ككتاب «الإحاطة بتاريخ (٣٢١) غرناطة، في أسفار

سبعة، وعائد الصلّة»، في سفرين، [و«عمل من طب لمن حب»، في سفر، و«الكتاب اليوسفي»، في سفرين] (٢٧٣)، و«طرفة العصر»، في ثلاثة و«الصيب والجهام»، في سفرين، ونفاضة الجراب»، في ثلاثة و«الأراجيز الخمس»، [من نظمي بمدينة سلا] (٢٧٣)، في أصول / الفقه والتاريخ الإسلامي (٢٧٤)، والسياسة، والعلاج، والأغذية، الى غير ذلك مما هو بهرج (٢٧٥) يفتقر الى إخضاء العارف، وزيف يحتاج الى مسامحة أمام الصيارف، إجازة تامة على شرطها المعتبر، وسننها الواضح الأثر، والله يعدل بنا الى ما ينفع، ويرزكي ويرفع ، فقد ذهب العمر الأطيب. في السعي الأخيب، وانصرف الزمن الأبدع، في السراب الذي يخدع، اللهم لا تطردنا عن بابك، ولا تقطع بنا عن جنابك.

وكتب العبد الغافل، الراجي الأمل، فلان (بن فلان) (٢٧٧) في كذا.

هوامش

- (١) كذا ابتدئت مخطوطة نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، السفر الثالث، خع. الرباط رقم ٢٥٦ ك.
- (٢) نشر اللحة البدرية محب الدين الخطيب، ط ٢، بيروت ١٩٧٧.
- وقد وردت هذه المقدمة في الصفحات ١٧ - ٢٠ مع وجود بعض الاختلافات بينها وبين المتن حارلنا اثباتها.
- (٣) ما بداخل المعقوفتين : زيادة من نفاضة الجراب، ج ٢، تحقيق العبادي، ط. القاهرة، وقد زدناه لضرورة السياق لأن بداية مخطوطتنا اى (الفصل الأول) تشترك مع خاتمة الجزء الثاني المذكور، انظر الصفحات (٢٤٣ - ٣٦٩)..
- (٤) من ف ٣٤٣، ل ١٧.
- (٥) ل : عائرة
- (٦) ساقطة في م.
- (٧) م : المركب، تصويبه من ف، ل .
- (٨) من ل.
- (٩) ف ٣٤٤ : يلثمها
- (١٠) م : الريات، تصويبه من ف، ل.
- (١١) ساقطة من ف.
- (١٢) زيادة من ف. وساقطة في ل.
- (١٣) ل ١٨ : عيش.
- (١٤) زيادة من ف، ل.
- (١٥) ل: المساخط
- (١٦) م : وعافص.
- (١٧) ف ٣٤٣، ل ١٧ : منقبة
- (١٨) ف ٣٤٤ : فليأمل، ل ١٨ : فليأمل.
- (١٩) ل : وحدد.
- (٢٠) ف ٣٤٥، ل ١٩ : عهدا.
- (٢١) ف : ويسري.
- (٢٢) ف ٣٤٥ : الى ضمه لديوان.
- (٢٣) زيادة من ل.
- (٢٤) ف، ل. : قاض وكاتب.
- (٢٥) م : المقصد، تصويبه ف ٣٣٦، ل.
- (٢٦) ل : لى.
- (٢٧) م : المتطرفة.
- (٢٨) الى هنا ينتهي ما ورد في اللحة.

- (٢٩) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، لوحة ١٧٩، والمطبوع ٢/٢٠٢ - ٢٠٣. وفي النفاضة ٢/٣٤٦ - ٣٤٧. وفي النسخ ٦/٤١٠ - ٤١١.
- كما ثبتت الأبيات في ديوان ابن الخطيب : الصيب والجهام ص ٤١٧.
(٣٠) من ٣٤٦.
- (٣١) ف ٣٤٦، د. ٤٠٧، ن ٦/٤١٠ : أوجدك.
- (٣٢) غير واضح في المتن، تصويبه من المراجع.
- (٣٣) ف : التي.
- (٣٤) ر ١٧٩ ظ : الشيخ الكذا بن فلان، وفي ف : الكذا بن الشيخ الوزير الكذا، وفي ن : الوزير عمر الكذا بن الشيخ الكذا.
- (٣٥) م : عقده.
- (٣٦) م : سقاه.
- (٣٧) م : النظير.
- (٣٨) ف ٣٤٧ : فلان ابن فلانة، وفي ر ١٧٩ ظ : ابن الخطيب من سلا حرسها الله، وفي ن : ابن الخطيب.
- (٣٩) ف : ودوام.
- (٤٠) ف : وألذمت.
- (٤١) م : باستعادته، تصويبه من المراجع.
- (٤٢) من ف.
- (٤٣) ف : الجبهة.
- (٤٤) م : كونه، وهو تحريف.
- (٤٥) المراجع : الخلسان.
- (٤٦) ف : المداولة، ما أثبتناه من ر ١٧٩، ن ٦/٤١١.
- (٤٧) ر : كان يلزمني من أخوته.
- (٤٨) من ر.
- (٤٩) ر : النية.
- (٥٠) ما بين المعرفتين زيادة من المصادر المذكورة، يبدو أن النسخ وقع له خلط بين هذه الرسالة والرسالة التالية المرفوعة الى أبي ثابت.
- (٥١) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٨١، والمطبوع ٢/١٠٩ - ١١٠. وفي النفاضة ٢/٢٥٠ - ٢٥١. وفي النسخ ٦/٤١٦ - ٤١٧.
- (٥٢) ما بين المعرفتين من المصادر.
- (٥٣) ن ٦/٤١٦ : الأحوال.
- (٥٤) ن : ويمسك.
- (٥٥) ن : وفاض.
- (٥٦) ن : وتفتبط غاية الإغتياب بوجوده.
- (٥٧) م : العلو، وفي ن ٦/٤١٧ : العلائق.

- (٥٨) ر ١٨١ و : ومجدك.
- (٥٩) ر : وجعل.
- (٧٠) ف : خلفا.
- (٦١) ساقطة من ن.
- (٦٢) م : الفؤاد، تصويبه من ن.
- (٦٣) ر، ن : سلك.
- (٦٤) ف ٣٥١ : وانضي.
- (٦٥) ساقطة في ر.
- (٦٦) وردت الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٨١ - ١٨٢، وفي ط. القاهرة ١١٠/٢ - ١١١.
- وفي النفاضة ٣٥١/٢ - ٣٥٢. وفي النفع ٢٨٦/٦ - ٢٨٧.
- (٦٧) بياض بالأصل تصويبه من ف ٣٥١.
- (٦٨) ف : اغرناطة.
- (٦٩) م : عقيمة، وهو تحريف.
- (٧٠) ف : الوجاهة.
- (٧١) ر ١٨١ و، ف : وشروط.
- (٧٢) م : وفاقه، وهو تصحيف.
- (٧٣) وأن رابحتها، وهو غير مناسب للسياق، تصويبه من المراجع المذكورة.
- (٧٤) م : المتل، وفي ر ١٨٢ و: القناد.
- (٧٥) ر، ن ٢٨٧/٦ : تستمد، وفي ف : تستعد.
- (٧٦) ساقطة من ف ٣٥٢.
- (٧٧) ف : ايالته .
- (٧٨) ر : فجته ظلي الظليل، ن : فخيمته ظل الظليل.
- (٧٩) ف، ر، ن : لا يفتقر.
- (٨٠) ر : لنفسك.
- (٨١) وردت الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ٢٠٢، ط القاهرة ١٨٢/٢ - ١٨٣. وفي النفاضة ٢٥٢/٢ - ٢٥٣.
- (٨٢) م : بما، وهو تحريف مخل بالوزن، صوابه من ر ٢٠٢، ف ٢٥٢.
- (٨٣) ر : فكن حيث اقتضي منك.
- (٨٤) ر ٢٠٣، ظ، ف ٢٥٣ : لم يفقد اللطف ولم يعدم.
- (٨٥) م : وأعلمها، تصويبه من، ف.
- (٨٦) ر : انني.
- (٨٧) ف : والنوحة.
- (٨٨) م : وصفاتا، خطأ من الناسخ.
- (٨٩) ر : وغنيمة.
- (٩٠) ف : وثقى.

- (٩١) ر : يمن.
- (٩٢) م : محبت اللام في سلعة.
- (٩٣) م : الجماع، وهو تحريف، تصويبه من المرجعين.
- (٩٤) ف، ر : أرضاها.
- (٩٥) ف : الدهر.
- (٩٦) م : العلي، وهو تحريف، تصحيحه من ر٢٠٣.
- (٩٧) زيادة من المرجعين.
- (٩٨) ر، ف : ٣٥٢ : صبح وجهه.
- (٩٩) زيادة من ر.
- (١٠٠) وردت في النفاضة ٣٥٤/٢.
- (١٠١) ف : اليه يشار.
- (١٠٢) ف : صنيعي.
- (١٠٣) ف : بمعرفتكما.
- (١٠٤) ف : وسيوغ.
- (١٠٥) ف : فانتني.
- (١٠٦) ف : سلف.
- (١٠٧) ف : منشرحا.
- (١٠٨) وردت الرسالة في ربحانة الإسكوريال، ل ١٧٦ - ١٧٧، وفي ط، القاهرة ٩٢/٢ - ٩٥. وفي النفاضة ٣٥٤/٢ - ٣٥٨. وفي النسخ ٢٨٢/٦. كما وردت الأبيات في ديوان الصيب والجهم ص ٥٠٩ - ٥١٠، وفي الإستقصا ٤٥/٤.
- (١٠٩) ر ١٧٦ ط : ممجد.
- (١١٠) ر، ن : مخرسة.
- (١١١) م : وكان، وهو تحريف مخل بالوزن، تصويبه من المراجع المذكورة.
- (١١٢) المراجع : حططت.
- (١١٣) م : باثر، وهو تصحيف.
- (١١٤) هذا البيت ساقط من ر ١٧٦ ط، ن ٢٨٢/٦.
- (١١٥) ر ١٧٦ و، ن : بأمره.
- (١١٦) ر : الصنيع.
- (١١٧) ر : في .
- (١١٨) ف، ن : بعزه.
- (١١٩) ن. ٢٨٢/٦ : فافتض.
- (١٢٠) م : لارمها، وهو تصحيف.
- (١٢١) ر، ن : ومالا.
- (١٢٢) م : المريح، وهو تحريف، صوابه من المراجع.
- (١٢٣) ف ٢٥٦، ن ٢٨٢/٦ : بالشهادة، وفي ر ١٧٦ و : بالسعادة ولم.

- (١٢٤) المراجع : من رضوان الله.
(١٢٥) ر : أبي عبد الله.
(١٢٦) ر : بهمه، ن : بهمه، وفي المتن : الميم غير واضحة في لفظة اماله.
(١٢٧) ن : المرضيين.
(١٢٨) من ف.
(١٢٩) ن : واياته.
(١٣٠) م : السادخة، ولا معنى لها، يمكن قراءتها الصارخة ، أو الشادخة حسب ما ورد في المراجع المذكورة.
(١٣١) المراجع : نفوسهم.
(١٣٢) ف ٣٥٦ ك وان حمل قدرة وقدرا، ر ١٧٦ و: وان جل قدرة وقدرا، ن ٣٨٣/٦ : قل قدرة وقدرا.
(١٣٣) ر، ن : ابن اللخطيبي.
(١٣٤) ف ٣٥٧ : اقتصاده.
(١٣٥) ر، ف : في مظاهرتهم.
(١٣٦) ف : سنتين.
(١٣٧) ر، ن. ٣٨٤/٦ : بأفنينها.
(١٣٨) ف : مواصلا الصراخ يا آل مريين ويا آل يعقوب، وفي ر : مواصلا الصراخ بال مريين يعقوب، وفي ن : مواصلا الصراخ يالمريين ويايعقوب.
(١٣٩) المراجع : الدخيل.
(١٤٠) م : يديكم يالكريم : تصويبه من ١٧٧ ظ، ف ٣٥٧.
(١٤١) المراجع : وانصاف.
(١٤٢) م : واجلة، وهو تحريف.
(١٤٣) غير واضح في م.
(١٤٤) ف ٣٥٧ : السادة، ر ١٧٧ ظ : وأرى أنواع اليمن والإسعاد.
(١٤٥) ف : الذي لشرف وجوهها تلمه الوجوه، ر ١٧٧ و : الذي تصرف اليه الوجوه، ن ٣٨٤/٦ : الذي شرف وجوهها بلثمة الوجوه.
(١٤٦) ر : مؤديا.
(١٤٧) م : من، وهو تحريف.
(١٤٨) ف ٣٥٧، ر : وضح.
(١٤٩) م : النصر تصويبه من ر.
(١٥٠) م : تتسن.
(١٥١) ف : نشر.
(١٥٢) : ونقص ارتكم، : ونقص اثر سللكم.
(١٥٣) ر : بكم.
(١٥٤) ر : ان لم يتأذن الله في الانصاف.

- (١٥٥) ر : الأمل.
- (١٥٦) وردت الرسالة في النفاضة ٣٥٨/٢ - ٣٥٩. وفي ريحانة الأسكوريال ١٧٩ - ١٨٠. ط. القاهرة ١٠٤/٢. وفي النسخ ٤١١/٦ - ٤١٢.
- (١٥٧) ر ١٧٩ و. ن ٤١١/٦ : كرم.
- (١٥٨) م : وحضائه، لا معنى لها، تصويبه من المراجع.
- (١٥٩) ساقطة من ر.
- (١٦٠) ن : ابن الخطيب.
- (١٦١) م : بما بعده، والأنسب ما أثبتناه من المراجع.
- (١٦٢) ساقطة من المراجع.
- (١٦٣) ر، ن : ماسناه.
- (١٦٤) ر، ف ١٥٨، ن ٤١٢/٦ : تبين.
- (١٦٥) ف : وظهرت.
- (١٦٦) ر. ١٨، ن ٤١٢/٦ : علينا، وفي م : علي، والأنسب ما أثبتناه من ف ٣٥٩.
- (١٦٧) ر : واجعل الكبرى من نعمك الصفري، وفي ف : واجعل الكبرى من نعمتك السالفة بنعمتك الرادفة الخالفة هي الصفري.
- (١٦٨) المراجع : مشتبهات.
- (١٦٩) ف : بالجبر.
- (١٧٠) ن : الضير.
- (١٧١) ر : الى مباشرة.
- (١٧٢) ر : والله يديم سيدي الذي هو كهف موديه، حتى يظفره الله بمن يناوئه ويعاديه.
- (١٧٣) وردت هذه الرسالة في النفاضة ٣٥٩/٢ - ٣٦٠.
- (١٧٤) ساقطة من ف.
- (١٧٥) ف ٣٥٩ : برة.
- (١٧٦) ف : لمصارحة ، والمتن أصح.
- (١٧٧) ف : شرف.
- (١٧٨) «ويشر : ساقطة من م، والزيادة من ف، بينما كتب «على البرح» في الهامش.
- (١٧٩) ف : ونخل.
- (١٨٠) م : النظار، خطأ من الناسخ.
- (١٨١) ف : مشيخة.
- (١٨٢) م : وعرض، والسياق يقتضي ما أثبتناه من ف.
- (١٨٣) ف. ٣٦ : زينة.
- (١٨٤) ف. ٣٦ : أوجب.
- (١٨٥) ف : واجود.
- (١٨٦) زيادة من ف يقتضيها سياق الأسلوب.
- (١٨٧) م : وحرته، تصويبه من ف.

- (١٨٨) بياض بالأصل، ملأناه من ف.
- (١٨٩) ف : والله عز وجل يمنع عن سيدي مواجد الدهر، وفي م : يتمتع من سيدي بواحد الدهر. ولعل الأنسب ما أثبتناه.
- (١٩٠) م : عيناه، تصويبه من ف.
- (١٩١) وردت الأبيات في النفاضة ٣٦٠/٢.
- (١٩٢) م : انقاده، وهو تصحيف.
- (١٩٣) ف. ٣٦ : تهنى الوزارة إنها.
- (١٩٤) ثبتت الأبيات في النفاضة ٣٦٠/٢/٣٦١.
- (١٩٥) بياض في الأصل تصويبه من ف. ٣٦.
- (١٩٦) ف: عيال.
- (١٩٧) بياض في الأصل، تصويبه من ف.
- (١٩٨) م : حليه، وهو تصحيف.
- (١٩٩) م : الوجود، وهو تحريف مخل بالوزن، صوابه من ف ٣٦١.
- (٢٠٠) زيادة من ف يقتضيها الوزن.
- (٢٠١) م : السدد، وهو تحريف، صحته ما أثبتنا.
- (٢٠٢) م : نهيم، وهو تصحيف.
- (٢٠٣) ثبت البيتان في الإحاطة مخ الأسكوريال، السفر ١، ل ٣٧٧. - النفع ٦/٤٧٥. - النفاضة ٣٦١/٢.
- (٢٠٤) غير واضح في م، تصويبه مما ذكر.
- (٢٠٥) وردت الأبيات في النفاضة ٣٦١/٢ - ٣٦٢.
- (٢٠٦) ف ٣٦٢ : تكن، وهو أنسب.
- (٢٠٧) م : نحيلة، تصحيحه من ف.
- (٢٠٨) ثبتت الأبيات في ديوان الصيب والجهام ص ٢٨٥. وفي النفاضة ٣٦٢/٢.
- (٢٠٩) وردت الأبيات في نفس المرجعين.
- (٢١٠) م : حل، وهو تصحيف، تصويبه من د ٢٨٥، ف ٣٦٢.
- (٢١١) الواو غير واضح في م.
- (٢١٢) ثبتت الأبيات في النفاضة ٣٦٢/٢.
- (٢١٣) م : السين غير واضحة حيث تبدو كالكاف نتيجة بقعة حبر.
- (٢١٤) م : رواية، وهو تحريف صححناه من ف ٣٦٢.
- (٢١٥) ف : المشاق.
- (٢١٦) وردت هذه الرسالة في ربحانة الأسكوريال، ل ١٨٢ - ١٨٣، ط. القاهرة ١١٢/٢ - ١١٥ - وفي النفاضة ٣٦٢/٢ - ٣٦٥. وفي النفع ٦/٤٠٠ - ٤٠٢. وفي الاستقصا ٤/ ١٣ - ١٥.
- (٢١٧) ن ٦/٤٠٠، استقصا ٤/ ١٣ : ساحات.
- (٢١٨) ر ١٨٢ و : وفضلك ليس له حسام فاتك.
- (٢١٩) هذا البيت ساقط من ر.

- (٢٢٠) ف ٣٦٣ : سنام تامك، وفي ر : سنام هاتك، وفي ن ٤٠٠/٦ : همام باتك.
(٢٢١) ف : السجاجة، ر : السماحة.
(٢٢٢) ر : صبح الغمام الماسك، وفي ن ٤٠١/٦ والإستقصا ١٣/٤ : الغمام السافك.
(٢٢٣) ف : في الفصل.
(٢٢٤) البيت ساقط من ر.
(٢٢٥) ر : عنهم.
(٢٢٦) ر : بها.
(٢٢٧) المراجع : يبشر.
(٢٢٨) ف ٣٦٤ : المنصف.
(٢٢٩) ر ١٨٢، ن ٤٠١/٦ : قياس، استقصا ١٣/٤ : كثرة.
(٢٣٠) م : جمعني، تصويبه من ف، ر : تجمعي.
(٢٣١) ر ١٨٣ ط : شيما.
(٢٣٢) ساقطة من المراجع.
(٢٣٣) م : قريكم تصويبه مما ذكر.
(٢٣٤) م : الجهادات، تصويبه من المراجع.
(٢٣٥) ف ٣٦٥ : ولدى.
(٢٣٦) غير واضح في م، تصويبه من ف.
(٢٣٧) ما بين قوسين ساقط من رين ، استقصا.
(٢٣٨) ر ١٨٣ ط : أخي.
(٢٣٩) المراجع : بعضي.
(٢٤٠) م : لا يوصي، تصحيحه من المراجع.
(٢٤١) م : وقيلك في الحديث من العرب والقديم، تصويبه من الاستقصا ١٥ / ٤.
(٢٤٢) ن ٤٠٢/٦ . استقصا، ف ٣٦٥ : لم يفتخر،
(٢٤٣) المراجع : م : بعدد يقلب، والانسب ما اثبتناه من المراجع.
(٢٤٤) ر، ف : سماحة بجهد، ن، استقصا : سماحة بحسب.
(٢٤٥) م : وكن.
(٢٤٦) ن ٤٠٢/٦، استقصا : ان يسر الله ف، ٣٦٥ : ينسنني.
(٢٤٧) ف : وقف وانني، ن : مدح وانما.
(٢٤٨) ن : وسمي..
(٢٤٩) ثبتت في ربحانة الأسكوريال، ورقة ٢١٤، ط. القاهرة ٢٢٢/٢ - ٢٢٥، وفي النفاضة ٣٦٦/٢ - ٣٦٩.
(٢٥٠) ر ٢١٤ ط : بذرا تثبت زرها.
(٢٥١) ف ٣٦٦ : فان اهل الأصل فهو من الاستفادة الفصل.
(٢٥٢) ر ٢١٤ ط : الذرع.
(٢٥٣) ساقطة من م.

- (٢٥٤) م : المتجنين، والأنسب ما صححناه من ف.
 (٢٥٥) ر، ف : بفضلها.
 (٢٥٦) ر ٢١٤، ف ٣٦٦ : ذروة.
 (٢٥٧) ر ٢١٤ و : الاردان، م : الأزوار.
 (٢٥٨) ف : يمن.
 (٢٥٩) ف : وادق.
 (٢٦٠) من ر، ف.
 (٢٦١) ساقط من ف.
 (٢٦٢) م : الحياء، والسياق يقتضي ما اثبتنا من ر، ف. وفي ف : تملو الحياة.
 (٢٦٣) ف : أبي عبد الله.
 (٢٦٤) ف : أبو سالم.
 (٢٦٥) ف : وخدمته.
 (٢٦٦) ف : وأزمته.
 (٢٦٧) م : وحذرت، والسياق يقتضي ما اثبتناه من ر، ف.
 (٢٦٨) ف ٣٦٧ : بقلمه، ر ٢١٤ و : بتأفه من.
 (٢٦٩) ف ، ر : ونظم.
 (٢٧٠) ف : بنيه، وما اثبتناه من ر لعدم وضوحه في المتن، وللاسته للسياق.
 (٢٧١) ر : في تاريخ.
 (٢٧٢) زيادة من ر، ف.
 (٢٧٣) من ر، ف.
 (٢٧٤) م : الاسلام، تصويبه من ر، ف.
 (٢٧٥) بياض بالأصل، تصويبه من ر، ف.
 (٢٧٦) ر : فلقد.
 (٢٧٧) ساقط من ر، ف ٣٦٩.

تعليقات الفصل الأول

- [1] يرجع محمد التطواني أنها الأرجوزة المسماة بالمعتمدة في الأغذية المفردة انظر (ابن الخطيب من خلال كتبه 139/2).
- [2] اقتباس من بيت مضاض بن عمر الجرهمي :
كان لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس «وأم يسمر بمكة سامر»
- [3] «ما أشبه الليلة بالبارحة» : عجز بيت لطرفة بن العبد يجري مجرى المثل، ومصدره :
«كلهم أروغ من ثعلب». انظر (فصل المقال ص 227 - مجمع الأمثال 275 /2 رقم (383)
- [4] سورة 29 - (الكهف)، آية 45.
- [5] غافص : فاجأ على غرة.
- [6] سورة 29 (العنكبوت)، آية 64.
- [7] انظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث 6 /122).
- [8] انظر (نفس المرجع 6 /477)
- [9] سورة 58 (المجادلة)، آية 22.
- [10] جهينة : شخص يضرب به المثل، فيقال : «عند جهينة الخبر اليقين».
- انظر (- الأعلام 2 /142 - مجمع الأمثال 3 /2 رقم 2383).
- [11] عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الياباني نسبة الى بني يابان من قبائل بني مرين ، كان وزيرا لأبي سالم المريني، فقام بثورة أدت الى مقتل هذا الأخير سنة 762 هـ / 1360م، وقد لعب دورا هاما في الأحداث السياسية المغربية. انظر اخباره بتفصيل في (- النفاضة 2 /303 - 309، المتن، لوحة 40، 41 - الإستقصا 4 /37 - جنى زهرة الاس ص 1، (2).
- [12] اشارة الى الحديث النبوي : «انما الأعمال بالنيات». انظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث 4 /358).
- [13] أبو ثابت عامر بن محمد اُهننتاتي، شيخ قبيلة هنتاتة المصمودية تولى أحكام الشرطة بتونس في عهد أبي الحسن، ثم ولي الجباية لأبي عنان فارس بمراكش، وفي سنة 763 هـ / 1362م بايع الطفل أبا الفضل بن أبي سالم سلطانا على مراكش واستوزر له، ودام استبداده بها الى أن قتله السلطان عبد العزيز سنة 771 هـ / 1369م. انظر (- العبر 7 /623 - 625 - الإحاطة 4 /216 - الاستقصا 4 /54).
- [14] جودي : جبل بالجزيرة العربية، وهو المذكور في القرآن الذي استوت عليه سفينة نوح. انظر (- الروض المعطار، تح . احسان عباس ص 181 - سورة 11 (هود)، آية (44)، واستعماله هنا مجازي.
- [15] العلق : بكسر العين وسكون الام، أُوِفِّتْهُمَا معا تعني الهوى والحب.
- [16] اقتباس من بيت الخنساء :
- طويل العماد عظيم الرما د ساد هشيرته إمردا

انظر (المبرد : التعازي والمراثي ص 90).

[17] التناد : يوم القيامة.

[18] يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق، كان شيخا للفزاة المغارية بالأندلس، فلما خلع الغني بالله فر الى قشتالة، ومنها الى المغرب، ثم رجع الى منصبه بعد استرجاع الغني بالله للملك، واستمر فيه الى أن سجنه السلطان المذكور سنة 764 هـ / 1362 م.

انظر (اللمحة ص. 130. النفاضة 2 / 179. - شبانة : «شيخ الفزاة المغارية كما أرخ لهم ابن الخطيب في الإحاطة»، مجلة البحث العلمي، 13، (1967) ص 128، 129).

[19] صاحب خطة العلامة هو الذي يكتب بخطه علامة السلطان على المراسيم نيابة عنه، فإذا كانت علامة الصك المريني : وكتب في التاريخ المؤرخ به، فهي بخط السلطان، وإن كانت : وكتب في التاريخ، فهي بخط صاحب العلامة، وبعض الملوك المغاربة يكتبون عند العلامة : صح في التاريخ. انظر (- ابن الأحمر : مستودع العلامة ص 21. - الاستقصا 4 / 49. - وقرات المنوني ص 62).

- أبو سعيد محمد بن محمد بن رشيد، كان فقهيا كاتباً، كتب لأبي عنان وغيره من الملوك المرينيين، وكان مشهوراً بحسن خطه. انظر (الجنوة 1 / 231)

[20] السحب الوطف : السحب المثلثة مطرا.

[21] سورة 87 (الأعلى) آية 17.

[22] اصفاق : اتفاق.

[23] اشارة الى المثل : «عند الصباح يحمد القوم السرى». انظر (- فصل المقال ص 254 - -

مجمع الأمثال 2 / 3 رقم 2).

[24] العطن : والمعطن، هو ميرك الابل أو مريض الغنم، ويقال : «فلان ضيق العطن»، أي ضيق الخلق. انظر (فصل المقال ص 431).

[25] أبو زيان (739-767 هـ / 1338-1365 م) محمد بن أبي عبد الرحمان بن أبي الحسن،

ببيع يوم الاثنين 21 صفر 763 هـ / 1361 م. انظر - روضة النسرين ص 32. - الإستقصا 4 / 44 - 51).

[26] الصريخ : الإغاثة والنجدة.

[27] يقصد ابا ثابت عامر الهنتاتي.

[28] يشير الى موقف أبي ثابت من أبي الحسن المريني عندما انهزم سنة 751 هـ / 1350 م،

حيث أجاره من ابنه أبي عنان. انظر تفصيل الخبر في (الإستقصا 3 / 173-174).

[29] الفرد : بفتح العين والراء، تعني التعرض للهلاك.

[30] اشارة الى قوله تعالى : «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا»

[31] يقصد الوزير عمر بن عبد الله.

[32] اشارة الى بيت أبي تمام الشهير :

فتح تفتح أبواب السماء له وتزهو الأرض في أثوابها القشب

[33] براءة في اصطلاح المغاربة والأندلسيين تعني رسالة.

[34] سورة 27 (النمل)، آية 29.

[35] الشبه : يكسر الشين وتسكين الباء او بفتحهما معا تعني النحاس الأصفر.

[36] تضمين لعجز بيت أبي العلاء المعري :

الا في سبيل المجد ما أنا أنا فاعل عفاف واقدام وحزم ونائل

[37] علي بن يوسف بن كماشة الحضرمي أبو الحسن، تولى الوزارة للغني بالله محمد الخامس اثناء اقامته في رندة، قبل استرجاعه للكه، وقد ترجم له ابن الخطيب مرارا متهما اياه بالشؤم، كما اثبت في المتن انه نفي الى تونس في رمضان 763 هـ/يونيو 1362م. انظر (المتن لوحة 113، 114. - الإحاطة 2/ 15 - 17).

- M.A. Ladero, Granda. Historia de un país islámico, page 79)

[38] «وما قلت الا بالذي علمت سعد» : عجز لبيت الحطينة، صدره : «وتعدلني ابناء سعد عليهم»، ويجري مجرى المثل. انظر (ديوان الحطينة ص 42).

[39] والاتن : مدينة بالسودان انظر تفصيل الحديث عنها في رحلة ابن بطوطة ص 442-443.

[40] مبارك بن ابراهيم بن عطية بن مهلهل، شيخ قبائل الخلط، وصاحب الشورى في عهد السلطان ابي الفضل، قتله السلطان عبد العزيز سنة 771 هـ/1369م. انظر (- العبر 2/ 480 - النفاضة 2/ 323 - الإستقصا 4/ 53، 56).

[41] ربيعة بن مكرم (85 ق.م - 62 ق.م) من بني كنانة وأحد فرسان مضر في الجاهلية. انظر (الأعلام 3/ 43).

- الفضيل : لعله يقصد أبا علي الفضيل بن عياض الفنديدي، كان من قطاع الطرق في خراسان، ثم تاب وتزهد، توفي بمكة سنة 187 هـ/802 م. انظر (وفيات الأعيان 3/ 215 - 217).

- مالك : يقصد أبا عبد الله مالك بن أنس الأصبحي أمام المذهب السني المسمى باسمه، توفي سنة 179 هـ/795م. انظر

4
(E I, III, 218 - 223 [J. Schacht])

[42] « كل الذي فوق التراب تراب» : اشارة الى بيت أبي العتاهية :

من تراب خلقت لاشك فيه وغدا أنت صائر للتراب

انظر (الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ص 31)

[43] هذا البيت من مقصورة ابن دريد ص 115.

[44] أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري الخزرجي من مالقة، رحل الى فاس، والتحق بخدمة أبي الحسن فلما انهزم السلطان سنة 749 هـ/1338م رجع الى الأندلس، ورحل مرة أخرى الى المغرب في عهد أبي عنان وظل يشغل منصب صاحب العلامة الى أن توفي سنة 783 هـ/1381م. انظر (- المسند ص 144. التعريف ص 41 - 44. ابن رضوان : الشهب اللامعة ص 9 - 36).

الفصل الثاني

[انتهى ويتلوه في الثالث] (١) رجع التاريخ

وانتهى <امر> (٢) هذه السنة الشهباء الإضحائية (٣) [1] إلى العشر الأخر من يناير العجمي الموافق لأخريات ربيع الأول من العام (٤) <٧٦٣هـ>، مُسَكَّة شُحاً، كلما مَوَّهت بِالْقَرْعِ تَلَاشِي هَلْهُلَّهُ وَفِشَا دَخَانَهُ (٥)، وظهر <الطاعون> (٦) [2] بِأَرْضِ مَكْنَسَةِ وَفَاسٍ وَتَارَا وَمَا إِلَى ذَلِكَ، لَكُونَهَا لَمْ تَسْتَأْتِرْ بِبِلَالَةِ رَحْمَةِ مَا قَسَمَ اللَّهُ لِفَيْرِهَا، إِلَى مَا أَصَابَهَا مِنْ مَعْرَةِ الْفِتْنَةِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ، وَاسْتَهْدَفَ مَنْ بِهَا إِلَى هَلَكَةِ الْمَجَاعِ، وَفُشُوُ الْمَوْتَانِ، فِي هَذَا الْعَشْرِ الْآخِرِ الْحَامِينَ عَلَى الْعِبَادِ، عَظُمَ الْجَفَافُ، وَعَصَفَتِ الرِّيحُ الرَّجْفُ، تَنْقُلُ الْهَضْبَ قَبْلَ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ، وَتَبْدُلُ أَعْيَانَ الْأَرْضِ، وَتَعَاجِلُ حَلِاقَ لِمَمِ النَّبْتِ، فَصِيرَتْ وَجْهَ الْأَرْضِ كَمَطَارِحِ خَبْثِ الْحَدِيدِ أَمَامَ مَضَارِبِ <البديد> (٧) يَبْسَأُ وَقَحْلًا وَعَقْرًا لِلرَّجْلِ [3]، وَعَصِيانًا عَلَى الْأَسْنَابِكِ [4]، وَأَحْرَقَتْ مَا كَانَ قَدْ نَجَّمَ مِنْ بَاكِرِ الْبَذْرِ، وَنَشِطَ النَّبَاتِ، وَدَامَتْ فَاسْتَأْصَلَتْ الْأَوْرَاقُ مِنَ الشَّجَرِ الدَّاهِينَ الَّذِي لَا يَسْقَطُ، وَنَشَفَتِ الْبِشْرَاتِ، وَأَشْنَتِ الْجُلُودِ، ثُمَّ اقْتَادَتْ بِآخِرِهِ سَحَابًا هَفَافًا عَالِيَّ الْهَيْدَبِ [5]، فَرَسِيًّا ذَا حَفِيفٍ، ثُمَّ تَنَاقَلَ وَمَالَ إِلَى الدُّكْنَةِ، ثُمَّ تَسَحَّمَ وَطَشُ، ثُمَّ تَوَالَى صَوْبُهُ كَأَجْنَحَةِ الطَّيْرِ، ثُمَّ تَدَاعَى فَاهْتَزَّتْ جِبَالُ الْغَيْمِ تَقْلَقُلَهَا هَائِلَةُ الرَّعُودِ، فَسَالَتْ الْأَرْضُ، وَفَهَقَتِ الْأَغْوَارُ، وَتَقَلَّقَلَ الزَّرْعُ، وَأَنْبَسَطَتِ الْأَنْفُوسُ، وَهَوَى السَّعْرُ بَعْدَ سُمُوهِ فِي دَرَجِ تَوْقَعٍ / الشَّدَةِ.

وفي ذلك قُلْتُ مُرْتَجِلًا (٨) :

(طويل)

وَأَطْنَبَ فِي شُكْرِ الْحَيَا الْوَهْدِ (٩) وَالنَّجْدِ
وَجَاءَ عَلَى أَشَارِهَا الْغَيْثُ مَنْ بَعْدُ
بِمُنْقَلَةِ الْأَوْقَارِ [8] صَاحٍ بِهَا الرَّعْدُ
تَدَافَعُ فِي عَرْضِ الْفَلَاةِ وَتَشْتَدُ
فَعَرُسَتْ النِّعْمَاءُ وَاقْتَضَى الْوَهْدُ

لَقَدْ زَالَتْ اللَّوَاءُ [6] وَارْتَفَعَ الْجَهْدُ
غَدَاةَ سِرَتِ رِيحِ النَّعَامِي (١٠) لَوَاقِحًا
سَحَابِيَّ أَمْثَالَ الْقَطَارِ [7] إِذَا وَنَتْ
وَهَشَّ عَلَيْهَا السَّبْرُقُ بِالسُّوْطِ فَانْبَسَرَتْ
فَمَا كَانِ إِلَّا أَنْ أُنَاخَتْ وَعَرُسَتْ

تُفْرُّ لَهَا صَنْعَاءُ بِالْفَضْلِ وَالْهِنْدُ
وَأَسْتَبْرَقُ مِنْ فَوْقِ غَبْرِ الرَّبِيِّ يَبْسُدُ
تَقُومُ قِيَانُ الْوَزْقِ [مِنْ] (١٧) فَوْقَهَا تَشْتَبُو
مِنْ الرِّفْقِ فِينَا دَائِمًا وَأَنْكَ الْحَمْدُ

وَحَلَّتْ تِجَارُ الرَّبِيعِ (١١) كُلُّ بَضَاعَةٍ
فَمَا شَبَّتْ فِيهَا مِنْ نَمَارِقِ سُنْدُسٍ
وَلَا نَمُ فَضْلُ اللَّهِ فِيهَا مَوَائِدُ
لَكَ الشُّكْرُ يَا رَحْمَانُ فِيمَا بَدَّلْتَهُ

«سفر ابن الخطيب إلى فاس لتقديم ولاته للسلطان أبي زيان»

وفي يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر كان التوجه إلى مدينة فاس (١٣) - حرسها الله - لأداء حق الدولة الدائنة، والالهي (١٤) بالوفاء بعقدتها والمدافعة عن دعوتها، وإيصال صك بيعتها، فاقتحمنا - وقد طال البعد - سلوكها، فصارت محوأة ومسبقة صعبة الوالي العامل على بلاد درعة [9]، الشاذ عن ذلك الأفق، المستوسق الطاعة للأمير عبد الحليم [10]، وقد صح لحاقه بوطن سجالمة [11] واستقراره به، عبد الله بن عثمان بن محمد بن يحيى المجولي، حجاج الدولة المرينية، ومستعمله (١٤) في الغيبات (١٥) والأجهار، والعناية بالقرآن مع الاستهانة بالدماء المحرمة فيه، وأقينا من وعناء السفر نصبا لإغراق المطر، وأنسكاب الغيم، وقد أذن الله، عز وجل، في انحلال نسيج الغمام، فسمحت السنة منه بما بخلت مرضخة مطففة [12].

/23 /

وكان دخول البلد الجديد [13] يوم الجمعة الموافق ثلاثين لشهر تاريخه، والاتصال ليلتذ بالسلطان [14]، وغشيان خلوة لذته، في بحبوحة قصره، وعلى أريكة تبذله، والمبيت ببيعض حجره، والطعام من خاص خوانه، والإصابة منه باختياره وتعيينه، والمواكلة من وزيره.

ومن الغد أنشدته، وقد قعد للخاصة بمجلس سلفه، منوه الإنشاد بالإطراء والاستعادة، مرفها فيه عن القومة، قريب الجلسة، قولي (١٦) :

(طويل)

أَفَاقَتْ بِهِ مِنْ غَشِيَةِ الْهَرَجِ [15] أَفَاقُ
تُمَدُّ لَهَا أَيْدٍ وَتَخْضَعُ أَعْنَاقُ
وَأَعْمَلُ إِجْمَاعٍ عَلَيْهَا وَإِصْفَاقُ [16]
فَسُجِّلَ عَقْدُ (١٨) لِلْوَفَاءِ (١٩) وَمِيثَاقُ
أَعْنَدُكُمَا فِي مَشْكَالِ الْأَمْرِ مِصْدَاقُ

لَمَنْ عَلَّمَ فِي هَضْبَةِ الْمَلِكِ خَفَاقُ
تَقَلُّ رِيَّاحِ النَّصْرِ مِنْهُ (١٧) غَمَامَةٌ
وَبِيعَةُ شُورَى أَحْكَمِ اللَّهُ عَقْدَهَا
قَضَى عَمْرٌ فِيهَا بِحَقِّ مُحَمَّدٍ [17]
أَحْلَمَا تَرَى عَيْنَايَ أُمِّ هِيَ يَقْظَةُ (٢٠)

رِفَاقٌ (٢١) لِفَضْلِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ تَبْتَغِي
 وَسِرْحَ (٢٢) تُهْنِيهِ الْكَلَامَةَ بِالْعُلَى
 وَقَدْ كَانَ طَيْفُ الْحَلْمِ لَا يَعْملُ (٢٣) الْخَطَى
 وَلِلغَيْثِ إِمْسَاكٌ وَفِي الْأَرْضِ رَجْفَةٌ (٢٤)
 فَكُلُّ فَرِيْقٍ فِيهِ لِلْبَغْيِ رَايَةٌ
 أَجَلٌ إِنَّهُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ [18] وَارِثٌ
 لَهُ مِنْ جَنَاحِ الرُّوحِ ظِلٌّ مَسْجُوفٌ
 أَطَّلَ عَلَى الدُّنْيَا وَقَدْ عَادَ نَوْرُهَا (٢٥)
 وَأَشْرَقَتْ الْأَرْجَاءُ مِنْ نَوْرِ رَبِّهَا
 فَمِنْ أَلْسِنِ اللَّهِ بِالشُّكْرِ (٢٦) أَعْلَنْتُ
 وَبَيْسَ لِأَمْرِ أُبْرَمِ اللَّهِ نَاقِضٌ
 مُحَمَّدٌ قَدْ أَحْيَيْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ
 وَلَوْ لَمْ تَتَّبَعْ غَطِي عَلَى شَفَقِ الضُّحَى
 فَانْمِئِنَ بِمَشْحُونٍ مِنَ الْفَلْكِ سَابِعِ (٢٧)
 أَقْلُكَ وَالِدَاءُ (٢٨) [19] تُظْهَرُ طَاعَةٌ
 إِلَى هَدَفِ السُّعْدِ أَنْبَرِي مِنْهُ وَالْدَجِي
 فَخَطَّتْ لَتَقْوِيمِ الْقَوَامِ جَدَاوِلُ
 تَبَارَكَ مَنْ أهدَاكَ لِلخَلْقِ رَحْمَةً
 هُوَ اللَّهُ يَلِيْلُ النَّاسَ بِالْخَيْبِ فَتَنَةٌ
 سَمِعْتُ (٢٩) مِنْكَ أَعْنَاقُ الْوَدَى لِخَلِيْفَةِ
 وَقَالُوا : بَنَانٌ مَا اسْتَقْلَ بِكَفِّهِ
 وَأَطْنَبَ فِيكَ الْمَادِحُونَ وَأَغْرَقُوا
 أَلْسَتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَكْفَهُمْ
 أَلْسَتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَجَّهَهُمْ
 رِيَاضٌ إِذَا الْعَاقِي اسْتَتَلَّ ظِلَالُهَا
 أَبُوكَ وَلِيَّ الْعَهْدِ لَوْ سَأَلَمَ السَّرْدِي
 فَمَنْ ذَا لَهُ جِدٌّ كَجِدِّكَ أَوْ أَبِ
 وَحَسْبُ (٣٠) الْعَلَى فِي آلِ يَعْقُوبَ أَنَّهُمْ
 أَسْوَدُ سُرُوجٍ أَوْ بُدُورُ أَسْرَةٍ
 يَطْوِلُ لِتَحْصِيلِ (٣١) الْكَمَالِ سَهَادَتُهُمْ
 لَنْ (٤٠) نَسِيَتْ إِحْسَانَ جِدِّكَ فَرَقَةٌ

وَمُجْتَمَعَاتٌ لَا تَرِيْبُ وَأَسْوَابُ
 وَفَلْحٌ بِسُقْيَا (٣٢) الْغَيْثِ قَامَ لَهُ سَاقُ
 وَالْمَفْتَنَةُ الْعَمِيَاءُ فِي الْأَرْضِ إِطْبَاقُ
 وَالسَّيِّدِينَ وَالذَّنْبِيَا وَجُومٌ وَإِطْرَاقُ
 وَكُلُّ طَرِيْقٍ فِيهِ لِلغَيْثِ طُرَاقُ
 يَحْنُ لَهُ الْبَيْتُ الْعَتِيْقُ وَيَشْتَاقُ
 وَمِنْ رَفْرِفِ الْعَزِّ الْإِلَهِي رُسْتَاقُ
 دَجِي وَعَلَى الْأَحْدَاقِ لِلذَّغْرِ إِحْدَاقُ
 وَسَاحٌ بِهَا لِلَّهِ أَطْفٌ وَإِشْفَاقُ
 وَكَانَ لَهَا مِنْ قَبْلِ هَمْسٍ وَإِطْبَاقُ
 وَبَيْسَ لِمَسْعَى أَنْجَحَ اللَّهُ إِخْفَاقُ
 وَاللَّخْلُقِ أَدْمَاءُ تَقِيضُ وَأَرْمَاقُ
 دَمٌ لِسِيُوفِ (٣٣) الْبَغْيِ فِي الْأَرْضِ مُهْرَاقُ
 لَهُ بِاخْتِيَارِ اللَّهِ حَطٌّ وَإِيْسَاقُ
 إِلَيْكَ وَصَفْحُ الْمَاءِ أُنْذِقُ رَقْرَاقُ
 يُضِلُّ (٣٤) الْحَجِي سَهْمٌ مِنَ السُّعْدِ رَشَاقُ
 وَصَحَّتْ مِنَ التَّوْفِيْقِ وَالْيَمْنِ أَوْفَاقُ [20]
 وَمُسْتَبَعْدٌ أَنْ يَهْمَلَ الْخَلْقَ خَلَاقُ
 وَبِالشُّرِّ وَالْأَيَامِ سَمٌّ وَتَرِيْقَاقُ
 لَهُ فِي مَجَالِ السُّعْدِ وَخَدٌّ وَإِعْنَاقُ [21]
 تَقِيضُ عَلَى الْعَاقِيْنَ أَمْ هِيَ أَرْزَاقُ
 فَلَمْ يُجِدْ إِطْنَابٌ وَلَمْ يُغْنِ (٣٤) إِغْرَاقُ
 غَمَامٌ نَدَى إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ غَيْبَاقُ
 بُدُورٌ [لَهَا] (٣٥) فِي ظِلْمَةِ الرُّدْعِ إِشْرَاقُ
 ففِيهَا جَنَى مَلَأَ الْأَكْفُ وَإِيْسَاقُ
 وَجِدُّكَ قَدْ فَاقَ الْمَلُوكَ وَإِنْ فَاقُوا
 لِأَلِيٍّ وَالْمَجْدُ الْمُؤْتَلُّ نَسَاقُ (٣٦)
 هُمْ الْأَصْلُ فِي الْعَلِيَاءِ وَالنَّاسُ الْحَاقُ
 فَإِنْ حَارَبُوا (٣٧) رَاعُوا وَإِنْ سَأَلُوا رَاقُوا
 فَهَمُّ لِلْمَعَالِي وَالْمَكَارِمِ عَشَاقُ
 تَزْدُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ مَثْمَهُ أَطْوَاقُ

أجازت خُروجَ ابنِ ابنه عن تراشه
ومن دون ما أموه (٤٢) لله قدرة
خذ العفو وأبدل فيهم العرف وتسع [22]
فربتما تنبو مهتدة الظبسي
وما الناس إلا مذنب وابن مذنب
ولا ترج في كل الأمور سوى الذي
إذا هو أعطى لم يضر منع مانع
عرفت الردى واستأثرت بك للعدى
فيسر ليسرى وأحيا بك السورى
فجاز صنيع الله وازدد بشكره
وأوف لمن وفى (٤٤) وكاف الذي كفى
وتهنك يا مولى الملوك خلافة
فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها
فلا راع منها السرب للدهر رائع
أمولاي راع الدهر سربي وغألني
وليس لكسري غيرك اليوم جابري
ولي فيك (٤٦) حب واعتداد غرسته
وقد عيل صبري في ارتقابي خليفة
وأنت حسام الله والله ناصر
وأنت الأمان المستجار من الردى
وأهون ما يرجى (٤٨) لديك شفاعة
وبونكها من ذائع الحمد مخلص
إذا قال، إما كل سمع لقوله
ودم خافق الأعلام بالنصر كلما

/26

ولم تدر ما ضمت من الحكم (٤١) أوداق
ومن دون ما راموه (٤٣) لله إغلاق
جريدة من أبدى لك العذر أخلاق
وتهفو حكم القوم والقوم حذاق
والله إرفاد عليهم وإرفاق
خزائنه ما ضرهما قط إنفاق
وإن حشدت طسم وعاد وعملاق [23]
تخوم بمخبط الصليب وأعماق
والرؤع إرعاد عليك وإبراق [24]
مواهب جود غيئها الدهر دفاق
فأنت كريم طهرت منه (٤٥) أعراق
شجتها تباريح إليك وأشواق
وكم فاز بالوصل المهنأ مشتاق
ولا نال منها جدة السعد إخلق
فطرفسي مذعور وقلبي خفاق
ولا ليدي إلا بمجدك إغلاق
فرقت به (٤٧) من يانم الحمد أوداق
تحل به للضر عني أوهاق
وأنت أمين الله والله رزاق
إذا راع خطب أو توقع إملاق
إذا لم يكن عزم حثيث وإرهاق
له فيك تقيد يروق وإطلاق [26]
فمصنغ وإما كل أنف فنشاق
ذهبت لمسمى لم يكن فيه إخفاق

وَأُنشِدْتُ وَزِيرَهُ الْغَالِبَ عَلَى أَمْرِهِ، عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَقَدْ تَقَرَّرَتْ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ الصَّدَاقَةُ قَبْلَ الْأَمْرِ، وَطَالَ تَرَدُّدُهُ إِلَى سَلَا، قَوْلِي: /

/27 /

(كامل)

وَجَانِدٍ مِنْ قَوْمِهَا أَشْبَاهِ
تَحْكِي الْبُورَاقَ سُرْعَةً وَتُضَاهِي
وَمَقِيلَ عَزَّ تَحْتِ سِدْرَةِ جَاهِ
إِلْأَحْمَى عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
كَلًّا وَبَاهِي بِالْعَلَاءِ مُبَاهِ
طَرْفَ الضَّنِينِ وَإِنْ تَكُنْ هِيَ مَا هِيَ
فِي مِيْرَ دَاهِيهَا مِنَ الْمُتْدَاهِي
عَلِمَ [على] (٥٢) ثَوْبَ الْجَلَالِ الرَّزَاهِي
فِي الْحَسَنِ لَيْسَ بِعَالَمٍ مُتَنَاهِ
أَعْظَمُ بِهِ مِنْ أَمْرِ أَوْ نَاهِ
كَمْ لَوْ مِنْ مَنَزَلِ ضَيْفِهِ مِنْ طَاهِ
كَالْيَتِّ كَرَّ عَلَى قَطِيْعِ شَيْبَاهِ
جَدْلَانِ لَا يَطْرُقُ وَلَا تِيْبَاهِ
لَا يُسْتَفْزُ بِعَابِيْتِ أَوْ لَاهِ
وَمِنْ الصَّهِيْلِ مِعَاْرَفٍ وَمَلَاهِ
قَدْ جَلَّ فِيهَا عَنْ مَقَامِ السَّاهِي
شَكَّتِ الْمُلُوكُ بِمُعْضَلَاتِ دَوَاهِي
أَوْضَاعَهَا فِي بَابِ شَاهِنِ شَاهِ
كَالشَّهْدِ أَوْ أَحْلَى عَلَى الْأَقْوَاهِ
وَسَعَادَةَ لِلْمَلِكِ قَالَ : أَنَا هِيَ
صَفْرًا وَتَبَاهِ الْخَلْقُ أَيُّ مَتَاهِ
قِ الْعَدْلِ بَيْنَ أَوَامِرِ (٥٣) وَنَوَاهِ
فِرْزَانِهَا [28] نَابِتِ مَنْابِ الشَّاهِ
عَلِمَ الْيَقِيْنَ الْمُخْضِرِ لَوْ مِنْ مُضَاهِ
تَشْرَى يَدَا أَمْلِي وَيَعْظَمُ جَاهِي
وَلِي الْهِنَا شُكْرًا لِفَضْلِ الْإِسْهِي
مُتْرِدًّا فِي السُّنَنِ وَشَفَاهِ
وَحِمَاكَ مَبْرُكَ أَنْفِ وَجِيْبَاهِ
سُحِبُ مَبَارَكَةٌ بِفَضْلِ اللَّهِ

حَنْتُ لَخُضْرٍ رِيْسِي وَزِدْقِ مِيَاهِ
فَتَجَاذِبْتُ (٥٤) حَبْلَ الْأَزْمَةِ وَأَنْبِرْتُ
هَلَّا حَنْتُ (٥٥) إِلَى مِعَاَطِنِ أَمْنِهِ
مَا بَعْدَ جِنَاتِ الْعُلَى مِنْ مَنَزَلِ
فِي حَيْثُ فَآخَرَ بِالْوَزَارَةِ فَآخَرَ
الرَّوَاهِبِ الْأَلَاْفِ غَيْرَ مُعِيْرَهَا
يَرْمِي بِفِطْنَتِهِ الرِّجَالَ وَأَحْظَه
سَيْفِ عَلَى كَيْدِ (٥٦) الْخَلَاْفَةِ صَارِمِ
شَهْدِ الْعِيَانِ بَانَ عَالَمِ مَجْدِهِ
أَكْرَمِ بِهِ مِنْ مُوْرِدِ أَوْ مُصْدِرِ
كَمْ لَوْ مِنْ مَوْقِفِ بَأْسِهِ مِنْ طَاعِنِ
تَتَضَاعَلُ الْأَعْدَاءُ فَوْضَى حَوْلَهُ
كَفَّتْ نَفْسُ النَّاسِ مِنْهُ بِأَرْوَعِ
مُتَشَاغِلِ بِالْحَزْمِ يَقْفُحُ زَنْدَهُ
الرَّأْيِ تُسْتَدَارُ كَوْوَسُهُ
أَمَّا صَلَاةُ صَلَاتِهِ فَهِيَ الَّتِي
أَمَّا إِرَادَتُهُ الدَّوَاهِي كُلَّمَا
فَتَرَى سِيَاسَةَ بَزْرَجْمِهِ [27] أَحْكَمَتْ
يَا سَيِّدَ الْوَزَرَاءِ يَا مَنْ ذَكَرَهُ
يَا مَنْ إِذَا مَا قِيْلَ : أَيُّ غَيْبِطَةٍ
سُسَّتِ الْأُمُورُ وَبِيْتُ مَلِكِكَ قَدْ غَدَا
فَقَهَرْتُ كُلَّ مِعَاَنْدٍ وَسَلَكْتُ طُرُقَ
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِسُفْرَةٍ
أَنَا مَنْ عَلِمْتُ وَفَنَاءَهُ وَكِنَاءَهُ
لَمَّا عَرَفْتِكَ مَا شَكَّكَتُ بِأَنَّهُ
أَقْبَلْتُ فِي وَفْدِ الْهِنَاءِ مَبَادِرًا
جَعَلَ الْإِلَهَ ثَنَاكَ فِي الدُّنْيَا لَهُ
وَيَمِيْنِكَ السُّمْحَاءُ مُسْتَلَمَ الْوَرَى
وَهَمَّتْ عَلَى مَثْوَاكَ إِنْ ضَنَّ الْحَيَا

/28 /

المجلس السلطاني على رسمه من إفاضة القبول والإحسان والاستحسان،
والله لا يقطع عنا سبب فضله.

ومما خاطبت به صاحب العلامة [29]، وقد أبهضته كلف الخلق على يدي،
مداعباً (٥٤).

(خفيف)

سَيِّدِي أَنْتَ عُمْدَتِي فَاحْتَمَلِي
مُبْتَلَى أَنْتَ بِالْبِرَابِيرِ وَالْفُتَا [30]
وَنَوِي أَيْنُقُ (٥٥) وَأَهْلَ حَمِيرِ
وَبَوَادِ يَجْرِي لَكَ الْجَلْفُ مِنْهُمْ
وَتَرْفَعُ الصَّوْتُ إِنْ مَرَدَّتْ عَلَيْهِمْ
وَإِذَا مَا اعْتَذَرْتَ لَمْ يَقْبَلُوا الْأَعْمَى
وَشَبِيحُ بَيْضِ اللَّحَى خَضِبُوا الْأَرْ
وَسُعَاةُ نَوِي اجْتِدَاءٍ وَالْحَا
وَأَفَارِيدُ يَسْتَنْزِلُونَ (٥٦) نَوِيًا
يَكْتَبُ الشَّخْصُ مِنْهُمْ أَلْفَ حَوْلٍ
غَيْرَ ذَالِ تَبَرُّدٍ دَالًا وَظَمَاءٍ
وَحَبِيشٍ كَلَامُهُمْ يُشْبِهُ الْخَطَا
وَتَبُوسُ مِنْ أَرْضِ أُنْدَلُسٍ قَدْ
كَانَ مِنْهُمْ مَرْدِيَّةٌ (٦٠) [33] وَسِيَوَاهُ
وَنَوِي فِدِيَّةٌ وَقَوْمٌ أَسَارِي
أَوْقَعُ الْقَوْمُ ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ
وَسِعَ الْخَلْقُ (٦٢) مِنْكَ خَلْقٌ جَمِيلٌ
وَتَوَلَّوْا عَلَيَّ انْفِرَادٍ بَيْنُكُمْ
مَنْ لَهْ قُدْرَةٌ سِوَاكَ عَلَيَّ الْخُدُ
إِنَّمَا أَنْتَ لِلْبَرِيَّةِ كَهْفٌ
أَيْنَ ثَقَلِي إِذَا فَرَضْتَ ثَقِيلًا
وَمَقَامِي تَزِدُّ وَأَصْنُفُ وَجَهَبِي
خَالصًا عُنْدِي كُلُّ سِرٍّ وَجَهَبِي
فَاعْنِي وَأَصْرَفُ لَتَجْدِيدِ مَا أَمْنُ
وَأَعْدَنِي لَخُلُوتِي عَن قَرِيبٍ
أَنْتَ أَنْقَذْتَهُ وَليْسَ لَهُ إِلَّا
خَتَمَ اللَّهُ الرَّضَى يَا ابْنَ رِضْوَا

/29 /

/30 /

وَصَدَرَ الْأَمْرُ الْكَرِيمُ بِمَا نَصَّهُ (٦٩) :

هذا ظهيرٌ كريمٌ، نظم العناية ووصلها، وأجمل الرعاية وفصلها، وأحرز مواهب السعادة (٧٠) وحصلها، أمر بإيرامه، والوقوف عند أحكامه، عبد الله، المتوكل على الله [محمد] (٧١) أمير المؤمنين (٧٢) بين مولانا الأمير أبي عبد الرحمان بن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي الحسن بن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، أيده الله ونصره، وسنى له الفتح المبين ويسره، للشيخ الفقيه، الأجل الأستى، الأعز الأخطى، الأرفع الأمجى، الأسمى (٧٣)، الأوجه الأتوه، الأرقى، العالم العلم، الرئيس الأعرى، المتقن الأبرع، المصنف المفيد الصدر الأخف، الأفضل الأكمل، أبي عبد الله بن الشيخ الفقيه، الوزير الجليل (٧٤)، الأستى الأعز، الأرفع الأمجى، الوجه / الأتوه الأخف، الأفضل الأكمل، [الحسيب الأصيل الأكمل، المبرور المرحوم] (٧٥) أبي محمد بن الخطيب - وصل الله عرته، وإلى رفعت، قابله، أيده الله بوجه (٧٦) القبول والإقبال، وأضفى عليه ملابس الإنعام والإفضال، ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال، وما تقرر من مقاصده الحسنة في خدمة أمرنا العالى، وأمر في جملة ما سوغه من الآلاء الوارفة الظلال، الفسيحة المجال، بأن يجدد له حكم ما بيده من الأوامر المنقذ تاريخها، المتضمنة تمشية ثلاثمائة (٧٧) دينار من الفضة العشرية [34] في كل شهر عن مرتب [له ولولده الذي لنظره] (٧٨) من مجبى مدينة سلا - حرسها الله - ومن حيث جرت عادته (٧٩) أن يتمشى له، ورفع الاعتراض عنه ببابها فيما يجلب إلى منزله (٨٠) من الأدم، والأقوات على اختلافها، من حيوان وسواه، وفيما يستفيد [خدامه] (٨١) بخارجها وأحوالها من عنب وقطن وكتان، وفاكهة وخضر وغير ذلك، فلا يطلب في شيء من ذلك بمفرم ولا وظيف [35]، ولا يتوجه إليه فيه بتكليف، يتصل له حكم [جميع] (٨٢) ما ذكر في كل عام تجديدا تاما، واحتراما عاما، أعلن بتجديد الحظوة واتصالها، وإتمام النعمة وإكمالها، من تواريخ الأوامر المذكورة إلى الآن، ومن الآن إلى ما ياتي بعد على الدوام، واتصال الأيام، وأن يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه محمل الرعي والمحاشاة من السخر مهما عرضت، والوظائف إذا افترضت، حتى يتصل له تالد العناية بالطارف، وتتضاعف له أسباب المنن والعارف، وتحرر له الأزواج التي حركتها بالتلمت [36] (٨٣) [من كل وجيبة، وثعاشى] (٨٤) من مفرم أو ضريبة، بالتحريير التام، بحول الله وعونه.

ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه، وأيمض ما أمضاه، إن شاء الله.

وكتب في العاشر لشهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمئة. /
وكتب في التاريخ.

ووقف تشوفاي إلى تجديد العهد بزيارة (٨٥) المعاهد المباركة، والانتباز عن
مضان الهرج، وميادين الفتنة، فصدر في ذلك ما نصه :

هذا ظهير كريم، جدد العناية وأضفاها، وشرع موارد الحظوة وأصفاها،
وتم المواهب ووقاها، وأطلع للمعتد به وجوه القبول يروق مجتلاها، وعرفه عوارف
الإيثار تفوق أحرأها أولاها، أمر به وأوجب العمل بحسبه، عبد الله، المتوكل على
الله، محمد أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، بن مولانا الأمير أبي عبد
الرحمان بن أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي الحسن بن مولانا
أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد بن مولانا أمير المسلمين،
المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق - أيد الله أوامره
وخذ مآثره - للشيخ الفقيه، الأجل الأسنى، الأعز الأحنى، الأرفع الأمجد، الأسنى
الأوجه، الأئوه الأرقى، العالم العلم، الرئيس الأعرف، المتفنن الأبرع، المصنف
المفيد، الصدر الأحفل، الأفضل الأكمل، أبي عبد الله بن الشيخ الفقيه الوزير،
الأجل الأسنى، الأعز الأفضل، الحبيب الأصيل، الأرفع الأمجد، الأحفل الأكمل،
المبرور المرحوم، أبي محمد بن الخطيب - وصل الله أثرته [37]، ووالى رفعتة، ومهد
(٨٦) له جوانب البر والاهتمام، وجدد ملابس التنويه والإكرام، وأقام على جميل
اعتقاده فيه واضحة الأعلام، ورعى وسائله المرعية الذمام، ومقاصده الكريمة
الافتتاح والاختتام - ومما امتاز به من الانقطاع إلى هذه الأبواب اليعقوبية،
المخصوصة برعي الجوار على مر الأيام، فأحله (٨٧) من بساطه المحل الذي يليق بمن
ترفع قدره، وشهر ذكره، / واعتمد بالرعي الذي تساوى سره وجهه، وجدد له
حكم الظهير الصادر له بالإذن في زيارة المشاهد المقصودة، والأماكن المحسوبة
المعدودة، والمحال التي يقصدها أهل الفضل والدين، والرغبة في لقاء الأولياء
والصالحين، ومطالعة محاسن البلاد، والتمتع بأفانين الكرامة الواضحة الأشهاد،
فليعمل الوجهة المباركة متى شاء محمولا على سبيل العناية، معتمدا بجزيل
الكرامة والحفاية، مؤقى الأغراض من البر، والإجلال المستمر، منسحبا في الطرق
بمن يعين كرامة طريقه، وتلقي حزبه بالمبرة وفريقه، وليعلم من يقف من الولاة
والخدّام، وجميع من له نظر في حكم من الأحكام، أننا نوازن بين الأحوال، ونحرص
على أن تكون المزية لدولتنا على ما قبلها في جميع الخلال، والثناء متصلا على
مقامنا مناسبا لما (٨٨) يليق به من الأقوال والأعمال، ونعتبر ذلك عند عرضه علينا
اعتبار الجزاء على التفصيل والإجمال، فليؤفوا الغرض من بره وإجلاله على

الكمال، وليتغفروا به من مقامنا مزيداً الإنعام والإفضال، حتى يعودَ مُتَّجِجُ الصدرِ
بِفَضْلِ نَوَاتِنَا على ما تقدمها، مجتئياً ثمرة مقاصده التي قدمها، وخدمته (٨٨) التي
أصلها بيبائناً وأحكَمها (٩٠)، إن شاء الله تعالى، وهو سبحانه المستعان.

كُتِبَ في السادس من شهر ربيع الآخر من عام ثلاثة وستين وسبعمان
بالْحَضْرَةِ العلية، المدينة البيضاء، حرسها الله. وكتب في التاريخ المؤرخ به.

إلى نعم سوى ذلك، وعنايات وكرامات، والمَشْكُورُ الله (٩١)، سبحانه.
وشرعتُ في أَلْفُوقِ بَعْدَ أَنْ تَشَوَّفُ (٩٢) إِلَيَّ ائْتِقَالِي لِخِدْمَةِ الْبَابِ السُّلْطَانِي،
مطمعاً في أَقْصَى ما تَنْتَهِي إِلَيْهِ وَسَائِلُ الْأَقْلَامِ، ووقع من العذر والتملُّق في
الإعفاء، وتدقيق الأعدار، ومختلف التعلُّل، ما سهل - والحمد لله - الأمل، وهنا
الصدر، لا أخدمنا الله غيره، ولا أعدمنا سِتْرَهُ، / وحلُّ عن أعناقنا رَبِيقَ الْمَلَكَاتِ،
ونكَبَ بنا عن مهاوي الهلكة، بفضله.

«القبض على منصور بن أبي علي»

وليوم (٩٣) الوصول، تُعرَفُ ما كان من القبض على الأمير منصور، ابن
السلطان، أبي علي [38] أخي الأمير عبد الحليم، بيت القصيد، وناهض العس، إذ
أقبل من الأندلس مُعداً لأخيه في طائفة من بني مرين المستقرين فيها ولته من
الكتاب والطلبة، كالفقيه، الصدر، البليغ، المستولي على وافر من الخصال نظماً
ونثراً وأبهة، إلى الفروسية وشدة (٩٤) الثبات في مواقف الكريهة، والتدرب على
الفرز، وبين له ثلاثة، أو سطهم نابغة من النوايح، بالغ أقصى مبالغ الإجابة في
المنظوم [والمثنوي] (٩٥)، يبرح بلبله عن قفص المكتب.

وصل هذا الأمير مستدعي من قبل أخيه عندما استقر "بتازا" واستولى على
"مكناسة"، وطمع في إضافة الحضرة، طرقت أسطول إجازته الممدود حول البحر،
فألقاه بساحل "غساسنة" [40] من إيالة عدوه، فتقبض عليه وعلى من قصر عن
الفرار إلى إيالة الزيانية [41]، وأدخل مدينة "فاس" يوم الأحد ثاني ربيع الآخر
المذكور، مكبولاً، محمولاً على الظهر، غير مغير من شكله، ولا مهان بنزع وطائه،
بين يديه طبول تُشهره، وشقت به المدينة بطريق شهرته، فرق له الناس لمكانه من
الفضل والخصل، واشتهاره بالفتوة ومماسة الأدب، وهو بحال استجماع وثبات،
ملفت إلى أشكال الأشياء، مسلم على من بالنوايدي والمجتمعات، مُعَمِّلُ اللسان في
تلاوة وذكر.

ولمَّا أُخْضِرَ بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ، سَأَلَهُ مِنْ وَزْرَائِهِ وَحُجَابِهِ مَنْ يَرِي [42] بَجْنِيهِ، وَالْإِغْلَظَ لَهُ النَّفُوسَ عَنْ أَخِيهِ، وَاسْتَفْهَمَ عَنْ سَبَبِ وَجْهِهِ فِي سَبِيلِ التَّعْنِيَتِ، فَجَدُّ عَنْ نَفْسِهِ، وَاعْتَرَفَ بِوَجُوبِ حَقِّ السُّلْطَانِ وَحَقِّ سُلْفِهِ، وَشَكَرَ مَا أَظْلَمَ مِنْ كِفَالَةِ جَدِّهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَدِمَ وَإِخْوَتَهُ عَلَى دَارِ الْمَلِكِ لِمَا عَلِمُوا عَدَمَ ذُرِّيَّتِهِ، وَانْقِطَاعِ سَبَبِهِ، وَخَلُوقِ / الْوَطَنِ مِنْ وَادِهِ، فَأَمَّا وَقَدْ جَبَرَ اللَّهُ الْأَمْرَ بِوَلِيَّتِهِ، وَأَعَادَ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ، فَطَاعَتُهُ مَتَعِينَةٌ، وَفِيئَتُهُ مِنْ ثَارٍ مِنْ إِخْوَانِهِ بِمُحَاوَلَتِهِ هُوَ حَاصِلَةٌ، وَأَلْطَفَ الْقَوْلُ مَا شَاءَ، فَلَانَتْ لَهُ الْقُلُوبُ، وَخَفَّتِ الْمَوْجِدَةُ بِمَا أُوجِبَ تَائِيْسُهُ، وَاقْتَضَى (١٦) ثِقَافَهُ، مَرْفُوعًا عَلَيْهِ.

/35 /

ووافق ذلك وصول شيخ عرب سويد، وأنزمار بن عريف [43] والشروع في المهادنة، فقوي الرجاء في تسني القرار، وتتهي الأمانة، والتفرغ إلى مصابرة ما عسى أن ينتج تأخر الفيث، وفوات زمن البذر، وكان من الأمر ما يذكر، إن شاء الله.

«انصراف عامر بن محمد إلى مراكش»

وفي عشي الجمعة قبله، كان انصراف الجيش المراكشي مظاهر الأمير، ومرسي قواعد النولة، بعد أن فوض إلى عميد (١٧) وطنه، عامر بن محمد بن علي في قلبه وكثره، ووقفت حدوده عند إيعازه وإشارته، وقصرت جبايته على ذات يده، وأتبع ولاته وعماله عقبه، وقلدوا طاعته، وأخرى به أن يقتعد (١٨) السنم والغارب، ويستأثر بالزفرة، ويخص بالتفويض، ويلقى في يده زمام الملك، ويعقد له تاج الاستكفاء، من رجل ثبت الرأي، راجح الحصة، حسن الوجه، بعيد الغور، مطبق مقاصد السداد، ثاقب شهاب الفهم، ملتفت إلى أعقاب التقيّة، مستمتع بالخلق، طب بالعلل، مذيع للنصفة، فاصل للحكم، مستشعر للهيبّة، متوقل هضبة سنن (١٩) الوقوف، محمود جميع الخلال، رجل المغرب بلا منازعة، فانصرف يجر الدنيا وراءه معرسا بإحدى بنات ملك إفريقيا [44] كانت تحت العصمة الفارسية [45]، فصحبته قبل البناء بها، وقد أخذ ظهر ركايبها من الزينة ما يستوقف حمولة (١٠٠) فارهه، وولايا بالأباريق (١٠١) مثقلة، وتجايف من الحل مقدرة، وكتيماً [46] منقل الحلية، وقبة أفرغت على قسيها ليات النسخ المختلف الزينة، المتخذ من خالص السرقة [47]، دون (١٠٢) المناطق والأشمار والأقبية المشهورة / يسبيرون / حفاقي محملها الملوكي، في سبيل اقتياده سيز النعام إذا سقت بأجنحتها، وركضت الأرض بمقدام سوقها، وتبعها من العقائل حافات بهودجها، ومن اللدات والحواضن (١٠٣) والقهارم [48] وعجز التربية ومواشط الزينة ورقيق المهر وخنافس

/36 /

المطابخ، ما صير الأرض روضاً مزهراً، والبطحاء دوحاً أنيقاً، والتفُّ بمركبها من نساء الخدام، وعرائس أمراء العرب على ما يتعلّق بأذيال هذه الصفة، أممٌ من صنف النُسوان حُرِّدَ عددهن بما يُستتراب منه في حكايته.

وتمت لهذا الرئيس ألقاب الملك، من إعزاز موكبه بالرماة من المشاركة، وفرسان نصارى السقيفة، ورجال الرقاصة، وجماعة المشاة الأندلسيين المختصين بأبهة الخلافة، والله يَتِمُّ علينا نعمته.

وخاطبته ليلتئذ بقولي (١٠٤) :

(كامل)

<p>يا وارثَ المَهْدِيِّ في الجَبَلِ [49] الذي وبه مُصَلَّاهُ (١٠٥) ومدرِسُهُ الذي أبشُرُ، فإنك بعد ما بعُدَ المَدَى وأعْلَمُ بأنك أنتَ عامرُ ربيعِه وإذا بَلَّغْتَ إلى محلِّكَ سالماً</p>	<p>فَضَلَ الجِبَالَ فَكانَ مَطْلَعُ بَدْرِهِ أهدى مِنَ التَّوْحِيدِ يانِعِ زَهْرِهِ وتَوَلَّتْ الدُّنْيَا، مُجَدِّدُ أَمْرِهِ وأَعْلَمُ بأنَّكَ أَنْتَ (١٠٦) نَكْتَةُ سِرِّهِ سَلِّمْ لَسَعْدِكَ في سَعَادَةِ دَهْرِهِ (١٠٧)</p>
---	--

﴿أحداث أندلسية﴾

وانعقد بين السلطان المستدعى للأمر بالمغرب، الملقب بالمتوكل على الله، أبي زيان ابن الأمير أبي عبد الرحمان وبين السلطان الهنش بن هرند بن شانجه ابن أدفونش، عقدٌ يشتمل على شروط أهمها : قطيعة المتقلب على الأندلس، المتوَكَّب على ملكها، وإعانة سلطانها / الفاضل الخلال، أبي عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبي الحجاج بن أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، عابر البحر إلى استرجاع حقِّه، والطلب بوتره، وقد تخلى له عن مدينة رندة وحُصُونها، وهي على ما هي من خصب ومنعة، جاور المتقلب [50] منه داءٌ يقطع أبهره على الأحيين، تنغصُّ بِقَرْبِهِ كل لذة محرمة أو مباحة، وجعل يقلب رأسه فوق وساده عند كل نومة، واحتجّر فلم يُصنجر من لدن ذلك غلوة [51]، وأكذب دعواه في المخاطرة، إذ صارت زهرة الدنيا وزبرجُ الإمارة مَجْبِيئةً، وقام لمطالبة رسم "برندة" لوفور الخزين، وخلص الشوكة، وارتاش خاصته بولاية تلك الثغور والمسالح، وتبلغوا ببلالتها، وقنعوا بإسم القيادة منها.

إذا [ما] (١٠٨) لم تكن إبل فمعزى [52]

وأَسَدَ الظَّهْرَ مِنَ الطَّائِفَةِ إِلَى هَضْبَةِ رَاسِيَةِ، وَعَمَّ الأَمْرَ رَغْبَةً (١٠٩)
الانسحاب والسلم والإختصاص بالهدنة (١١٠)، فامتدوا ويذروا، وفلحوا وأتجروا
وتقطروا بجناح الدهر ينظرون إلى حلول النعمة بمن سواهم.

واستقرت لهم أليقاب (١١١) الملك، فاخص برسوم الوزارة، الشيخ طويس
[53] الوقت، علي بن يوسف بن كماشة، مدخل عدوه، وعاهد صفقة الغدر على
خذه، وشاحذ مدينة نحره بيده، ورسول الدائل اليوم في سبيل استتصاله،
ومواجهته بالتقريع في دار غربته، والمغربي باغتيابه، والمعين لإثبات موجب خلعه،
والمذعن إلى إنبائه بنكايته، وسد في وجهه الأبواب معاقلة ومناوشة لحربه المرتجزة
بمساوته وهناته، فقام له بالرسم الوزاري، كما اضطر صياد إلى صُحبة الكلب،
واستعمل في خطة (١١٢) الكتابة، الشيخ الفقيه، قاضيه بعد المنوة به، ذا السكينة،
ورب البيت النبويه، والطاهر الشاهد بالخيرية، أبا الحسن النباهي [55]، وقدم على
الجيش بعض الرؤساء من قرابته. وقصده الجيش الغرناطي / فكانت - زعموا -
بين الفريقين حرب بان لجمع القلة فيها الظهور.

/38/

ولما وقع العقد بين ملك المغرب، وبين سلطان قشتالة، كان لسلطان
الأندلس المستقر برندة، أبي عبد الله بن نصر في العقد الغناء والنصح والكفالة
والظهور والضمان، إلى أن أتم يده (١١٣)، وأبرم بكذحه وسعيه، وأسف الوزير
طويس هذا، السلطان المستدعي للمغرب لما ألزمه في الخفي لنفسه من شروط
فيها، تشتمل على نقد وكالي [56]، وعرض واعتماد، وأطاع فيها داعي الهلع،
وفاضح الحرص، وأجره السلطان في ذلك رسنه، لحاجته إلى خلاص نفسه، فرحل
يطوق المذكور كل مذمة، ويحمله كل منقصة، وبنيت على ذلك ناجمة إحنة، واتفق
القول من حذاق الخاصة على أن تصريد الشراب، وعسر هذه الإيالة، وركود ربح
القوم حظ هذه الوزارة الطويسية (١١٤)، وقال بعضهم يخاطب السلطان (١١٥) :

(طويل)

إذا ما أطرحتم شؤمه أنجز الوعد
مخيلة نجع كيف ترجى له بعد
وما قلت إلا بالذي (١١٧) علمت سعد [57]

كما شبيكم من أجله انكمش السعد
ومن لم يكن للسعد في بدء أمره (١١٦)
وتصريفه المشؤم فلتتذكروا

وقلما انخرمت القاعدة فيما يستحضر لهذا الرجل المحدود، الكلُّ على مولاه من «كل» وجهة، كرسالته إلى السلطان أمير المسلمين، أبي الحسن بين يدي هزيمته «بطريف»، ثم وجهته إليه بين يدي هزيمته «بالقيروان» [59] إلى غير ما كانته، لا ابتلائنا الله بسوء السمات، ولا جعلنا من دواعي التفرات، وعسلنا في الدنيا، وألطف بنا في الآخرة، بفضلته.

39 / وكيف الله للوعْد الأغمِّ القفَّا [60]، مُطعمُ الإملاء، المتغلب على الأندلس لهذا العهد، وبتاريخ ثاني ربيعي العام المنسوب / إلى ثلاثة وستين وسبعمائة نصرا عزيزا لا كفاء له، لما جاش بحر طاغيتهم، وانتفخ سحره، ورأى أن قد ظفرت يده بطائفة من المسلمين يضر بها أخرى، ويرى جشعَه للعقبى، وقد ذمر إليه أمراءه، وأوعزَ إلى «الميشرة» الكبير بصدّه، فنهد (١١٨) إليه نهْدَةً شاتيةً، واقتحم الجهات الشرقية الوادي أشية بمن لفُ لفُه من أهل «جيان» وأبْدَةً و«بياسة» و«مارثش» (١١٩) [61]، وما إلى ذلك الصُّق.

فلما أذربَ (١٢٠) [62] وسلك بعض الفوهات والثنايا (١٢١) متوغلا صاح به المسلمون من كل جهة، وتلاحق الجيش الفرناطي، إذ كان مزاح العطل بسبب عين من عيون الروم، أنهى الخبر وأوجب الاستعداد، فمنح الله المسلمين أكتافهم، وأوقعوا بهم وقية شنعاء، قدّم بها العهد، وألحم السيف، ومأى الأيدي السببي، وضاق عن الأسر القُد، وسبق زعيمهم أسيرا بعد أن هلك عليه حاميته، وخضبت حوله شوكته. وبلغت هذه الوقية من الشهرة والفسو والذياح ما لم تبلغ إليه كائنة من أعاظم الكرائن ، والله لا يجعلنا إملاء وفتنة، وفقد من المسلمين بها عديد من فرسان رجح، ولا كالقائد الشهم البقية، الحسن الرّواء، الراجح الوزان، النّقب، المرشح للوزارة، بحسن السُّمت، وأصالة الدّهي، ووقار المجلس، شعيب بن يحيى بن شعيب، الجاري عليه القدر، المنسلخ من آية النجابة ليلة الحادثة على سلطانه وهو مؤتمنه على لدة الملك، وظنر الإمارة «بمالقة»، فأعلن بدعوة أخيه الثائر عليه [63]، من غير تثبيت ولا استكشاف، ولا ركون إلى خاتم، فتخلفها عارا وشنارا، ولم يزل وجهه بعدها مُسوداً، وحظّه ناكصا، إلى أن أتحفه الله بالشهادة عنوانا على تقبل فينته وغيره من الأنجاد على نزارتهم بباب هذا الدائل، وخلّو مصاف الإسلام يومئذ منهم على عهده، / ويسوء تدبيره، ومكذب استغفائه، فكان المنح منغصا، والفتح متنقصا، وشاع استعداد العدو لهذه الوخزة، وقد جلّته صفارا عظيما ومخزبة، واستحشاده من زُرّت عليه أطواق عمالته الفسيحة، والله يخيب مسعاه، ويعيد المسلمين إلى ما عهدوه من رُحماه، ويتمّ عليهم بالإيالة المرضية نعماه.

رجع التاريخ

«استبداد الوزير عمر بن عبد الله بشؤون الدولة بفاس»

واستقر شأنُ إلى هذا العهد مستقره بالمشرق، بعد أمحاء رسم الخلافة وخمول الذناب من ولد العباس، فأعمل هذا الوزير فكره فيما يؤمنه بادرة سلطانه، فلم يمكنه من لدن تواج باب القصر من غير راحة يتنهاها، وأريكة وثيرة يتوسدها، وعروس معطرة يتفشاهما، وبركة ريانة يقتحمها، وبيت نعيم يستلقي فوق مرمره المغروش ومائه المسكوب، واستتب من كان قد علق بثوبه، من أجل طريقه، أو مدى مراوضته، من مخلب وشوكه، ومات وذمة، ممن أمل الحظ لديه، ورام التفتق عنده، فاستظهر على مهمات أبدى الضرورة إليهم فيها، وصيرهم منبئين، وللفاقرة مرتقبين، واشتمل عليه أخذًا شعاب القصر وتقابه، ومجليا عنه أبواب الحرم من العمات، والنائبات مناب الأمهات، وأولات الدائلة، ومهديات النصائح، وسكن لصقه، وتوصل إليه في الدهليز الخفي، نافقا من تقدمه، يباشر منه يقظته ونومه، ويفتقد خلوته، فإذا متع [64] النهار أقعده، بعد أن حوله رسوما من قول وعمل، يلم فيها بعيون مختطفة، بين إفصاح وهينمة [65]، ويغرُ فيما عداها ما يطبق المقطع من لفظ الوزارة، ثم "انكفا أدراجه" [66]، ووكل به كل غبوق، شاغلا له بالمعاقرة ظهره وولي ثقتي استخلافه على رسم المنادمة : الشيخ، مستظهر الروم، حجة الله في الورق [67]، على الأمية وجمود الروح الحيواني، وفقدان الإدراك، وإظلام جو النفس الناطقة، عمر بن العجوز، من مسلمة أولئك القلب [68]، وتلوه / الشيخ السفلة، البذيء، الصفعان، المتوسل بالعهر والضرب والمكاء والتلاعب بخصيئه، الباجح بالنادرة الفاترة، على التبارد والتباغض والشيب وفساد الأسنان وطليعة الخدر، الملعون بكل اعتبار ولقة، إبراهيم بن أحمد البطروجي [69]، فإذا قضيت العشاء الآخرة ترَجَّرجوا بين يدي النمل والطفوح إلى منازلهم بعد قضاء حق مغربهم، الوزير وطروقه بتحية بيته.

/41

وأقام في رسم الوزارة صهره ومنشله من الهفوة، مسعود بن رحو بن علي الفونودي [70]، فوسطه للناس، واحتجب عنهم، وياشر به حاج خاملهم، وواصل به جناحه، وأنفق منك وإن كان أجدع [71] فصار هذا الأمير مقاد الأمر المستدعى

له، كانه بمنزلة العباسي "بمصر"، المعتما لتمام شرط البيعة، وكمال رسم الإمامة، والوزير الذي حجه بمنزلة السلطان الأسفَهْصَلَار [72] من التُّرك، والوزير مُنْتَابُهُ مسعود بمنزلة وزيره المعبرُ عندهم بالصاحب [73].

وكان من الإِتِّفَاقِ إتيان هذا السلطان مُفْرَغًا في أولي القوالب بهذا الغرض، وأحسنهم انخراطا في هذا النُّمط، وأسهلهم تَأْتِيًا لهذا القصد خيرية وإقصارا عن الغايات التي تَوَدِّي إلى المعاطب، ورضى بالبلاغ، وأخذًا بالعفو، واستراحة إلى المتاب، والله يُسَوِّغُ المسلمين سهولة جانبه، ويُعَرِّفُهُم الأمانة من تلقائه، ويُجْري فيهم الخيرَ على يديه.

هوامش الفصل الثاني

- (١) زيادة من ف ٣٦٩.
- (٢) بياض بالأصل.
- (٣) غير واضحة في ف، واحتمل د. العبادي أنها : " أول هذا السفر المسهب ويجانيه"، والأصح ما ورد في المتن لتناسبه مع السياق.
- (٤) إلى هنا ينتهي الجزء المشترك مع النفاضة ج ٢.
- (٥) م : بخانيه، وهو تحريف.
- (٦) يبدو أن هناك لفظة ساقطة قدرناها بما أثبت.
- (٧) بياض بالأصل.
- (٨) أورد ابن الخطيب هذه الأبيات في ديوانه : الصيب والجهام ص ٤٦٩ - ٤٧٠ ممهدا لها بقوله: وقلت وقد رحم الله بالفيت بعد القحط الشديد.
- (٩) د ٤٦٩ : القور.
- (١٠) م : نعمن، تصويبه من د.
- (١١) م : تجاري الربيع، تصحيحه من د ٤٧٠.
- (١٢) من د، يقتضيه الوزن.
- (١٣) م : سلا، والقارئ تقتضي ما أثبتنا.
- (١٤) م : الج.
- (١٥) م : متعمله في العماة وما أثبتناه حسب قراءة د. بنشريف.
- (١٦) وردت هذه القصيدة في النفع ٦ / ٨ - ١١، وفي الاستقصا ٤ / ٤٦ - ٤٨.
- (١٧) ن ٨/٦، الاستقصا ٤/٤٦ : عنه.
- (١٨) المرجعان : عهد.
- (١٩) غير واضح بالأصل، تصويبه من المرجعين.
- (٢٠) المرجعان : فترة.
- (٢١) ن : وفاض.
- (٢٢) م : وشرح.
- (٢٣) المرجعان : بسقي.
- (٢٤) م : لا يعلم.
- (٢٥) المرجعان : رجة.
- (٢٦) ن ٩/٦، استقصا ٤/٤٦ : ضوؤها.
- (٢٧) استقصا : بالشكر لله.
- (٢٨) م : تثبت، تصويبه من المرجعين.
- (٢٩) م : ليسوف، وهو تحريف.
- (٣٠) م : فايمن مشحون من الفلك سادج، تصحيحه مما ذكر.
- (٣١) م : والدماء وهو تحريف.

- (٣٢) ن، استقصا ٤٧/٤ : تضل.
- (٣٣) ن، استقصا : سمت.
- (٣٤) م : يغز، تصويبه مما ذكر.
- (٣٥) زيادة مما ذكر.
- (٣٦) م : نسلق، تصويبه من المراجع.
- (٣٧) م : وحسبك، وهو تحريف.
- (٣٨) م : حريوا.
- (٣٩) م : التحصيل، وهو تحريف.
- (٤٠) م : إلى، تصحيحه من المرجعين.
- (٤١) ن ١٠/٦، استقصا ٤٧/٤ : الذكر.
- (٤٢) المرجعان : ماراموه.
- (٤٣) المرجعان : ما اموه.
- (٤٤) ن ١٠/٦، استقصا ٤٨/٤ : أوفى.
- (٤٥) المرجعان : منك.
- (٤٦) ن ١١/٦، استقصا : ود.
- (٤٧) المرجعان : فراقت به : ساقطة من م.
- (٤٨) ن ١١/٦، استقصا ٤٨/٤ : ترجى
- (٤٩) م : فجاذبت، وسياق الوزن والمعنى يقتضي ما أثبتنا.
- (٥٠) م : حنت، وهو تحريف.
- (٥١) هكذا في الأصل ولعلها كتد.
- (٥٢) زيادة للوزن.
- (٥٣) م : وأمر، وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا.
- (٥٤) وردت هذه القصيدة في ديوان الصيب والجهام ص ٢٣٧ - ٢٣٩.
- (٥٥) م : أنيق.
- (٥٦) م : العذر، والأنسب للوزن ما أثبتناه من د ٢٣٧.
- (٥٧) من د ٢٣٨، يقتضيها الوزن.
- (٥٨) م : يدرسون، تصويبه من د.
- (٥٩) د : قليل.
- (٦٠) م : مرزية، وهو تصحيف.
- (٦١) د ٢٣٩ : كدية.
- (٦٢) د : الكل.
- (٦٣) د : وكثير.
- (٦٤) من د، يقتضيها سياق المعنى والوزن.
- (٦٥) هذا البيت ساقط من د.
- (٦٦) ترتيب هذا البيت في د بعد البيتين التاليين.

- (٦٧) هذا البيت ساقط في د ٢٣٩.
- (٦٨) م : لك بعد طول عز البقاء، والأنسب ما أثبتنا من د لتلازمه مع الوزن.
- (٦٩) ورد هذا الظهير في الاحاطة مخ الاسكوريال ٤٣٢/٨، وفي ط. القاهرة ٤٥٥/٤ - ٤٥٧، وفي النسخ ٥/٦ - ٦، وفي الاستقصا ٤٨/٤ - ٤٩.
- (٧٠) م : السعاد.
- (٧١) زيادة مما ذكر.
- (٧٢) ح س ٤٣٢ : المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين.
- (٧٣) المراجع : الأسنى.
- (٧٤) ح ٤٣٢، ن : الأجل.
- (٧٥) مما ذكر.
- (٧٦) م : بوجهه، وهو تحريف.
- (٧٧) ح س ٤٣٢، ن ٥/٦، استقصا ٤٩/٤ : خمسمائة.
- (٧٨) زيادة من المراجع.
- (٧٩) المراجع : العادة.
- (٨٠) إلى منزله ساقطة من المراجع.
- (٨١) زيادة مما ذكر.
- (٨٢) من المراجع.
- (٨٣) ن، استقصا : يحرثها بتالماغت، وفي ح س : يحرثها بتالغت، وفي ط. القاهرة ٤٥٦/٤ :
- يحرثها، تبالغت، وهو تحريف واضح.
- (٨٤) زيادة من المراجع المذكورة.
- (٨٥) م : بزيادة، وهو تحريف.
- (٨٦) م : مهد، زدنا وأو العطف للسياق.
- (٨٧) م : فاحلوا، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٨٨) م : لمن، وهو تحريف.
- (٨٩) م : خدمة، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٩٠) م : وأحكامها، والأنسب للسياق ما أثبتنا.
- (٩١) م : والمشكور لله، ويمكن قراحتها : الشكور لله أو المشكور الله.
- (٩٢) م : تشرف، وهو تحريف.
- (٩٣) م : واليوم.
- (٩٤) م : وشره، وهو تحريف.
- (٩٥) بياض في الأصل قدرناه بما أثبتنا.
- (٩٦) يفهم من السياق أن الناسخ اسقط لفظه.
- (٩٧) م : عمير، وهو تحريف.
- (٩٨) م : وأجره أن يعتقد، وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا.
- (٩٩) م : هضبه سن.

- (١٠٠) م : حموله.
- (١٠١) م : بالإبريق، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (١٠٢) م : نور، وهو تحريف.
- (١٠٣) م : اللذات والحواضر، صوابه ما أثبتنا.
- (١٠٤) وردت هذه الأبيات في ديوان الصيبي والجهم ص ٥٠٦.
- (١٠٥) د ٥٠٦ : ويمصلاه.
- (١٠٦) زيادة من د يقتضيها الوزن.
- (١٠٧) د : أزمة أمره.
- (١٠٨) ساقطة من م.
- (١٠٩) م : رعية.
- (١١٠) م : الهندة، وهو تحريف.
- (١١١) م : انيقاب، صوابه ما أثبتنا.
- (١١٢) م : خطت.
- (١١٣) هكذا بالأصل، ولعلها تم ما بيده.
- (١١٤) م : الطوسية، تصويبه ما أثبتنا لأنها نسبة إلى طويس.
- (١١٥) الأبيات لابن الخطيب وقد ثبتت في : النفاضة ٢/٣٦٢، الاحاطة مخ. المعهد المصري، ل ٢٩٩.
- (١١٦) ن : ومن لم تكن للسعد عنده.
- (١١٧) م : التي، تصويبه من المرجعين.
- (١١٨) م : فهذا، وهو تحريف.
- (١١٩) مارنش، وهو تصحيف.
- (١٢٠) م : أدوب، تصويبه ما أثبتنا.
- (١٢٢) م : وأشنايا، والسياق يقتضي ما أثبتناه.
- (١٢٣) م : وحضرت.
- (١٢٤) م : يتوسد، ولعل الأنسب للسياق ما أثبتنا.
- (١٢٥) م : انكف، تصويبه ما أثبتنا.

تعليقات الفصل الثاني

- [1] الشهباء : المجذبة . - الاضحائية : المشمسة.
- [2] الطاعون الأسود : بدأ ظهوره في آسيا الوسطى سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م، واكتسح أوروبا وشمال إفريقيا، وقد أُلّف فيه ابن خاتمة ورسالته تحصيل غرض المقاصد في المرض الوافد، كما أُلّف فيه ابن الخطيب رسالته مقننة السائل عن المرض الهائل. أنظر (أومليل : الخطاب التاريخي ص ٨٨ - ٩١).
- R. Ariè, "Un opusculè grenadin sur la peste noire de 1348 : la "Naṣṭha" de Muhammad Ṣaḡūrī", Boletín de la Asociación Española de Orientalistas, 1967, pp. 189-199.
- [3] الأرجل : من الذواب ذات الترجيل وهو بياض في إحدى قوائمها.
- [4] السنابك : ج. سنبك، وهي الأرض القليلة الإنتاج.
- [5] الهيدب : من السحاب، المتدني من الأرض حيث يرى وكأنه خطوط عند انصباب المطر.
- [6] اللأواء : ضيق المعيشة.
- [7] القطار : من الإبل، مجموعة يلي بعضها بعضا على نسق واحد.
- [8] الأوقار : ج. وقر، السحاب الثقيل بالمطر.
- [9] درعة : تقع جنوب المغرب الأقصى وراء جبال الأطلس الكبير، وقد كانت مركزا علميا ومحطة تجارية. أنظر (نزهة المشتاق ص ٦١ . - الروض المعطار. تح. إحسان عباس ص ٢٣٥).
- [10] عبد الحليم بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو يكنى أبا محمد، ويلقب بالمؤيد بالله، وهو ابن عم السلطان أبي سالم، كان لاجئا إلى الأندلس هو وإخوانه، وقد بعثهم أبو سعيد البرميخو للمطالبة بحقهم في الملك وإثارة الفتنة ضد أبي سالم كرد فعل لمساعدته محمدا الخامس. أنظر (- العبر ٤٦٨/٢ . - النفاضة ٢٠٦/٢ . - الملحّة ص ١١٨-١١٩، - الاحاطة ٥٢٩/٣ - ٥٣٣).
- [11] سجلماسة : عاصمة إقليم تافيلالت، وقد كانت تعتبر من أعظم المدن الإسلامية. أنظر (معجم البلدان ١٩٢/٣ . - صبح الاعشى ٥ / ١٦٣).
- [12] الرضخ : العطاء القليل.
- [13] البلد الجديد : فاس الجديد، وقد وضع حجره الأساسي يوم ٣ شوال ٦٧٤ هـ / ٢١ مارس ١٢٧٦ م في عهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أنظر تفصيل ذلك في (- ورقات المتونى ص ١٥ - ٨٥ . - وصف إفريقيا ص ٢١٨).
- [14] يقصد السلطان أبا زيان المريني.
- [15] الهرج : شدة القتل وكثرتة.
- [16] إصفاق : اتفاق وإجماع، وفعله اصفق.
- [17] يقصد عمر بن الخطاب ومحمد رسول الله (صلعم).
- [18] آل يعقوب : نسبة إلى يعقوب بن عبد الحق بن محيو أبي يوسف المريني ٦٠٩ هـ - ٦٨٥ / ١٢١٢ - ١٢٨٦ م. أنظر (روضة النسرین ص ١٧ - ١٨).
- [19] الدأماء : البحر.

- [20] تقويم : تحديد مواقع النجوم في زمن معين.
- جداول : ج جدول، وهو مصطلح فلكي يطلق على رسم يعين مواقع الأفلاك. أنظر (نوزي ١٧٦/٨).
- أوقاق : ج. وفق، وهي مريعات تحتوي خانات تملأ بحروف وأرقام. أنظر (نوزي ٢٢٤/٢).
- [21] وخذ : ووخيد ووخذان، وخذ البعير : أسرع وصار يرمي بقوائمه كالنعام.
- اعتناق : اعتقت الدابة، إذا سارت سيرا واسعا.
- [22] إشارة إلى قوله تعالى : "خذ العفر وأمر بالعرف". أنظر سورة ٧ (الاعراف)، آية ١٩٩.
- [23] طسم وعاد وعملق : قبائل من العرب العاربة البائدة التي تمت إلى الجاهلية الأولى.
أنظر (كحالة : معجم قبائل العرب ٦٨٠/٢، ٧٠٠).
- [24] ارعاد وإبراق : تهديد ووعيد، ويقال : "إبرق وأرعد". أنظر (زهر الأكم ٢٨٣/٨).
- [25] أوهاق : ج. وهق، وهو جبل في طرفه انشطة يوضع في عنق الدابة لتقاد.
- [26] تقييد وإطلاق : من مصطلحات الأصويين، التقييد : ذكر الإسم مقيدا بنعت أو شرط إلخ... والإطلاق : ذكره مجردا.
- [27] بزرجمهر : وزير اشتهر بحكمته في عهد أنوشروان.
- [28] السفرة : رقعة الشطرنج.
- الفرزدان : ج فرازين، وهي الملكة في لعبة الشطرنج، وفرزانه : كلمة فارسية تعني حكيم أو عالم أو محترم، لكن المعنى الأول هو المقصود. أنظر (المعجم في اللغة الفارسية ص ٢٤٠).
- [29] صاحب العلامة : أبو القاسم بن رضوان، سبقت ترجمته.
- [30] الفز : أو الأغزاز، ينتمون إلى جماعة الأتراك المصريين الذين دخلوا شمال إفريقيا في عهد الموحدين، وقد رتبوا في الجيش النظامي في فترة المرينيين. أنظر (- المعجب ص ٢٨٨ - ورقات المنوني ص ٧٠).
- [31] الكراكي : طائر يشبه القلاق. أنظر (عجائب المخلوقات ص ٤٦١).
- [32] أفاريد : ج. أفريد، وهو الطالب أو التلميذ.
- [33] مرزبة : هو محمد بن جابر بن يحيى بن محمد بن ذي النون التغلبي، ويعرف بابن الرمالية، من أهل غرناطة، ويطلق على أبنائه بنو مرزبة، أنظر (الاحاطة ٢٦/٣).
- [34] الدينار الفضي : يزن ثمانية حبوب من الشعير، وهو في تجزئته مماثل للدينار الذهبي. أنظر (ورقات المنوني ص ٩٨).
- [35] مغرم : ضريبة نقدية. أنظر (نوزي ٢٠٩/٢).
- وظيف : ضريبة تفرضها الدولة. أنظر (نوزي ٨٢٠/٢).
- [36] الأزواج : ج زوج : كل واحد معه آخر من جنسه وتطلق على الحيوانات التي تستعمل للحرث، أما هنا فيقصد بها الأبدنة.
- تالفت : أو تالماغت، وتطلق أيضا تالمخت، وهي منطقة زراعية خصبة، توجد بزعر ناحية الرياط. وقد ثبت في الاحاطة، مخطوطة الاسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٤٣٢، اسم المنطقة "تالفت"، وهذه الأخيرة تنطق تالمخت أيضا وتوجد بناحي الصويرة، لكن الأرجح المنطقة المذكورة سابقا لقبها من سلا سكن ابن الخطيب.

أنظر (- التشوف ص ٢٩٠ - الاستقصا ٤/٤٩٠ - مناهل الصفا ص ٥٠ - أعمال الاعلام ٣/٢٧٠. الاحاطة ٤/٤٦٥).

[37] اثره : مكرمة متوارثة.

[38] منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو يكنى أبا علي، كان لاجئا إلى غرناطة مع إخوانه وبنو عمه فلما قدم أخوه عبد الحلیم إلى المغرب وبايعته بعض القبائل، أتى مناصرا له في أسطول من الأندلس، لكن الوزير عمر بن عبد الله دافع عن فاس واستقدم أبا زيان الذي كان لاجئا إلى قشتالة فانهزم عبد الحلیم وقبض على منصور في ربيع الثاني ٧٦٣ هـ / فبراير ١٣٦٢م أنظر (الاحاطة ٣/٢٩٨، المتن لوحة ٣٥).

[39] لعله يقصد أبا القاسم محمد بن قطبة الدوسي، وهو من غرناطة، فقيه كاتب شاعر، له ثلاثة أبناء منهم أبو بكر محمد الذي صاحب منصور بن عمر - السابق الذكر - في رحلته إلى المغرب. أنظر (- الاحاطة ٢/١٨٢، ٢٥٠ - ٢٥١، ٣/٣٩٩ - الكتيبة ص ٢٧٢).

[40] غساسة : مدينة تقع على البحر المتوسط غرب مليلية بنحو ٢٥ كلم، ولها ميناء، وقد اندثرت الآن. أنظر (- وصف إفريقيا ص ٢٦٦ - العبر ٦/١٠١ - الاستقصا ٣/١١٧).

[41] الايالة الزيانية : دولة بني عبد الواد، وهم من بطون زناتة قامت دولتهم على يد يغمراسن بن زيان سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٣٥م بالمغرب الأوسط، وكانت عاصمتها تلمسان. أنظر أخبارهم بتفصيل في (ابن خلدون أبو يحيى : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد - روضة النسرین ص ٤٤ - ٦٠).

[42] يرى : ودي الزند، خرجت ناره، ويقصد به هنا يحرض.

[43] وأنزمار بن عريف بن العربي السويدي، من أمراء سويد بشرق المغرب، كان حيا سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م. أنظر (العبر ٧/٥٧٠ - ازهار الرياض ١/٢٢٨).

[44] إفريقية : كانت تطلق على المغرب الأدنى (تونس حاليا).

[45] العصمة الفارسية : بعض المؤرخين ذكروا أن عامرا تزوج بنت الملك الحفصي التي تولى عنها أبو عنان فارس، بينما ابن خلدون اثبت أن المصاهرة تمت بين أبي الحسن والحفصيين فقط، وقد أشار الأستاذ المنوني إلى سفارة أبي زيان عريف بن يحيى السويدي إلى تونس عام ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م ليخطب بنت الملك الحفصي أبي يحيى للسلطان أبي الحسن. أنظر (- ابن إبراهيم : الاعلام ٤/٤١٦ - الاستقصا ٤/٤١٦ - العبر ٧/٢٦٧ - وزيقات المنوني ص ١٥٦ - ١٥٧).

[46] الكتيم : الجمل الذي لا يرغو.

[47] السرق : ج. سرقة بفتح السين والراء، القطعة من الحرير.

[48] القهارم : ج. قهرم أو قهرمان، وهو الوكيل.

[49] المهدي : يقصد المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية سنة ٥١٤هـ / ١١٢٠م. أنظر أخباره بتفصيل في (البيدق : أخبار المهدي بن تومرت ودياية الموحدين، الرباط ١٩٧١).

- الجبل : جبل درن، وهو الأطلس الكبير الذي انطلقت منه دعوة الموحدين، ويرى ابن الخطيب أن عامرا بحكم انتماؤه إلى قبيلة هنتاتة "مصمودة" التي تستوطن جبل درن ولكونه شيخها فهو وارث مجد الموحدين. أنظر (- ابن عبد الله : المعجم التاريخي ص ٩ - أواميل : الخطاب

التاريخي من ١٤٥ - ١٤٦).

[50] المتغلب على الأندلس : هو أبو عبد الله محمد السادس بن إسماعيل بن فرج بن نصر، ويعرف بأبي سعيد البرميخو، ابن عم محمد الخامس الغني بالله، ساعد إسماعيل على الثورة ضد أخيه الغني بالله، ثم قتله واستولى على ملك غرناطة في ٢٧ شعبان ٧٦١ هـ / ١٣ يوليو ١٣٦٠م، ولما استرجع الغني ملكه فر إلى قشتالة فقتله "Pedro el Cruel" بتاريخ ٢٠ جمادى الثانية ٧٦٣ هـ / ١٧ مارس ١٣٦٢م. أنظر (- الاحاطة ١/٥٢٣ - ٥٢٧، - اللوحة ص ١٢٨ - ١٢٩، - العبادي : فترة مضطربة في تاريخ غرناطة، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، ٧، (١٩٥٩)، ص ٤٣ - ٢٧).

[51] غلوة : مسافة تقدر بحوالي ٢١م.

[52] "إذا لم تكن إبل لمعزى" : صدر لبيت امرئ القيس عجزه :

"كان قرون جلتها العصي"، وهو من انصاف البيوت التي تجري مجرى المثل، ويقصد به، اقنع باليسير. أنظر (- ابن قتيبة : عيون الأخبار ٣/٣٢٢، - مجمع الأمثال ١/١٩٦ رقم ١٠٣٤).

[53] طويس : هو عيسى بن عبد الله أحد مغني الحجاز المشهورين في عهد الدولة الأموية، يضرب به المثل في الشؤم فيقال : "أشام من طويس". أنظر (- ابن خلكان : وفيات الاعيان ٣/١٧٣ - مجمع الأمثال ١/٢٥٨ رقم ١٣٦٦).

[54] علي بن كماشة. أنظر(ص ٤١/٣٧).

[55] أبو الحسن النباهي (٧١٣ - بعد ٧٩٢ هـ / ١٣١٣ - بعد ١٣٨٩م)، هو علي بن عبد الله بن محمد بن الحسن الجذامي المالقي، من قضاة غرناطة وأدبائها المشهورين. أنظر ترجمته ومصادرها في (الاعلام ٤/٢٠٦).

[56] كالي : سلفة.

[57] وما قلت الا بالذي علمت سعد، سبقت الإشارة إليه.

[58] المحدود : المنوع من الخير.

- الكل : بفتح الكاف وتشديد اللام، ثقل على صاحبه.

[59] يشير إلى واقعة طريف الشهيرة التي انهزم فيها أبو الحسن والجيش الغرناطي سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠م. أنظر (- العبر ٧/٢٦١).

L. Seco de Lucena, "La fecha de la batalla del Salado", Al-Andalus, XIX, (1954), pp. 228-231.

- إشارة إلى هزيمة أبي الحسن بالقيروان لما ثار عنه ابنه أبو عنان فارس سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م. أنظر (- ابن خلدون أبو يحيى : بغية الرواد ١/٣٧٢ - الاستقصا ٣/١٥٨).

[60] أغم القفا : كثير شعر القفا، وهو مذموم عند العرب.

[61] جيان (Jaèn) وهي مدينة شهيرة بالأندلس، تبعد عن غرناطة بمسافة ٩٧ كلم. أنظر (الخريطة).

- ابدة (Úbeda) وفي الروض المعطار بالذال معجمة، وهي مدينة صغيرة قرب النهر الكبير. أنظر (- معجم البلدان ١/٧٣ - الروض المعطار، نشر ليفي بروفنسال ص ١١ - الاحاطة ٤/٥٥١).

- بياسة : (Baeza) تقع على مرتفع مظل على النهر الكبير قريبا من أبدة. أنظر (- معجم البلدان ١ / ٤١٨ . - الروض المعطار، نشر ليفي بوفنسال ص ٥٧).
- مارتش : (Martos) حصن يقع جنوب غرب جيان بمسافة ١٧ كلم. أنظر (- جغرافية الأندلس وأوربا ص ١٢٦ . - ابن حيان : المقتبس ٥/٦٥).
- [62] ادرب : نخل إلى أرض العدو.
- [63] يقصد إسماعيل بن يوسف النصرى أخا الغني بالله (٧٤٠ - ٧٦١هـ/١٣٣٩ - ١٣٦٠م). أنظر ترجمته ومصادرها في (الاعلام ١/٣٢٨).
- [64] متع النهار : بلغ غاية ارتفاعه.
- [65] هينمة : كلام خفي لا يفهم.
- [66] انكفا ادراجة : رجع من حيث أتى، وهو اقتباس من المثل، "رجع ادراجة". أنظر (مجمع الأمثال ١/٢٩٥ رقم ١٥٥٨).
- [67] اللوق : يفتح الواو والراء، معناها الخسة.
- [68] عمر بن العجوز : أحد خدام الدولة المرينية. أنظر (العبر ٧/٥١٦).
- المسلمة : أو المسالة، وهم الذين اعتنقوا الإسلام حديثا من يهود أو نصارى. أنظر (لوزي ١/٦٧٩).
- القلب : المحتال.
- [69] إبراهيم بن أحمد البطروجي، من الرماة الأندلسيين، وقد كان قائدا لجند الرجل الأندلسيين في المغرب. أنظر (- النفاضة ٢/٣٣٢ . - الاستقصا ٤/٢٤ . - ابن عبد الله : الموسوعة المغربية ١/٨ . - المنوني "قطعة عن نشاط الرماية بالجنوب المغربي"، مجلة الباحث، ١، (١٩٧٣)، ص ١-٢٧).
- [70] مسعود بن رحو بن علي، كان وزيرا لأبي سالم، ثم تولى الوزارة في عهد أبي زيان، قتل سنة ٧٨٩هـ/١٣٨٧م. أنظر (- التعريف ص ١٢٠ . - روضة النسرین ص ٣١ - ٣٢ . - الاستقصا ٤/٤١).
- [71] تضمين للمثل : "منك أنفك وإن كان أجدع"، ويقال فيمن يلزمك خيره وشره. أنظر (- فصل المقال ص ٢١٧ . - زهر الأكم ١/٩٨)، - مجمع الأمثال ٢ / ٢٩٨ رقم ٤٠٠٧.
- [72] الاسفهلار : لقب من ألقاب أرياب السيف. أنظر (صبح الأعشى ٦/٧).
- [73] الصاحب : من ألقاب الوزراء، ويختص بأرياب الأقلام، انظر (صبح الأعشى ٦/١٦).

الفصل الثالث

«رحلة ابن الخطيب إلى هراكش»

فصل :

وكان خروجنا لمراكش يوم السبت الثالث والعشرين لربيع الآخر من العام [1]، والنزول بعين غبولة (١) [2]، في مضارب الأُنس والتشييع بأنعم ليلة أمر حلاوتها فراق الغد، ومضاضُ فطام الألفة، وتضمنت هذه الحركة رحلة لم تقع العناية باتصال أخراها بأولها، لكونها كانت خداجا [3]، إذ لم أَلَف لرقية العناية الإلهية جنا يصغي أو علة تشكى ولا حلت حيا يحفل بمن يذمُّ أو يُثني، أو يهدم أو يبني، ولا اجتليتُ مخيلةً / عن المروعة تُنبئ (٢) :

/42/

(واقر)

تَقَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَّهَ الْأَرْضَ مُغَيَّرٌ قَبِيحٌ [4]

والناس يمجون بين منتفخ سحره، سام لما يناله طرفه، وسائل من الذعر سلحُه، ومُصْنَعُ إِلَى نداء أول الحشر سمعه، وراعي بِهِمْ أُمَّتَهُ نفسه، وأمراء العرب (...) (٣) أبا المنوي، ومرمى عصي النوى، أسماء دون مُسْمَى، وألفاظ بلا معنى، وسباعٌ قد أخصبوا من سلب قومهم. وارتاشوا [5] من بحار عيصهم، وامتصوا (٤) عظام عشائهم، لا يرجعون فيها إلى سياسة ناظمة، ولا شريعة حاكمة، ولا عفافٍ وازع، ولا خوفٍ من الله رادع، يضطفون كراعهم للامتطاء، ونعاجهم للامتشاش، وحبوبهم للعلفة والترد، وسمنهم للاتدام (٥)، ويجلبون (٦) عليهم الضغط في قطعان الإثارة (٧) [6]، ومفترض (٨) الخراج وتقييل الإتاوة (٩)، فنراهم سكارى، والفرج حيارى، يترامون بأبوابهم شاكيةً جرحاهم إلى الغريان والرخم [7]، تنظر الأيم البادي هنا إلى سمل سترتها فوق ظهر وصيفة الشيخ، وإلى طحينها في قصعة ضيفه، وإلى نعتها الحبيبة (١٠) إلى فؤادها وكراعها مشاش فكى وليدته،

فلا تتمالك نفسها أن تسيل في جميل صراخها فلا تجلو زرافاتهن إلا الزيادة الذي يتقصّد [8] عصيه فوق المفارق والأنوف، وقد تأذن الله بنصر المظلوم، وإن طال المدى وتراخى طول الإملة، لا إله إلا هو.

فأنفت من اقتحام حدودهم التي لا تلوح بأعلامها هيبة الملك، ولا تخفق فوق سبلها ألوية الأمانة، واغتنتم ذنّب كبيرهم إلي، مبارك ابن ابراهيم بن عطية أمير عرب الخلط [9]، الرحب الوسيعة، الكثر الرماد، في مثل هذه السبل المذمومة، وقد تأخر عني لقاؤه وإصحاره بياض اليوم، يوم وصولي معتذرا / ببعض يقبل، وإن لم يتأخر طعامه وبره، فاتخذت الليل جملا [10]، وطير ثقاته إلي باستقالته من الهفوة واستعبابه، وتقدير عظيم موقع هذه النفرة على نفسه، وجنابيتها على عرضه، فلم يجدوا بي مغمزا، ولا في استرجاعي مطمعا، وعرضوا ما أضحبهم من ملاحظة، فسدت الألية سبيل قبولها، والله يعزنا بعز القنوع، وبيت أماننا عن غيره. ولحقت بسلا لأيام عشرة.

/43 /

وخطبت المقام السلطاني بما نصه (١١) :

(كامل)

أبقاك ظلًّا للعباد ومنجًّا وأعانك الرحمان من سلطان
قد زين الدنيا بنور جماله فلذاك ما يدعى أبا زيان

مولاي سلطان الإسلام، مختار الملك العالم، المستخلص رحمة لبلاد الله من أيدي عبدة (١٢) الأصنام، الذي أحسن الله خلقه (١٣) الزكي وخلقته، ورحم به خلقه (١٤)، وسوغه إرثه من وراء البحار الزاخرة، والأمم الكافرة، وأورثه حقه، المولى الهمام، الخليفة الإمام، أبو زيان ابن مولاي ولي العهد، وفارح هضبة المجد، المقدس، المطهر، المعلم بشيم الكرم المشهر، أبي عبد الرحمان ابن مولاي كبير الملوك وإمامها، وعلم أعلامها، الإمام الكبير، الخليفة الشهير، المعظم المقدس، أبي الحسن ابن موالينا الأئمة المهتدين، والخلفاء من بني مرين، أبقاه الله متمتعا بالملك الذي ألبسه خلقته، وشفق به غلته، وجعله في عقبه باقيا، وكان له فيه حافظا واقيا، عبدكم الذي أمن عنوان الدهر في ظلكم، ونشق نسيم الرحمة من جانب فضلكم، وتعرف من ضروب نعمكم الكريمة الأنواع والأجناس، واستضاء من حُبكم وطاعتكم بنور يمشي به في الناس [11]، ما أوجب أن يتمثل بقول أبي نواس [12] (١٥) :

(طويل)

عَلَقْتُ (١٦) بِجَبَلٍ مِنْ حِجَابِ مُحَمَّدٍ أَمِنْتُ بِهِ مِنْ طَارِقِ (١٧) الْحَدَثَانِ
تَقَطَّيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَليْسَ يِرَانِي (١٨)
فَلَوْ تَسَأَلُ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي لَمَا دَرْتُ (١٩) وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِي

يسلمُ على المقام المولويِّ سلام العبودية الثابتة الرسم، ويتطرح على تقبيل تراب ذلك البساط بالروح قبل الجسم، ويسأل الله لكم وفور الحظ من السعادة والقسم، ويطالع بأنه انصرف بنية الرحيل إلى مراكش، وأهم الأغراض : أن يلتص الدعاء لمقام مولاه من المشاهد المشهورة بقبول السؤال، المتكلفة ببلوغ الآمال.

فلما توسط "تامسنا" [13] شعر بالضعف عن الحركة، وأحس بأسباب المرض منفردة ومشاركة، فانكفا راجعا، مستعينا بالله وببركة المولى الذي عرفته رحمته، وغمرت (٢٠) في الظن والإقامة نعمته، خوفا من ألم يستحكم أو مرض يسدي في هذه البنية الضعيفة ويكحم [14]، ونرجو الله أن تقتضي لكم الدعاء من هذا الولي [15] الذي من الله بجواره، وجعله من بركات هذا البلد وأثاره، وإلى أن يتيح الله تعالى نشاطا مستأنفا للحركة التي كان قد أزمعها، ويسر الإعانة ويسوغ مشرعها. وقد كان للعبد عني برحلة تصف المراحل والمنازل، والهادي والنازل، مطرزة باسمكم السعيد، مشرفة [بذكركم الحميد، حسبما تتضمنه أفاذ بعث العبد شيئا (٢١)] من فصولها وفروعها وأصولها، تقرر أن الحركة والسكنة بالخدمة معمورة والنفس مسخرة في خدمة المولى - أيده الله - ومأمورة، وهو - جل وتعالى - المعين على لازم العبودية لخلافتكم (٢٢) المولوية. والسلام الكريم على مولاي ورحمة الله وبركاته.

من الرحلة المشار إليها (٢٣)

لما خفَّ عبد مقامه صحبة وفد طاعته، ومقدم سنه أمره العزيز وجماعته، باذلا في البدار / جهد استطاعته، طائرا بجناح الحب لأول أمر الإمكان وساعته، فرأى السرير قد استقل به عاصبه، والملك قد تقررت مناصبه (٢٤)، فأدى الفرض، وقرض فأحسن القرض، وعرض كتائب المدح فاستوعب العرض (٢٥)، وملأ بها الأرض، وصدر قافلا، وفي ثياب العز رافلا، واقتضى من إذنه في زيارة البلاد

المراكشية ما يُهدي لمن غاب (٣٦) خلال كماله، ويهني العباد بتمام الأمر ونُجج ماله، ويلتمس بركة الضريح [16] الذي يحسب الراغب بآماله، وظهر له أن يُدون (٣٧) رحلة وجهته المنسوبة إلى عناية أمره، ويفتق كمامة فخرها عن زهره، مستعينا بالله في سره وجهره. فقال :

"خرجنا من أم القرى، ومجمع الورى، وكعبة السير والسرى، مدينة قاس" دار الملك الأصيل، والعز المشرف التليل، حيث القصور البيض، والمك الطويل العريض، والأبواب المحروسة، والبساتين المغروسة، والمياه المتدفقة، والجنود المرتزقة [17]، والمباني العظيمة، والرباع المرتفعة (٣٨) عن القيمة، والدين والدنيا، من غير شرط ولا ثنيا، حرسها الله وكلاها، ووفر - وقد فعل - ملاها، نلتفت إلى معاهد السادة، وعلق الودادة، ومراقب أولى الإجادة (٣٩).

(طويل)

هُمُ أَسْكُونَا فِي ظِلَالِ بِيوتِهِمْ ظِلَالِ بِيوتِ أَدْنَاءِ وَأَكْنَتِ
أَبَوًا أَنْ يَمْلُونَا وَأَوْ أَنْ أَمْنَا تُلَاقِي الَّذِي لَا قُوَّةَ مِنَّا لَمَلَّتِ [18] (٣٠)

وشيعنا - ممن كرم ذمامه، وعرف بربع الوفاء إلامه - جملة من الصدور، والشموس والبدور، تذكرت عند وداعهم المهيج للشكاة، والمدامع المشتبكات (٣١)، قول شيخنا أبي البركات [19] (٣٢) :

(سريع)

يَا مَنْ إِذَا مَا رُمْتُ تَوَدِيْعُهُ وَدَعْتُ قَلْبِي قَبْلَ ذَاكَ الْوَدَاعِ
وَيْتٌ لَيْلَى سَاهِرًا حَائِرًا أَخَادِعُ النَّفْسِ بِيَغْضِ الْخِدَاعِ (٣٣)
يَا مِحْنَةَ النَّفْسِ لِمَالُوْفِهَا (٣٤) مِنْ أَجْلِهِ قَدْ جَاءَ هَذَا الصَّدَاعِ

/46

وكان المبيت بدشار البوير من أحوازها، دشار نشقت (٣٥) الطريق بلالة أهلها، وأعدم الله المروعة من فتاه وكهله، ومن الغد قطعنا المرحلة الأملية، والطريق الطاعمة الناهلة، حيث السهل الممدود، والماء الموجود (٣٦)، والجسور المحنية، والدشور السنينة، والآثار المرينية، إلى مدينة "مكناسة".

ومنها بعد كثير.

حتى إذا الشمس همت بتسلق (٣٧) الجدرات، وقادت أهلها إلى وراء الحجرات، وطفق عسجدها يذهبُ أُجَيْنَ الضحى، وموساها الموشية تحلق (٣٨) خذ

الأرض بعدما التحى، قمنا نستشعر التجلّد للبين وهو يفضح، ونُجمل حُكْمَ الوَجْدِ والدمعُ يَشْرَحُ، فودعنا الخليط المصاحب، وسلكنا الطريق غير اللاجب، وقد طبق ضباب، له على الأرض إكباب حَجَبَ الجِهات، ولابَسَ بين الأمهات [20]، فضللنا، لولا أن الله هدانا، وسرنا وقد ألحفنا السحاب وردأنا، والنبتُ قد أطلع ولدانا، ونواحل الطلول قد عادت بدانا، ثم إن مرآة الأفق جَلَّت الشمسُ (٢٩) صداها، وأتت كل نفس هداها، فَحَمَدت السُرَاة مَغْدَاها [21]، واقتحمنا الرَّمْل الذي أخرج الله مرعاه، وحشَرَ البَهِم فحضرت مدعاه، ما بين خيام، ورعاة غير لثام، وبيوت شعر، ومعاطن ويعر (٤٠)، وغنم قَلَمَتْ [22] بها الأرض، ويَقَر ضاق بها الطول والعرض، وعجائز يَسْنَنُ من المخيض، مَهْدِيَةٌ قَرَبَ المخيض، وقد اضطربت في الفحص الأفيح محلة الساعي، ناجحةً منه المساعي، فالأنواد تعدُّ، والقطائعُ تمتدُّ، والعاملون عليهم حُجَّتْهُمْ لا تُرْدُ ، ولم تكد الشمسُ تقتعد سنام خط الزوال، وتسدل من رؤس القوائم [نواثِبَ الظلال، حَتَّى نزلنا بعين الشعراء، وانتبذنا عن] (٤١) حصنه إلى العراء / حِصْنٌ مثْلوم (٤٢) مهذوم، موجود الأُنس به معدوم، إلا أنه كثير الوقود، ومناخ مقصود، ومعدن الحديد، وباب الوطن العريض المديد، خيمنا بظاهره خيفة برغوئه، ولم نخف من سباعه التي تزار حولنا وليوئته، فكانت الوقاية النادرة، وأمنت - والمن لله - الباردة، وبلونا من وليه ميرة، وما فقدنا من اللطف منقال ذرة.

/47/

وعند الصباح شرعنا في الارتحال، وعَيْنُ الشمس بِمَرَه [23] الضباب مفتقرة إلى الاكتحال، فسلكنا (٤٣) خندق هارون، فحص خراز، ومأزق براز ومظان احتراز، إلى دشار مَكُول [24]، وهو إلى الفناء موكول، وبرجل الخراب من الأعراب مَكُول، ولما رأينا جنابه غير مائوس، وقد امتاز بلبوس البوس، جَزَنَاهُ إلى "ماغوس" [25]، دشار الزاوية، ومركز الخطوط المتوازية (٤٤)، ومناخ الرفق السارية، وحاضرة تامسنا، حيث مجلس قاضيها، وتشاجر ساخطها وراضيها، وحمام متوضيها، دشار كبير، يَأْكُل من هُرْبِي ويشرب من بِير [26]، فَقَد النُّضارة، وعدم مرافق الحضارة، إلا أنه على الإختزان (٤٥) أمين، ولحفظ الحبوب ضمين، ما لم تَعَثْ شمال للفساد ويمين، فاتخذ (٤٦) به مسجد، شان النقص من مناره، لقصور [درهمه و] (٤٧) دينار، فمَنْظَره شنيع (٤٨)، وحماه غير منيع، بتنا في كَنَفِ شاهده العدل، فصم عن العَدْل، وترَفَع عن خَلْقِ البديل، إلى خلق أولي البَدَل.

وأنشدته من الغد :

(بسيط)

ماذا لقينا بماغوس من اللُقط
ومن رداء ماء لا يسوغ لنا
ومن لفات حوائنا مزيرة
جرداء لا شجرات يُستظل بها
منارها قعد البائسي بنصبتيه
كأنه فيشة جاؤوا لقلفتها
لكن فاضل ككتاب الشروط بها
أحيا بها الأنس بعد وحشتها

/48 /

ليلاً ومن هرج (٤٩) الأحراس والشراط
شراب جرعته إلا على شطط
كأننا في بلاد (٥٠) الرنج والتبسط
ولا أنيس يريح النفس من قنط
فلا تشير إليه عين (٥١) مفتبط
بخاتن قط منها النصف عن غلط
يحيى أيرفتى للفضل مشتراط
وناب عن جملة (٥٢) من ذلك النمط

ورحلنا من الغد عن شكر لقراه، وصرف الركب إلى محلة "سفيان" سراه،
فسرنا نوم حلة سفيان [27]، وتترك الخبر إلى العيان ونجوس خلال البهم وملاعب
الريان، بين خيام قد استدارت كالوذائل، واشتملت على الولاند والعائل، ودشر
ركبت الهضاب بأخصاصها (٥٣)، وملأت الوهاد ببهمها وقلاصها، يسبح أهلها
باللبن الحامض بعدما نزع جبنه وزبدته، وترجع للراغب فيه زهده، ووجدنا الطاعون
في بيوتهم قد نزل، واحتجز منهم الكثير إلى القبور واعتزل، وبقر وبزل، واحتجز
واختزل، فلا تبصر إلا ميتا يخرج، وكميئاً إلى جنازة يسرج، وصراخا يرفع، وعويلا
حيث لا ينفع، ففعلنا الهجوم، وألفنا الوجوم، وتراوغنا عن العمران، وسألنا الله
السلامة من معرفة ذلك القران، وركضنا نبعي الحاق بالبروج [28] حيث مخيم
شيخ تلك القبيلة، ونوم المبيت بالمنزلة غير الويلة، وقلت :

(سريع)

ترى لهذا السير من منتهى
قالوا: تريد البرج (٥٤) قلت: أرجعوا
بناءً أعضائي به قد وهى
عن سهوكم قد جزت برج السها

فزالت الشمس ومالت، ثم انهالت (٥٥) وانهارت، في حجر المغرب وانهاالت،
ويعد لأي ما بلغنا، ومن الكل فرغنا، ومنحة الراحة تسوغنا، ونزلنا بإزاء خيام،
استدارت في سنام (٥٦)، قد اشتبكت حبالها / وتراصت جبالها، مدائن دورها
شعر، ووقودها بعر، وسورها سدر، ويقلها لا يخلو منه قدر، قد جاورت بركا ريانة،
ومنازل بالأم ملائنة، ومروجا مرقومة الطرد، ويطاحا مفضوضة الصرد، وبادر
الشيخ فرحب، وتبسط وتسحب، رجل قد اكتمل، وعلى الوخط قد اشتمل، تدل منه
المنايشة على نبل تحت جهامة، وتنشق منه كمامة الفهامة (٥٧) [29] عن فهامة،
ولم يقصر عن طعام نظيف، واحتقال مضييف، وركب لوداعنا في مركب لجب (٥٨)،

/49 /

وبر غير مُحْتَجِزٍ ولا مُحْتَجِبٍ، وسأل (٥٩) عن الطَّيَّةِ، ومناخ المطيَّةِ، قلنا : المنزل الأثير، من حلة (٦٠) أبي كثير، فهو من محركات الرحلة، وأصح مذهب تلك النحلة، فوكل بلحظنا عينه، وقسم المرحلة بيننا وبينه، ونزلنا مرحلة مهدي بن موسى، وقد امتدَّت إليها أنامل اليوسى، فانتبذنا عن جوارها، وأصْحَرْنَا عن قورة دوارها، ولم يجد صاحبها فينا (٦١) مرغوباً لجوده الذي بذله، ولا قَبُولاً لقراه الذي عجله، واجتنبناه اجتناباً ما أخجله، وبتنا في وقاية ضفا جناحها، إلى أن اشتعل في فحمة الليل صباحها، فركضنا تحت رواق ضباب سائر، ورذاذ له مستأثر (٦٢)، لم تزل الشمس ترشفه، والرياح تستكشفه، حتى تقشع، وبان الأهل من البلقع، فتعرفنا في بعض طريقنا أن أبا مثنانا، ومأم (٦٣) نوانا (٦٤) يجمع بيننا وبينه الطريق، ويلتقي بالفريق الفريق، لجمع بين العرب معقود، ورأي مشهود، فقلنا : تحجيل اجتماع، وحظ أبصار بعد أسمع، ومزيد استكثار بأبي كثير واستمتاع، وعلى بريد [30] تراءت الخيل تسيل الأباطح بأعرافها، وتأخذ الأجواء (٦٥) بأطرافها، وخالفت بيننا بنايات الطرق باشتباهها، فنزلنا ببعض تلك الجهات على مياهها.

وخاطبته بما نصه (٦٦) :

(طويل)
مُبَارِكٌ مَا قَدِمْتُ سَفِيَانَ رَغْبَةً وَلَا خَوْفَ تَقْصِيرٍ وَلَا سَوْءَ سَيْرَةٍ
وَمَا نَظَرَةً مَنِّي إِلَيْكَ أَعْدُهُمَا سَوَى مَنَّةٍ لَّكَ فِي كَبِيرَةٍ
وَإِنْ كَانَ مَنْ لَاقَيْتَ دُونَكَ أَنْجُمًا فَانْتِ عَلَى التَّحْقِيقِ شَمْسٌ مُنِيرَةٍ
[وَرُبُّ صَلَاةٍ قَدِمَ النَّقْلُ قَبْلَهَا وَتَشْرَبُ قَبْلَ الثَّرِيدِ حَرِيرَةٌ] (٦٧)

ثم كان النزول بالزاوية، حيث قبر زمام، وأبي زمام، ورعي واهتمام، دشار وجدناه - والحمد لله - مختوما على صحة، مججوبا عن خطوب حواليه ملحة، رجب بنا أهله، وأسهل إلينا رجه وسهله، واقتدى فينا بمذهب الشيخ فتاه وكهله، ولما أصبحنا (٦٨) بكرنا محلته الأهله، وذكرنا والشيخ يذكر بأهله (٦٩)، ونظرنا إلى خيام وحلل، وجديد وطلل (٧٠)، ومبارك ومعاطن، ومعاهد ومواطن، ومسكن يعرف إصابة (٧١) قاطن، تيط أفوران [31]، وما أدراك ما تيط، حيث الجناب الغبيط، والنشر (٧٢) والبسيط، والبحر المحيط، تفجرت للزلال بها عين، كما سال لُجَيْن، أو صَقَلْ صفحة السيف قَيْن، وتسئم ذروه البيوت منها قصر مشيد، أتلع منه جيد، وأغري به تحكيم وتنجيد، ودارت البيوت، كما نسج العنكبوت، واتجهت إليه الطرق والسمرت، وعج بإزائه السوق، وبان من فخر ساكنه البسوق. وقلت :

(وافر)

بأخْتِ الرُّكْنِ والبَلَدِ الحَرَامِ
غَنِيٍّ بِالْفِعَالِ عَنِ الكَلَامِ
بِوَيْتِ الخَيْلِ والنَّعْمِ الجِسَامِ
وتَفَرُّشِهَا الوَلَانِدُ بِالطَّعَامِ (٧٢)

نَزَلْنَا حَلَّةَ الخَلْطِ الكِرَامِ
وَمَنْ يَكُ مِنْ ضَيُوفِ أَبِي كَثِيرٍ
وَأَنْ بِيوتَهُ لَكَمَا سَمِعْنَا
تُظَلِّلُهَا الفَوَارِسُ بالعَوَالِي

ونظمت أثناء هذه المراحل كلمة في مخاطبة عامر بن محمد بن علي لتكون

تحفة / قدومي عليه، وهي (٧٤) :

(طويل)

سَمَّحَتْ لَهَا بِالذَّمْعِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ
نَاوًا بِالذِّي أُسَارَتْهُ مِنْ تَجَلُّدِ (٧٦)
إِذَا لَمْ تَحْنِ (٧٧) مِنْ بَعْدِهِمْ فَكُنَّ قَدِ
وَأَثْبَاجِ بَحْرِ زَاخِرِ اللُّجِّ مُزِيدِ
وَلَا وَاقِفِ بِالرَّبِيعِ وَقَفَّةً مَكْمَدِ
فَعِيَتْ جَوَابَا بَعْدَ طَوِيلِ تَرْدِ
وَمُسْتَنْجِدِ مِنْ ضَرِّهِ غَيْرِ مُنْجِدِ
إِذَا مَا وَنَتْ رِيحَ الزَّفِيرِ المُصْعَدِ
فَإِنْ شِئْتَ فَلتُثْقَلِ وَإِنْ شِئْتَ فَارْزُدِ
لِنَكَرَائِهَا مَاضٍ مَضَاءِ المَهْنَدِ
وَأِنْ هِيَ ضَلَّتْ لَمْ يَقْدَمَا بِمَقْوَدِ
وَأِنْ كَانَ مُعْتَدًّا بِهِ ضَرٌّ مُعْتَدِي
وَلَا تَتْرَكْنَ يَوْمَ السَّرُورِ إِلَى غَدِ
وَكُنْ لِنِوَالِ اللّهِ مُتَبَسِّطَ السِّيدِ
فَلَذِّ بِحَمِيٍّ مِنْ عَامِرِ بْنِ مُحَمَّدِ
وَخَيْرَةِ أَصْحَابِ الإِمَامِ المُوحِّدِ
وَبَعْدَ أَبِيهِ مِنْ كَوَكَبِ مُتَوَقِّدِ
فَمَا هُوَ (٧٨) بِالمُصْغِي لِقَوْلِ المِفْتَدِ
تُنَاسِبُ خَلْقَ النَّاسِكِ المُتَعَبِّدِ (٨٠)
إِذَا اشْتَقَلَّ الأَقْوَامُ (٨١) بِاللَّهُوِ وَالدُّدِ [33]

أَهَاجَتِكَ (٧٥) نَذَرِي مِنْ خَلِيطٍ وَمَعَهْدِ
وَعَادِكَ عِيدٍ مِنْ تَدَكَّرِ جِيْرَةِ
حَنَانِيكَ فِي نَفْسِ شِعَاعٍ وَمُهْجَةِ
فَكَمْ لَوْنِهِمْ مِنْ مَهْمَةٍ وَمَفَازَةِ
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ يَوْمِكَ عَاشِقُ
وَلَا سَأَلَ الأَطْلَالَ بَعْدَ قَطِينِهَا
وَمُسْتَنْصِرٍ مِنْ دَمْعِهِ غَيْرُ نَاصِرِ
سَوِيٍّ عِبْرَةٍ تَحْدُو ثِقَالَ سَحَابِهَا
أَسَى النَّفْسِ لَا يَقْوَى عَلَى رَدِّ فَائِتِ
وَمَا رَجُلٌ الدُّنْيَا سَوِيٍّ مُتَفَطِّنُ
إِذَا أَقْبَلَتْ بِالخَيْرِ لَمْ تَسْتَفْزِهِ
فَلَا تَقْنِ مَا يَجْنِي عَلَيْكَ ذَهَابَهُ
وَخُذْ مَا بِهِ جَادَ الزَّمَانُ مُسَامِحاً
وَسِرْ فِي مِرَاحِ اللّهِ مُقْتَصِرِ الخَطِي
وَإِنْ رَاعَ دَهْرٌ أَوْ تَنَكَّرَ حَسَادِ
فَتَى الحَيِّ مِنْ هَتَاتَةِ [32] جِيْرَةِ الهُدَى
وَكَوَكَبِ أَفْقِ العَرَبِ لَمْ يَبْثِقْ بَعْدَهُ
رَحِيْبِ (٧٨) مَجَالِ الفَضْلِ يَكْلَفُ بِالعَلَى
وَيَطْوِي بَرُودَ المُلْكِ فَوْقَ خِلَانِيْقِ
وَمُسْتَفْتِلِ بِالصَّرْمِ يَقْدَحُ زَنْدَهُ

/ 52 /

وضافي لباس المجد بالفضل مكس
 وتحتل الركبان طيب حديثه
 ومرقب الإقبال في كل وجهة
 فوالله ما ندري أيمن نقيبة
 تسام (٨٢) به الأقطار بعد اضطرابها (٨٣)
 له جبل (٨٥) في ملتقى الماء (٨٦) عاصم
 ورأي إذا ما جهزت عنه راية
 يرى الأمر في أعجازه وصنوده
 أليس من القوم الذين علام
 ماثرهم في الدين غير خفية
 خلافت عبد المؤمن [36] الملك الذي
 ودوخ أكناف البسيطة بغيره
 وأبناؤه من بعده أعملوا الظبي
 فسئل إن أردت الأزل [37] إذ غصت الربى
 فمن ذا له كالقوم إن شئت في ندي
 لئن زينوا الدنيا بزهر وجوههم
 وأبقوا ثناء عاطراً فكأنما
 أبا ثابت لزال سعدك ثابتاً
 ولازلت قطبا تستدير به العلى
 رفعت بناء الملك لما تمايلت
 وأصرخته لما دعاك على النوى
 بكل صقيل المتن سال خليجة
 يري بنحول (٨١) الحد شيمة عاشق
 وملتفت عن أزرق (٩٣) اللحظ قد حكي
 شكا مره الألاحظ في حومة الوغى
 وكل شهير (٩٤) العتق أشرف جیده
 تائق عن برقي الدجئة كغما
 إذا ما تقنى بالصهيل مرجعاً (*)
 وجددت نصر الجد في ابن ابنه الذي
 ولم تات بدعاً في الوفاء (٩٥) وإنما
 ويأبى لك المجد الذي أنت أهله

وبالفخر معتم وبالحمد مرتد
 قياتيك بالأخبار من لم تزود [34]
 وأمر للصنيع الجميل معود
 ترف عليه أم سعادة مؤلد
 وتدنى به الأوطار (٨١) بعد تبعد
 يناول من يحتله النجم باليد
 كفى سعداً عن كل جند مجند
 بعين البصير الأعمى [35] المسدد
 مخدة واستشهد الكتب تشهد
 فهم كالنجوم الزاهرات لمهند
 بسر من المهدي قد كان يهتدي
 وأعلن بالتوحيد في كل مسجد
 وأمضوا (٨٨) سيوف الله في كل ملحد
 بكل عميد بالرغام مؤسد
 وبأس وفي فضل وفي صدق مشهد
 لقد زينوا بالذكر كل مجلد
 نسيم الصبا هبت على الزهر الندي
 وجودك يروي وردة غلة الصدي
 كما دارت الأفلاك حول المحدد [38]
 دعائم فوق الأساس الموطد
 وواصل ترجيع النداء المرود
 ولكن حكم الله (٨٩) قال له : أجمد (٩٠)
 ويكذب دعواه (٩٢) بخد مؤرد
 به العلق المحمر مقاة أرمبد
 فوفاه ملتف الغبار بأتمد
 وقام على ملمومة من زبرجد
 تبسم في قطع من الليل أريد
 سمعت به صوت الغريض ومعبد [39]
 رعيت له حق الذمام المؤكد
 شفعت الذي أسلفت في القوم من يد
 على الدهر إلا أن تتم ما بددي (٩٦)

وَعَدَتْ يَجْرُ الْمَلِكُ خَلْفَكَ ذِيالْهُ
 وَيَعْتَدُ مِنْكَ الْمَلِكُ وَالِدَيْنُ وَالِدُنَا (١٧)
 وَسَوْغَكَ الْعَقْدُ السَّعِيدُ مَسْرَةً
 شَدَّدَتْ بِصَهْرِ الْمَلِكِ أَرْزُ مَجَادَةَ
 وَمَثْلُكَ مَنْ يَرْمِي بِهَيْمَتِهِ الْعُلَى
 وَيُحْيِي مِنَ التَّوْحِيدِ رَسْمًا يُعِيدُهُ
 عَقْلُهُ مَلِكٌ فُرِزَتْ مِنْهَا بَطَانِلُ
 يَزِدُّ عَلَيْهَا هَوْدَجُ الْمَلِكِ هَائِلَةٌ
 فَلَوْ أَنْصَفْتَ فَوْقَ الْعِيُونَ ابْتِغَاءً لَهَا
 وَفِي نَسَبَةِ الْأَشْيَاءِ يَظْهَرُ حُسْنُهَا
 فَهَذَاكَ اللَّهَ الْإِيَابَ وَلَا انْقَضَتْ
 وَقَابِلُ صَنِيعِ اللَّهِ فِيكَ بِشُكْرِهِ
 فِيهَا هُضْبَةُ الْعَلِيَا وَيَا مُزْنَةَ النَّدَى
 وَيَا عِدَّةَ الْمَلِكِ الْمَرِينِيِّ كَلِمَا اسْتَنْ
 رَكَضَتْ إِلَيْكَ الْجُرْدُ أَفْلِي بِهَا الْفَلَا
 يَطِيرُ بِهَا الشُّوقُ الْحَيْثُ فَيَنْبِرِي
 وَلَوْ هَاجَ عَزْمِي مِنْ سِوَاكَ وَصَاحَ بِي
 وَمَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ أَنْالَ ذُرِيَعَةً
 وَأَقْتَحِمُ الْأَخْطَارَ (١٠٣) وَالْأَرْضُ تَلْتَضِي
 وَأَوْ أَنْ شَمْسَ الْجَوِّ أَوْ قَمَرَ الدُّجَى
 وَلَكِنَّهُ وَدَّ حُسْنُنُ تَخْيِيرِ
 [جَعَلْتِكَ بَيْنَ النَّاسِ حَظِي الَّذِي سَمِعْتُ
 وَحَرَكُ عَزْمِي أَنْ أَزُورَكَ قَاصِدًا (١٠٨)
 لِيُخَلِّصَ تَأْمِيلِي إِلَيْكَ وَوَجْهَتِي
 فَلَا تَنْسَ لِي هَذَا الذَّمَامَ فَإِنَّهُ
 أَجَارَ (١١٠) عِلَاكَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ حَادِثٍ
 وَأَحْيَا أَبَا يَحْيَى لِعَيْنِكَ قُرَّةً
 مُؤَمَّلَ أَيْنَانِي وَمُظْهِرَ دَعْوَتِي
 وَلَا زَلْتُ تَجْنِي كَلِمَا اشْتَجَرِ (١١٣) الْوَفَى
 وَكَثْرَ مَنْ حَسَادِكَ اللَّهُ إِنَّهُ

/55 /

وَفِي حُكْمِ الْعَلِيَا تَبْرُوحُ وَتَفْتَدِي
 بِكَافِي النُّوَاهِسِي الْهَمَامِ الْمُؤَيَّدِ
 وَهَذَاكَ (١٠٨) الْإِمْلَاكَ أَعَذَّبَ مُؤَيَّدِ
 تَوَارَثَتْهَا عَنْ أَوْحَدٍ بَعْدَ أَوْحَدٍ
 وَيَرْفَعُ أَعْلَامَ الثَّنَاءِ الْمَجْدِدِ
 لَخَيْرِ اجْتِمَاعِ الشَّمْلِ بَعْدَ تَبَدُّدِ
 عَزِيذِ عَلَى نَفْسِ الْكَرِيمِ الْمَجِيدِ (١١٠)
 يَدُورُ عَلَيْهَا كُلُّ غَفْرٍ وَفَرْقَدِ [40]
 طَرِيقًا فَتَمْشِي مِثْلَ (١٠٠) صَرْحِ مَمْرِدِ
 مُوَحَّدَةٍ زُقَّتْ لَخَيْرِ مُوَحَّدِ
 سَعُودِكَ تَتَرَى بَيْنَ مَنْثَى وَمَوْحَدِ
 وَرَاقِبُهُ حَالِ السَّرِّ وَالْجَهْرِ تُسَعِدِ (١٠١)
 وَيَا مَفْخَرَ الدُّنْيَا وَيَا قَمَرَ النَّدَى
 تَجَارَ بِهِ فِي الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَالغَدِ
 وَأَذْرَعُ مِنْهَا قَدَقْدًا بَعْدَ قَدَقْدِ [41]
 لِمَثْوَاكَ مِنْهَا كُلِّ سَهْمٍ مُسَدِّدِ
 لَأَثَرْتُ سِيمَا الْعَاجِزِ الْمَتَلَبِّدِ
 أَكْدُ لَهَا نَفْسِي وَأَبْعَدُ (١٠٢) مَقْصَدِي
 وَأَلْتَهِمُ الْأَقْطَارَ (١٠٤) وَالْحَوْصُ تَعْتَدِي (١٠٥)
 يَعُودَانِ لِي هُضْبِي لُجَيْنِ (١٠٦) وَعَسْجِدِ
 قَضَى لَكَ مِنِّي بِالثَّنَاءِ الْمُخَلَّدِ
 لِإِحْرَازِهِ نَفْسِي وَطَبْعِي مُنْجِدِي [١٠٧]
 عَلَى فَرَشِ الْعِزِّ الْأَصِيلِ الْمَجْدِدِ
 وَيَبْرَأُ عَزْمِي عَنْ (١٠٩) سِوَاكَ وَمَقْصَدِي
 لَخَيْرِ ذِمَامٍ قَدْ وَصَلْتُ بِهِ يَدِي
 وَلَا زَلْتُ فِي سَعْدِ عَلَى الدَّهْرِ مُسَعِدِ
 قَرِيْعِكَ فِي حَزْمٍ وَحَلْمِ (١١١) وَسَوْدِدِ
 وَأَوْلَا اتَّقَانِي عَتْبَهُ قَلْتُ : سَيِّدِي
 جَنَى النَّصْرِ مِنْ غَرَسِ الْقَنَا الْمُنْقَصِدِ
 إِنَّ اللَّهَ أَنْمَى خَيْرَهُ لَكَ تُحْسَدِ

ومن المنظوم والمنثور الصادرين لهذا العهد وقد توسطت بحر "تامسنا" :

(طويل)

كأنا بتامسنا نجوسُ خِلالَها وممدودنا في سِيره (١١٤) ليسَ يقصُرُ
مراكب في البحر المحيط تخبطت ولا جهة تُدرى ولا برُّ يُنصِرُ

وقولي وكان القصد أن تثبت في الرحلة عند اطلال المنار بالمرحلة القريبة
من "مراكش" (١١٥) :

(بسيط)

ماذا أحدثُ عن بحرٍ سبختُ به حدثُ عن البحر لا إثم ولا حرجُ
لحاهُ مبدعُ الأشياءِ مستويًا ما إن (١١٦) به دركٌ كالأول ولا درجُ
حتى إذا ما المنار [42] الفردُ لاح لنا صحتُ : ابشري يا مطايا جأك الفرجُ
قريتُ من عامرٍ داراً ومنزلتُ والشاهدُ العدلُ هذا الطيبُ والأرجُ
وقلت في وصف بيوت الشعر :

(طويل)

ترى حللَ الأعراب في رؤية العين إذا ما لتشبيهه جئحت بلا مين
نسيج شباك العنكبوت بمطبخ وإلا فكأخفأش مد الجناحين

وقلت في بعض الليالي عندما اشتد القحط (١١٧) :

(بسيط)

بتنا نناقل (١١٨) هم القحط ليلتنا وأيد المهذ (١١٩) والكرب البراغيثا
وكان يحمل ما بتنا نكأيدهُ من المشقة لو أن البراغيثا [43]

وقلت قبل ذلك في قريب من المعنى (١٢٠) :

(طويل)

وقالوا : بدت منكم على الجلد حمرة فقلنا : براغيث لكم رقطونا
عدت نحونا ليلاً ومن بعد ذا اغتدت (١٢١) كما رقصت في القلوب بز رقطونا [44]

وقلت وقد نظرت إلى خمول أسوار "مكناسة" وكثرة قدر سِكَها، وكلا
الأميرين لا شيء فوقه :

(منسرح)

أسوارٌ مكناسيةٌ مرقمةٌ كأنها من ثياب أهليها
دورٌ خرابٌ على إحصارٍ خرا تناسبت خالها بمن فيها

وحضرتني شيء من ريحان أرض 'سلا'، وهو ريحان بوجه، فقلت (١٢٢) :

/57 /

(سريع)

أهل سلا صاحت بكم صاحنة غادية ما بينكم رائحة
كفاكم يا عود أنكم ريحانكم ليست له رائحة

وتعرفت في العشر الوسط لجمادى من هذا العام 'سلا' أن الوزير مدبر
الدولة [45] تلعب بين يديه بنارنج، فأصابت وجهه منها واحدة أثرت فيما حول
عينيه، فخاطبته بما نصه (١٢٣) :

(طويل)

أيا عمر العدل الذي مطل المدى بوعد الهدى حتى وقيت بدينه
ويا صارم الملك الذي يستعده لدفع عداه أو لمجسس زينه
هنت عينك اليقظي من الله عصمة كفت وجه دين الله موقع شينه
وهل أنت إلا الملك والدين والدنا ولا يكبس الحق المبين بمينه
إذا نال منك العين ضر فإنما أصيب به الإسلام في عين عينه

الوزير الذي هو للدين الوزد الواقى، والعلم السامى المراقب والمراقى،
والحلى المقلد فوق الترائب والتراقي، والكنز المؤمل والأخر الباقي، حجب الله
العيون عن عين كمالك، وصير الفلك الدوار مطية أمالك، وجعل اتفاق (١٢٤) اليمن
مقرونا بيمينك وانتظام الشمل معقودا بشمالك.

اعلم أن المعظم لسان الثناء على مجدك، والمستضيء على البعد بنور
سعدك، والمعقود (١٢٦) الرجاء بعروة وعدك، لا يزال في كل ساعة يسحب الفلك
[فيه] ذليها، / ويعاقب يومها وليلها، مصفى الأذن إلى نيا يهدي عنك لله دفاعا، أو
يمد في ميدان سعدك باعاً، فانت اليوم النصير على الدهر الظلوم، وأسى الكلوم،
وذو المقام المعلوم، فتعرفت أن بعض ما يتلاعب به بين يدي السادة والخدام،
وتتفكك به المثاقفة والأقدام (١٢٠) [46]، من كرة مرسلة الشهاب، أو نارنجة ظهر
عليها من اسمها صبغة الالتهاب، حوت حول عينك لأكدر صفاؤها، ولا عديم (١٢١)

/58 /

فوق مهاد الدعة والأمن إغفاؤها، فرعت حول حماها، ورامت أن تُصيب فخبب الله مرماها.

(طويل)

نرى السوء مما نتقى فنهابه وما لا نرى مما بقي الله أكثر [47]

قلت : مكروه أخطأ سهمه (١٢٢)، وتنبه من الله لمن نبه عقله وفهمه، ودفاع قام دليته، وسعد أشرف تليله (١٢٣)، وأيام أعربت عن إقبالها، وعصمة غطت سريالها، وجوارح جعل الله الملائكة تحرسها، فلا تغتالها الحوادث، ولا تفترسها، والفتن يشعر بالشيء وإن جهل أسبابه، والصوفي يسمع من الكون جوابه، فبادرت [أهنته] (١٢٤) تهنئة من يرى تلك الجوارح الكريمة أعز عليه من جوارحه، ويرسل طير الشكر لله في مساقط اللطف [الخفي] (١٢٥) ومسارحه، وسألته - سبحانه - أن يجعلك عن التوانب حجرا لا يقرب، وربع ريعا لا يخرب، ما سبحت الحوت ودبت (١٢٦) العقرب، ثم إنني شفعت الهناء ووترته، وأظهرت السرور فما سترته، بما سنأه الله لتديريك من مسالمة تكذب الإرجاف، [وتغني عن الإيجاف] (١٢٧)، وتخصب الآمال العجاف، وتزيح الكيد (١٢٨)، وتفرغ إلى محاولة (١٢٩) عمرو وزيد، وكان بسعدك قد سدل الأمان، وعدل الزمان، وأصلح الفاسد، ونفق الكاسد، وقهر الروح المستاسد، وسر الحبيب وساء الحاسد. والسلام.

وصدر لهذا العهد عني موضوعٌ سميتُه : "الإشارة إلى أدب الوزارة" [48] مقول لألسنة (١٤١) الحيوان، ككتاب "دمنة وكليلة"، / صغير الحجم، كثير الفائدة، غريب المأخذ، حرك إليه المجلس في هذا المعنى، والحمد لله.

هوامش الفصل الثالث

- (١) م : غيولا وصحته غيولا أو غيولة.
- (٢) م : محيت نقطتا التاء من لفظة تنبي.
- (٣) بياض بالأصل.
- (٤) م : وامنطوا، وهو تحريف.
- (٥) الأنسب قراعتها للاندغام.
- (٦) م : ويحيلون.
- (٧) م : الاتاوة، وهو تحريف.
- (٨) م : الاتارة، صحته ما أثبتنا.
- (٩) م : مفتراض.
- (١٠) م : الحبلية، وهو تحريف، يمكن قراعتها الحبية.
- (١١) ثبتت هذه الرسالة في ريحانة الاسكوريال، ل ٢١٤، ٢١٥، وفي ط. القاهرة ٢/٢٢٤، ٢٢٥.
- (١٢) ر ٢١٤ و : عباد.
- ما بين (١٣ - ١٤) ساقط من ر.
- (١٥) أنظر الأبيات في ديوان أبي نواس ص ٥٣٨.
- (١٦) الديوان : أخذت.
- (١٧) الديوان : نائب.
- (١٨) م : تران، تصويبه من الديوان.
- (١٩) م : مادرت، وهو تحريف.
- (٢٠) م : عمرت، وهو تصحيف.
- (٢١) زيادة من ر ٢١٥ ظ.
- (٢٢) ر : لجلالتكم.
- (٢٣) ورد في ريحانة الاسكوريال : ٢٢٧ - ٢٢٩، وفي ط. القاهرة ٢/٢٦٤ - ٢٧٠.
- (٢٤) م : منصابه، والأصح ما أثبتناه من ر ٢٢٧ ظ.
- (٢٥) م : الفرض.
- (٢٦) ر ٢٢٧ و : ما بيدي لمن ناب.
- (٢٧) م : يبور، وهو تحريف.
- (٢٨) ر : المترفعة.
- (٢٩) ثبت البيتان في معيار الإختيار ص ٤٧.
- (٣٠) م : الملت، وهو تحريف.
- (٣١) م : المستكات، تصويبه من ر ٢٢٧ و.
- (٣٢) وردت الأبيات في الكتيبة الكامنة ص ١٢٧.
- (٣٣) الكتيبة : فاترك التوديع عمدا لكي أعلل النفس ببعض الخداع.
- (٣٤) م : لما بها، تصويبه من الكتيبة.
- (٣٥) م : نسفت، وهو تصحيف.

- (٣٦) ر ٢٢٧ و : المورد.
- (٣٧) م : تملق، تصويبه من ر.
- (٣٨) ر : تجلو.
- (٣٩) ر : الفزالة.
- (٤٠) ر : ويقر.
- (٤١) زيادة من ر ٢٢٨ ظ.
- (٤٢) ر : ملثوم، والمتن أصح.
- (٤٣) م : فملكنا، وهو تحريف.
- (٤٤) ر : المتساوية.
- (٤٥) م : الاخترار، تصويبه من ر ٢٢٨ ظ.
- (٤٦) ر : قد اتخذ.
- (٤٧) زيادة من ر .
- (٤٨) م : سنيح.
- (٤٩) ر : حرس.
- (٥٠) ر : ببلاد.
- (٥١) ر : كف.
- (٥٢) ر : جلة.
- (٥٣) م : أخصامها، تصويبه من ر ٢٢٨ ظ.
- (٥٤) م : البروج، وما أثبتناه من ر ٢٢٨ وهو أنسب للوزن.
- (٥٥) ر : وسالت.
- (٥٦) م : منام، والأنسب ما ورد في ر.
- (٥٧) ر ٢٢٨ و : الفهامة.
- (٥٨) م : لحب، وهو تصحيف.
- (٥٩) م : وجمال، تصويبه من ر.
- (٦٠) م : مرحلة، والأصح ما أثبتناه من ر.
- (٦١) ر : وصاحبنا فيها.
- (٦٢) ر : متناثر.
- (٦٣) ر ٢٢٨ و : مؤم.
- (٦٤) ر : وقرانا.
- (٦٥) م : الاحواء، وهو تحريف.
- (٦٦) ثبتت الأبيات في ديوان الصيب والجهام ص ٥٠٧.
- (٦٧) زيادة من ر، د.
- (٦٨) ر ٢٢٩ ظ : ولما أصبح.
- (٦٩) ر ٢٢٩ ظ : والشيء يذكر بضمه ناهله.
- (٧٠) من ر.
- (٧١) ر : بأصالة.
- (٧٢) ر : والنشير.

- (٧٣) إلى هنا ينتهي ما ورد في الريحانة.
- (٧٤) وردت القصيدة في ديوان الصيب والجهام ص ٤٣٨ - ٤٤٥.
- (٧٥) م : اهجتك، وهو تحريف.
- (٧٦) م : مجلد، تصويبه من د ٤٣٨.
- (٧٧) د : يحن.
- (٧٨) م : حبيب، والأنسب ما أثبتناه من د ٤٣٩.
- (٧٩) من د.
- (٨٠) د ٤٤٠ : المتزهد.
- (٨١) د : الأملاك.
- (٨٢) د : تسام.
- (٨٣) د : ارتجاجها.
- (٨٤) د : وتدنو به الأقطار، ولعلها الأوطان.
- (٨٥) م : حميل.
- (٨٦) د ٤٤٠ : الهول.
- (٨٧) م : البصيرة، والأنسب للوزن والمعنى ما أثبتناه من د ٤٤٠.
- (٨٨) م : مضوا، تصويبه من د.
- (٨٩) د ٤٤١ : القين.
- (٩٠) م : أحمد، تصويبه من د.
- (٩١) م : محيت نقطتا هذه اللفظة.
- (٩٢) د ٤٤٢ : خداه.
- (٩٣) م : أوراق، تصويبه من د.
- (٩٤) د : شهيد.
- (٩٥) د : بالوفاء.
- (٩٦) د : مايد.
- (٩٧) د : والورى.
- (٩٨) م : وهنالك، وهو تحريف.
- (٩٩) د ٤٤٣ : المجد.
- (١٠٠) د : فوق.
- (١٠١) د : تحمد.
- (١٠٢) د ٤٤٤ : واكذب.
- (١٠٣) م : الاقطار، والأنسب ما أثبتناه من د.
- (١٠٤) م : الأخطار.
- (١٠٥) د : والهول يفتدى.
- (١٠٦) د : نضار.
- (١٠٧) زيادة من د ٤٤٥.
- (١٠٨) د : قاعدا.
- (١٠٩) د : من.

- (١١٠) م : أحرار، وهو تصحيف.
- (١١١) د : وعزم.
- (١١٢) م : استبحر، تصويبه من د.
- (١١٣) ثبت في النفاضة ٤٨١/٢.
- (١١٤) ن ٤٨١/٦ : وممنودها في سيرنا.
- (١١٥) وردت هذه الأبيات في النفاضة ٢/٢٨٠، ديوان الصيب والجهام ص ٣٥١، الاعلام للمراكشي ٦٥/١، النفح ٢٨١/٦، الأزهار ٢٦٥/١.
- (١١٦) م : ان، تحريف.
- (١١٧) ثبت البيتان في النفح ٤٧٤/٦، الأزهار ٣٠٩/١.
- (١١٨) ن ٤٧٤/٦، الأزهار ٣٠٩/١ : نكابد.
- (١١٩) ن : الهم.
- (١٢٠) ورد البيتان في النفح ٤٧٤/٦.
- (١٢١) م : اعتدت، والانصب ما أثبتناه من ن.
- (١٢٢) ورد البيتان في النفح ٢٧٨/٦ على هذه الصورة :
أهل سلا صاحبت بهم صائحه غادية في نورهم رائحه
يكنيهم من عور أنهم ——— ربحانهم ليست له رائحه
- (١٢٣) ثبتت هذه الرسالة في ربحانة الاسكوريال، ١٨٠، ط. القاهرة ١٠٥/٢ - ١٠٦. وفي النفح ٤١٢/٦ - ٤١٤.
- (١٢٤) م : التفاق، وهو تحريف.
- (١٢٥) ر ١٨٠، ظ، ن ٤١٢/٦ : المطلق.
- (١٢٦) ن : ومعقود.
- (١٢٧) من ر، ن.
- (١٢٨) ن : وأنت.
- (١٢٩) م : المظلوم، وهو تحريف.
- (١٣٠) م : المشاقفة، وهو تحريف، وفي ن : المشاقفة والاقدام.
- (١٣١) ن : هدم.
- (١٣٢) م : أسهمه، وهو تحريف.
- (١٣٣) ن ٤١٢/٦ : أشرق جليله.
- (١٣٤) من ر ١٨٠، ظ، ن.
- (١٣٥) من ن.
- (١٣٦) ر، ن، ٤١٤/٦ : ما سبحت الحوت ودبت.
- (١٣٧) من ر، ن.
- (١٣٨) م : تخصيب، وهو تحريف.
- (١٣٩) ن : من كيد.
- (١٤٠) ن : مجادلة.
- (١٤١) م : محول الألسنة.

تعليقات الفصل الثالث

- [1] السبت ٢٢ ربيع الثاني ٧٦٣ هـ = ١٩ فبراير ١٣٦٢ م.
- [2] غبولة : أو ايفبولة، وهي جمع تكسير للفظ اغبالو البديوية التي تعني عين الماء، وتوجد عدة عيون تسمى اغبالو، لكن هذه توجد في جنوب غرب الرباط بنحو تسعة عشر كيلو مترا، وقد أشار الدكالي محمد بن علي أنه في عهد الموحدين كان يجلب منها الماء لشالة.
- أنظر (الدكالي : الاتحاف الوجيز، ص ٥١ - ابن صاحب الصلاة : المن بالأمامة ص ٢١٨ - ٤٤٨ . محمد الفاسي : "الاعلام الجغرافية المغربية"، مجلة البيئ، ع ١، مايو ١٩٦٢، ص ٤٣).
- [3] خداجا : ناقصة.
- [4] لا يعرف قائل هذا البيت، وقد قيل أنه أقدم بيت شعري قيل، بعض المصادر تنسبه إلى آدم، كما تنسبه أخرى إلى شيت بن آدم ضمن شعر رثي به أباه. أنظر (معجم الأدباء ١ / ٢٠١ . - الهلالي : اضاءة الاموس ورياضة الشموس من اصطلاح صاحب القاموس مخ. الخزانة العامة بالرباط، رقم ٢٦٩، لوحة ٦٥ . - ابن عبد البر : القصد والأمم في التعريف بأصول انساب العرب ص ١٩).
- [5] ارتاشوا : تحسنت أحوالهم المادية.
- [6] الاثارة : الفلاحة.
- [7] اقتباس من بيت المتنبي :
- لا تشك إلى خلق فتشمتته
شكوى الجريح إلى الغريان والرخم
- أنظر (العرف الطيب ص ٥٤٠).
- [8] الزيادة : نبات. - يتقصد : يتكسر.
- [9] عرب الخلط : قبيل معدود من جشم، وهم من بني عامر بن عقيل بن كعب، كانوا شيعة للقرامطة بالبحرين، ثم ارتحلوا إلى مصر فأفريقيا، حيث أسكنهم يعقوب المنصور بسيط تامسنا، وكانت لهم حروب مع الموحدين والمرينيين، لازالوا إلى الآن بالمغرب مستقرين ببسيط الغرب قرب القصر الكبير مع قبيلة طليق. أنظر (قبائل المغرب ص ٢٣٤ . - معجم قبائل العرب ٣٥٤/٢).
- [10] "اتخذ الليل جملا" : مثل يضرب لمن يهرب في الظلام. (فصل المقال ص ٢٣٣ . - مجمع الأمثال ١٣٥/١ رقم ٦٧٠).
- [11] سورة ٦ (الأنعام)، آية ١٢٢.
- [12] أبوتواس : هو الحسن بن هانيء الشاعر العباسي المشهور، (١٤٦ - ١٩٨ هـ = ٧٦٣ - ٨١٤ م). أنظر (الاعلام ٢/٢٢٥).
- [13] تامسنا : كلمة بربرية معناها البسيط الخالي، وهي المنطقة الواقعة بين نهري أم الربيع وأبي رقراق وامتدت إلى تادلة، كانت عاصمتها شالة ثم أطلقت بعد ذلك على إقليم الدار البيضاء. أنظر (وصف إفريقيا ص ١٥٣ . - الروض المعطار، تج. إحسان عباس ص ١٢٩ . - بتعبد الله : بين أنفا والدار البيضاء، مجلة المناهل، ٣٠، ١٩٨٤) ص ٩٢.
- Marocco Oficial Standard names, p.804.

- [14] يسدى : من السدى، وهي خيوط الثوب الممتدة طولاً.
- يلحم : وهي الخيوط الممتدة عرضاً، وتستعمل اللفظتان في النسيج، ويقصد بهما هنا أن يسري المرض في جسمه كله.
- [15] هذا الوالي : هو أبو العباس أحمد بن عاشر الأندلسي كان مقيماً بسلا، توفي سنة ٧٦٥ هـ = ١٣٦٣م. أنظر (الأعلام ١/١٨٠). ابن زيدان : اتحاف أعلام الناس ١/٣٠٥. تحفة الزائر في مناقب الحاج أحمد بن عاشر، مخ. خع، الرياض رقم ٢٢٦٩ د).
- [16] الضريح : يقصد به ضريح المهدي بن تومرت.
- [17] الجنود المرتزقة : يتكونون من الوصفان والاغزاز والروم القشتاليين. أنظر (ورقات المتوني ص ٧٠).
- [18] هذا البيت للشاعر طفيل الغنوي. أنظر (ابن شريفة : أبو المطرف ابن عميرة ص ٥٧ حاشية ٤).
- [19] أبو البركات (٦٨٠ - ٧٧١ هـ = ١٢٨١ - ١٣٧٠م) محمد بن إبراهيم بن الحاج البلقيقي، قاض، مؤرخ، أديب، من شيوخ ابن الخطيب، له عدة مؤلفات منها "تاريخ المرية"، وديوان شعر. أنظر (المرقبة العليا ص ١٦٤. - التعريف ص ٢٣. - الأعلام ٧/٣٩).
- S. Gibert, "Abù l-Barakàt al-Balafiqi, Qàdi, historiador y poeta", Al - Andalùs XXVIII, (1963), pp. 381-424.
- [20] الأمهات : الطرق الرئيسية.
- [21] اقتباس من المثل : "عند الصباح يحمى القوم السرى، وقد أشير إليه سابقاً.
- [22] قملت : كثرت حتى أصبحت كالقمل.
- [23] مره : بفتح الميم والراء، بياض ببواطن الأجنان لترك الكحل.
- [24] فحص خراز : يقع قريباً من مكول، بين ابن سليمان وقرية الكارة، من بسيط تامسنا. أنظر (- نزهة المشتاق ص ٧١. - الإستقصا ٣/٥٠).
- [25] ماغوس : منطقة قريبة من مكول في بسيط تامسنا.
- [26] اقتباس من المثل : "يكل من جرف ويشرب من غدير". أنظر (أمثال العوام ٢/٤٦٩ رقم ٢٠٤٤).
- [27] حلة : ج حلال، بيت.
- سفيان : بطن من چشم، وهم من بني هلال بن عامر من العدنانية، وقد هاجر بنو هلال وبنو سليم من مصر إلى المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري / منتصف الحادي عشر الميلادي، فاستوطنوا بسيط تامسنا. لأخبارهم بتفصيل أنظر (قبائل المغرب ١/٤١٧ - ٤٢٣. - ابن عبد الله : معلمة الصحراء ١/٥٨. - راضي دقفوس : العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال وبنو سليم من مصر إلى إفريقيا، أوراق، ٤، (١٩٨١) ص ١٤٧ - ١٦٣).
- [28] البروج : قرية تابعة لإقليم سطات، تبعد عنه بمسافة ٧٣ كلم.
- [29] الفهامة : العي، وقمله فيها.
- [30] برید : مسافة تقدر بإثني عشر ميلاً. أنظر (التاج ٢/٣٩٨).
- [31] تيط اقوران : تيط بالبربرية تعني العين في معنيها، وتوجد عدة مناطق في المغرب تسمى تيط، ولعل المنطقة المقصودة هي التي تدعى اليوم الفوار، قرب سد بين الويدان. أنظر (- التقي

- العلوي : "أصول المغاربة"، مجلة البحث العلمي، ٢٧، (١٩٧٧)، ص ٣٥٣).
- Les guides bleux, Maroc, p.27
- هنتاتة : من أكبر قبائل مصمودة في العصر الوسيط، وقد كانت تستوطن جبل درن الذي أطلق عليه إسمها، لعبت دورا هاما في عهد الموحدين والمرينيين، لكن اسمها تضاعف الآن وحلت محلها أسماء بطونها التي ارتفعت إلى قبائل. أنظر (- البيدق : المقتبس من كتاب الانساب ص ٤٤ - .
قبائل المغرب ٣٢٦/١ - العبر ٣٢٦/١).
- Pierre de Gineval ; "Les èmires de Hintata, rois de Marrakech", Hespèris, XXIV, (1937), pp. 245-254).

- [33] الدد : اللهو واللعب.
- [34] عجز بيت شهير لطرفة.
- ستيدي لك الأيام ما كانت جاهلا وياتيك بالاخبار من لم تزوه وهو مثل يقصد به أن الخبر ياتيک لا محالة. (مجمع الامثال ٤٢٧/٢ رقم ٤٧٥٧).
- [35] الألعي : مشتق من اللعان، كان الأمور تلمع وتبين له، ويضرب مثلا للرجل الذي يصيب بالظنون حتى كأن الظن عيانا. أنظر (فصل المقال ص ١٤٩).
- [36] عبد المؤمن الكومي بن علي بن مخلوف (٤٨٧ - ٥٥٨ هـ = ١٠٩٤ - ١١٦٢ م)، وهو مؤسس الدولة الموحدية، أنظر ترجمته ومصادرهما في (الاعلام ٣١٩/٤).
- [37] اشارة إلى غزوة الأرك التي انتصر فيها الموحدون سنة ٥٩٠ هـ = ١١٩٣ م، لأخبارها راجع (الاستقصا ١٦٥/٢).
- [38] المحند : الفلك الأعظم (كشاف مصطلحات العلوم والفنون ٢٨٧/١).
- [39] الفريض : هو عبد الملك أبو زيد، من اعلام الفناء في العصر الأموي، توفي سنة ٩٥ هـ = ٧١٣ م. أنظر (الاعلام ٣٠٠/٤).
- معبد : معبد بن وهب، اشتهر بالفناء في العصر الأموي، توفي سنة ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م. أنظر (الاعلام ١٧٧/٨).
- [40] الغفر : ثلاث كواكب خفية، وسمي غفرا لأنه عند طلوعه تستتر نضارة الأرض وزينتها. أنظر (القزويني : عجائب المخلوقات ص ٨١) : - فرقد : نجم قريب من القطب الشمالي.
- [41] فدند : م فدافد، وهو الفلاة.
- [42] المنار : يقصد به منار الكتبية بمراكش.
- [43] البرى : بفتح الباء والراء، تعني التراب.
- غيثا : فعله غيث، بكسر الغين، نزل به الغيث.
- [44] القلر : فعله قلا، أي انضج في الملقى.
- بزر قطونا : نوع من التوابل.
- [45] يقصد الويزر عمر بن عبد الله، سبق تعريفه.
- [46] الماثافة : فعله ثاقف، أي لاعب بالسلاح، محاولا إصابة الغرة في المسابقة أو نحوها.
- الاقدام : ج قدم بفتح القاف والداد، أي السابقة في الأمر، ويفتح القاف وكسر الدال : الكثير الاقدام. ومن معانيها : الأرجل.

[47] نسب البعض هذا البيت إلى الأمير عبد الرحمان، بينما نسبه ابن قتيبة إلى أحد ولد عمر بن الخطاب، وأورده بالرواية التالية :

ترى السوء مما تتقي فتخافه وما لا ترى مما يقى الله أكثر
أنظر (- النفع ٣/٥٣٩، ٦١٢ - عيون الاخبار ٣/٣٦٤).

[48] نشره محمد كمال شبانة تحت عنوان :الإشارة إلى أدب الوزارة تليها مقامة السياسة، الرباط .١٩٨٠.

الفصل الرابع

رجع التاريخ <أحداث مغربية>

وارتحل الشيخ مبارك بن إبراهيم صبيحةً يومئذ، على ميعاد ضربته وجيرانه من العرب الدياشمة [1] في سبيل القُدوم (١) على منصور بن محمد بن عمر الهسكوري، شيخ الهسكرة [2]، ومزوار جبلها، جنين مشيمة [3] السجون، وعير وتد الاعتقال، وقد اتصل بهم بثُ خلاف ونزوة وصفوة إلى ناحية الأمير عبد الحليم، المستقل بوطن القبلة [4]، منافسةً لجاره المصاقبِ عامر بن محمد بن علي، إذ لم يزل ما بينهما خشناً، ثم زادت الإحنة من لدن أوقع بجارهم، ابن سعد الله [5]، فرام هؤلاء العربُ الزاهيون في قطيعة الأمير المذكور كل مذهب، الرائشون جناح عامر بن محمد سدَّ الخرق، ورأب الثأني، فقدموا عليه مُقَدِّمَ وافد البراجم على النعمان في يوم بُؤسه [6]، وأسهل إليهم، ووقعت المفاوضة فيما وقدا (٢) إليه من مرام استصلاحه، فأجلت المحاورَةُ عن نفرتة وجماعه، ثم إنه انقاد لبعض ما ريم من صغار، ما عدا لقاء عدوه عامر بن محمد، فانصرفوا عنه وثنوا الأعتة تعالياً ونبذوا، ولم يبعد إلا وقد بدا لذلك الخب [7] في أمرهم، لما تأنن الله به من إيقاع النعمة بهم، وشفاء صدور العباد المضطهدين ببغيهم وسوء ملكتهم، المخصوصين بجورهم (٣)، وعتوهم، فصاح في أعقابهم بما أوجب لفتهم، واستمالهم بما أطمعهم، وتحرَّج من إغضائهم في التماس مرضاتهم، فاستخفهم واستهواهم، وزين لهم الشيطان عودهم بجحين بآتياده، وتأنى الفرض منه، ونزع شجاه من نحر الدولة، فانعطفوا مختالين يحمدون فينته، ويترخرفون معتبته، وسألهم إمهاله برهةً يأخذ فيها أهبة سفره في سوادهم، فأجابوه، ثم تطارح يناشدهم في ترفيعهم إياه / بمباشرة / 60/ قرأه، وإجابة دعواه، فأعطوه من ذلك ما سأل، ذاهلين عما وراءهم، لبعدهم عن الحزم، وتخارقتهم في النوك [8]، ومرانهم على الغفلة، فأنزلهم من بيوت قومه المسهلين في سفح الجبل الشامخ إنزالاً أغرى به من تحفييه ما شاء، فضممت نبيهاهم وعليتهم المضارب، ومن دونهم البيوت والكهوف والأنفاق، وعاشت للحين

في البهم (٤) الأذى، وسَمَتَ حول المنازل الجُرُءَ الحرَّةَ الدِّماءِ، وعائتَ الإبادة في كل بقرة أو مغزى، ونُصِبَت فوق الحبوب المفضلة رُعود الأرحى، وأتت قنافشُ السَّمْنُ تترى [9]، وجُنِبَت على الاقتاد أوعيةُ الطلاء (٥) والماء الرُّوي، وانحدرت صقور المصامدة [10] من المصامِّ الأعلى، من كل طاري الكشح، أخزَرَ العين، شديد العجمة، فعم الساعد، وحَيَّ الوثوب، بعيد الضفور، عريق السبعية والشَّره، متقلد سيفاً هلالياً، عريض القفا، ماضي الطُّبا، صادعا صمُّ الصفا، ممسك بكفه جملةً من قصر القنا، وأقلام الوغى، لا يُخطئون بها الرمي، ولو في فحمة الدجى، تساتلوا من كلُّ أوب، ونسلوا من كلِّ حدب، موزين بالحراسة والسهر، وقد قرر بهم الوثوب، وقُدِّر بهم الفتك، وأخذت بهم المسالك والشُعاب، ونذَر أولئك النوكى بعض ملابسيم وصنائعهم فأكذبوا الظنَّة، وعموا وسموا، وإذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره.. الحديث [11].

فلما هدأت الأصوات، وسكنت الحركات، ثار الجميع بواحدة، لوعد مرقوب، ووقت محدود، فكبسوا القوم في مضاجعهم، فلم يُقَلت منهم أحد، وشمل النهب أسبابهم، ومزقت الأيدي مضاربهم، وقيد أولئك النوكى في الأوهاق عراة حفاة، دامية كلومهم، بأدية عوراتهم، رابية أخذتهم، فأرهبوا صعوداً في معارج ذلك الشاهق، تُحزبهم الأسنة، وتكثهم المدافعة، وأفلت شاكري [12] لهم، قيوم بعجمة المصامدة، فكان "النذير العريان" [13] بخبرهم، وذاع النباء، فانكفأت خيام عرب الخلط وسفيان والعاصم والحارث [14] نواحا وعويلا وزفنا وصراخا وقطا وتلويثا ونديبا، وانشرحت صدور جيرانهم، الأذلة بتعزيزهم فطووها / على سرور لا كفاء له.

/61 /

(طويل)

"بِذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ" [15]
ويادر وليهم المستظهر بهم، عامر بن محمد مخاطبة السلطان بالحادثة عليهم، فوصل خطابه بتخفيض البث، وسد مكانهم بأولي الترشيح لرتبتهم، فشعب الثأري (٧)، وحسبوا في عداد الموتى، ووقع النفير والاستحشاد لغزو الجهة العسكرية، واجتثات ما تناله الأيدي بالسهل من شجراتهم، ومستقل زرعهم، ومكتنز خزينهم، وكان من الأمر ما يأتي به الذكر - إن شاء الله - .

وتم لهذا العهد عقد المهادنة مع الجهة الزبانية، ووصلت الرسل فألقت (٨) مالدبها، وصدر العقد بإجراء ما أجراه سلفهم قبل تخارق الخط (٩) [16]، وتعاضم الصنَّع، من الإقصار والتجافي عن الحدود، والتزام المكارمة في المخاطبات والتبري

عن أهل الخلاف، وكُرِّمَتْ وِفَادَةُ الوافدين بفك قوم من عليّة قبيلهم، زُرْتُ أطواق
السجون عليهم منذ سنين عديدة، فانصرفوا محبورين، وتُعْرَفْتُ الآن عودتَهُمْ [17]
مُصْحَبِينَ بِمُلاطفة، فاستبشَرَ الناس واستونس الصلاح.

واتصل ما انتهى إليه عمل عرب تامسنا، الموترين بالهساكرة من العياث
في أذيال ذلك الجبل، وهو الوطن الخصب، الكثير السقي، الغزير الربيع، الجَمُّ
الفاكهة، الملتف (١٠) الشجر، المستبحرُ الغلُّ، فانتسفه وأتوا على راعيته،
واحترشوا الأرض من خزينه، واجتثوا قائم شجرته، وارتعوا مدرك زرعه، ولم يتركوا
به نافعَ ضرمّة [18].

52 /

وفي أواسط جمادى الأخرى تحقق النبا بروجوع عامر بن محمد بن علي من
منزله (١١) المشارف حدود هسكرة، بعد الاجتهاد والاحتشاد والاستظهار بأقصى
ما لديه من القوة، لما كان من لحاق الأمير أبي محمد عبد المؤمن وعبد الرحمان ابن
أخيه [19]، المستقرُّ قبل بمدينة / "مكناسة" في طائفة من الجيش المريني، الملتف
بهم بعد التمهيص ومحك التشذيب، وإطلاله على البلاد المراكشية، وقد حلّ عقال
أشياخ العرب المناكيب، في سبيل تدميث الطاعة لأمر أخيه، وأركبوا للقائه، ونالوا
حظا من أعتابه، وعرض عليهم استدعاء رهان من الأعرّة عليهم، من أهلهم وشقاق
(١٢) نفوسهم، توثق بالركون إلى عهدهم، وأخذ طاعة سوادهم وجمهورهم، وجزت
بين يدي هذه الحال للهساكرة وضيوفهم المُصرخين وقيعة على عرب الخلط،
استلحم السيّف فيما جُملة.

فرجع عامر بن محمد، داهية الوقت، وعقد سفرته أدراجه مقهقرا قبل
المواجهة، فاضطرب بظاهر مدينة "مراكش"، وأبرز للناس الأمير أبا الفضل [20]،
الصبيّ الخبور، كبير ولدي السلطان أبي سالم، قتل القوم بالأمس، فأخذ له
البيعة مشروطة بطاعة ابن عمه السلطان "بغاس" ورثب له أليقاب الملك، وأخذ
ميثاق الجند، وتوثق بالرهان، وأفاض العطاء، وشهر آلات السلطان في الثامن
عشر لجمادى الآخرة من عام التاريخ.

ثم تحقق خروج الوزير مسعود بن رحو بن علي، ثاني الوزيرين، في جيش
كثيف يشتمل على من أثر (١٣) الجماعة، وناصر الدولة، من شيوخ بني مرين،
وفرسان الدخلة، في سبيل تمهيد وطن تامسنا، فقد كان أهله طردوا السعاة،
ومنعوا الجباية، وأخافوا السبيل، وليكون مددا لعامر بن محمد، فارتحل من "سلا"
في الخامس والعشرين لجمادى الثانية، وعرض قرابة الأشياخ أولي الورطة،
أسارى الهساكرة، وكتب استدعائهم، فسدت السبل، ووكّل بهم الرقباء، وغيّرت

نَعَمْ أولئك الأسرى، وأُذهِبَت رسومهم [21]، ومُحِيت بأعواضهم من المرشحين إلى محالهم، والمنهضين إلى وظائفهم، وكانت سنة وافقت (١٤) هوى عند أرياب الدولة، لاستفاضة آرائهم في طلب الأمر لأنفسهم وطماحهم، وشموخ أنوفهم في هذا الهرج، والله يطلع على ما فيه صلاح العباد والبلاد، بفضله.

هوامش الفصل الرابع

- (١) م : القوم، ولعل الصواب ما أثبتنا.
- (٢) م : نفذوا، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٣) م : محيت الحروف الثلاثة الأولى.
- (٤) م : الهم، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٥) م : الطلى، وهو تحريف.
- (٦) م : بجمعة، وهو تحريف واضح، صحته ما أثبتنا.
- (٧) م : محيت نقط اللفظة.
- (٨) م : فالف، ولعلها ما أثبتنا.
- (٩) م : الحط.
- (١٠) م المتلف، وهو تحريف.
- (١١) م : منزلة، والأنسب ما أثبتنا.
- (١٢) م : وشقات، ولعل المناسب ما أثبتنا.
- (١٣) م : آثار، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (١٤) م : وافقة، وهو تحريف.

تعليقات الفصل الرابع

- [1] الدياشمة : لعلها الجياشمة، نسبة إلى جشم من بني هلال. أنظر (معجم قبائل العرب ١٥٦/٨).
- [2] الهاكرة : أو هسكرة، بعض النسابين يعدم من صنهاجة، وآخرون ينسبونهم إلى مصنودة للجوار، ومنهم بطون كثيرة بالمغرب، أشهرها قبيلة سكرة، وقد كانت تستوطن المنطقة الممتدة من درن إلى تادلا شرقا، وإلى وادي درعة جنوبا. أنظر (العبر ٥٥٢/٨ - ٥٥٦ - قبائل المغرب ١/٣٣٥ - التقى العلوي : "أصول المغاربة"، مجلة البحث العلمي، ٢٧، (١٩٧٧)، ص ٢٢٥-٢٢٦).
- [3] مشيمة : م مشائم، الطبقة البرانية للغشاء الذي يكون فيه الجنين في البطن، واستعماله هنا مجازي.
- [4] وطن القبلة : سجلماصة ونواحيها.
- [5] ابن سعد الله : صهر محمد بن حسون بن أبي علي الذي كان وأليا على مراكش، وقد انحازا إلى جهة الأمير عبد الحليم فاعتقلهما أبو ثابت عامر. أنظر (النفاضة ٢/٣٢٠).
- [6] "وَأُودِ البراجم" : مثل يضرب لسوء الحظ. (فصل المقال ص ٤٠٤ - مجمع الأمثال ٩/١ رقم ٦).
- [7] الخب : الخداع.
- [8] النوك : الحقق.
- [9] قنانش : وردت اللفظة في النفاضة ١٢٢/٢، قناقش، واحتمل د. العبادي أنها قلاش باللهجة المغربية التي تعني أواني السمن، وهو احتمال قريب إلى الصواب.
- تَتْرَى : متتابعة.
- [10] المصامدة : من أكبر القبائل البربرية في المغرب، لتفصيل أخبارهم راجع (- العبر ٤٢٧/٨ - قبائل المغرب ١/٣٢١ - التقى العلوي : "شعب المصامدة"، مجلة البحث العلمي، ٢٨، (١٩٧٨)، ص ٢٠٩-٢٤٨).
- [11] هذا الحديث لم يرد في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.
- [12] شاكري : صاحب حيل.
- [13] "النذير العريان" : مثل يضرب للإنذار بالشر. أنظر (- زهر الأكم ١/٦٦ - مجمع الأمثال ٤٨/٨ رقم ١٨٦).
- [14] عرب سفيان والعاصم والحارث : بطون من بني هلال.
- [15] هذا البيت للمتنبى. أنظر (العرف الطيب ص ٣٣٠).
- [16] تخارق الخط : يقصد عدم احترام كل من الدواتين حدود الأخرى.
- [17] سجل أبو زكريا بن خلون وصول هؤلاء السجناء إلى تلمسان بتاريخ ١٠ رجب ٧٦٣هـ = ٥ مايو ١٣٦٢م. (بغية الرواد ٢/١٠١).
- [18] "نافخ ضرمة" : مثل يقصد به ما بقي أحد. أنظر (مجمع الأمثال ٢/٢٧٨ رقم ٣٨٤٨).

- [19] عبد المؤمن بن عمر بن عبد الحق بن محيو يكنى أبا محمد وهو أخو عبد الطليم، تولى حكم مكناسة مدة ثم تغلب على أخيه وانتزع منه سجلماسة، وأقام بها دولة إلى أن فتحها مسعود ابن عبد الرحمان بن ماساي وأضافها إلى مملكة فاس. أنظر (ابن ابراهيم : الاعلام ٤١٧/٤ - النفاضة ٢٩٩/٢ - ٣٠١).
- عبد الرحمان بن يفلوسن المريني، ابن أخ عبد المؤمن المذكور. لأخباره بتفصيل راجع (الاستقصا ٤/٦١، ٦٥ - ابن إبراهيم : الاعلام ٨/١٠٣ رقم ١٠٩٥ - النفع ٥/١٠٢ - ١٠٩).
- [20] لأخبار تولية أبي الفضل راجع (- العبر ٧/٦٦٦ - الاستقصا ٤/٦٥).
- [21] رسومهم : وطلائفهم.

الفصل الخامس

فصل رجع التاريخ

63 /

أحداث اندلسية

ولما استقر بيد المتغلب على الأمر بفرناطة من استقر من فرسان النصارى (١)، ومنهم زعيمهم الميشر الكبير [1]، وقد أبلى وصدق موقفه لما خذل جيشه، فلم يبرح يدافع عنه خالصته إلى أن كثرُوا وأُخِنُوا وتقبضَ عليه، كما تقدم من ذكر الفتح الواقع للمسلمين بجهة وادي أش طلب الخلو من المتغلب المذكور، وهذا القومس في أمته خلوب عذب الحديث، بعيد الغور، فاستحضره وضمن له عقد المهادنة مع الطاغية، وانحرافه عن جهة السلطان أبي عبد الله مطالبه، عند إطلاقه والامتنان عليه، واتخاذ اليد عنده به، وهو المطلب الذي لا شيء وراءه، فتبرع بذلك أن ابتدأه سلطان قشتالة بطلبه وسؤاله، وخلى بينه وبين المحاولة على نفسه، ففسد المخاطبة إلى السلطان بما دار بينهما، وهذه الأمة النصرانية لا تؤثر شيئاً على الوصول إلى أغراضها حتى إذا أمكنتها الفرص في ذلك، لا تزال تطرح في أمثالها الحشمة، وتتنزل عن الترفع، حتى إذا فازت أيديها، عاودت التجني، وراجعت التعزز، فاقتضى منهم الرأي أن تطلب المذكور بنية السلطان من حظيته ومحل هواه، العلجة أخت هذا المأسور، وهي بكرٌ وأده، فتوجهت الرغبة من تلك الوليدة، وخاطبت المتغلب في شأن خالها الميشر، ووصل عنها أحد الكفاة من خدام السلطان، المتصرفين بينه وبين المسلمين في المهادنة، يطلب منه تسريح خالها، وتعدده بحسن المكافأة عليه، فقبل رغبتها، وأسعف طلبتها، وخلع عليه، وبعث به في جملة من نبهاء الأسرى، رزى الإسلام بخلاصهم، لما فقد الكفر من وقف بأسهم، ولاستنفاد الكثير من أمواله في سبيل فدائهم، ووجه رسولا <من قبله> (٢) فألفاه بحصن "قاشره" [2] من الحصون القرطبية متوفراً [3] (٣) على / قصد بلاد المسلمين، وقد تألفت عليه حشود الروم. ولما شافهه بالرسالة، شكر قصد المذكور في إطلاق زعيمه (٤)، وأعرض عن المسألة ما لم تقع شروط منها : التجافي للسلطان المستقر "برندة" عن "مالقة" وما إليها، ووعد في المكافأة بمثلها عند

64 /

ظهوره على المسلمين، وإيثاره المعتبرين من رؤسائهم. وتحرك في أواخر ربيع الآخر، فنزل حصن أشعر [4]، المطل على الثغر بضفة وادي شنجل، وهو معقل كبير، وركاب للجهاد، وشجراً في نحر العدو، يشتمل سورهُ الأقصى على مدى بعيد من جبل موطا الأعلى، بمراح يسمى المائدة لا عمران به، والحصن منه في جوفه، وله من "لوشة" جوار، و"بانتقيرة" و"أرجنونة" [5] اتصال، وعلى الساحل إشراف (٥)، كان المسلمون قد أهملوا حراسته، لما حسيبوه من سريع الطاغية عنه، وصمده إلى "أنتقيرة"، فكبسه، ودل على عورته من بعض حافاتِه، نازع إلى دين النصارى من خواص المتقلب على الأمر، فتقلب على "المائدة" وتحصن (٦) بها الرجال، وسربت إليهم العُدَّة، واجأ المسلمون إلى الحصن وليس بذى منعة، لإعتماده على ما وراءه.

وكان السلطان المستقر "برندة" قد استدعاه سلطان قشتالة، فوصل إليه في شوكة حادة، تتيّف على خمسمائة فارس، من الحماة نُقاوة ومضارب وعدَّة، فلما رأى تغلب النصارى على حوزة الحصن فاوضه في شرطه، وطلب منه أن يخلي بينه وبين من به من المسلمين، فاعتذر بقلب قومه عليه، وأنه لا يمكنه صرفهم (٧) عنه في ذلك الوقت، فأبى السلطان من إقراره وهواته على هذه الحال، وأنف خبره بأنه لا يؤثر الدنيا بحذاقيرها على أسر مسلم أو فوات حصن للمسلمين، وانصرف أدراجه إلى "رُندة"، طوع الدين المتين، والحرية البحتة، ولم ينشب الطاغية بعد مفارقتِه وانصرافه أن أقلم، بعد أن استولى على الحصن المذكور، وحصن "بني بشير" [6]، وحصني / "الصخرة" و"السُهلة" [7]، وتقفها، ما عدا حصن "السُهلة" فإنه هُدّه ثم اغتبط به، ووفر بحصن "أشعر" الحصّة، ورتب به الحامية. وعلى تقيّة إقلاعه بأدرّ الجيش الغرناطيّ لنظر وزير الدولة محمد بن علي ابن مسعود [8]، وشيخ الجند المغربيين، انريس بن عثمان بن أبي العلى [9]، حصن الصخرة منها، وقاتله وتغلب على من به، فاستنزل منه بحكم الأمان نيفاً على الأربعين رجلاً، وكرّ الطاغية عند تعرف النُبأ، وأجفل المسلمون أمامه، فهُدّ الحصن ونازل حصن "مُنْتَفريد" [10]، وبلا منه منعة وعدة، فانصرف إلى الجهة الغربية من "مالقة" فاستولى على كثير منها.

/65

وفي الخامس وعشرين من جمادى الثانية، طرّق هذا البلد [11] النبأ بالفتح على السلطان المعظم، ملك الأندلس، المكفور النعمة، المجحود الحق، الموكوس الوزان، المُحصّ بالحادثة على ملكه، ابتلاءً من الله، خير (٨) به صبره في الجلي (٩)، وثباته في الكائنة العظمية، ورفع بسببه أكفّ المؤمنين لاستنزال غيث الرُحمى، وخبره، لما ساءت به الظنون، وأطرقت العيون، وقد تقدم ما كان من منابذته ملك "قشتالة"، وانصرافه عنه، مغرباً طوع الأنفة الدينية، والحرية والإبائية، من أن

يجعله العدو وليجأ إلى استباحة الحصون، وافتراق المعازل، وإدالة الكفر من الإيمان.

ولما استقرُّ برندة قراره ثنى أعتته - كما ذكر - يجرُّ خلفه ذيل الخميس العرمم، الذي عد (...) (١٠) ومثون من الأعلاج (١١) [12] تحمل السلاح وآلات الهدؤالهدم، والحصب (١٢) [13] والرجم، والنطاح والصدم، والزلال والرجف، والتسور من الأكبش والمجانيق، والرعدات والدبابات، والستائر [14] والحيال. وقصد حصن "منتفريد"، جار "ألیره" [15]، المطلق على غربي مرج الحضرة - كما تقدم - ، وقد بوذر إليه بالحماة، وهو ما هو من سمو الشاهق من / دونه مطار الفتح وكون (١٣) العصم، وعجم عوده، فبلا منه شوكة، وثنى عن مغمزه (١٤)، وألفاه كورة دبر أصيب بظاهره قوم من الروم، ولو صابر حصاره أياما قليلة، لم يعي عليه أمره لعسرة الظمأ، وعدم الماء، فانثنى عنه مخفق السقي، يشتم ربح فرصته، ويحدو إلى معلق ظفره، ويجزم (١٥) إلى محط وثبته، والشقي الجاني على المؤمنين، والمشؤوم على الآباء والبنين، خريج العهر والفحشاء، الظاهر الفرج، البادي العورة، الأشوه الخلق، المستهين بحرمة الله المعتز بالسفلة، سلطان الأوباش، وأمير السفهاء، وملك السوق، وحجة الله في احتقار عالم السياسة، قد بدا عليه خلاف ما بجح به من الحماسة والسقارة (١٦) ووعد عن نفسه من الإقدام، فالترم كسر البيت، ومكسع الفسق، والإطلال من كوى المراقبي، فلم يبرز قيد [16] شبر، ولا أصحر مقدار فتر، بعد أن حشد أهل القطر الأندلسي، وأخذهم من كل صقع عصي زياده، وجأجأ بالقاصي والدأني، حتى غص منهم الفضاء بكل محرب، وعسكروا بظاهر الحضرة، يترشقون بلألتها، ويسبون سمو سعرها، ثم لما احتل جميعهم، وحضر قضهم وقضيضهم [17]، صرفهم أحوج ما كانت الحال إليهم، وأياسهم من ظهوره، فعلت الأصوات بسور القبلة، وتوجهت إلى تنقصه سهام الألسنة.

وفي أثناء هذه الحال، نازل الطاغية حصن قنط [18]، فتيحة القائد المجاهد رضوان [19]، مولى آل نصر، فاستولى عليه، وانتقل إلى ثغر الطورون، شجا طيبة ثغره، فأخذه، وله منعة، وبه شوكة، فخذ الشوكة، وذأل المنعة، واستضاف إليه حصن "فردالش" [20]، مسلحة الجهة المجاورة من كئب، ثم نازل حصن "برغة" [21]، السبب (١٧) الواصل بين "مالقة" و"رندة"، حصن نبيه خصيب، كثير الزياتين والأشجار به الدور الحافلة والوجوه، فأخذ بكلمه، وتغلب عليه / 67 / بعد أن رمى عليه بنفسه السلطان، وطرح عليه في سبيل الشفاعة وجوه القرابة، فيئس منه، وشرع بعده في منازلة حصن قصر بنيرة [22]، وأشفق السلطان

لتلّف هذه الجهة، فالح عليه في طلب الإفراج عنه، والوفاء بالعهد، فأجابه إلى ذلك، وأعطى صفقة يمينه، على منازلة ما لا تشمله طاعة السلطان من البلاد لتمام أيام عشرة.

وتحرك السلطان في جملة معرزا (١٨)، فتبادر الناس، وانقادت الحصون النيبية، "كذكوان" [23] و"قرطمة" [24] و"تُّش" [25] ومجيش المنشاة [26]، بعد امتناع من قصبها يومين أو ثلاثة نالهم فيها الضيق المنجلي عن استنزاهم.

وتقدم إلى مالقة في السادس عشر من جمادى الثانية المذكورة، وبلغ "الوادي الكبير" من ظاهرها، على ثلث فرسخ، مقتحماً أجمة ملك، وغاب جند، ومطلع ألوية، وبحر أسطول، ودار عدة وعدد، فسهل الله أمرها، وراض صعبها، وحين برزت الحامية إلى مدافعتها، زاحمها الناس هاوين، إليه مستقدمين، فحث ركابه يقدمه الطائر الميمون، والوعد المفعول، والأدلة المكتبة، وتبادر الناس إلى فتح أبواب المدينة، فدخل إلى المسجد الأعظم، وانتال عليه الناس يقرضونه من البكاء والرقة والدعاء والتعلق به أعجب ما تمخض عنه دهر، فأغرامهم بالقصبة [27]، وبها ابن وزير الدولة، فانقادت له بعد ممانعة، وتحصّل من بها في قبضة ثقافه، واستقر بها فكان أملك لها.

وورد الخبر بذلك مدينة "سلا"، مؤرخاً بالسابع عشر من الشهر، عشي يوم الخميس السابع والعشرين منه أو الثامن، صحبة خطابه إلى ولده، الأمير المتخلف بمدينة "فاس"، بما نصه :

من الأمير عبد الله محمد بن مولانا أمير المسلمين، أبي الحجاج بن مولانا أمير المسلمين، أبي الوليد بن نصر، وصل الله سعده، ووالى (١٩) عضده، إلى ولدنا / الأمير الأسعد، الأرضى الأرشد، الأهدى البر الأكمل، أبي الحجاج يوسف، وصل الله سعادته، ووالى هدايته. سلام عليكم، ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي أقر بتأييد أوامرنا وتخليد مفاخرنا عين الإيمان، ومد على المسلمين بإعلاء دعوتنا وتمهيد دوائنا ظلال الدعة والأمان، والصلاة على سيدنا محمد نخبة الأكران، وحبيب الرحمان، وعلى آله وصحبه شمس المحاسن وغيوث الإحسان، وصلة الدعاء لأمرنا العليّ بأنصال العز المديد الميدان، والنصر الرائق الخبر والعيان.

فإننا كتبناه إليكم من حضرتنا العلية بقصبة "مالقة" المحروسة، وعناية الله سبحانه - تعذب لنا موارد الصنع الجميل، وتعرفنا عوارف التسيير والتسهيل،

وإلى هذا فإننا نقص عليكم أنباء الفتح المبين، ونطالعكم بما منحنا الله من النصر والتمكين، وذلك أننا لما استخرنا الله تعالى وأسلمنا أنفسنا في صلاح المسلمين، وخرجنا لقرية "مالقة" فيسر الله - تعالى - وتلقانا جميع من بها على أميال من البلد مستبشرين بدعوتنا، وراغبين في طاعتنا، وكان يوماً مشهوداً، وميقاتاً اتخذته الناس عيداً، وتمنعت القصبه ساعةً من النهار، ثم فتحناها وأمننا جميع من كان بها وبغيرها من القصب، وعفونا عن جميعهم، ثم وردت علينا ببيعات "بلش" [28] و "الحمة" [29] و"أنقيرة"، وعن قريب - إن شاء الله - يصلكم فتح "غرناطة" فقد صدق الله ظننا في "مالقة"، فمازلنا نقول لكم : مالقة يكون قدومكم، وكذلك - إن شاء الله - يصدق ظننا، ويقر عيننا، وتردون غرناطة على ما فيه قرّة العين للجميع، فهو - سبحانه - لا يخيب من توكل عليه، وفوض الأمور إليه، وأعلمناكم بهذا الفتح الجسيم، واليسر الوسيم، لتأخذوا بحظكم من السرور، وتحمدوا الله على تيسير الأمور، والله يصل سعادتكم، ويسني من نصر لوائنا وقهر أعدائنا / إرادتكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. في السابع عشر لجمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وسبعمئة.

69/

ثم ردفه تعريف بما كان من التشريد بعدو الله وعدوه (٢١)، وأنه لما تحقق خروج "مالقة" عن يده، وانتثار عقد طاعته، بنى على الفرار، وأحكم حيلته، فتمت له إملاء من الله - عز وجل - ومحنة لم يتأذن بعد في اجتثاث شجرتها، فلف ما بدار الملك من مال عين، وأنية وماعون، نبيه السنخ، شريف العنصر، وثياب ديباج ووشي والذخيرة التي لم تشتمل قصور دولة بني أمية وبني العباس على مثلها، فضلا عن دول هذه التخوم المغربية، استخلصتها (٢٢) الدولة النصرية من أيدي جالية الأمهات، من بلاد الإسلام، كقرطبة وإشبيلية و"جيان" و"مرسية"، وسواها عندما قدفت أمواج المحنة بأشرافها إلى ساحل عمالتها (٢٣)، ثم بما استأثرت أيدي الأمراء "بسبته"، محطاً من عبر البحر منهم، صارت إلى الخزائن النصرية عند التغلب عليها، وقد طمى البحر، وعظم الخطر، ولا ينبئك مثل خبير" [30]، فقد ناشرت أشخاص عقودها النفيسة (٢٤)، المنتهي لؤلؤها الجديد السليم، البراق السطوح، المحكم الدحاح، المتضايق خروت السلوك، إلى ما فوق أشكال الكبير من حبّ البندق، البالغ ياقوتها الشفاف المائي، العظيم الشعشعانية، المهرق، الللاء، الروماني [31] المجاجة، السليم من الاستئناس، والغليان والضباب، البديع الشكل، إلى أشكال ثمر الجوز بين مقرطح وملمم، الدائر قصبها، العجيب اللون، الذبائية [32]، مضنة الخواص، المنحولة حجر الزمرد والاطراء بالأفعال العجيبة الللانية (٢٥)، على قدر البنان، إلى عصائب تضمنت من نفيس الأحجار بين

زرقٍ وحمراً، ورمانيّة وقانيّة وصفر، ومن اللؤلؤ النفيس، الراجح الوزن، والقصب الزمردي، والزبرجد، ودوائر الأشكال المدعوة بالزمرة [33]، حلي الصدر، وقُرص النحر، رأيت ببعضها حجراً من بلخش [34] الياقوت في شكل حبيبل / تصطف فيه حديبات ثلاث، يبلغ جرم عصفور، أعيانا الناظم، ويتر السلك، فاضطر إلى استعماله قارا، والتزيين به ساكنا، فأرسي في قرصة العسجد المرقوم بالفصوص الشريفة، واللاكئ النفيسة، ليقرُّ بها قراره، ما آمن هذه العقود إلا من اختص بتسميته، وأفرد بلقب لفسو الشهرة، وذياغ الصيت، كاليتيم والصحيح والقوي، وغير ذلك، يتبعها من أجناسها المقصرة عن هذه الدرجات العلى - أعداد تجاوزت العشرات إلى المئين، إلى الأحجار المحيطة بها اللاكئي، المحيطة بواثرها في قواعد الحرير والجلد، نوات الأذنان والتعاقيف، المكلل بها ما فوق الأذنان، المدعوة بالزرائف [35]، إلى التيجان والعصائب والقلائد، المتعددة القرص الذهبية، فوق صحنها صنائع الزجاج والأسورة (٢٦) والأقراط المتخذة تراكيب مضاعفة، نوات أخراص (٢٧)، يتعلّق بها بنون، وتنساب منها جداول الجوهر في شبك، وسلايم ونسائج وضمفيرات وحلقان، تفوت العد، وتُعْيِي الزان، إلى حقائق اشتملت على نثر بين محول وهمل، تكال بالأصع كثرة، إلى الدمالج والوذائل، وقلائد العراقيب، والأزرة بين مكل ومجزع وساذج، تبهت العين، وتستولي <على> (٢٨) الفكر، وتستدعي الذهول، وتحير اللب، جلى على جميعه السلطان المقدس أبو الحجاج مرشحي، والمنوة بي، بعد وعد متكرر، ليقر عيني بغنى خبئه، ونجح خرافته، واستحضر أمين الصواغ [36]، ونحرير الجوهريين، روميا كان ببابه، من كفار تجار جنوة، قُبِهَت الذي كفر [37]، وحوقل الشيخ واسترجع، واستفهم الجنوبي عن ثمن بعضه، فنفر من الجرأة والإقدام (٢٩)، وقال ما معناه : "إنما يُعِينُ أثمان الأشياء المعهود وجودها وجريانها بين الخلق، وانتقالها في الأيدي، وأما ما لم ير له ند ولا علم له نظير، فلا"، وأسحنقر [38] الكل في الدعاء بصون تلك الذخيرة في كنف عزه، وصوان حجابيه، وأبقى الله إياها في عقبه / فاستولى هذا الفسل [39]، بختنصر [40] الوقت عليها، واستضاف فيما نقل لنا عند استيحاشه ما يختص بجدة السلطان، أم أبيه، الحرّة الخيرة، بهار من الطلي المتجافي لها أول الدولة عنه، طمعا في تصيره إلى يده، بأجل تدينه الكبرة، فانتزعه - زعموا - وهو من ذلك القليل، ولاحق ببعض عيونه، واهتبل الفرّة، وورى بالمدافعة، ومطل الجند بالأعطيات، وعلهم بمنتجع الجباية، وقاتهم بحيوان مسارح السلطان، وتوفر على ما تحصل ببيت ماله، فشال جميعه، والتف بخاصته، أعداء الدين، وأصداد المؤمنين، من الحراب والسراق والمهاجرة والشرار المعدودين من السباع العادية.

والشياطين الغاوية، "فاتخذ - زعموا - الليل جملاً" [41]، وقصد عبو الدين، ونجا منجى الطيف، وقد رزا الإسلام رزاً فادحاً، ونقل ذخيرته إلى بلاد الكفر، كأنه استردها من يد موسى بن نصير، وطارق بن زياد، وصرفها على أربابها، والله من ورائه، أهانه وأساء ميثته، وأخذ من كل جانب يطمئن إليه، فبئس الفسل المشنوم على بلاد الله وعباده.

وكان بالباب المريني، وزير هذا الأمر، الممنوح الإدالة، الشيخ علي بن كماشة، أشعب الطمع [42]، قد احتال في الوصول، مورياً بخدمة السلطان، هاويا إلى استنجاز ما أخذه على السلطان أبي زيان من الشروط التي تشطط فيها عدم الحياء، وزمانة المروءة، حين تردد في أمره، من مال وأقفزة [43] بر وأشخاص بلاد ومجال إثارة، فاقترض ما يليق بذوي الأطماع الجامحة، المستعيز منها سيد البشر، صلوات الله عليه وسلامه، في داعيته، وأقطع الرفض والنيكر إصماتا للسان استنجاهه، وإقناعاً له بالسلامة، والشيخ الظاهر التدين والحسب، المستعد للرسالة والحمل، القديم التعين، المحمود السير، الكثير المعانة للأثقال، أبو الحسن بن / الحسن، فانصرفا، وقد فاتهما مباشرة ريق الإقبال، ووليمة مراجعة الدولة المباينة، وأتفق الألباء، وشاركهم الأعمار (٣٠) في كون غيبة هذا الرجل المشتق من الانكماش، المتكرر في توصياته (٣١) عدم النجاح، السبب القوي في الفتح.

72 /

ولقد قال صاحب الدولة [44] - أعانه الله - لمن يعاوضه عند صرفه : دفع الله عنا معرفة هذا الشيخ، فإني أتطيرُ به، وأخافُ على الوقت عدوى عره، فانصرف محموماً لما كان من رجوع مضايقه ابن السراج [45]، الرأسب بالمغرب، عند سفر السلطان إلى الأندلس، مرشحاً للوزارة، كرسي الأقدام في الوقت، وانصرف الشيخ، صاحب الكتابة ابن الحسن [46] مقتصرًا معه على شطر ما عين لرفيقه من الزاد، لنفود القوم عنه وعجل الكور الفقيه الكاتب أبو القاسم محمد بن محمد بن قطبة [47]، وولده الثلاثة، فحيوا بسلاح وآلة، أعلق بها سؤله، ووقف عليها طلبته، لكفه بالاتصاف بالإقدام، وتراميه إلى الانخراط في حملة (٣٢) السلاح، فانصرفوا تطير بهم أجنحة العزم، أجاز الله لنا ولهم، واستعملنا في أكرم مسعى وأقرب رُحْمى (٣٣)، لا إله إلا هو.

رجع التاريخ

ولما صرح المخض (٣٤) عن الزبدة [48]، وظهر من طاغية "قشتالة" الجبن، وأكذب فيه الظن، وطالبه السلطان بالإفراج عن حصن "برغة" استنجازاً لوعده،

وتمسكا بجديلة عهده، فصم صداه، وأثر هواه، واستقر في الثغور المخترمة دينه، وثبتت فيها قدمه، وظهر أن قصده استئصال الإسلام، واتخاذَه للسلطان علة لذلك وسببا، وفاوض السلطان من لديه، فاتفقوا على اقتحام الخطر، وتسور الهول، واستعجال الموت، والنيو عن هفوة الضيم، فنهضوا مستميتين، يعذلهم الطاغية، ويناشدهم في الاستهداف، فلم يرعهم ذلك، لما تأذن الله به من إتاحة الكرة، وإدالة الدولة / فارتحلوا خالصة جماعتهم، متحدة نياتهم، فكان ما مر به الذكر من افتتاح الحصون الغربية، ودخول مالقة في الطاعة، لخلوها من الجيش والطعمة، فلقد حدثني بعض من موه بالاحتجار والانحصار بقصبتها ريثما استنزل من بها، أنها لم تكن بها نغبة ماء، ولا سد جوعه، ولا حبة علفه، فلو قصدوا الطاغية لم تصابره يومين مضيعة وخذلانا وفشلا، وعدو الله، المتوئب على الأمر، الحليق الهمة، الغليظ القفا، البانس (٣٥)، المجنون، قد ذهل وأخذته الصيحة، فاتخذ يدار الملك أسرابا لفراره، وأنفاقا لانسلاله، وجرابا من جلود بعض الأخشاف محكما، يشتمل على ماعون صنعته الأصلية، المتوارث عتاها عن أبيه، من نعال الحلفاء، الملحمة بالقتب، وشريط التسور، ومخاطيف الانشباب والاختلاس، وفر - والليل عدة الخلفاء الراشدين، وأئمة الهدى من المؤمنين . .

/73

فاستقل السلطان قصبته، وهي العقيلة على الإدقاع والكبرة، حاضرة البحر والبر، ودار الملك، ومعدن الصنائع، وينبوع الحضارة، ومثوى الظرف، أمسك الله رمقها، وأحيا شأوها، وأعاد نعمتها.

وفر يومئذ رئيس [الجند] (٣٦) الغربي، محمد بن عثمان بن أبي العلى، ناجيا برأس طمرة ولجام [49]، فأهدى القفر، وخرج عن الجلية، واهتز الأفق المتبرم بالإيالة (٣٧) المحروبة، والدعوة المشنومة، فاقتبل (٣٨) الخائن واستطير فرقا، فلم يلبث أن ركب الليل جملا ليلتذ في جملة تتاهز ثلاثمائة فارس، من شوكة حادة تشتمل على رؤوس الجند الغربي، إدريس بن أبي العلى، وأخيه، المشرد بهما من المغرب، المعتسقين المفاوز والبحر إلى عنوة برجلونة، ثم اللاحقين بهذه الإيالة، والملتقفين للكرة القلقة تحت هوى الصواجان، والوزير الممرور، الأقبل، حليف الجنون والتهود، والوكيل القهرمان، عبد الرحمان بن هذيل، حمار القوم المترامي في تيار أصحاب المشأمة وغيرهم من غاشية وأتباع نفروا / في ساعة واحدة، قد حسبوا كل صيحة عليهم، وتوقعوا ثورة الناس بهم، فخرجوا لا يلوون على شيء بعد رفع الكثير من المتاع والسلاح والذخيرة جمعاء، إلا ما شد بيد من أخذ إلى الأرض وتخطرف منهم، واجتمعوا بخارج السبيكة [50] من الحمراء وقد أوسع كل منهم مستقرة من الحمراء تشعيثا وتغييرا، بما يدل على سوء العهد، وأوم (٣٩)

/74

النفس، وخلق الشر، ثم انسابوا في غير حفظ الله ولا رعايته، فركبوا الوادي، وانضاف إليهم إدريس بن عثمان بمن لف لفه من شردمة الشوم، وركبوا طريق القلعة، كما يقصد الرجل مثوى أبيه، من غير عهد معقود، ولا وعد مضروب، ولا ود محفوظ، ولا جوار مبرور، إلا ما سوت لهم أهواؤهم من التنفق عن عدو الدين باستئصال الشائفة، وتحويل الملة، وتمكينه من الجملة، توعدوا بذلك من مروا به من نوي البيوت المصحرة، والقرى المائلة، ووعد الله قد سبق وصدق بتخييب قصودهم، وتببيب [51] كيدهم، وإخزاء مرادهم، سبحانه ولي المؤمنين، ومحيط النعمة بالظالمين.

ولما وصلوا إلى القلعة، طير من بها من النصارى إلى سلطانهم بالنبيا، واستحثوهم في القدوم عليه، فتعذروا متوغلين في البلاد، ملججين في وحل الورطة، يقدمهم الدم، ويبدو لهم سيئات ما كسبوا، ويزجرهم الطائر المشنوم، ويذخرهم قري وأقد البراجمة، وإحين تعرف الطاغية الخبر، أخرج من وزرائه من يتلقى قدومهم، في لمة خشنة، تُلَفُّ طانفتهم، مورية باستصحابهم، ومتولية لمؤنهم، حتى قدموا على حضرته "باشبيلية"، وقد عجب منهم النصارى، لكونهم نقارة ولبابا، قد حملوا خلاصة ما انتهى إليه الاستظهار، من الملك وزينته وعدته، من التجافيف والدروع، ومذهبة الطي وفرة الخيل وعنق الشفار ورائق البر، وقد تمنطق كل واحد منهم بما انتهت إليه جدته / [52] من ذهب أو حجر أو خرزة، غنيمة باردة نقلها الله ملك الروم، لم يوجف [53] عليها ركابا، ولا جمع لها جيشا، ولا قدح حربا، فأمر بإنزالهم، وجعل المسلحة، ووكل بهم وفرق أماكن أعلامهم، وكان من الأمر ما يأتي به الذكر - إن شاء الله - .

75 /

رجع التاريخ

ولما أطل صباح فرار الخائن، صاح الناس ووقع نفيهم إلى سلطانهم المستقل بمالقة، يتبارون في السابقة، ويتناغون في نيل المزية، فاتصلوا به ليومه، وتقاتلوا بفيئه (٤٠) وليه، وضبط قلعة الحمراء المشيخة وبعض المتناقلين، منهم الحاج سهل بن محمد بن سهل من وجوه الحضرة، والشيخ الأشوه نو الشتره، أحمد القرطبي، المثل البعيد في عدم الصلوح لغير الإخطار بدمه، والإنخراط في أحزاب الثورة، مع السوء وقصر الخطو وضعف البصر وعدم الإبانة ومقاربة العمى، قبح الله وجهه، وجعل الخروء وضوءه، ومطرح الزيل قبلته، وسمو السعر جنته، وخضراء الدمن إلهه، أولى ثم أولى له، أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون [54]، ومعهم أوياش (٤٢) من منتجعي المدر، وتيوس الفلاحة، وشرار الشرط، لم يقصروا في تسكين السواد وبت البريح [56]، فعصم الله الأموال، وحاط النعم، وسدل الوقاية على يهود الذمة.

وتحرك السلطان من مالقة فطوى المراحل إلى «غرناطة» (٤٣) تاسع عشر الشهر، والأمداد تتسائل والوفود تترادف، والحضرة تقذف بمن فيها، ومن الغد كان قدمه عليها في الحفل الذي قَدِمَ به العهد، وأزرى على خبره الخُبْرُ، ولم يأت به الدهر، ولا أدركه الوصف، تهافت الناس عليه تهافت الفراش، والتفؤا به التفاف النحل، لا يقنعون من ركابه بغير الاستلام، والتعلق، يزدحمون أفواجا، ويذهبون زهاب الموج قد علت أصواتهم بالتفدية والتهنئة والدعاء، / واجهاش الرقة، وظللهم الغبار بين يديه، ومن خلفه، يرجع لفيهم وأرياب الصنائع منهم إلى أولية كثيرة، لا تعد (٤٤) أصنافهم، ويعلو حول موكبه الذكر من خيارهم، وهو على شكله من التبدُّل وعدم الزينة، مشرق القسام، ظاهر الاستعبار، سرورا بنعمة الله، قرير العين بانجاز وعد الله، مبذول البشر، حسن الرد.

/76/

ولما سما إلى الجبل، جبل الحمراء، كادت السماء تخزُّ على الأرض، لعلو أصوات النساء المُصحرات (٤٥) من المدينة إلى رؤيته، وقد ملأن الفضاء (٤٦) الأفتح كأنما تراكم الثلج، به بياض شارة، واحتفال برون، وقد جعل الله له في القلوب من الرحمة والامتعاظ والرقة، ما لم يجعله لأحد قبله. ولما بلغ باب الحمراء وقف به مليا، مكاسا ممن بها وتحجبا، وحفظا وتوقيا، ثم افتتحت له أبوابها فدخلها قبل الزوال من يوم السبت الموافق العشرين لجمادى الثانية من عام ثلاثة وستين وبطالع [المشترى] (٤٧)، وكون المشترى في الطالع والشمس في العاشر [56]، اتفاق سعادة لو خير أبو معشر - رحمه الله - ما تعداه اختياره. ويادر السلطان يوم دخوله بالقصد دار جدته، ففضى الحق، وبث لوعة (٤٨) الفراق عقب صدره عن قبر والدته، ثم انصرف إلى قبة الحائر (٤٩) الريان، فنزل بها، وقد جاء بها غريبة لم تنسج على منوال، فسبحان مديل الدول، ومصرف الأيام، لا إله إلا هو.

ويادر الطاغية تعريف السلطان باستقرار ضده لديه، وتحصله في قبضته، وأوعز بتعجيل صك بغدرة (٥٠)، وثبت من أهل الملة بجرأته، فتوجه أحد الرؤساء من خلصان السلطان بعقد ضاق بياضه عن الشهادات المتبادرة، ووقع الاستقلال، واستصحب مَزُودَ الآلة الشاهدة (٥١) بتجلته، وصدق حقه، وأصيل استبصاره، ولحين وصوله شرع في قتل أولئك الغدرة، بعد تقرير الطاغية إياهم، ومواجهته بالتأنيب لعميد فسقهم وتقرُّع بما كان من اغتراره، وتعاطيه إياهم وطماحه وجرأته على مولى نعمته، ومنوه صهره، وعاقده ولايته، وكافل يتمه، ومعتمد / عمره، ثم طيف به على أتان (٥٢) هجين، وحوله شيعة مكره، وظهراء غدرة، وأخذان جهله، وأبناء جنسه، فتنخل منهم متسورو السور، وتناول السلطان قتل ذلك الخبيث، أثبتها في صدره فسقط لحينه، وأجهز عليه وزعة السلطان، وعاشت في الطائفة

/77/

المشهرة السيوف والحراب، ثم جُزَّت رؤوسهم وعولج منها رأس الخائن، فُقُشِّي وجهه طبقاً من الشمع حفظ شكله، وطير بها، وعددها أربعة وأربعون رأساً، فورد بها على السلطان أحد قضاة الروم، فكان دخولهم بتلك الرؤوس فوق الأعواد والقنا عبيرة برز الناس إلى مشاهدتها، معروفة أعيانها، مثبتة صورها، مرسله شعورها، اتخذت (٥٧) لها بمتسور القدر الذي افترعته خُشْبُ مدرجة، نصبت بها عن يسار المار إلى القلعة، وصفتُ به مثبتةً بدسُر وأسباب لا يمكن معها سقوطها، يعلوها رأس رئيسها الشقي عبيرة لأولي الألباب، وذكرى لأولي الاستبصار، ودفع الله الشر، وأسكن الذعر، وأمن الخوف، وصرخ (٥٨) العار، وتدارك القلعة، سبحانه لا إله إلا هو.

وأنشد السلطان - أسعده الله - إلى هذه الغاية، في هذه الأحوال، من الشعراء من يذكر، فمن ذلك ما رفع به إليه " بمالقة"، الشيخ، الصدر، الفقيه، كاتب جده، الشهير في العلم والأدب، أبو جعفر بن صفوان [58]، وعلى تفيته ذلك كان مهلكه، والله در القائل : "الزهر يسقط نفسه إذ يثمر"، تجاوز الله عنا وعنه :

(كامل)

وبما يُخَلِّدُ أَمْرَ مَلِكِكَ تُشْرِقُ
بِالنُّصْرِ والتأييدِ فَوْقَكَ يَخْفِقُ
وكماله سِيما سَمُوْا تَنْطَبِقُ
مَلِكٌ سَعِيدٌ فِي الملوِكِ (٥٥) مَوْفِقُ
غَمْرٌ وَشَاؤُ فِي العَلِيِّ لَا يَلْحَقُ (٥٦)
فِي الخافِقِينَ مُغْرَبٌ وَمُشْرِقُ
لَمَّا تَنْظَمُ شَمْلُهُ التَّفَرِّقُ
بَاهِي بِتاجِ العِزِّ مِنْهُ المَفَرِّقُ
وَتَحْكُمُوا فِي وَصْفِهَا وَتَأْتِقُوا (٥٧)
فِيما لَهُ مِنْ صالحِ قَدِّ وَفَقُوا (٥٨)
وَفَتَحَتْ باباً لِلنَّدَى لَا يَغْلِقُ
وَبِهِمْ لَكَ السَّلْفُ الكَرِيمُ الأَسْبِقُ
بَدراً وَأَضْحَكَ هالَةَ بِكَ تُخْدِقُ
قَلْبُها بِكَ المَرَأَى البهيجِ المُنْبِقُ
بشروقِ نَورِ الشَّمْسِ يَزْهُو المَشْرِقُ
وَأَجاجُ (٥٩) بَحْرِ جاورتُهُ مُغْرَقُ
قَدْ قَلَدُوا أَسْنَى حِلاهُ وطَوْقُوا

أَنْوارِ سَعْنَدِكَ بِأَنْسَى تَتَأَلَّقُ
هِيَ نَوَلَةُ العِزِّ المَدِيدُ لَوائِها
يا أَيُّها المَلِكُ الَّذِي لِبِهائِهِ
شَهِدَتْ مَخابِلُها وَقَالَ لسانُها :
أَيامُهُ عَدَلٌ يَفِيضُ وَنائِلُ
وَبِشائِرِ مَوْصولَةٍ يَسْرِي بِها
جَمَعَتْ شَمْلُ المَلِكِ فاعْتَزَّ السَّوِي
وَحَلَفَتْ أَسِلافاً كَراماً كُلُّهُم
شادُوا مَباني المَجْدِ فِي أَيامِهِم
وَأَتَيْتْ مُقْتَبِياً قَورِمَ سَبيلِهِم
فَعَمَرَتْ مِنْ بَنِيانِهِم ما شِيدُوا
فَلَهُمْ بِكَ الخَلْفُ الَّذِي وَرِثَ العَلِي
وَأَفَيْتْ رِيَّةً فاحْتَلَكْتَ بِأَفْقِها
أَلْقَى عَلَيْها السَّعْدُ مِنْكَ شِعاغَهُ
وَزَهَتْ وَحَقُّ لَها بِأَنْ تَزْهِي كما
أَجْرِيَتْ بِحِرا مِنْ نَدائِكَ زَلالَهُ
فَلأهْلِها وَلِها بِكَ الفَخْرُ الَّذِي

مَوْلَايَ عَبْدَكَ لِلْمَحَبَّةِ مُخْلِصٍ
لَمْ يَبْنِنِي (٦١) عَنْ نَظْمِهَا الْهَرَمَ الَّذِي
وَبِخْدَمَةِ السَّلَفِ الْكَرِيمِ وَسَائِلِي
يُرَعَى أَدْمَتَهَا الْكَرَامُ وَحَقَّقَهَا
وَمَقَامَكَ الْأَعْلَى بِرِعْيِ ذِمَامِهَا
لَا زِلْتَ مَحْرُوساً تَحْوِطُكَ عَصْمَةٌ
تَضْفُو (٦٢) لَدَيْكَ دُرُوعُهَا فَهِيَ السَّيِّ
وَعَلَى مَقَامِكَ مِنْ سَلَامِي عَاطِرٍ

/79 /

تَحْبِيرِ (٦٠) أَمْدَاحِي لِذَلِكَ مُصَدِّقُ
عَجَزَتْ لَهُ مِنِّي الْقَوَى وَالْمَنْطِقُ
حُمِدَتْ مَسَاعِيهَا فَمَا إِنْ تُخْفِقُ
عِنْدَ الْأَكَابِرِ ثَابِتٌ وَمُحَقِّقُ
وَأَكِيدُ حُرْمَتَهَا أَحَقُّ وَأَخْلَقُ
مِنْ ذِي الْجَلَالِ جَدِيدُهَا لَا يَخْلُقُ
مَا تَنْتَهِي أَبَدًا وَلَا تَتَمَزَّقُ
أُنْكِي مِنَ الْمِسْكِ الْفَتِيقِ وَأَعْبِقُ

وأنشد الفقيه الصدر، بطل هذا الشأن، وفارس الميدان، والبعيد الشأن،
البارع الخصل، الحائز قصب الشهرة، المتوقل قنة الإجابة، الفائز من الملوك بقداح
الخطوة، أبو إسحاق بن الحاج [59]، قوله :
(طويل)

نَائِتَ فَعَطَفَ الْفُصْنُ لِمَ يَتَأَوَّدِ
وَلَا تَفْتَتُّ فِي الرُّوضِ مَقَلَّةُ نَرْجِسِ
وَلَا ابْتَسَمَتْ لِلزَّهْرِ فِيهِ مِبَاسِمِ
وَلَا جَرَّ ذَيْلَ الْأَسِّ فِي مَلْعَبِ الصَّبَا
وَلَا زَدَّ جَيْبَ الْغَيْمِ فَوْقَ حَدِيقَةِ
وَلَا انْفَضَّ مَجْرَى النَّهْرِ عَنْ نَوْبِ فِضَّةِ
عَسَى زُودَةٌ يَا سَاكِنِي الْجَزْعِ إِنْ لِي
وَلِي زَفْرَةٌ لَوْلَا نَوَامُ انْبِسَاطِهَا
وَطَائِرُ قَلْبِي لِاصْطِبَارِي مُغْرَبِ
وَأَفْحُ غَرَامِي فِي صَفَاءِ مَدَامِعِ
نَسِيْتُ وَلَا أَنْسَى الْعَذِيبُ وَنَاهِدًا
لِيَالِي جَاذِبْتُ الشَّبَابِ أَرَاكَةَ
وَإِذْ أَنَا (٦٧) فِي نَعْمِ أَطِيلُ صَبَابَتِي
وَكَمَّ لَيْلَةٌ حَلَيْتُ عَاطِلَ جِيدِهَا
وَفِي كَيْدِ (٦٨) الظُّلْمَاءِ قَدَحُ يَفْتُهَا
إِلَى أَنْ شَدَّتْ وَرَقَ الْحَمَامِ فَنَبَّهَتْ
وَمَالَتْ كَوْوَسَ الشَّهْبِ حَتَّى حَسِبْتَهَا

/80 /

بِنَجْدٍ وَخَدَّ السُّودِ لَمْ يَتَوَرَّدِ
وَلَا اكَتَحَلَّتْ مِنْ عَيْنِهِ (٦٣) بِإِيْتِمَادِ
لَهَا شَنْبُ مِنْ طَلِّهَا الْمُتَزَيِّدِ (٦٤)
عَلَى شِبْهِ دُرٍّ بَيْنَ شِبْهِ زَبَرْجَدِ
يَصُوغُ النَّدى مِنْ تَرْبِهَا الْعَطْرِ النَّدى
تَمُوهَا كَفُّ الْأَصِيلِ بِعَسَجِدِ
إِلَى الْجَزْعِ أَشْوَاقًا (٦٥) تَرُوحُ وَتَفْتَدِي
لَقَلَّتْ وَمِيخُ الْبَارِقِ الْمُتَوَقِّدِ
بَطَائِرِ غُصْنِ لِاصْطِبَاحِي مُغْرَدِ
كَمَا انْطَبَعَتْ شَمْسٌ بِصَفْحِ مَهْنَدِ
تُصِيخُ أَمَامَ الْحَيِّ لِلْمُتَنَهِّدِ
تَظَلُّ مِنَ اللَّذَاتِ أَعْدَبُ مَوْرَدِ
وَأَعْصِي عَدُولِي فِي الْهَوَى وَمُفْتَدِي (٦٦)
بَدْرَيْنِ مِنْ شَعْرِ وَغَيْرِ مُنْضَدِ
بِنَارَيْنِ مِنْ شَمْعٍ وَوَجْدِ مَكْمَدِ
بِمَا أَسْمَعَتْ مِنْ شِدْوِهَا كُلِّ مُنْشَدِ
مَسَائِلَةً عَنْ حَمْرِهَا الْمُتَبَدِّدِ

وَأَرَعَفَ أَنْفَ الصَّبْحِ كَثْرَةَ شَمِّهِ
 وَقَدْ هَمَّكَتْ سَحْبُ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا
 سَمِي رَسُولَ اللَّهِ وَالْمَلِكِ الَّذِي
 إِمَامُ الْهُدَى الْمَنصُورُ وَالْمَلِكِ الَّذِي
 سَلِيلُ أَبِي الْحَجَّاجِ أَكْرَمُ مُسْعِفٍ
 مِنَ الرَّاكَظِينَ الْخَيْلِ تَزْحِفُ لِلْوَغَى
 نَوَابِئُ مَجْدٍ فِي الصَّرِيحِ تَأْتَلُوا
 سِرَاءَ بَنِي كَهْلَانَ قَرَّتْ كَهْلُهُمْ
 هُمْ الْقَوْمُ أَمَا مِنْ حَمَوٍ فَهُوَ غَالِبٌ
 وَهَمَّ مَا هُمْ وَالْخَيْلُ تَرْدِي كَأَنَّهَا
 إِمَامُ حَوَى الْمَلِكِ الرَّفِيعِ وَدُونَهُ
 فَبَاسُ كَسْفَحِ الْبَرِّقِ فِي قَلْبٍ مَبْغُضٍ
 وَمَا كُلُّ مَنْ سَلَّ (٧١) السَّيُوفِ بِضَارِبٍ
 حَيَاةً لظَلْمٍ وَمَوْتَ لظَالِمٍ
 يَلْذُ نِدَاءَهُ يَعْجَدُ إِرْهَابٍ بِأَسِهِ
 وَيَرْضِي رِمَاحَ الْخَطِّ حَطْمٌ قُدُودَهَا
 وَيُحْسِنُ فِي سَمْعِ الْحُسَامِ ضِرَابَهُ
 نَمَاهُ لِنَصْرِ الدِّينِ نَصْرٌ وَقَدْ حَوَى
 لَكَ اللَّهُ مَا أَرْكَبِي مَنَاسِيكَ (٧٢) الَّتِي
 وَمَا الْفَضْلُ إِلَّا مَا وَرِثْتَ وَإِنَّهُ
 صَدَعَتْ بِشَمْسِ الْعَدْلِ فِي مَشْرِقِ الْهُدَى
 وَقَمَّتْ بِأَمْرِكَ كَانَ فَرَضًا عَلَيْكَ أَنْ
 وَأَذْهَبْتَ عَنَّا فِتْنَةً جَاهِلِيَّةً
 وَقَدْ كُنْتَ أَوْحَشْتَ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا
 وَأَظْلَمْتَ الدُّنْيَا لِبُعْدِكَ وَاغْتَدَّتْ
 إِلَى أَنْ أَرَانَا اللَّهُ غُرَّتَكَ الَّتِي
 وَكُنْتَ كَمَثَلِ الرُّوحِ عَادَ لِجِسْمِهِ
 هَنِيبًا لِهَذَا الْقَطْرِ مَقْدَمِكَ الَّذِي
 وَيُشْرِي الْوَدَى طَرًّا بِبَيْعَتِكَ الَّتِي
 وَقَدْ رَعَتْ أَهْلَ الْبَغْيِ مِنْكَ بَعْزَمَةً
 وَجَدْتَ بِمَا عَرَدْتَ لَا الْجُودَ مَوْكَسًا

1 / لِمَسْكَ الدَّجَى حَتَّى رَمَى الْمَسْكَ مِنْ يَدِ
 مَدَامِعِ عَيْنِي أَوْ نَوَالِ مُحَمَّدٍ
 لَهُ شَادَتْ الْأَنْصَارُ أَشْرَفَ مَحْتَدِ
 ٧٠ / بِهِ الْأَسَدُ أَسَدُ الْغَابِ فِي الْوَيْبِ تَقْتَدِي
 بِأَكْرَمِ مَا يُرْجَى وَأَعْظَمِ مُسْعِدِ
 سِرَاعًا كَأَمْثَالِ النُّعَامِ الْمَشْرَدِ
 فَرُوعُ الْمَعَالِي بَيْنَ مِثْنَى وَمَوْحِدِ
 وَشِبَانُهُمْ وَالشَّيْبُ فِي خَيْرِ مَصْعَدِ
 عِدَاهُ وَأَمَا مِنْ هَدْوَةٍ فَمَهْتَدِ
 سَفَائِنٌ فِي بَحْرِ مِنْ مَرْبِدِ
 مَقَامٌ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ يَمْرُصِدِ
 وَجُودِ كَسْحِ الْغَيْثِ فِي كَفِّ مُجْتَدِ
 وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الرِّمَاحَ بِمَقْصِدِ
 وَيُشْرِي لِمُعْتَدٍ وَيُؤَيِّلُ لِمُعْتَدِ
 كَمَا لَذَّ جَمْعُ الشَّمْلِ بَعْدَ تَبَدُّدِ
 إِذَا هَزَّهَا لِلطُّعْنِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
 كَمَا تَحْسُنُ الْأَمْدَاحُ فِي سَمْعِ سَيِّدِ
 عَنِ الْجَدِّ سَعْدًا أَيَّ سَعْدٍ مَجْدِ
 تَدَوَّاتُ مِنْهَا فِي الْجَنَابِ الْمُمَهَّدِ
 لَعَنَ أَمْجَدُ سَامِي الْعِلَاءِ فَاْمَجْدِ
 وَأَرْشَدَتْ مِنَّا لِلتَّقَى كُلُّ مَرْشَدِ
 تَقَوْمٍ بِهِ رَحْمَى بِكُلِّ مَوْحِدِ
 لَهَا فِي حَشَا الْإِسْلَامِ أَيُّ تَوْقِدِ
 وَأَذْكَرَتْ حَسْنَ الْعَهْدِ فِي كُلِّ مَعْهَدِ
 مُرْدَدَةٌ ذَكَرَ الْحَنِينِ الْمُرْدِدِ
 جَلَّتْ كُلُّ بَشْرَى فِي مَطَالِعِ أَسْعَدِ
 وَكَالْتَوْمِ وَاقِي (٧٣) الْعَيْنِ بَعْدَ تَسْهَدِ
 2 / بِهِ نَلَّتْ أَمَالِي وَبَلَّغْتَ مَقْصِدِي
 غَدَّتْ رَفَقٌ مَوْلَى الْجَمِيلِ وَمَشْهَدِ
 سَتُودِعُ أَلْحَادَ الرَّدَى كُلِّ مَلْحَدِ
 وَلَا النَّيْلُ بَعْدَ الْعُودِ يَوْمًا يَبْجَعَدِ

وما أصْلَحَ العلياءَ والمجدُّ مُصلِحٌ
 أقولُ لحادي العير (٧٤) والليلُ ضاربٌ
 وقد أجهدتُ عوجَ الركابِ لبانها (٧٥)
 ورائك عن كلِّ الملوكِ وعجُّ بها
 وأمْلُ أميرَ المسلمِينَ مُحَمَّدًا
 أمولايَ حُبِّي ما علمتُ وإنه
 وأما مديحي في علاك فأوحِدُ
 فعد لي بما عودتَ قبْلُ مواصلاً
 ودع عنك ما قال العدوُّ فإنَّه
 رمانِي بداءِ هو واللّه داؤه
 وكلُّ الذي زكاه في الغربِ حاسِدُ
 وإنِّي لراج أن يخيبَ احتيالهم
 بقيت بقاء الدهرِ في خيرِ نولةٍ
 ولازلت في عز وفتح مواصل

/ 83 /

لامواله يومَ الندي غيرُ مُفسدٍ
 بأكوارها في كلِّ قفرٍ وقد فسد
 ننت كلَّ صبرٍ دونها وتجلد
 لأحمد ملكِ ساسِ أمةِ أحمد
 تجد خَيْرَ مأمولٍ وأكرمَ منجدٍ
 لأكرمَ حُبِّ في الخلوصِ مؤكّدٍ
 يُقدّمهُ صدقُ الرجاءِ لأوحدٍ
 رضاك وأحمدُ سعني عبدك تُحمد
 بفاسِ أتى بالزودِ فعَلتَ تعمّد
 وإن يسألَ الحقُّ الذي بانَ يشهد
 متى نلتَ خيراً منك مولاي يكمد (٧٦)
 فعادة ربّي أن يخيبَ حُسدي
 يقصرُ منها اليومَ في النصرِ عن غدٍ
 وسعدٍ وإسعادٍ وملكٍ مؤيدٍ

ثم أنشد بعد ذلك :

(كامل)

وافتك بالخيرِ الطيبِ المبهجِ
 ردتَ بها الدنيا نضارةً حُسنها
 اللّه أكبرُ هذه البشرى التي
 خابَ البغاةُ الغادرونَ وقد أتى
 وأتت رؤوسُ القائمِينَ بأمره
 فقدتَ قويمَ جسومها ثم انتننت
 حتّى إذا بلغتَ إلى السورِ الذي
 نصبتَ به مسودةً عبيراً لمن
 وكانها قطعَ من الليلِ (٨٠) الذي
 ما ثم إلا اللّه قاهرٌ من بغى
 هذي عنايةً ربناً بمعاشيرِ
 خرّجوا عن الأوطانِ قبلُ وحبهم
 ولقد رأيتُ وما رأيتُ كخابطِ

بشرى كإقبالِ الصباحِ الأبلجِ
 وغدت تُفتّحُ كُنلُ بابِ مرْتجِ
 أهدتكَ كلَّ مفرجٍ ومفرجِ
 رأسُ الشقي الخائنِ المُستدرجِ (٧٧)
 تشكولجرُ الشمسِ أي توهجِ
 وجسومها من كلِّ رُمحِ أعوجِ
 طلعتَ به في جنحِ ليلِ مدجِ
 قد جاء معتبراً هناك ومن يجي (٧٨)
 غدروا به الحمراءَ بعدَ تلججِ
 ومفرجِ الكرباتِ للقلبِ الشجي
 أفضلهم لسؤالهم لم يخرجِ
 عن كلِّ قلبٍ عندها لم يخرجِ
 في اليدِ يطويها كطيِ المدرجِ

مُتَطَلِّعٍ مِنْ كُلِّ نَجْدٍ قَاذِفٍ
 لَوْ سَأَمَ فِي طَلْقٍ لِأَصْبَحٍ ذَارِيحاً
 أَدَى الْبِشَارَةِ وَهِيَ خَيْرٌ بِشَارَةِ
 مَلِكٍ وَأَشْيَاعٍ لَهُ وَقَرَابَةِ
 قَدَمِ الْجَمِيعِ وَكَانَ يَوْمَ قَدِيمِهِمْ
 فَالزَّهْرُ بَيْنَ مَقْضُضٍ وَمَذْمُوبٍ
 وَالْقَضْبُ تَرْقُصُ وَالغَدِيرُ مُصْفَقٌ
 وَالرِّيحُ قَدْ فَهَمَتْ حَيْثُ قَدِيمِهِمْ
 وَالْأَرْضُ هَذِي (٨١) الْأَرْضُ تَبْسُطُ خُدَاهَا
 أَهْلًا بِمَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ سَادَةِ
 يَغْفُونَ إِنْ قَدَرُوا وَيُولُونَ الرُّضَى
 فَهَمُّ الْغَيُوثِ إِذَا الْمُحُولُ تَوَاتَرَتْ
 الْمَوْقِيُونَ النَّارَ فَوْقَ شَوَاهِقِ
 وَالضَّارِبُ (٨٢) طُولُ الْكُمَاةِ بِمَارِقِ
 وَالطَّاعِنُ (٨٤) كُلُّ الْفَوَارِسِ فِي الْوَضَى
 مَرَجَتْ عَهْدُ الدَّرْعِ يَوْمَ ضِرَابِهِمْ
 مِنْ ضَنْبُصِيِّ الْمَجْدِ الَّذِينَ (٨٦) طَلَابِكُهُ
 فِي سِرِّ قَحْطَانَ قَدْ انْتَسَقَتْ لَهُمْ
 شَرَفٌ إِذَا كَأْسُ الْمَعَارِفِ شَعْشَعَتْ
 مِنْ عَلِيَّةِ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي
 وَتِلَاةُ قَيْسٍ وَهُوَ أَكْرَمُ مَا جَدِ
 قَيْسُ بْنُ سَعْدِ نُو الْجَلَالَةِ وَالْعَلَى
 وَلَقَدْ نَمَى نَصْرًا مُحْيَا كَأَسْمَهُ
 وَأَتَى الْأَنْمَةَ مِنْ أَبْنَائِكِهِ
 خَلْفَاءُ أُمَّةٍ أَحْمَدُ وَغِيَاثُهُمْ
 كَالنَّجْمِ بَدَتْ لَنَا وَمُحَمَّدُ
 مَلِكُ الْمُلُوكِ وَخَيْرٌ مَنْ قَهَرَ الْعَدَى
 يَا رَاكِبًا يَطْوِي الْفَلَاةَ بِجَسْرَةٍ
 مِنْ نَسْلٍ شَدَقَمٍ لَا تَمَلُ مِنَ السَّرَى
 تَشْنُو إِذَا جَنَّ الدَّجَى بِقَصَائِدِ
 اقْصِدْ بِأَنْدَالِسٍ أَعَزَّ خَلِيفَةَ

بِأَغْرَ نَهْدٍ مِنْ سُلَالَةِ أَعْوَجِ
 تَرْبُ الْعِرَاقِ عَلَيَّ أَبَاطِحِ مَنِيحِ
 وَافَتْ بِخَيْرٍ مَعْمَمٍ وَمَتَوَجِ
 أَلَتْ شَدَائِدَهُ دَهْرَهُمْ لَتَفْرَجِ
 لَا يَرْتَجِيهِ كَمَا رَأَى الْمُرْتَجِي
 وَالرُّوضُ بَيْنَ مُوشِحٍ وَمَدْبِحِ
 وَالْوَرَقُ قَدْ غَنَتْ وَلَمْ تَتَلَجِحِ
 فَحَبَّتْ بِكُلِّ مُعْطَرٍ وَمُؤَدِّجِ
 لِلضَّارِبِينَ قَبَابَهُمْ بِالْمُدْرَجِ
 بِسَوَاهِمِ صَدْرِ الْعَلَى لَمْ يَتَلَجِحِ
 وَيَقُلُ عِنْدَهُمُ الْكَثِيرُ لِمَتَلَجِحِ
 وَهُمْ اللَّيُوثُ غَدَاةُ يَوْمِ تَوَلَّجِ
 كَادَتْ تَذُوبُ (٨٧) بِجَا حَمْرٍ مُتَأَجِّجِ
 إِنْ يُدْعُ لِلْمَعْتِ الزَّوَامِ يَعْرِجِ
 بِشَبِيهِ أَرْشِيَّةِ (٨٥) يَلُوحُ بِمُدْلَجِ
 وَعَهْدُ فَتَكُ سَيُوفُهُمْ لَمْ تَمْرَجِ
 دَرَجًا وَطَيْبُ ثَنَانِهِمْ لَمْ يَسْدِرِجِ
 سَرَوَاتُ أَرْحَامِ كِرَامِ وَشَجِجِ
 فَيَغْيِرُ طَيْبِ حَدِيثِهِمْ لَمْ تَمْرَجِ
 قَدْ شَادَهُ سَعْدٌ كَبِيرُ الْخَزْدِجِ
 نَدْبُ بَغْيِرِ فِضَائِلِ لَمْ يَلْهَجِ
 وَالْحَمْدُ بِأَسْمِ الْبَشْدَا الْمُتَارِجِ
 فَالْحَقُّ لَوْلَا نَصْرُهُ لَمْ يَعْرِجِ
 كُلُّ لَهُ شَرَفٌ كَرِيمُ الْمُنْتَجِ
 إِذْ لَا مُغِيثَ غَدَاةٍ خَطْبُ قَدْ يَجِي
 شَمْسٍ بِأَفْقِ عُلَاهِمُ الْمُتَبْرِجِ
 مِنْهُمْ وَأَكْرَمُ مَلْجَمٍ أَوْ مُسْتَرِجِ
 كَالْقَدْحِ تَبْصِرُهُ بِكَيْفِ مُعْوَجِ
 أَوْ تَصْدَعُ الْبَيْدَاءَ صَدْعُ الدَّمْلَجِ
 الْأَدَاةُ (٨٧) فِي حَفْظِهَا لَمْ تُخْوَجِ
 فِي عَصْرِهِ وَأَجَلُ مَلِكٍ قَدْ رَجِي

84 /

85 /

واخصُصْ بما نظمتَ مولىً مُتعمِّماً
 أضحتَ مدائحُنا خداجاً كُلِّها
 ما الأرضُ في الزَّمنِ (٨٨) الجديبِ إلى الحيا
 يا مَنْ يفاخرُهُ وراءَكَ لَيْسَ ذا
 مَلِكٌ لَهُ خَضَعَتْ تَباعِبُ حَميرِ [61]
 لو كانَ عِنْدَ البَدْرِ بَعْضُ جَمالِهِ
 أو كانَ عِنْدَ البَحْرِ بَعْضُ وَقارِهِ
 أو جازتِ الظُّلُماءُ نُورَ جَبينِهِ
 أغناهُ شَرِبُ دَمِ العَدِيِّ، ولو اؤَه
 لهُ في يَوْمِ الحروبِ مُحَمَّدٌ
 والخيلُ تَرَحَّفُ بالكِماءِ كأنها
 من أشهبِ كالطُّرسِ لآحِ الطَّعْنِ في
 أو أشقرِ كالبرقيِّ أو مَضَ في دَجِي
 أو أحمرِ عرقتِ نواصِعُ نَحْرِهِ
 أو أصفرِ لبسِ الأصيلِ وعرفُهُ
 أو أذهمِ كسوادِ عَيْنِ فَتَحَّتْ
 أو أشعلِ كضرامِ نارٍ إن يَطُلْ
 من خيرِ أنتاجِ الوجيهِ ولاحِقِ [62]
 تَنقُضُ عَقباناً وفوقَ ظَهْرِها
 أقسَمَتِ ما حَسَناءُ طرَّةُ (٩١) دَمِيَّةُ
 من عَفْرِ أرامِ الكناسِ بوَجْرَةٍ
 مَضعوفةٍ مَجْرى الوِشاحِ تخالها
 مَعشوقةُ اللحظاتِ طيبةُ الشُّذا
 كاقاحةِ سَقِيَّتِ بِماءِ غَمامَةٍ
 يوماً بأشبهى عِنْدَهُ مِنْ مَشْهَدِ
 ولقدِ حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ والألبي (٩٢)
 ما الزُّهرُ مُمْتَسِكاً بأذْيالِ الصَّبَا
 أو في لَدَيْهِ مَحاسناً مِنْ رايَةٍ
 شَهْمِ أخو حِزْمِ سَلِيمِ رايَةٍ
 لو كُنْتُ (٩٣) تَشْهَدُهُ أَمامَ بِلادِهِ
 وإذا المَنايا تَلْتظي بِجَهاثِها

/86 /

/87 /

لسوىِ علاهُ التَّنظُّمِ لِمَ يَتَحَوِّجُ
 فإذا خَصَّصناها بِهِ لِمَ تُخَدِّجُ
 مِنّا إلى جَدوىِ يَدَيْهِ بِأَخْوَجِ
 يوماً بَعثَكَ في المَفاخِرِ فادرُجِي [60]
 وبنو (٨٩)، الأعاظِمِ مِنْ قَبائِلِ مَذحِجِ
 عِنْدَ انْخِسابِ كَمالِهِ لِمَ يَبْهَجِ
 عِنْدَ اشْتِدادِ الرِّيحِ لِمَ يَتَمَوِّجِ
 لِمَ تَبْغِ صَدْعَ صَباحِها التَّبلاجِ
 عَن مَورِدِ عَذْبِ وَغَلِّ سَجَسِجِ
 والأرضُ تَشْرِقُ بِالقِنا المَتوشِّجِ
 بَحْرُ وبيضِ الهِنْدِ طامِسيِ الأموجِ (٩٠)
 لِبائِهِ كسَطورِ خَطِّ مَذمُجِ
 تَقِعُ بِكَرَّاتِ الخيولِ مُهَيِّجِ
 فَعَدَّتْ كَمِثْلِ الخَمْرِ مَهَمًا تَمزِجِ
 كالألبيِّ قاضِ على الأصيلِ المَبْهَجِ
 وحجواهُ كيباضِها المُستَمزِجِ
 في الحَربِ هائلِ نَفْخِهِ يَتأَجِجِ
 قَبِ الأياطِلِ مِثلِها لِمَ يَنْتَجِجِ
 أُسدٌ مَتى دُعِيَتْ نِزالِ تَهَيِّجِ
 تَرنو إِلَيْكَ بِطَرفِ أَحورِ أدعِجِ (٩١)
 مَنيتِ بِأبيِّ مَجَلِسيِ ومَهْجِجِ
 بِذِرا عَلي غُصنِ بَدِعيِّ رَجِجِ
 تَفترُّ عَن أَلَميِ أَغرِ مَقْلِجِ
 في روضَةِ بالزَّفَرِذاتِ تَأرِجِ
 بِسوىِ الحُسامِ بِكفِهِ لِمَ يَفَرِجِ
 بِسوىِ مَواقِفِ قومِهِ لِمَ يَحْجِجِ
 في إثْرِ وِيلِ البِطَاحِ مُدبِجِ
 مِنْ فِوقِ رَمِحِ بِالدِّماءِ مُضَرِّجِ
 لِمَ تَرَمِ كَفَ النَقْدِ مِنْهُ بِبَهَرِجِ
 أَيامَ لِمَ تَمَنِّحُهُ وَشَكَ تَواعِجِ
 كالنارِ تُشعَلُ في الفُضْفا والعَرَفِجِ

لرأيت ليثا والفوارس دونة
 حتى إذا ظفرت يدها بفتحها
 وأذل صائل فتنة خبطت إلى
 وأتى إلى غرناطة في طالع
 قيدت له مثل العروس وإنها
 أضفى على أعطافها حلل الرضى
 وحوى بها الملك الذي هو أهله
 وتزينت من وجهه أفاقها
 فاسمع محمد حمدها فقياسه
 وليكها مني مدائح أنهجت
 ولو اني أعطيت كل بليغة
 لأتيت بالتقصير معترفا ولم
 فاشرف وسد وأسعد وعز وجد وصل
 والله يمتحك الأمانى كلها

ورفع بعد ذلك متوسلا بقوله :

(طويل)

حظيت بعز الملك والشرف المحض
 وفضلك الرحمان بالعلم والتقى
 وأصبحت في الأملاك أمجد واحد (١٦)
 نماك إلى العلياء كل خليفة
 وبالك من ذرية (١٧) ظل بعضها
 عدوك أضحى بالرماح مجذلا
 وقد كان يشقى بالندامة قبلها
 يمينا لهذا العنصر نحوك قد أتى
 وملك (١٨) طاهر ومطهر
 قدمت علينا بالجيش وإنما
 على كل طرف سايق الذيل سابق
 جياذ تمل العين من طول شاورها
 شهدت لقد أطلعت غر كتاب

منقضة مثل النعام الهدج
 وغدت نفوس الخلق ذات تحشرج
 أعطانها خبط البعير الأعرج
 للسعد هاد نحو أكرم منهج
 بسوى نجوم الأفق لم تتموج (١٥)
 فهفت إلى ذكرى الحبيب لها الشجي
 ويكل مدح يرتضى قمن حج
 بأجل من قمر السماء وأبهج
 لسوى مقامك شكله لم ينتج
 برد الزمان وبردها لم ينهج
 ويكل ما يهوى البيان إلي جي
 أبسط سوى كف الفقير المحوج
 والتذ واصعد واسم وانعم وأهج
 ما احتل بدر في ثواني الأبرج

'88 /

ومكك الرب المهين في الأرض
 فقت بما يرضيه في النقل والفرض
 تحض على دين الندى أيما حض
 بأمر إله العرش تصدع أو تقضي (١٧)
 كما شاءه المجد المؤئل من بعض
 وذاق من الإذلال مضاً على مض
 فمهما خلا أدمى الأنامل بالعرض
 بنصر لأبكار البشائر مقتض
 نقي ثياب المجد مستنوي العرض
 قدمت بأسد سرع الوتب والريض
 يكاد يذيب اللجم باللوك والرض
 ولكنها ما إن تمل من الركض
 إذا عرضت أذكرنا موقف العرض

89 /

تَرَى النَّقْعَ سَحْبًا أَثْقَلَتْ بِدَمِ الْعِدَى
 إِذَا خَفَقَتْ أَعْلَامُهَا فَرَمَاحُهَا
 حَمَيْتَ حَمَى الْإِسْلَامِ فَاللَّهُ رَيْنَا
 إِذَا مَا دَنَا مِنْ أَفْقِ مَلِكِكَ مَارِدِ
 لَكَ اللَّهُ مِنْ مَلِكٍ لِسَيْفِكَ مُنْتَضِ
 تَنَامُ الرَعَايَا تَحْتَ ظِلِّ أَمَانِهِ
 هَمَامٌ إِذَا مَا هَمُّ أَمْضَى عَزِيمَةً
 تُثِيرُ أَحْمَ النَّقْعِ كُحْلًا جِيَادُهُ
 نَهْوِضُ إِلَى الْأَعْدَاءِ لَا فِعْلٌ بِأَسْه
 يَمِيضُ عَجَاجُ اللَّيْلِ أَسْوَدَ حَالِكًا
 مُحَمَّدُ الْمُحِبُّوبُ بْنُ يُوْسُفَ الرَّضَى
 أَخُو الرُّشْدِ لِلْعُلْيَا وَلَكِنْ حُسَامُهُ
 وَطَبِيقُ أَقَاتِ الْبَسِيطَةِ مَذْحُهُ
 كَرِيمٌ عَلَى التَّعْذَالِ لِلْمَالِ مُسْخِطِ
 إِذَا مَا شَكَ قَبِيضًا أَخُو الْفَقْرِ عِنْدَهُ
 وَأَفْعَالُهُ تَخْتَصُّ بِالْخَفِضِ وَالْفَنَى
 دَرِيٌّ بِكَسْبِ الْمَدْحِ يُفَنِّي نَظِيمَهُ
 إِذَا مَا حَدَا الرِّكْبَانُ فِي السَّيْرِ بِاسْمِهِ
 وَلَا عَيْبَ فِي عُلْيَائِهِ غَيْرَ أَنْهَاءَ
 أَمْوَالِي جَاءَ الْعَيْدُ وَهُوَ مُذَكَّرٌ
 بَقِيَتْ عَزِيْزُ الْمَلِكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا

190 /

فَبَرِقَ الظُّبَا مَا بَيْنَهَا صَادِقُ السُّومِضِ
 كَأَنْتَمَلِ أَسَى فِي الْحَنُوِّ عَلَى النَّبْضِ
 يَضَاعَفُ مَا قَدِمْتَ مِنْ أَحْسَنِ الْقَرِضِ
 رَمَاهُ بِنَجْمٍ مِنْ سِنَانِكَ مُنْقَضِ (١٠٠)
 وَاللَّطْرَفِ فِي يَوْمِ الْوَعَى أَبْدَأُ مُنْضِ
 وَأَجْفَانُهُ لَمْ تَكْتَحِلْ سَنَةَ الْغَمِضِ
 هِيَ السَّيْفُ بَلْ بِالسَّيْفِ تَزْدِي إِذَا تَمْضِي
 إِذَا الشَّمْسُ فِي الْهَيْجَاءِ بِالْأَعْيُنِ الْمَرِضِ
 تَزَلُّ وَلَا مَمْشَاهُ (١٠٢) لِلْحَرْبِ بِالْذُّخْرِ
 فَيَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ مِنَ النَّصْرِ مَيْضِ
 بِأَيِّ رِضَى بِالسُّعْدِ أَحْكَامُهُ تَقْضِي
 يَدِينُ مَعَ الْأَجَالِ فِي الْحَرْبِ بِالرَّفْضِ
 فَسَارَ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ
 وَلَكِنَّهُ سَخِطَ لِكُلِّ الْوَرَى مَرِضِ
 ثَنَاهُ وَلَا قَبْضُ وَالْمَالِ ذَا (١٠٣) قَبْضِ
 فَأَعْجَبَ لِلْأَفْعَالِ تَخْتَصُّ بِالْخَفِضِ
 بِمَالِ شَتِيَّتِ بِالنَّدَى جِدُّ مُنْفِضِ
 طَوْتُ عَيْسُهُمْ مَا لِلْفَلَاةِ مِنَ الْعَرْضِ
 تَرَى مَالَهَا طَوَّلَ الْعِدَاةِ وَالْبُغْضِ
 لِأَحْوَالِهِ يَا خَيْرَ مَنْ عَيْدُهُ يَرْضِي
 وَمَأْتِ قَدْوَةُ الْقَضْبِ فِي رَوْضِهَا الْغَضِ

وَأُنشِدُ الْفَقِيهَ الْعَدْلَ، الْمَتْرَقِيَّ بَعْدَ إِلَى تَعْلِيمِ الْأَمِيرِ وَادِهِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ

الشَّرِيشِي [64]، قَوْلُهُ :

(طَوِيل)

فَكُنْ كَيْفَ تَهْوَى فَالزَّمَانُ لَكُمْ مَلِكُ
 مَقَالِيدُهَا وَالْبَرْ وَالْبَجْرُ وَالْقَلْبُكَ
 سَوَى لَتَنَالِ الْمَلِكُ يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ
 طَلَابُ تَرَاثٍ فِي مَدَاكِ لَهَا دَرْكُ
 وَلَا لَيْسَتْ إِلَّا إِلَى نَصْرِكَ التَّرْكُ
 فَجَرُّ عَلَى أَعْدَانِكُمْ سَيْفُهُ الْهَلَاكُ

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكَ الْمَلِكُ
 وَكُلُّ الْبَرَايَا فِي يَمِينِكَ أَلْقِيَتْ
 فَمَا جَرَّتِ الْفُلُكُ الْمَوَآخِرُ أَوْ رَسَتْ
 وَمَا عَدَّتِ الْجُرْدُ السَّوَابِقُ إِذْ عَدَّتْ
 وَلَا أَعْمَلَتْ سَمْرُ الْعَوَامِلِ وَالْقَنَابَا
 وَلَا جَرَّتِ الْأَفْلاكُ إِلَّا بِسَعْدِكُمْ

فيا مالك الأملاك غير مدافع
ويا وارث العلياء عن خير واليد
من الغالبيين الذين لدى الوغى
بني نصر الأعلين أنصار أحمد
هم نصروا المختار في كل مشهد
وشنوا عرى الإسلام بعد انفصامها
وهل مثلهم إلا سلاله مجدهم
فيا أيها المنصور والملك الذي
لَكَ اللهُ ما أخفى لطائف قد بدت
سلكت سبيلا أعجز الخلق كنهها
خلعت ولا شين وحسبك إسوة
وفارقت دار الملك لا عن قلى لها
ولكن قضاء الله يجري وحكمه
وكتت كما الباقوت قلب في عى (١٠٦)
وأحت كبد التم إذ نال شخصه
أعدت ضيا الإسلام من بعد ظلمة
وغزت بأجر الصبر والظفر الذي
لذاك بدا ثغر الهدى وهو ضاحك
فهتبت يا مولاي أرغد عيشة
قدمت على "غرناطة" وعروضها
وأويتها بعد الزحاف سلامة
وأبرمت عقد السلم بعد انتفاضه
فأهدتك بشرى من رباها لنشرها
وثغر الأتقي افتتر من جدل يكم
وورد الرياض احمر من حجل به
فهتبت يا مولاي عود خلافة
وأنا لترجو أن تعود كبدتها
فلمكم والصفح منكم ودائنة
فأول المسيء منهم فضل حلمكم
وهتبت ما حوت من هلك غادر
جزاء فاقا من حكيم مهيمين

ووسطاهم إما ينظمهم سلك
به في سماء المجد قد رفع السمك
لسمر العوالى فوقهم شهب تذكو (١٠٥)
ومن في قم الأيام نكرهم ضحك
وهم آثروا إذ (١٠٥) كان من غيرهم مسك
فأصبح دين الحق لم يعبره إفسك
محمد الأرضى الذي حبه نساك
محبته دين ويغضته شرك
لديك من الرحمان لم يخفها شك
فهل ملك في طي أثوابه ملك
بملك الذي لا يتغى مثله ملك
ولا عن ملال كان منها ولا فرك
وهل أحد عما قضى الله ينك
وكالذهب الإبريز خلصه السك
خسوف ومن بعد استبانته به الحيك
وجمعت شمل الدين وأفترق الشرك
قد أعقبه يا حسنة عمل يزكو
وحق لأرباب الضلالة أن يبكو
وإن الذي ناواك عيشته ضحك
توالى على أجزائها الجزء والنهك
وإن الخليل [65] يرتضى ذاك لا شك
يكف بغاة في الجهالة ما انفكوا
بنود شقيق منذ بعدكم حلك
كما زهر الروض الأنيق له ضحك
وعرف الربى يحكي شذاك له المسك
أعيد لها الإسلام والدين والنسك
بعدلكم والظلم يرفع والفتك
وحاشاكم من أن يكون لذا ترك
لتلقاه عبدا يشكر الحلم لا يشكو
وأشباعه والغدر يتبعه الهلك
له البطش والإمهال والأخذ والترك

/91 /

/92 /

لوقعتها قد كادت الأرض تنسلك
 وأنى لهم من أخذة الله منك
 يقيد هوان ماله أبداً فك
 وفوق أديم الأرض من دمه سفك
 أنته المنايا قبل وانتشر السلك
 بسلك الردى أنى يرى مثله سلك
 على شرفات النصر أصدافها السك
 لياليهم اللاتي غدرن بها الحلك
 خطوط لذي ذكرى ومعتبر يزكو
 عوارف رحي من إله له الملك
 وسيفك في صدر العدو له فتك
 عبيد نذاك العرب والروم والترك

وأشيد الفقيه الأديب، أبو بكر بن الفقيه الكاتب أبي القاسم بن قطبة [66]

قوله :

(كامل)

وجه الزمان بدا له استيشار
 انظر إلى الدنيا يروك حسنها
 ليست ملايس سندس أعلامها
 وتفتح السرد النصير بروضة
 وتارجت نفحاته فكانمأ
 وكانما عشق الحيا زهر الربى
 وكانما زار الحبيب محبة
 وكانما خشي الرقيب فجردت
 وكان حر الشمس خيف فأسدلت
 وكانما سجعفت بجود محمدا
 ملك يعز المسلمون بملكه
 إن ساه أحجمت الأسود ضراعة
 أو لاح في نادي المكارم وجهه
 لا تحسبوه كالضراغم ريمما
 من قاس بالأنواء جود بنائه

فاشرب فكاسات السرور ثدار
 من بعدما ريعت بها النظار
 من ذي الأزهار فضة ونصار
 فاصفر من خجل هناك بهار
 قامت بشكر نسيمها الأطياف
 فلذاك تبسم أن بكى الأزهار
 سرا فرامت ستره الأشجار
 أسافها تحمي الحمى الأنهار
 للسحب فوق رؤوسنا أستار
 فبدا على عجل لها استعبار
 وذل من سطواته الكفار
 أو جاد ودت جوده الأمطار
 خجلت بنور جبينه الأعمار
 عند الضراغم يستخام الجار
 فلقد تخيد، وجوده مدار

أمحمد لما قدمت تيمنت
 عهدي باندس وقد فارقتها
 والأرض راجفة تمور وأفلهها
 والملك يطم خده من حسرة
 والقادرون بها ملك إسوة
 قد ألبسوا حلل الملوك وطالما
 وتوهموا أن لا زوال لأمرهم
 ولجوا على رضوان ليلاداره
 قتلوه ما بين البنين ومثلوا
 ما كان قصدهم سواك وإنما
 وقضوا على أخوتك وهي مصيبة
 هب أن إسماعيل أذنب ^أ وأتى
 أعزوه مع زمن الصبا فاجابهم
 فاذكر أباك وأوراه مجذلاً
 ما كان يصنع إذ رأى قيساً وقد
 أعز علي بن أري الروطي بها
 ما زال كيدهم يزيد نموه
 فملكك ملك أبيك دون منازع
 مذ عاد مولانا الإمام بملكه
 أو ما ترى الأيام كيف تبسمت
 مولاي لما غبت غب سرورنا (١٠٧)
 وتحكم الغدار فينا ظالمأ
 ونفى وطرد واستطال بفسده
 لكن بعودة ملككم عدنا لها
 كم مبغض في أرض فاس لم تزل
 سل هؤلاء كيف كنا بعدهم
 لو كنت تبصرنا لراقت فعلنا
 فأنصر عليهم ولتخبب كيدهم
 وأحسن ونب قدرنا بين الودي

همم الرجال وصحت الأخبار
 نكلى فليس لعقلها استقرار
 حزن وألباب الرجال تخار
 واللوم قد غصت به ذي الدار
 يدعى إمامهم بها الغدار
 كانت تعز عليهم الأمطار
 ما لاح نجم واستضاء نهار
 غداراً كأن الغدر ما هو عار
 ظلماً به أنى يقال عثار
 كان الفداء وساعد المقدار
 دمع الهدى من بهرها مدار
 ذنباً فإن عقابه استغفار
 إن الشباب بمثلها أمار
 لغدا عليه العقل وهو مطار
 عبت الحسام بحسنه البتار
 حياً ولصيد الكرام يوار
 حتى أتاهم جيشك الجرار
 وعنا المعاند واستقر الدار
 سمح الزمان فمأله أعذار
 والدهر كيف بدا له استبشار
 وعلا لغيبك البسود سرار
 وتجذلت بحسامه الأحرار
 وارتجت الأوطان والأمصار
 فرحاً وهانت أبحر وقفار
 تقضى لنا في كتبه الأوطار
 هل ضل منا للهدى استبصار
 وسرك الإبراد والإصنادر
 يامن نمته إلى العلى الأنصار
 حكمت برقعة قدرك الأقدار

5 /

6 /

وأُنشد كذلك جملةً، حَجر الله على جميعهم الإِجادة يومئذ على اتساع مجال
القول، والنُّعم تبهر، والمكيفات المتعالية عن الوصف تبتهت وتقطع.
وهذا ما تحصُل باليد بعد اللحاق بالحضرة لاستيلاء الضياع على هذه
الأغراض، وعدم العناية بها اليوم، حتى كاد يُطمس الرسم، ويُفلق الرَّهن.

هوامش الفصل الخامس

- (١) م : النصرى، تصويبه ما أثبتنا.
- (٢) بياض بالأصل.
- (٣) م : متوفراً، وهو تصحيف.
- (٤) م : محيت نقط الشين.
- (٥) م : الشراف. تصويبه ما أثبتنا.
- (٦) م : تحصل.
- (٧) م : صرفه عنهم، والأنسب ما أثبتنا.
- (٨) م : محيت نقط اللفظة.
- (٩) م : الجلا.
- (١٠) بياض بالأصل.
- (١١) م : الأعيال، وهو تحريف.
- (١٢) م : الحطب، صحته ما أثبتنا.
- (١٣) م : مطار الفتح وزكون، تصويبه ما أثبتنا.
- (١٤) م : معمره، وهو تصحيف.
- (١٥) م ويجزيم.
- (١٦) م : السقارة، ولعلها الستارة.
- (١٧) م : السب، وهو تحريف.
- (١٨) م : معزراً، وهو تصحيف.
- (١٩) م : وولى، تصويبه ما أثبتنا.
- (٢٠) م : وتحمد، وهو تحريف.
- (٢١) م : وعده، وهو تحريف.
- (٢٢) م : استخلصها، صحته ما أثبتنا.
- (٢٣) م : عمالته، وهو تحريف.
- (٢٤) كتبت في الهامش.
- (٢٥) م : الإلاهية، وهو تحريف.
- (٢٦) م : الأسررة، وهو تحريف.
- (٢٧) م : اخراس.
- (٢٨) ساقطة في المتن.
- (٢٩) م : والاقام، صحته ما أثبتنا.
- (٣٠) م : الأعمار، وهو تصحيف.
- (٣١) م : توضياته، صحته ما أثبتنا.
- (٣٢) م : جملة، وهو تصحيف.
- (٣٣) م : رحما.
- (٣٤) م : المخص وهو تصحيف.
- (٣٥) م : الباس، وهو تحريف.

- (٣٦) بياض بالأصل قدرناه بما أثبت.
- (٣٧) م : الإيلة، صحته ما أثبتنا.
- (٣٨) م : فاحتبل، وهو تصحيف.
- (٣٩) م : والوم، وهو تحريف.
- (٤٠) م : بغيته، تصويبه ما أثبتنا.
- (٤١) م : الذي جعل الخرو.
- (٤٢) م : أو شاب وهو تحريف.
- (٤٣) بياض في الاصل.
- (٤٤) م : التعديد، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (٤٥) م : المصجرات، وهو تصحيف.
- (٤٦) م : الأرض، مع إشارة إلى استبدالها بلفظة الفضاء التي كتبها الناسخ في الهامش.
- (٤٧) بياض بالأصل قدرناه بما أثبتنا.
- (٤٨) م : الوعة وهو تحريف.
- (٤٩) م : الحار، ولعلها الحائر.
- (٥٠) م : بغدر.
- (٥١) م : الشاهد.
- (٥٢) م : أثار، تصويبه ما أثبتنا.
- (٥٣) م : اتخذ.
- (٥٤) م : صرح، وهو تصحيف.
- (٥٥) م : الملك، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (٥٦) م : ورد الشطر كما يلي : "عمر وشاي في العلى يلحق"، ولعل الأنسب للوزن والمعنى ما أثبتنا.
- (٥٧) م : وتانق.
- (٥٨) م : وفق.
- (٥٩) م : وجاج، وسياق المعنى والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (٦٠) م : تخير، لا يستقيم بها الوزن.
- (٦١) م : لم يثني، تحريف واضح.
- (٦٢) م : تصفو، وهو تصحيف.
- (٦٣) م : قينه، ولعلها ما أثبتنا.
- (٦٤) م : محيت نقطتا الياء، ولعلها ما أثبتنا.
- (٦٥) م : الند.
- (٦٦) م : أشواق.
- (٦٧) هذا الشطر مكسور.
- (٦٨) م : مفند.
- (٦٩) م : أكباد، ويستقيم الوزن بما أثبتناه.
- (٧٠) م : تقنت.
- (٧١) م : مرسل، وهو تحريف.

- (٧٢) م : مناسبك، غير منقطة النون.
- (٧٣) م : وفي، تحريف مخل بالوزن، صوابه ما أثبتنا.
- (٧٤) م : المعين، وهو تحريف.
- (٧٥) م : لباته، والأنسب للوزن والمعنى ما أثبتناه.
- (٧٦) م : مكمد، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (٧٧) م : حسد.
- (٧٨) م : كتب البيت في الهامش.
- (٧٩) م : م : ييج، وقد أضفنا الياء في بعض قوافي ما يأتي من القصيدة استيفاء للمعنى.
- (٨٠) م : الليل، سهو من الناسخ.
- (٨١) م : هاذى، والوزن يقتضي قراحتها بدون مد.
- (٨٢) م : ينوب.
- (٨٣) م : والضاريون، الوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (٨٤) م : والطاعون.
- (٨٥) م : أرشبية، ولا معنى لها، ولعل الأنسب ما أثبتناه.
- (٨٦) الأنسب للوزن قراحتة : من ضنضيء المجد الذي.
- (٨٧) كذا في الأصل ولا يستقيم بها الوزن.
- (٨٨) م : الزمان، والأنسب للوزن قراحتها الزمن.
- (٨٩) م : بنوا، تحريف مخل بالوزن والمعنى، صوابه ما أثبتنا.
- (٩٠) يعني بها الأمواج، وحذف الألف لضرورة الوزن.
- (٩١) م : ما حسنا، زدنا الهمزة ليستقيم الوزن.
- (٩٢) محيت اللفظة ولم يبق منها إلا الجيم، فقد رناها بما أثبت.
- (٩٣) م : الأولى، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
- (٩٤) م : كانت، ولا يستقيم بها الوزن.
- (٩٥) هكذا في الأصل والأنسب قراحتها تتزوج.
- (٩٦) م : وأحدا، سهو من الناسخ.
- (٩٧) م : وتنقض، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
- (٩٨) م : درية، وهو تصحيف.
- (٩٩) يبدو أن الناسخ سها عن لفظة مما أدى إلى كسر الشطر.
- (١٠٠) م : بمنقض، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (١٠١) م : تمض، وقد زدنا الياء لسياق المعنى، كما زدناها في أواخر بعض القوافي إذا اقتضاهما السياق.
- (١٠٢) م : ممستاه.
- (١٠٣) م : إذا، وهو تحريف مخل بالوزن، صوابه ما أثبتنا.
- (١٠٤) م : تذك، وقد زدنا الواو في أواخر بعض القوافي إذا استلزمته المعنى.
- (١٠٥) م : إذا، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (١٠٦) كذا في الأصل، ولعلها غضى.
- (١٠٧) م : سروننا.

تعليقات الفصل الخامس

- [1] الميشر : يقصد به أخا زوجة Pedro el Cruel الذي كان أسيرا لدى أبي سعيد البرميخو محمد السادس.
- [2] قشره : (Castro) يقع جنوب غرب مارتش اتجاه قرطبة. أنظر (- لحة ص ١١٤ . - الإحاطة ٥٣٥/٨).
- [3] متوفز : فعله توفز، أي تهيأ.
- [4] اشر : (Iznàjar) يقع بين مالقة وقرطبة، وقد كان من الحصون المهمة. أنظر (- نزهة المشتاق ص ٢٠٤ . - الإحاطة ٥٢/٢).
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 124.
- [5] لوشة : (Loja) تقع غرب غرناطة على ضفتي نهر شنجل، وقد كانت من أهم المدن الأندلسية. أنظر (- معيار الاختيار
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 95.
- W. Hoenerbach, "Loja en la época naṣṛī", Miscelánea de Estudios Arabes y Hebraicos, III, (1954), pp. 55-69.
- أنتقيرة : (Antequera) تعتبر من المدن الأندلسية القديمة، وتقع بين مالقة وغرناطة. انظر (معجم البلدان ٢٤٢/٨).
- L. Torres Balbás, "Antequera islámica", Al Andalus, XVI, (1951), pp. 427-454.
- José Luis Ortega, Así es Antequera, Málaga 1955).
- أرجبونة : (Archidona) أو أرشونة، وهي تقع شمال غرب مالقة على نهر شنجل. انظر (الروض المعطار، نشر ليفي بروفنسال ص ١٢ . - معيار الاختيار ص ٦٦).
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 38.
- F. Requena, "El castillo de Archidona o fortaleza de Raya", Boletín Asociación Española Amigos Castillos, (1965), pp. 191-204.
- [6] حصن بني بشير : (Benameji) يقع على ضفة نهر شنجل ناحية المنكب. أنظر (- المقتبس ١٤٨/٥).
- Madoz, Diccionario geográfico, IV, p. 177).
- [7] حصن الصخرة : يقع بين أنتقيرة ورندة، وقد اندثر الآن. أنظر (- الإحاطة ٧٨/٢ . - الروض المعطار، تج. إحسان عباس ص ٣٥٥).
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 128).
- السهلة : هناك منطقتان تحملان هذا الإسم، الأولى : منطقة سهلية تقع إلى الغرب من تيرويل الحالية بمسافة ٣٠ كلم، وتسمى بسهلة بني رزين، أما الثانية : وهي المقصودة، فحسب وصف ابن الخطيب، حصن قريب من لوشة، وقد اندثر الآن. أنظر (- حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون ص ١٠٤).
- J. Bosh Vilà, Historia de Albarracín y su sierra, t. II, p. 79).
- [8] محمد بن علي بن مسعود، كان وزيراً لأبي سعيد البرميخو محمد السادس. لتفصيل أخباره أنظر (- النفاضة ١١٢/٢ - ١٣ . - النفع ١٤٢/٥).
- [9] إدريس بن عثمان بن أبي العلى بن عبد الحق المريني، ولاء أبو سعيد البرميخو إمارة الجند

- المغربي بدل يحيى بن عمر بن رحو، قتله عبد العزيز المريني سنة ٧٧٧هـ / ١٣٦٨م. أنظر (النفاسة ١١٥/٢ . - الاحاطة ٥٢٩/١ . - العبر ٧٨١/٧).
- [10] حصن منتفريد (Montefrio) يقع شمال غرب غرناطة بين لوشة وجيان. أنظر (معيان الاختيار ص ٦٥ . - عنان : نهاية الأندلس ص ٥٠).
- [11] هذا البلد : المغرب.
- [12] الاعلاج : ممالك مسلمون من الفرسان الرماة. أنظر (- ورقات المنوني ص ٧١).
- [13] الحصب : ج حصياء، وهي الحجارة.
- [14] الأكيش : ج كيش، وهي آلة حربية تستعمل لهدم الأسوار، أنظر (دوزي ٤٤٠/٢).
- المجانيق : ج منجنيق بفتح الميم وكسرهما، وهي آلة حربية تقذف بها الحجارة.
- الرعادات : أو العرادات، ج رعادة أو عرادة، وهي آلة حربية لومي الحجارة.
- الدبابات : دبابة، وهي آلة تتخذ في الحصار، كانوا يدخلون في جوفها، تدفع في أصل الحصن لينقبوه.
- الستائر : ج ستارة، وهو حاجز خشبي يحتمي به الجنود. أنظر (دوزي ٦٣٢/١).
- [15] اليرة : (Illora) قرية تابعة لغرناطة، تقع شمال مدينة لوشة، أنظر (- حسين مؤنس : الجغرافية والجغرافيون ص ٥٨٤).
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 51.
- L. Seco de Lucena, Tóponimos árabes identificados, p.5).
- [16] قيد : مسافة.
- [17] "حضر قضهم وقضيههم" : مثل يضرب إذا جاء القوم كبيرهم وصغيرهم. أنظر (فصل المقال ص ١٩٨).
- [18] حصن قنيط : (Canete la Real) يقع بين قرطبه وجيان. أنظر (البكري : معجم ما استعجم ص ١٧٠).
- [19] أبو النعيم رضوان : مولى آل نصر ، تولى عدة مهام، وقد كان حاجبا للغني بالله، قتل في ثورة إسماعيل ضد أخيه الغني بالله سنة ٧٦٠ هـ / ١٣٥٨م. أنظر (- الاحاطة ٥٠٦/١ . - ٥١٣ . - المقري : أزهار الرياض ٢٠٢/١).
- J.M. Casciaro, "El visirato en el reino nazarí de Granada", Anuario de Historia del Derecho Español, XVIII, (1947), pp. 233-58).
- [20] حصن فردالش : (Ardales) يقع شمال أنتقيرة على بعد ٢٢ كلم (Campillos) وهو تابع لمالقة.
- Madoz, Diccionario geográfico, II, 496.
- [21] حصن برغه : (Burgo) يقع بين مالقة ورندة. أنظر (- الاحاطة ٥٧٥/٤ . - جغرافية الأندلس وأوروبا ص ٧٣).
- [22] حصن قصر بنيرة : (Casarabonela)، وفي معجم البلدان : قصر بليرة، وهو يقع شمال مالقة. أنظر (- معجم البلدان ٤٩٣/١).
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 128.
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 57.
- R. Berjano Pérez, El repartimiento de Casarabonela, Málaga, 1974).

- [23] ذكوان : (Coín) يقع غرب مالقة على النهر الكبير. انظر (- تحفة النظار ١٨٩/٢ . - البيان المغرب ١٨٩/٢ .
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 122.
- F. Bejarano Robles, "El repartimiento de Coín", Gibralfaro, XVI - XVII, (1965) pp. 108-139).
- [24] حصن قرطمة : (Cártama) يقع شمال غرب مالقة، وقد كان من حصونها المنيعة. انظر - نزهة المشتاق ص ٢٠٦ .
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 121.
- R. Berajano Pérez, Los repartimientos de Alora y Cártama, Málaga, 1971).
- [25] حصن تلتش : (Tolox) يقع شمال ذكوان.
- V. (- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 123).
- [26] حصن ميجش : (Mijas) يقع بين مالقة ومريلة.
- V. (- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 122.
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 100).
- [27] القصبه : قصبه مالقة الإسلامية، وتقع على منحدر صخري قريب من البحر، يشرف على منتزه مالقة الكبير، الواقع قريباً من الميناء.
- V. (- L. Torres Balbás, "Excavaciones y obras en la Alcazaba de Málaga (1934-1943)", Al Andalus IX (1944), pp. 173-190).
- [28] بلش (Vélez Málaga)، وهي تقع غرب مالقة بمسافة ٣٤ كلم. انظر (معيان الاختيار ص ٥٣ .
- J. E. Lopez, "El repartimieto de Velez Málaga", Cuadenos de Historia, VII, (1977), pp. 357 -440).
- [29] الحمة أو الحامة : (Alhama) وهي مدينة وحصن من أعمال المرية، وقد سميت الحامة نسبة إلى العين الحارة الموجودة بها التي يقصدها المرضى للاستشفاء. انظر (- الروض المعطار، تح - إحسان عباس ص ٨٠ . - تحفة النظار ١٨٧/٢ .
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p. 146.
- L. Seco de Lucena, Topónimos árabes identificados, p. 12.
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p. 29).
- [30] سورة ٣٥ (فاطر)، آية ١٤ .
- [31] الرمانى : من أنفس أنواع الياقوت الأحمر. انظر (صبح الأعشى ٥٧/٨).
- [32] الذبائية : نسبة إلى الذبابي، وهو زمرد أخضر اللون. انظر (صبح الأعشى ١٠١/٢).
- [33] المزمة : م مزمات أو مزام، وهو نوع من القلائد.
- [34] بلخش : نوع من الياقوت الأصفر. انظر (صبح الأعشى ٥٧/٨).
- [35] الزرائف : ج زروف، وهو حرير أو جلد يزين بأحجار كريمة تحلي به المرأة شعرها. انظر (دوني ٥٨٩/٨). ولا زال الزروف يستعمل في المغرب لكنه من ذهب.
- [36] أمين الصواغ : خبير بالمجوهرات، ومهمة أمين معروفة في الأسواق المغربية إلى الآن.
- [37] سورة ٣ (البقرة)، آية ٢٥٨ .
- [38] اسحنفر : توسع.
- [39] الفسل : النذل.

- [40] بختنصر : ملك بابل يضرب به المثل في القسوة والعنف.
- [41] "اتخذ الليل جملاً" : مثل أشير إليه سابقاً.
- [42] "أشعب : شخص يضرب به المثل في الطمع فيقال : اطمع من أشعب". أنظر (مجمع الأمثال ٤٣٩/٨ رقم ٢٣٣٣).
- [43] أفزة : ج قفيز، وهو مكيال توزن به الحبوب.
- [44] صاحب الدولة : الفني بالله.
- [45] ابن السراج : يرجح أنه من أسرة بني السراج التي تنتسب إلى قضاة اليمينية. أنظر (النفاسة ١١٨/٢ - العبادي : فترة مضطربة في تاريخ غرناطة، مجلة العهد الإسلامي ٨، ١٩٦٠)، ص ٤٩.
- L. Scco de Lucena Paredes, Los Abencerrajes. Leyenda e Historia, Granada, 1960).
- [46] ابن الحسن : أبو الحسن النباهي، سبق تعريفه.
- [47] أبو القاسم محمد بن قطبة، سبق تعريفه.
- [48] "صرح المخض عن الزيد" : مثل يضرب للأمر إذا انكشف وتبين. (مجمع الأمثال ٤٠٥/٨ رقم ٢١٤٤).
- [49] اقتباس من بيت حسان بن ثابت :
- ترك الأحبة أن يقاتل نونهم ونجا برأس طمرة ولجام
(ابن قتيبة : عيون الأخبار ١٦٩/١ - اليوسي : المحاضرات ص ٢٤٧).
- [50] السبيكة : بسيط يقع جنوب شرقي الحمراء. أنظر (الاحاطة ١١٦/١).
- [51] تتبيب : خسران.
- [52] جدة : بكسر الجيم وفتح الدال، رخاء العيش.
- [53] يوجف : يحث.
- [54] سورة ٥٨ (المجادلة)، آية ١٩.
- [55] البريح : بضم الباء وفتح الراء، تعني الصريخ وإعلان الحرب والهتاف بالتعبئة. (بوزي ٦٦/٨).
- [56] الطالع : البرج الذي على الأفق الشرقي.
- العاشر : البرج الذي يقع فوق سمت الرأس.
- [57] أبو معشر الفلكي : جعفر بن محمد بن عمر البلخي (... - ٨٧٢هـ = ... - ٨٨٦م)، وهو عالم فلكي مشهور. أنظر (الاعلام ١٢٧/٢).
- [58] أبو جعفر بن صفوان : (٦٧٥ - ٧٦٣هـ = ١٢٧٦ - ١٢٦٢م) هو أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان القيسي، أبو جعفر، من مالقة، له شعر وتآليف، كما كان من شيوخ ابن الخطيب. أنظر (الكتيبة الكامنة ص ٢٩٢ - النفع ٤٦٦/٣ - الاعلام ٨٧/١).
- [59] أبو إسحاق بن الحاج : (٧١٣ - ٧٦٨هـ = ١٣١٣ - ١٣٦٧م) هو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري المعروف بابن الحاج، من غرناطة، خدم بعض ملوك تونس والمغرب الأقصى، ثم رجع إلى الأندلس، من مؤلفاته رحلة سماها : "فيض العباب، وإجالة قدادح الآداب في الحركة إلى قسطنطينية والزاب، حققه د. ابن شقرون. أنظر (الاعلام ٤٩/١).
- A. L. de Premare, Maghreb et Andalusie aux XIVE siècle, les notes de voyage d'un andalou au Maroc, 1344-1345, Lyon, 1981).

- [60] اقتباس من المثل "ليس هذا بعشك فادرجي"، ويضرب فيمن يرفع نفسه فوق قدرها. أنظر (فصل المقال ص ٤٠٣ - مجمع الأمثال ١٨١/١ رقم ٣٢٦٢).
- [61] تبايع : أو التبابعة، وهم ملوك اليمن الحميريين. أنظر (العبر ٩٢/٢ - ١١٣).
- [62] الوجيه : فرس لغني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان وهو من أجود أفراس العرب (تاج وجه - مخصص ١٩٥/٦).
- لاحق : عرفت أفراس كثيرة باسم لاحق، لكن أشهرها فرس غني بن أعصر الجاهلي. أنظر (المخصص ١٩٤/٦ - التاج، لاحق).
- [63] إشارة إلى قوله تعالى : "وإن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم"، سورة ٦٤ (التغابن)، آية ١٧.
- [64] محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني، أبو عبد الله الشريشي، أحد تلامذة ابن الخطيب، وهو الذي جمع الاحاطة، كان حياً سنة ٧٧٤ هـ = ١٣٧٥ م. أنظر (الكتيبة ص ٢١٤ - جذوة الاقتباس ٣١٧/١ - النفح ٢٨٢/٧).
- [65] يقصد الخليل بن أحمد الفراهيدي وأضع علم العروض.
- [66] أبو بكر بن قطبة : سبق تعريفه.

الفصل السادس

رجع التاريخ

«عودة ابن الخطيب الي غرناطة صجة اسرة الغني بالله»

وتحركت دقائن الحقد، وأغرى السلطان أغماره (١) [1]، والإغراء من فسل السياسة، على التتبع والمواخذه والمطالبة بالمال، وجرت في ذلك خطوب. وشرع في عرض الجيش فنال فيه الإسقاط والحطيطة، وارتابت النفوس، وأشعرت الخيفة، ومرج الأمر، واختلت السياسة، وكثر الفرار، ووغرت (٢) الصدور، وكان من الأمر ما يذكر، إن شاء الله.

فصل:

ولما اتسق الأمر، وتدمت الطاعة، وقعت بيني وبين الوزير، قطب (٣) رحي الملك بالمغرب، ومديل دوله، ومصابر هولاه، ومكفي سمائه على أرضه، أبي علي عمر بن عبد الله المكاتب في القدوم بولد السلطان، المخلف في جوارهم، وتحت حجورهم، وجمع شمله بأبيه، وهو غليم (٤)، حسن الشكل والفهم، ظاهر الحركة والنبيل، اسمه يوسف، اسم جده، فاستحثني لهذه الطلبة، وقد يسرها رأيي، ووقف عليها عزمه، وتسنى بعينها صنع الله لأبيه وفضله.

/97 / فكان الخروج من مدينة سلا في خف من الرجل، وعلى قدم تجريد / ونية عودة، يوم السبت الرابع عشر من شهر رجب عام ثلاثة وستين وسبعمائة.

ولما وردتُ الباب السلطاني المريني، جرى الرسم من العز، والمنة لله، ومقتضب الخلع المفضلة، والمراكب الفارحة، شرعت في الارتحال بالأمير ومن تعلق به من ذيل وحرمة.

رسالة من أبي زيان الى الغني بالله»

وصدرت المخاطبة بما نصه :

من عبد الله المتوكل على الله، محمد، أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين. [ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين أبي عبد الرحمان] (٥)، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين، أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، أيده الله بنصره، وأمه بمعنوتته ويسره، الى السلطان الأجل الأسمى الأعز والأرفع، الأجد الأصيل، الأزكى الطاهر الأفضل، الأسعد، الأصعد، الهمام، الأعلى، الأحفل، الأود، الأخلص، الأصفى، الأكمل، أبي عبد الله ابن السلطان الأجل الأعز الأسنى، الأنوه الأنزه الأحفل، الأفضل الأطهر، الأظهر، الأشهر، الأخطر، الهمام الأمضى، الماجد الأرضى، الطاهر الأزكى، الأكمل، المقدس، المرحوم، أبي الحجاج ابن السلطان، المعظم الكبير الشهير، الخطير المثيل، الأوحد الأفضل، المجاهد، الأزكى الأرضى الأكمل، المقدس، المرحوم أبي الوليد بن أبي سعيد بن نصر - وصل الله سعده، ووالى تأييده وعضده، وبلغه في كل مرام صالح قصده.

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله، مبدي النعم ومعبيدها، ومخول المواهب الجلية ومفيدها، ومهلك الطائفة المعاندة (٦) ومبيدها، ومهنيء أسباب الصنع الجميل لمن (٧) توكل عليه ومريدها، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبي الرحمة وعمودها، وسيد العوالم الذي كان وجوده سبب وجودها، وصاحب الشفاعة المنقذة من النار ووقودها، / وعلى آله وصحبه، الذين ثابروا على إظهار ملته وتمهيدها، وحافظوا على اقتفاء سنته وسلوكوا طرائقه بما أتاهم من قويمها وسديدها، وصلة الدعاء لهذه الدولة العلنية الإمامية المجاهدية المتوكلية باتصال عزها وسعودها، وتوالي النصر الكفيل بتمكينها وتوطيدها، وتعاقب الفتوحات في صدورنا وورودها، فإننا كتبناه إليكم، كتب الله لكم عزا مقيما، وسعدا قويما، وسعيا في مرضاة الله كريما، من حضرتنا العلية، المدينة البيضاء، مهدها الله تعالى، والصنع الجميل يروق العيون ويفوت الظنون، ويهيب الفتح المذخور والنصر المضمون، والحمد لله على ذلكم، وسلطانكم معتمد بالتكريم والثناء المقيم، والاهتمام بأموركم الحرية بالتقديم.

/98

والى هذا، أعز الله سلطانكم، فإننا لما عندنا من حسن العهد وجميل الود، والاتحاد في الصدر والورد، ننظر (٨) في أموركم كما ننظر في أمورنا، وننزل من لكم من الأولياء والأبناء النجباء منزلة أعز أبنائنا وأوليائنا، فنوسع لهم جناب التكريم، ونوثر لهم مهاد الاعتناء العميم، ونرعى أحوال الظاعن منهم والمقيم وتتحرى مقاصدكم فيه فنعتدها، ونخص أغراضكم بالتكميل ونقصدها.

ولما عزمنا على توجيه ولدكم، الأمير الأسعد، الأهدى الأحب محل ولدنا أبي الحجاج، أسعده الله وأرشدته، من بابنا الكريم الى بابكم، رأينا أن من أقرب الناس اليه، وأخصهم به، وأولاهم بتأنيسه، حظيكم الشيخ الفقيه، الأعز الأسنى، الأجد، الأنوه الأئزه، الوزير المكرم الأفاضل الأكمل، أبا عبد الله بن الشيخ الوزير الجليل المكرم المبروم، الأفاضل الأكرم المرحوم، أبي محمد بن الخطيب، أعزه الله، علما بما له عندكم وعند سلفكم من المحل الكبير، والقدر الخطير، / والمكان الشهير، وعملا على ما أشركم إليه في خطابكم إلينا بالإيحاء به من منزلته لديكم، وأثرته عندكم، واختصاصه بكم، فرأينا من ذلك أنه له الأنيس، والمراكب والجلس، والذخر من أولياء دولتكم النفيس، فأصبحناه إياه ملبسا أثواب الاعتناء، مجزلة لديه مواهب النعماء، موفى الحظ من الاحتفاء، وعرفناكم بذلك لتعلموا ما اعتمدناه في ذلك القصد الجميل، والنظر الكفيل، والله يصل عزتكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

/99 /

كُتِبَ في الثاني والعشرين لرجب الفرد، عام ثلاثة وستين وسبعمائة. وكتب في التاريخ.

وكان السفرُ يوم الأربعاء الموفى عشرين منه [2]، في زينة وعدة وركب نبيه، وعلى مرحلتين من الطريق وردت علينا مخاطبة السلطان ظانا إياي قاعدا عنه بمدينة «سلا» حسبما كان عليه عقدي، لولا أن العبد مسلوب الاختيار، مصرف بأيدي الأقدار بما نصه (٩) :

من الأمير (١٠) عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، أيد الله أوامرهم، ونصر أجنادهم المظفرة وعساكرهم، وخذل مفاخرهم الكريمة ومآثرهم الى ولينا في الله تعالى الذي نعلم ماله في الإخلاص لجانبنا، (والموالة لمقامنا) (١١) من حسن المذاهب، وخلصتنا الذي نثني على مجده البعيد الغايات في الشاهد والغائب، ونعتد به اعتدادا يتكفل بنجاح المقاصد وتمام المآرب، الفقيه الوزير، الجليل، الصدر الأوحى المثيل، الكبير الرفيع الشهير، الأصيل الماجد الخطير، الخطيب البليغ الحافل، الفاضل الكامل،

إمام البلغاء، وصدر الخطباء، وعلم العلماء، وكبير الرؤساء، الحبيب المخلص، الأود الأصفى، أبي عبد الله ابن الوزير الجليل الأعز الأرفع، الماجد الأسمى، الصدر الحافل الفاضل، / الأعلى، الخطير الشهير الكبير الأرضى، المعظم الموقر المبرور، المقدس المرحوم الشهيد، أبي محمد بن الخطيب وصل الله سعده، وحرس مجده ..

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله ولي الحمد وأهله، وناصر الحق ومطلع أنواره، من أفاق رحمته وفضله، قاهر كل باغ وخاذله ومذله، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد صفوة أنبيائه وخاتم رسله، المبعث بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، نبي الرحمة الذي ببركة محبته تلنا أقصى الأمنية في جمع الدين ونظم شمله، وبفضيلة جاهه عدنا الى أرفع رتبة ملكنا وأعلى محله، والرضى عن آله وصحبه، المقتدين بهديه في أمرهم (١٢) كله. فكتيناه اليكم كتب الله لكم عزا لا يبلى جديده، وسعدا لا ينقطع مزیده (١٣)، من حمرائنا بفرناطة - حرسها الله تعالى ومهداها - ولا متعرف بفضل الله سبحانه إلا ما عود من أطفاه الخفية، وأبدى (١٤) من صنائعه السننية، وعنايته التي تكفلت ببلوغ الأمنية، والحمد لله كثيرا كما ينبغي لجلاله، ويليق بصفات كماله، وعندنا من إجلالكم ما يليق بكمالكم، ومن المعرفة بمقداركم ما يعرب عن حسن اعتقادنا في كريم نجاركم، ومن قدر مقدار أحسابكم ما نلتزم بسببه تعظيم جنابكم، والى هذا - وصل الله سعودكم (١٥)، وحفظ وجودكم - فإننا بحسب الود الذي نصله لكم (١٦)، والحب الذي نضاعفه فيكم، (وكرم معتقدنا في فضل معاليتكم (١٧)، خاطبناكم بهذا المكتوب نشرح لكم ما من الله به علينا من الفتح العظيم الذي أشرقت له الأقطار بهذه البلاد، وما من به من العودة الى ملكنا المنوارث عن الآباء (١٨) والأجداد، وما أنعم به من قهر ذوي الشقاق والعداء، وذلك أنا - أعزكم الله - أطال علينا المقام « برندة»، ولم نزل نوجه الى أهل الحصون التي بغربي «مالقة» وغيرهم، / نقص عليهم ما ألزمهم الله من الوفاء ببيعتنا ونحذرهم عاقبة النكث لطاعتنا، الى أن أن أوان الفرج، ونفذ قضاء الله وقدره بالعودة الى ما كنا تغلبنا عليه، فاقترضى نظرنا أن خرجنا الى «مالقة» في مائتي فارس، فما ان وصلنا واديها وعلم بنا أهلها إلا وخرج إلينا جميعهم، ملبين بالبيعة، فرحين بقومنا وفي الحين بادروا (١٩) لقتال القصبية حتى استخلصوا واستنزلوا (٢٠) من فيها، وحلنا بنواحيها، وليوم آخر وصلتنا بيعات أهل الجهات التي تواليها، من «أننتقيرة» و«لوشة» و«بلش» و«صالحة» [3] و«لمتاس» [4] و«الحمة»، وسائر الحصون الغربية، فلما بلغ (٢١) الخبر الى الغادر الخاسر، خاف وذعر، ورأى أن لا نجاة له، إلا أن يفر، فجمع شرذمته، [وآلف حاشيته] (٢٢)، وخرج عن الحمراء ليلة

الخميس الماضي [قريباً] (٢٣) من التاريخ الى أرض الكفار، وفي صبيحة الليلة وجه إلينا أهل حضرتنا، وتوجهت الأجناد الى بيعتنا، وانصرفنا الى دار مملكتنا، وحللتنا يوم السبت الماضي من غير حرب ولا قتال، بل بفضل الله تعالى ذي العظمة والجلال، وعرفناكم بذلك لتأخذوا بحظكم من هذه المسرة العظمى، إذ أنتم الحبيب الذي لا شك (٢٤) فيه، والخالص الذي نعلم خلوصه (٢٥) وتصافيه، والله يصل سعدكم (٢٦)، ويحفظ وجودكم، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

وكتب في يوم الأربعاء الرابع والعشرين لجمادى الثانية عام ثلاثة وستين وسبعمئة. (صح هذا) (٢٧).

وأدرج في الكتاب ما نصه :

وصل الله لجلالكم العلمي، وكمالكم العلي الرياسي، ومجدكم الطاهر الديني الحسيني عوارف السعادة، وجمع لكم من خير الدارين بين الحسنى والزيادة، وأطلع لدى نفسكم الكريمة الطيبة وجوه المسار المبدأ المعادة، مما نعرفكم به بحسب الود قيقم، والعلم بتصافيكم، ما أنعم الله به على العباد والبلاد، من الصنع الكريم الذي تجلى نوره ملء السمع والبصر والفؤاد، فتفتحت به أبواب النصر تشرع الى انتظام شمل الإسلام، / واتساق هذا الملك الرفيع المقام، وذلك أن الشقي الغادر الخائن، لما فر بنفسه وشرذمته الغادرة الخاسرة حذار المنون، ولحق بالأرض التي حل بها محل الخزي والهون، قدم على السلطان المعظم صاحب قشتالة - أسعده الله بطاعته - شر مقدم، وحصل من الحسرة والندامة على ما لم يكن يعلم، فهوت به جرائمه في مصرع الحتوف، ودنت اليه المنايا من حيث لمع بها بريق السيوف، ولما مثل بين يديه قرره على ما صدر عنه من الغدر، ووقفه من موبق ذنبه على أحر من الجمر، وأمر به للحين وبثلاثة وأربعين من شرذمته الغادرين، فضربت أعناقهم، وسلبت بالعذاب عنهم أطواقهم، وعجل بتوجيه رؤوسهم إلينا، وفي غرة شهر التاريخ، قدم بها رسوله علينا مرفوعة في العصي، حتى تكون عبرة للاعتبار، وعظة لأولى الاستبصار وردعا للفجار والأشرار، وعرفنا القاضي المذكور ان الباقيين ممن فر مع الشقي في حكم الاعتقال وهم بدار صنعة اشبيلية في الحديد والنكال، وأمرهم موقوف (٢٨) على ما رأينا فيهم، من المؤاخدة لهم أو الصفح عنهم والإجمال، وفاء منه معنا بالعهد، وعملا بحسب ما بيننا وبينه من المحافظة على الود.

وإن هذه النعمة جل موقعها في الصنائع الكرام، وعظم قدرها في آثار الإسلام، وأوزعنا الله شكرها بواجب الشكر، وسلك بنا مرضاته على سنن البر،

فعرفناكم بهذه النعمة لتأخذوا بحظكم من المسرة بها والابتهاج بسببها، فأنتم الولي الذي له في الخلوص راسخ القدم، والوفى المعهود الوفاء على القدم، وعين الكمال الرياسي الذي عدم نظيره في الأمم، ونحن نعرفكم - أعزكم الله - أننا بما عندنا من الاعتداد بؤدكم، والحفظ لكرم عهدكم، لما حللنا مقعد ملكنا، وانتظمت بلادنا النصرية في سلكتنا، أمرنا للحين بضم جميع ما يعلم / لجنابكم المعظم بالحضرة وسواها من الأملك على اختلافها، وشتى أصنافها، واستحضرتنا مفاتيح الدور منها، فدفعت لصهركم الوزير الحاج المعظم أبي الحسن - أعزه الله - لينتظر من يتولى مباشرة الحال فيها عنكم، وصرفنا جميع ذلك عليكم صرف العناية والإنعام، واللحظ والاهتمام، حتى يبسر الله قدومكم على أفضل حال، وإن ظهر لكم توجيه من يشاركه من قبلكم في هذا الغرض، خلال ما يسني الله مقدمكم في كنف العافية المقترنة ببلوغ الآمال، فعلمت فاعلموا ذلكم، والله يصل سعادتكم ويحرس مجادتكم. والسلام.

/103

وصحبت العناية من الله والستر، فكان المحمل سهلا، والمنزل خصبا ودفئا، والهواء ظلا، والمورد نهلا وعلا، «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» [5]، ووردنا «سبته»، فكان بها التريص ريثما تلاحقت أساطيل الأندلس، وبها ظهيرا للدولة، ويعسوب [6] الكتيبة (٢٩) الزيانية، الشيخ الشهير بموالة الأمر ومظاهرة النولة المستولي، على الخلال الكريمة من مشهور المجاورة (٣٠) وإحكام الثقافة، الى الخط والرجاحة وحسن المجلس، والكلف بالأدب وذكاء الطبع، تبرع بخوض البحر، ومباشرة إجازة الإمارة، فهياً الله ذلك على أتم الأحوال التي تقر العين، وتشرح الصدر، وتري من الله العناية، ورام الأسطول قصد مالقة، فاضطره البحر الى النزول «بجبل الفتح» يوم الثلاثاء الحادي عشر لشعبان، ثم كان النزول «بمالقة» إثر صلاة الجمعة الرابع عشر منه، فنشف القوم نسيم الإيالة التي أزعجهم عنها التحيص والابتلاء، واجتلا محاسن البلاد التي عرفوا بها العز، وصحبوا الملك، فنعم المتاع لو أطرده البقاء، وحصل الخلود، «ولكن الدنيا دار الغرور» [7] والآخرة خير لو كانوا يعلمون.

وصدرت المراجعات السلطانية بالملك ليتم الاستعداد، فتأتى من ذلك أيام قليلة / ما يدل على فضل القطر، وإن تعرقته النوائب، وضخامة الملك وان ترشفت بلالته (٣١) المصائب، ووصلت لإقلال (٣٢) الأمير ومن معه بواب الظهر، تحمل من الكساء والخلع والفرش والوطاء والآلة والمضارب والقباب والهوادج ما لا شيء فوقه، أخذ ذلك كله الإبداع بجميع (٣٣) احتفاله، فما شئت من نسج ذهبي، وديباج خسرواني واشكال بديعة، وفرش موضوعة، وحلي لصدور الظهر ورؤوسها (٣٤) رفيعة.

/104

وكان دخول «الحضرة» يوم السبت الموافق عشرين من شعبان، من المنزل المعروف «بإغرم» [8] من «قنب قيس» [9]، في يوم مشهود، خرج عن حد الوصف، وترفع عن الذكر، وشذت محاسنه عن العبارة، لما اشتمل عليه من حسن الترتيب، ووفور العدة، وظهور الزينة، وكثرة البنود، وتعدد الطبول، وسبوغ الدروع، استحكمت التعبئة بين يدي السلطان، في السهل المدحج المنبت للشيخ (٣٥) المعروف «بالقنب جاغر» [10]، محل الكائنة المستفتح بها على العدو والحدثان، الجاري على الألسنة.

ولما تلاقى ركب الأمير بالموكب السلطاني، احتُمل الولد الى تأدية حق أبيه، وتحرك طراد الزينة بين يديه، ولقبل ما تقدم لقائي بالمولى السلطان، واقتضائي عادة شفقتة من الهشة والاستعبار والتمايل والاستلزام، والأمر بالموازاة والمراكية، وغير ذلك من اللطاف التي أذهلني إجهاش الرقة، وعدم التماسك عن ملاحظة أجزائها العريقة المترامية الى أقصى حدود المروءة، وصرفت الأعتة الى دار الملك عن حفل أربى على كل ما تقدمه في قديم الزمان وحديثه.

ولحين الاستقرار بالشمل المجموع، والعز الجديد، والدنيا المستأنفة، أنشدته القصيدة التي تقدم نظمها «بسلا» كأنما كوشفت بالغيب أو أطلعت على العقبى، وهي المسماة «بالمنجح» (٣٦) الغريب في الفتح القريب، وهي التي مطلعها (٣٧) :

(كامل)

105 /

الْحَقُّ يَعْلُو وَالْأَبَاطِيلُ تَسْفَلُ وَاللَّهُ عَنِ أَحْكَامِهِ لَا يُسْأَلُ

وقد كنت عجلت له كلمة تنوب عن اللقاء، قبل إزماع الحركة من «سلا»

وهي:

(طويل)

وإن كرهَ الباغي وإن رَغِمَ الشَّانِي
بِمُعْجِزَةٍ مَنْسُوبَةٍ لِسُلَيْمَانَ
فَأَلْفَتْ لَهُ الدُّنْيَا مَقَادَةَ (٣٨) إِذْ عَانَ
وَقَالَ إِلَهِي أَمِنَنْ عَلِيَّ بِغُفْرَانٍ
تَقَلَّدَهُ بَعْدِي لِأَنْسٍ وَلَا جَانَ
مَنْ الْعِزُّ مَا لَمْ يُوْتْ يَوْمًا لِإِنْسَانٍ
فَأَنْتَ لَهُ لَمَّا اقْتَدَيْتَ بِهِ الثَّانِي
بِهِ وَاجِزْ إِحْسَانَ إِلَهٍ بِإِحْسَانٍ

هنيئاً بما خولت من رفعة الشان
وأن خصك الرحمان جل جلاله
أغار على كرسية بفض جنة
فلما رآها فتنة خرساجداً
وهب لي ملكاً بعدها ليس يتبغى
فاتاه لما أن أجاب دعاءه
وإن كان هذا الأمر في الدهر مفردا
فقابل صنيع الله بالشكر واستعين

وَحَقَّ الَّذِي سَمَّكَ بِاسْمِ مُحَمَّدٍ
لَمَّا بَلَغَ النَّعْمَى عَلَيْكَ سُرُورَهُ
فَأَبْنَى أَنَا الْعَبْدُ الصَّرِيحُ انْتِسَابَهُ
إِذَا كُنْتُ فِي عِزِّ وَمُلْكٍ وَغِيْطَةٍ
لَوْ أَنَّ الصَّبَا قَدِ عَادَ مِنْهُ بَرِّيْعَانِ
أَلِيَّةٌ وَأَفْ لَا أَلِيَّةٌ خَوْأَنِ
كَمَا أَنْتَ مَوْلَايَ الْعَزِيْزُ وَسُلْطَانِي
فَقَدْ نَلْتُ أَوْطَارِي وَرَاجَعْتُ أَوْطَانِي

مولاي الذي شأنه عجب، والإيمان بعناية الله به قد وجب، وعزه أظهره من برداء العزة احتجب، [إذا كانت] (٤٠) الغاية لا تدرك، فالأولى أن تسلم وتترك، ومنه الله [عليك] (٤١) ليس مما يشرح، قد عقل العقل فما يبرح (٤٢) وقيد اللسان فما يرتعي في مجال العبارة ولا يسرح، اللهم ألهمنا على هذه النعمة شكرًا ترضاه / وإمدادا من لدنك تتقاضاه، يا الله، يا الله، سعود أثارته بعد أقول شهابها، وحياة كرت بعد ذهابها، وأحباب اجتمعت بعد فراقها، وأوطان دنت بعد بُعد شامها من عراقها، وأعداء أذهب الله رسم بغيهم ومحاه، وبغاة أدار عليهم الدهر رحاه، وعباد أعطوا من كشف الغم ما سألوه، ونازحون لو سئلوا في إتاحة (٤٣) القرب بما في أرماتهم لبدلوه وسبحان من يقول: «ولو أنا كتبنا عليهم (٤٤) أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه» [11]، فليهن الإسلام بياض وجهه بعد اسوداده، وتغلب إيالة من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر على بلاده، وعودة الملك المظلوم الى معتاده، واستواء الحق النائم جفنه (٤٥) فوق مهاده، ورد الإرث المغصوب الى مستحقه (٤٦) من ابائه وأجداده، والحمد لله الذي غسل عن وجه الملة المحمدية العار، وأتقذ عهدها وقد ملكها الدعار، فرد المعار، وأعيد الشعار، نحمدك اللهم حمدا يليق بقدسك، لا بل لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، والعبد يا مولاي قد بهرت عقله (٤٨) الاء الله قبلك، فالفكر جائل واللسان ساكت، والعقل ذاهل والطرف باهت. فإن أقام رسما للمخاطبة، فقلم مرح وركض، وطرس هز جناح الارتياح ونفض، ليس هذا المرام مما يرام، ولا هذه العناية التي تحار فيها الأفهام (٤٩)، مما تصمي غرضها (٥٠) السهام، نسأل الله أن يجعل مولاي من الشاكرين، وبأحكام (٥١) تقلبات الأيام من المعتبرين، حتى لا يغرّه السراب الخادع، والدهر المرغم لأنوف الجادع، ولا يرى في الوجود غير الله من صانع، ولا معطف (٥٢) ولا مانع، ويمتعه بالعز الجديد ويوفقه للنظر السديد، ويلهمه للشكر فهو مفتاح المزيد. والسلام.

وأنشد يومئذ القاضي الكاتب الشهير أبو إسحاق بن الحاج المتقدم الذكر

قوله: /

(طويل)

/106/

107/

أَلَا ارْتَقِبُوا هَذَا الْهَلَالَ الَّذِي بَدَأَ
 وَيُشْرَاكُمْ بِالْعِيدِ عِيدِ مَسْرَةٍ
 وَاللَّهُ شَبِلَ قَدْ دَعَاهُ بِيُوسُفَ
 وَيَحْرَأُ أَتَاهُ النَّهْرُ لَكِنْ ذَا أَبُ
 وَفَرَعُ أَتَى أَصْلًا يُسَمَّى بِوَالِدِ
 وَقِرَّةُ عَيْنِ فَرَقَ الدَّهْرُ بَيْنَهُ
 إِلَى أَنْ أَتَانَا اللَّهُ بِالْفَرَجِ الَّذِي
 فَعَادَ إِلَى عُصْنِ الْخِلَافَةِ زَهْرَهُ
 وَعَاوَدَ جَيْدَ الْمَلِكِ أَكْرَمُ زَيْنَةَ
 وَقَدْ عَضَدَ السِّيفَ الْمُحَلَّى (٥٦) بِمِثْلِهِ
 وَقَالُوا : وَلِي الْعَوْدُ يُقَدِّمُ عَاجِلًا
 وَمَا هُوَ إِلَّا الْغَيْثُ سَوْفَ يَجُودُنَا
 أَمِيرٌ كَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْبَدْرَ كَامِلًا
 وَمَا ظَلَمَ ابْنُ مُشَبَّهٍ خَيْرَ وَالِدِ
 لِيَهْنِي (٥٧) جِيَادَ الْخَيْلِ أَنْ رَكُوبَهُ
 وَيَهْنِي سَيْوْفَ الْهِنْدِ أَنْ ضَرَابَهُ
 وَيَهْنِي رِمَاحَ الْخَطِّ أَنْ طَعَانَهُ
 وَقُلْ لِلرِّيْعِ الْأَهْلَاتِ بِسَبْتِنَا
 وَيَا بَحْرَهَا بَشْرِي بَرِيْعٍ حَمَلْتَهُ
 وَإِنْ تَكُ حَقًّا قَدْ جُنُنْتُ بِحُبِّهِ
 فَمَا وَاجِبُ الْإِنْصَافِ ذَاكَ وَإِنَّمَا
 وَكُنْ بَاسِطًا خَدًّا لَهُ فِي طَرِيقِهِ
 وَدُونَكَ فَالْتَمِ كُلُّ جَفْنٍ أَتَى بِهِ
 وَيَا نَسَمَاتِ الرِّيحِ هُبِّي وَحِيَهُ
 وَرَفَقَا بِأَسْطَوَلٍ يَلْذُ لَهُ السَّرِيُّ
 وَلَا تَبْرَحِي تُهْدِي لَهُ عَاطِرَ الشَّدَا
 وَحَفِظَا لَهَا حَفِظَا لَهَا مِنْ وَدِيعَةٍ
 كَأَنِّي وَقَدْ وَافَى الْأَمِيرُ وَأَقْبَلَتْ
 كَبِيرَ الدُّجَى حَفَّتْ بِهِ الشَّهْبُ وَأَنْبَرَتْ
 خَذَ الرُّوحَ مِنِّْي يَا بِشِيرَ بَشَارَةٍ
 وَعِنْدِي هِنَاءٌ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدٍ

مِنَ الْغَرْبِ مَرْقُوعًا عَلَى أَفْقِ الْهُدَى
 بِمَقْدَمِهِ (٥٦) السَّعْدُ الْمَقِيمُ تَجَدُّدًا
 شَبِيهًا بَلِيْثٌ قَدْ دَعَاهُ مُحَمَّدًا
 وَذَاكَ لَهُ ابْنُ رَاحٍ فِي الْبِرِّ وَاعْتَدَى (٥٤)
 شَبِيهَهُ بِذَلِكَ الْأَصْلِ فِي الْبَأْسِ وَالنَّدَى
 وَبَيْنَ الَّذِي أَبْكَى الْعَيُونَ وَسَهْدًا
 أَفَاضَ عَلَى الدُّنْيَا جَمَالًا وَأَسْعَدًا
 لِيَجْمَعَ (٥٥) مِنْ أُنْدَائِهِ مَا تَبَدُّدًا
 بِأَكْرَمِ سَلِكٍ بَعْدَ حَيْثُ تَقَدُّدًا
 مِنَ الْغَرْبِ سَيْفٌ لَمْ يَزَلْ يُرْهِبُ الْعِدَا
 فَقُلْتُ : نَعَمْ يَهْنَأُ أَبَاهُ الْمَوْجِدَا
 بِأَكْرَمِ مَنْ غَيْثُ السَّمَاءِ وَأَجُودَا
 هُمَا وَلَدَاهُ بِالْمَحَاسِنِ مُفْرَدَا
 غَدَا لِمَلُوكِ الْأَرْضِ أَجْمَعِ سَيِّدَا
 لِيَكْسِبُهَا الْمَجْدَ الرَّفِيعَ الْمُخَلَّدَا
 لِيَبْقِيَ لَهَا الْفَخْرَ الصَّرِيحَ الْمُؤَكَّدَا
 لِيُورِثُهَا الْعِزَّ الْمَشِيدَ الْمُشِيدَا
 حَوَيْتُ أَجَلَ النَّاسِ قَدْرًا وَمَحْتَدَا
 وَلَكِنَّهُ بِالْمَلِجِ يَعْتَذِبُ مَوْرَدَا
 فَأَصْبَحَتْ مَرْتَجٌ (٥٨) الْجَوَانِبِ مُزِيدَا
 سَكُونُكَ أَوْلَى إِنْ أَرَدْتَ تَوَدُّدَا
 وَأَقْسِمُ عَلَى الْأَمْوَاجِ تَلْقَاهُ سُجْدَا
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَلْتَمِ لَهُ الرَّجْلَ وَالْيَدَا
 بِرُفُوحِ وَرِيحَانِ غَدَا حَلِيَهُ النَّدَى
 بِأَمْضَى بَنِي الْأَمْلاكِ سَيْفًا وَأَحْمَدَا
 وَتَوَدَّى لَهُ حَدِيثُ وَالنُّورِ مُسْنَدَا
 أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُعَسَّرَ وَيَسْعَدَا
 عَسَاكِرُهُ مِثْنَى، تَسْرُوقُ، وَمَوْحِدَا
 لَتُحْرِقَ فِي الْأَفَاقِ مَنْ جَارَ وَاعْتَدَى
 وَنَفْسِي مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ لَكَ الْفِدَا
 سَيَحْمَدُ لِي سَعْيًا وَيُنَجِّحُ مَقْصِدَا

خليفة رب العرش والملك الذي
كريم له في آل نصر فضائل
أجل ملوك الأرض ذاتاً ومنصباً
وأكرم من قاد الجواد إلى الوغى
أمولاي حالي ما علمت وإنني
فكن مظهراً للعبد ما أنت أهله
وعد للذي عودت يا خير منعم
بقيت قرير العين في عز دولته

وتقررت الحال على ما يذكر،

ورد مع ركاب الأمير في غرض التقرير للود والإعلام بمتزيدات الأحوال،
صاحبنا الفقيه أبو يحيى بن محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين [12]، فيبلغ في
إكرامه، والتحفى بوجهته، (...) (٦٠) لأنسه، وانصرف بمراجعة نصها : (٦١)

المقام الذي تقلد نافلة الفضل شفعاً، وجود أفراد (٦٢) الكمال أفراداً وجمعا
(٦٣) واستولى ملكه الرفيع العمدة على الفخر البعيد الأمد عقلا وسمعاء (٦٤)، وجمع
بين المنح، والتهنئة بالفتح، فأحرز الكمال أصلا وفرعا، واستحق الشكر عقلا
وشرعا، وأغرى أيدي جوده، بالقصد الذي هو حق وليه من جوده (٦٥)، فثار من
جيش اللقاء نقعا (٦٦) ووسط به جمعا، مقام محل أخينا، الذي أقلام مقاصده درية
(٦٧) بحسن التوقيع، وعيون فضله مزكاة (٦٨) الأحكام الصنيع، وعذبات فخره تهفو
بذروة العلم المنيع، ومكارمه تتفنن فيها مذاهب التنويع، أبقاه الله، وأسن فضله
ناطقة، وأقيسة سعده صادقة، وألويته بالنصر العزيز خافقة (٦٩)، وبضائع مكارمه
في أسواق البر نافقة، وعصائب التوفيق لركائب أغراضه موافقة، السلطان
الكذا، ابن الأمير الكذا بن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا. سلام كريم / طيب
بر عميم، يخص مقامكم الأعلى، [وطريقتكم المثلى] (٧٠)، وأخوتكم الفضلى، ورحمة
الله وبركاته، مجل قدركم، وملتزم بركم، وموجب حمدكم وشكركم، فلان.

أما بعد حمد الله الذي جعل الشكر على المكرمات وقفا، ونهج منه بإزائها
سبيلا لا تلتبس ولا تخفى، وعقد بينه وبين المزيد سببا وحلقا، وجعل المودة في ذاته
مما يقرب إليه زلفى، مريح تجارة من قصد وجهه بعمله (٧١) حتى يرى الشيء
ضعفا، وناصر هذه الجزيرة من أوليائه الكرام السيرة بمن يوسعها فضلا وعظفا،
ويدني (٧٢) ثمار الآمال فتتمتع (٧٣) بها اجتناء وقظفا، والصلاة على سيدنا ومولانا
محمد النبي العربي الكريم، الرؤوف الرحيم، الذي مد على الأمة من الرحمة سجفا،
[وملا قلوبها تعاطفا وتعارفا ولطفًا، القائل] (٧٤) "من أيقن بالخلف جاد بالعطية

[13]»، ووعد من عامل الله بربح المقاصد السنية، وعدا لا تجد (٧٥) فيه خلفا، والرضى عن آله وأصحابه الذين كانوا من بعده للإسلام كهفا، وعلى أهله في الهواجر ظلا ملثقا (٧٦)، غيوث الندى كلما شاموا سماحا، وليوث العدى كلما شهدوا زحفا، والدعاء لمقام أخوتكم الأسعد بالنصر الذي يكف من عدوان الكفر كفا، والمجد الذي لا يفادر [كتابه] (٧٧) من المفاخر الذي ترك الأول للأخر حرقا،
ومنه :

والى هذا - أيدكم الله بنصر من عنده، وحكم لسلطانكم (٧٨) الأسمى باتصال سعده، وأنجز في ظهوره (٧٩) على من عاند أمره، سابق وعده - فإننا نقرر لدى مقامكم، وإن كان الغني بأصالة عقله، عن اجتلاب (٨٠) الشاهد ونقله، وجراء البيان وصقله، أن الهدايا وإن لم تحل العين بها كلما حلت، أو تناولها الاستتار فما نبهت في لحط الاعتبار ولا جلت، أو كانت زيفا كلما أغري بها الاختيار قلت، لا بد أن تترك في النفوس ميلا، وأن تستدعي من حسن الجزاء كيلا، وأن تنال من جانب / التراحم والتعاطف نيلا، وأي دليل أوضح محجة [وأبين حجة] (٨١)، من قوله صلى الله عليه وسلم : «تهادوا تحابوا» [14]، من غير تبيين مقدار، ولا أعمال اعتبار، ولا تفرقة بين لجين ونضار، فكيف إذا كانت الهدية فلذة الكبد التي لا يلذ العيش مع (٨٢) مع فراقها، ولا تضيء ظلم الجوانح إلا بطلوع شمسها وإشراقها، وجمع الشمل الذي هو أقصى آمال النفوس الألفة، والبواطن المصاحبة للحنين المحالفة، لا سيما إذا اقتعدت محمل (٨٣) الهناء بالفتح الرائق السناء، وحفت بها من خلفها وأمامها صنائع البر وقومه الاعتناء فهناك تعجز ألسن الثناء، وتطابق (٨٥) أعلام الشكر السامية البناء.

وإننا ورد علينا كتابكم الذي سطره البر وأملاه وكتفه اللحظ وتولاه، ووشحه البيان وحلاه، مهنتا بما منح الله - جل جلاله - من رد الحق، وتحقيق الحق (٨٦)، وتعيين الجمع ورفع الفرق، وتطويق الأمان وأمان الطوق (٨٧)، وإسعاد السعد، وبلوغ القصد، وقطع دابر من جحد نعمة الأب والجد، وسل سيف البغي دامي الحد، فالحمد لله حمدا يلهمه ويبيحه (٨٨) ونسأله إمدادا يسوغه ويتيح (٨٩) على أحسن العقبي، وأعقب الحسنى، وأرى النعم بين فرادى ومثنى، وجمع الشمل وقد تبدد (٩٠) وجدد رسم السعادة لهذا القطر فتجدد، وأخذ الظالم فلم يجد من محيص، وجمع لنا الأجر والفخر بين تخصيص وتمحيص، وقلد (٩١) برؤوس أولئك الفجرة الغدرة (٩٢) الفرصة التي فرعوها، وأطفأ بمهراق (٩٣) دمانهم نار الضلالة التي شرعوها، وكتب لقبيلكم الفضل الذي يحمد ويشكر، والحق الذي لا يجحد ولا ينكر، فلقد أوى لما تبرأت الخلسان، وتحفى عندما تنكر الزمان، وسبب الإذالة،

وطاوع الأصالة والجلالة، حتى فرج الله الكربة، وأنس الغربة، وأقال العثرة،
وتقبل القربة، له الحمد على آلائه، وصلة نعمائه، ملء أرضه وسماؤه.

ووصل الولد صحبتته مكنوفا / بجناح اللطف، ممهدا له ببركتكم مهاد
العطف، فبرزنا الى تلقيه تنويها بهديتكم وإشادة، وبدء (١٤) في بركم وإعادة،
وأركبنا الجيش الذي أثرتنا لحين استقلالنا عرضه، وقررنا بموجب الاستحقاق
فرضه، فبرز (٨٥) الى الفضاء الأفيع حسب الترتيب، سافرا عن المرأى العجيب،
لولا الحنان الذي تجده النفوس للأبناء وتستشعره، والتشوق الى اللقاء الذي لا
يجده (٩٦) منصف ولا ينكره، لما شق علينا طول مقامه في حجركم، ولا ثاؤه لصق
أريكة أمركم، فجواركم محل لاستفادة رسوم الإمارة، وتعلم السياسة والإدارة،
حتى يرد علينا يقدم كتيبة جهادكم، ويقود علينا طليعة نصركم إيانا وإمدادكم،
فتحن الآن نشكر مقاصدكم التي اقتضى الكمال سياقها، وزين المجد افاقها
وقدرها فأحكم طباقها، ونقرر لديكم أن حظنا من ودكم، ومطلنا من جميل
اعتقادكم، حظ بان رجحانه وفضله، ولم يتأت بين [من] (٩٧) سلف من السلف مثله،
من الصحبة في المنزل الخشن وهي الوسيلة، وفي رعيها تظهر الفضيلة،
والاشتراك في جامع (٩٨) لازم الوصول الى الحق، وضم أشتات الخلق، والمودة
الواضحة الطرق، الى ما بين السلف، من الود الأمن بدره من الكلف، المذخورة (٩٩)
أذمته للخلف، فإذا كانت المعاملات (١٠٠) جارية على حسبه، وشعبها راجعة الى
مذهبه، جنى الإسلام [ثمرة] (١٠١) حافلة، واستكفى الدين إيالة كافلة، فالله - عز
وجل - يمهّد البلاد بيمن تدبيركم، ويجري على مهيع السداد جميع أموركم،
ويجعلكم ممن زين الجهاد عواتق أعماله، وكان رضي الله أقصى آماله، حتى تربي
مأثركم على مأثر سلفكم الذي عرف هذا الوطن الجهادي أمداهم، وشكر جهادهم،
وقبل الله فيه أموالهم وأولادهم، وحسن من أجله معادهم.

/11:

وقد حضر بين أيدينا رسواكم الذي وجهتم [الولد - أسعده الله - لنظره،
وتخيرتموه لصحبة سفره، فلان، وهو من الأمانة والفضل، والرجاحة والعقل] (١٠٢)،
بحيث طابق اختياركم (١٠٤) واستحق ايثاركم، فأطنب في تقرير ما لديكم من عناية
بهذه الأوطان، عينت الرقد، وضربت / الوعد، وأخلصت في سبيل الله القصد،
وغير ذلك مما يؤكد المودة المستقرة الأركان، المؤسسة على التقوى والرضوان،
فأجبناه بأضعاف ذلك مما لدينا لكم، وقابلنا بالثناء الجميل أقوالكم وأعمالكم
(١٠٥)، والله يصل سعدكم ويحرص مجدكم - والسلام - (١٠٦).

/113

هوامش الفصل السادس

- (١) م : أعماره، وهو تصحيف.
- (٢) م : وغرت، زدنا واو العطف للسياق.
- (٣) م : قبض، وهو تحريف، صوابه ما أثبتنا.
- (٤) م : عليم، وهو تصحيف.
- (٥) زيادة لتصحيح النسب.
- (٦) م : المعاند، وهو تحريف.
- (٧) م : لم، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٨) م : نظير، والأصح قراءتها ننظر.
- (٩) وردت هذه الرسالة في الإحاطة مخ. الأسكوريال، السفر ١ لوحة ٤٢٨. وفي ط. القاهرة ج ٤ ص ٤٤٧ - ٤٥٠.
- (١٠) ح س : من أمير المسلمين.
- (١١) ساقطة في ح س.
- (١٢) م : امره، صحته ما أثبتنا من ح س.
- (١٣) ح س ٤٢٩ : مديده.
- (١٤) ح س : وأسدي.
- (١٥) ح س : سعدكم.
- (١٦) ح س : لمعالكم.
- (١٧) ساقط في ح س.
- (١٨) ح س ٤٢٩ : كرام الآباء.
- (١٩) ح س : يادرتنا.
- (٢٠) ح س : استخلصت وانزل.
- (٢١) ح س : وصل.
- (٢٢) من ح س .
- (٢٣) من ح س.
- (٢٤) ح س ٤٢٩ : لا يشك.
- (٢٥) ح س : والخلاصة الذي يعلم صدق خلوصه.
- (٢٦) ح س : سعودكم.
- (٢٧) ساقط من ح س.
- (٢٨) م : موقوف، والأنسب للمعنى ما أثبتنا.
- (٢٩) م : الكتبية، صوابه ما أثبتنا.
- (٣٠) م : المحاولة، وهو تصحيف.
- (٣١) م : بلالتها، تصويبه ما أثبتنا.
- (٣٢) م : الإقلال.
- (٣٣) محي حرفا الميم والياء من اللفظة.
- (٣٤) م : ورئيسها، ولعل الصواب ما أثبتنا.

- (٣٥) م : للشيخ، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (٣٦) م : بالفتح، تصحيحه من المراجع الآتية.
- (٣٧) وردت القصيدة كاملة في النفاضة ٢٨٧/٢ - ٢٩٧، و٣٤ بيتا في النفع ٤٧٨/٦ - ٤٨٠، انظر تعليق د. العبادي، النفاضة ٢٨٧/٢ حاشية ٣.
- (٣٨) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ١٧٨، ط. القاهرة ٩٨/٢ - ٩٩، وفي النفع ٣٥٢/٦ - ٣٥٣.
- (٣٩) م : مقالة، والأنسب ما أثبتناه من ر ١٧٨ ط، ن ٣٥٢/٦.
- (٤٠) زيادة من المرجعين.
- (٤١) من المرجعين.
- (٤٢) م : فيما، والأنسب ما أثبتناه من المرجعين.
- (٤٣) م : اناحة، وهو تصحيف.
- (٤٤) م : عليكم، وهو تحريف.
- (٤٥) ر ١٧٨ ط ن ٣٥٢/٦ : الثاني جنبه.
- (٤٦) م : أهله مع الإشارة الى استبدالها بما أثبتنا.
- (٤٧) ر، ن : الحنيفة.
- (٤٨) ر : بهرته.
- (٤٩) ر ١٧٨ و : الأقليم.
- (٥٠) ن ٣٥٣ / ٦ : غرضه.
- (٥١) م : وبأحلام، الأنسب ما أثبتنا من «ن».
- (٥٢) المرجعان : ولا معط.
- (٥٣) م : بمقدمها، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
- (٥٤) م : اعتدا ، وهو تصحيف.
- (٥٥) م : وجمع، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (٥٦) م : المحل، وهو تحريف مخل بالوزن.
- (٥٧) م : يهن، وكذا في البيتين التاليين، وما اثبتناه يقتضيه الوزن.
- (٥٨) م : مرتج، وهو تصحيف.
- (٥٩) م : عدآء.
- (٦٠) بياض بالأصل.
- (٦١) وردت هذه الرسالة في الريحانة، مخ، الأسكوريال، ل ١٢٩ - ١٣٠، وفي ط . القاهرة ٤٨٦/١ - ٤٨٩، وفي النفع ٣٤٠/٦ - ٣٤٣.
- (٦٢) ر ١٢٩ ط. ٣٤٠/٦ : سورة ما بين (٦٣ - ٦٤) ساقط من ر ١٢٩ ون.
- (٦٥) ن : حظ وأيه من وجوده.
- (٦٦) م : فائر من جيش اللقاه نفعاً، تصويبه ما أثبتنا من المرجعين.
- (٦٧) ر ١٢٩ و، ن ٣٤٠/٦ : دريه.
- (٦٨) ن : مذكاة.
- (٦٩) م : خافية، صوابه من ر، ن.
- (٧٠) زيادة من «ن».

- (٧١) م : يعلمه، تصحيحه من ر، ن.
(٧٢) ن : ومدني.
(٧٣) م : فتمتع، تصويبه من ر، ن.
(٧٤) زيادة من ر ١٢٩، و ن ٣٤١/٦.
(٧٥) ن : لا يجد.
(٧٦) م : ملتقا، صوابه من ر، ن.
(٧٧) من ر، ن يقتضيها السياق.
(٧٨) ر، ن : للملكم.
(٧٩) م : ظهره، وهو تحريف.
(٨٠) ر : عن اختلاف، ن : واجتلاء.
(٨١) زيادة من ر ١٢٩، و ن ٣٤١/٦.
(٨٢) ر، ن : بعد.
(٨٣) ن : محل.
(٨٤) ن : تفخر.
(٨٥) م : وتناطم من من، تصحيحه من ر، ن.
(٨٦) ساقطة من «ن».
(٨٧) م : وتطريق الأمان وأمان الطرق.
(٨٨) ن : وبيته.
(٨٩) ن : وبيحه.
(٩٠) ن : ٣٤٢/٦ : الذي قد.
(٩١) م : وتلذ.
(٩٢) ساقط من «ن».
(٩٣) ن : يمراق.
(٩٤) ن : ابداء.
(٩٥) م : وبرزنا، تصويبه من ر، ن.
(٩٦) م : لا يجده، تصحيحه من ر، ن.
(٩٧) زيادة من ر ١٣٠، ظ، ن ٣٤٢/٦.
(٩٨) «جامع» : ساقطة من ن ٣٤٣/٦.
(٩٩) م : المذخور، وهو تحريف.
(١٠٠) ن : المعاملة.
(١٠١) من ر، ن .
(١٠٢) ن : اسلافكم الذين.
(١٠٣) زيادة من المرجعين المذكورين يقتضيها السياق.
(١٠٤) م : أخباركم، تصويبه من ر، ن.
(١٠٥) ن : ٣٤٣/٦ : قواكم وعملكم.
(١٠٦) ن : والسلام الكريم يخصكم، ورحمته الله تعالى وبركاته.

تعليقات الفصل السادس

- [1] اغمار : م غمر، الجاهل بالأمور الذي لا تجرية له
- [2] أشار ابن الخطيب سابقا الى خروجه من سلا يوم السبت ١٤ رجب.
- [3] صالحه : (Zalia) حصن بين الحمة وبلش مالقة، وقد كان يكتسني بعض الأهمية آنذاك لقربه من الميناء. انظر (- معيار الإختيار ص ٦٥ - نزهة المشتاق ص ٩٩.
- Simonet, Descripción del reino de Granada, p 98).
- [4] ملتماس : أو منتماس (Bentomiz) يقع شرقي مالقة، وقد كان من أهم حصونها آنذاك. انظر (- النفع ٨ / ١٢٠)
- J. Paz, Castillos y fortalezas del Reino, p 47.
- [5] سورة ١٦ (النحل)، آية ١٨.
- [6] يعسوب : ذكر النحل وأميرها، ويقصد به هنا، الرئيس.
- [7] إشارة الى قوله تعالى : «وما الحياة الدنيا إلا متاع وغرور». سورة ٣ (آل عمران)، (آية ١٨٥).
- [8] إغرم : (Agrón) ثبت في الإحاطة ط. القاهرة : الغروم، ولعل الأصح ما أثبتناه لأن إغرم : لفظة بربرية تعني حصن، وهي قرية تابعة لفرناطة تقع جنوب غربها على مقربة من الحامة. انظر (- الإحاطة، مخطوط الأسكوريال رقم ١٦٧٣ لوحة ٩٨، ط القاهرة ١٢٨/١.
- Madoz, Diccionario geográfico, I-119).
- [9] قنب قيس : (Quempe) وهي قرية تابعة لفرناطة، وتتركب اللفظة من قسمين، قنب ذات الأصل الاتيني "Campo" بالإسبانية التي تعني حقل، ثم لفظة قيس، اسم لجد قبيلة. انظر (اللمحة ص ٢٩).
- L. Seco de Lucena, Topónimos árabes identificados, p. 70)
- [10] القنب جاغر : (Campojal) وهي تتركب من لفظتين : قنب المشار اليها سابقا، و جاغر لعلها لفظة بربرية، أصلها (ازاغار) وتعني الحقل الذي ليس فيه نبات، وهي قرية تابعة لفرناطة.
- V. (I. Secode Lucena, Topónimos árabes identificados, p. 26
- [11] سورة ٤ (النساء)، آية ٦٦.
- [12] أبو يحيى محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين، تولى الكتابة في عهد عبد العزيز المريني، وقد أوفده سفيرا الى الأندلس لاستقدام أسرة ابن الخطيب لما فر الى المغرب سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧١م. انظر (- روضة النسرين ص ٣٧ - الإستقصا ٤/٦٩٥ - العبر ٧/٦٩٥).
- [13] «من أيقن بالخلف جاد بالعطية» : انظر شرح المثل في (مجمع الأمثال ٢/٣٣).
- [14] إشارة الى الحديث النبوي : تهادوا تحابوا». انظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٧٤/٧).

الفصل السابع

رجع التاريخ < نفي ابن كماشة >

وفي أوائل رمضان من العام المذكور تَقَبُّضُ على الشيخ القائد المقيم كان لرسم الوزارة علي بن يوسف بن كماشة الحضرمي [1] المتفق منه على الخلال الذميمة، وأشهرها الشؤم، تحرك مصاحبا لركاب السلطان، مقيما (١) رسم وزارته بتعيين ملك المغرب استراحة من إلحاحه ومزاحمته مجتمعات الفضول، ونفرة عن الطيرة، فانصرف قطب منحسه، وفروقة (٢) عوده، شديد الشُّح، كثير النجَه [2]، عظيم التبرم، قليل الرضى، مُفْرط الحركة، لا يسخر بالفتاة، ولا يبين عن الغرض، ولا يضطلع بالفيء، ولا يتلطف في السؤال، ولا يتأنى بزوي الشورى، وجدتُ حُرْقَاؤُه صوفاً [3]، من مداخلة الروم أيام المجاورة مع صاحب قشتالة، فبلغ أمنيته القصوى من اقتناء عهد، وضرب وعد، واتخاذ مراد، وابتناء دار قرار، موهما نفسه البقاء والتملُّق وانفساح المدى وقيادة الأجن عند تحول الوطن داركفر، والعياذ بالله من نقمته، يتبجح بذلك لنقصان عقله، وقلة حيائه، وضعف غيرته، وسقوط دينه وحشمته، وعظم ذلك على السلطان فقصر من خطوه (٣)، وعض من شكيمه، لما استقرُّ برندة، فعينه للسفارة إلى باب ملك المغرب، لمحاولة جلب ولده وحرمته، والقصد الأول تهني الوقت نونه، والراحة من شغبه، فتحرك، وراية الإخفاق خافقة على رأسه، وطبول الخيبة تقرر عند جمعته، من شيخ حشي لُؤما، وفعه نهما وخُبثا، ولسانه هجرا، وحركاته نكاثا، فأضرب عن الكلام في معنى وجهته / ومقصد رسالته، وتشطط في اقتضاء شروط حملها السلطان أيام كونه رهينة ببلد الروم، يُصانع على نفسه بكل قول وعمل، فضايقه وقد تولى دارا من أمره، في شروط ثقيلة، ومطامع باهظة، أقطع لجرأها جانب الرفض، فقام سدُّ الوحشة بين اسعاف السلطان وبين غرض الرسالة، وطال مكثه، وتعدَّر وصول الولد بسوء تصريحه، إلى أن فتح الله للسلطان، مرسله، الفتح الهني بخلو موكبه من شؤمه، عادته سبحانه، المقترنة بطلعته، المتأحَّة من نُصبتِه، فاستعجل

الانصراف، وترك الولد، ولا همُّ له» إلا الولوغُ في عرس الدولة، والخوض في ريقِ (١) انتقامها، فطوى المراحل رقيص حُمى تزلزل لها فكاه (٥)، أصلها الحسرة، وانتدامُ الخباثت، لاقتياتها بثمن القرى، وإسهامه تُدمانه وخدمته البلغة المقصورة عن إمساك الرُمق، واقتصاره البُرُّ المهروس والفول المدبوغ والحريرة الملفوفة في يسير الغبار.

ولما استقرُّ بسببته اختار ركوب البحر في أجفان النصارى التي كانت بمرساها، ولامه العلية الأعيان على التفرير، فأشهد بتفضيل ملتهم على الحنيفية السمحة، واختارهم على أهل القبلة تهاويا في مطارح الضجر، وخلعا لرسن التقية، وأطراحا للحشمة، وعرقا نزل إليه من أبيه خديم الروم بجملته من الحصون المسلمة، المتوفى في ظل طاعتهم، الموارى بين مدافنهم على رسمهم حسبما ينطق صكُّ قد صانه (٦) بالسرق، وأكثه إكثان الذخيرة، يفخر به على قراءة الخطِّ الأعجمي على الأيام.

ولما اتصل بمألفة، لحق به إيعاز (٧) السلطان إليه بالإقامة بها وقد اتصل به سوء تصريفه، وأبرمه مشهور شوئه، ونفص عليه الفتح النظر إلى وجهه، ثم استقدمه حياءً وطوقه معتبة، وصرفه إلى مقر سكناه نافضا يده عنه في طي ترفيئه، والنظر في علاج مرضه، ولما أفاق أوقفه نون حده، ولم يجعل له شيئا من أمره / فوقف وقفة العير بين الورد والصدر، وشرع في ديدنه من الفساد عليه، وتمرس بسلطان قشتالة، وشكا إليه بثه، وأصحر يسكن قريته بظاهر لوشة، وراب السلطان أمره، وأهمه شأنه، وخاف انبثاق الشر من تلقائه، ورفع المهادنة بسعيه، وإخراب الدولة بكده، فتقبض عليه ليلا، هو وولده العرة المنتسخة من أصله، والعصية المنتجة من عصاه [4]، إلى وادي أش، ثم إلى المرية، وصرفا في جملة من القراية، ودابرة السوء ممن ثقلت وطأته، فغربوا إلى تونس، وكفى الله الشر، وأذهب العر.

/115/

«رسالة من الغني بالله إلى ابن تافراجين»

وصدرت المخاطبة إلى القائم بأمر الموحدين من آل حفص [5] بها، بما نصه من إنشائي (٨) :

من الأمير (٩) فلان أيده الله ونصره، وأعلى أمره وأظهره، إلى ولينا في الله الذي له القدر (١٠) الرفيع المناصب، والمجد السامي الزواجب، والسياسة التي أخبرها سمرُ المشاهد وحبوُ الركائب، الشيخ الجليل الكبير، الشهير الخطير، الهام الأمضى، الرفيع الأعلى، الأمد الأوحد، الأسعد الأصعد، الأرقى الطاهر

الظاهر الفاضل الكامل، الباسل، الأرضى، الأتقى، المعظم الموقر المبرور، علّم الأعلام، سلالة أكابر أصحاب الإمام، معيد دعوة (١١) التوحيد إلى الانتظام، أبي [محمد] (١٢) عبد الله بن الشيخ الجليل الكبير، الماجد الخطير، الرفيع الأسعد الحسيب، الأصيل، (الظاهر الظاهر) (١٣)، الأرضى الأمضى، الأفضل الأكمل، المعظم المقدّس، المرحوم أبي العباس بن تافراجين، وصل الله له عزّة تناسب شهرته فضله، وسعادةً تتكفل له في الدارين برفعة محلّه.

سلام كريم [طيب برّ عميم] (١٤)، يخص مجادتكم الفاضلة، وربّبتكم الحافلة، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي يحمص ليثيب، ويأمر بالإستقالة ليجيب، ويعقب ليلة (١٥) الشدّة بصبح الفرج القريب، ويجني من شجر التوكل عليه والتسليم إليه ثمر الصنع العجيب، ويظهر العبر (١٦) مهما كسر ثم جبر لكل ذي قلب منيب، والصلاة على سيدنا ومولانا / محمد رسول الله الذي نلجأ إلى ظل شفاعته في اليوم العصيب، ونستظهر بجاهه على عبدة (١٧) الصليب، ونستكثّر بمدد بركاته في هذا الثغر الغريب، ونصول منه على العدو بالحبيب، والرضى عن آله وصحبه، نجوم الهداية من بعده، الأمانة من الأقول والمغيب. فإنّا كتبناه إليكم، كتب الله لكم عزّة متصلة، وعصمة بالأمان من نوبّ الزمان متكفّلة من حمراء غرناطة، حرسها الله، ولا زائد بفضل الله الذي لطف وجبر، وأظهر في الإقالة وحسن الإدالة العبر، وجعلنا (١٨) ممن كتب له العقبى لما صبر، إلا الخير (١٩) الذي كسا الأعطاف الحبر، والصنع الذي صدق خبره الخبر، والحمد لله [كثيراً] (٢٠) كما هو أهله، فلا فضل إلا فضله، ولكانتكم عندنا المحل الذي قررت شهرة فضلكم قواعده، وأعلت مصاعده، وأثبت التواتر شواهد، إذ لا نزال نتحف بسيركم التي هي في التدبير (٢١) أثر يُقتفى، [وعلم يسترشد به] (٢٢) إذا العلم اختفى، والسبيل عفا، وإن تكلم الدولة بكم استقام أودها، وقامت، والحمد لله، عمدّها (٢٣)، وإنكم رعيتم في البنين حقوق آبائنا، وحفظتم عليها ميراث عليائها، ولو لم تتصل بنا أنباؤكم الحميدة، وأراؤكم السديدة، بما يفيد العلم بفضل ذاتكم، ويغري قوى الاستحان بصفاتكم، لغبطنا بمخاطبتكم ومفاتحتكم ما نجده من الميل إليكم طبعاً وجبلةً، من غير أن نعتبر سبباً أو علة، "فالتقارب (٢٤) بين الأرواح" لا ينكر، والحديث الكريم يؤيد من ذلك ما ينقل ويذكر [6]، وبحسب ذلك نطلعكم على غريب ما جرى به في ملكنا القدر، وحيث بلغ الورد وكيف كان الصدر، وربما اتصلت بكم الحادثة التي أكفأها على دار ملكنا من لم يعرف غير نعمتها غايباً، ولا برح في جوانب إحسانها رائحة وغايباً، يتيم حجرها الكافل، ورضيع درها الحافل، الشقي الخاسر، الخائن الغادر، محمد

117 / ابن إسماعيل بن محمد، المستجير نسبنا (٢٥) من أوم غدره، الخفية عنا حيل مكره/ لخمول قدره إذ دعاه محتوم الشقاء (٢٦) ليهلك ثم (٢٧) يهتك، وسؤلت له نفسه الأمانة بالسوء أن يملك أخانا الخاسر ثم يملك، وسبحان الذي قال : "يا نوح إنه ليس من أهلك" [7]، وكيف تم له ما أبرمه من تسور الأسوار، واقتحام البوار، وتملك الدار، والاستيلاء على قطب المدار، وإننا كنففتنا عصمة الله بمتحولنا الذي كان ليلتئذ محل ثواننا، وكفت القدرة الإلهية أكف أعدائنا، وخلصنا غالبا بحال انفراد إلا من عناية الله ونعم الرفيق، وصدق الرجاء (٢٨) برحمته التي ساحتها عن مثلنا لا تضيق، مهما تنكر الزمان وتفرق الفريق، وشرذمة الغدار تأخذ علينا كل فجٍ وشعبٍ عميق (٢٩)، وتنضي كل ذلول وصعب حتى أويانا من مدينة وادي أش إلى الجبل العاصم، من الحادث القاصم، والحجة المرغمة لأنف الخاصم، ثم أجزنا البحر بعد معاناة خطوب، وتجهم من الدهر وقطوب، ويلا الله هذا الوطن بمن لا يرجو له وقارا، ولا يألو شعائره المعظمة احتقارا، فأضرمه نارا، وجلل وجوه وجوه خزيا وعارا، حتى انتهك (٣٠) الباطل حماه، وغير اسمه ومسماه، وبدد حاميته المتخيرة وشذبيها، وسخم دواوينه التي محصها الترتيب والتجريب وهذبها، وأهلك نفوسها وأموالها، وأساء - لولا تدارك الله - أحوالها، ولما تاذن الله جل جلاله في إقالة العثار، ودرك الثأر، وأنشأت نواسم رضاه إدامة الاستغفار، ورأينا أن قلادة الإسلام قد أن (٣١) انتثارها، والملة الحنيفة كادت تذهب آثارها، ومسائل الخلاف يتعدد مثارها، وجعلت الملة (٣٢) إلى نحونا تشير، والملك يأمل أن يوافيه بقدمنا البشير، تحركنا حركة خفيفة تشعر أنها حركة الفتح، ونهضنا نبندر ما كتب الله من المنح، وقد امتعض الكون بما حمل، واستخدم الفلك نفسه بمشيئة الله واعتمل (٣٣)، وكاد يقرب لقرى طريقنا (٣٤) الثور والحمل [8]، وظاهرنا محل أخينا السلطان الكبير، الرفيع المعظم / أبو سالم، الذي كان وطنه مأوى الجنوح، ومهب الممنوح، 118 / رحمة الله عليه، مظاهره مثله من الملوك الأعظم، وختم الجميل بالجميل "والأعمال بالخواتم" [9]، وأنف حتى عدو الدين لنعمتنا المكفورة، وحقوقنا المحجوبة المستورة، فأصبح وإن كان (٣٥) العدو حبيبا، وعاد بعد (٣٦) الاباية منيبا، وشحن (٣٧) أساطيله تحضيضا على الإجازة وترغيبا، واستقبلنا البلاد وبحر الشر يزخر موجه، وملك (٣٨) الإسلام قد خر على الحضيض أوجه، والروم مستولية على الثغور، وقد ساءت ظنون المؤمنين بالعقبى ولله عاقبة الأمور، والخبيث الغادر الذي كان يموه بالإقدام قد ظهر كذب دعواه، وجدد نعمة مولاه، فلولا أن الله - عز وجل - تدارك جزيرة الأندلس بركابنا، وعاجل أوارها بانسكابنا، لكانت القاضية، ولم نر لها بعد (٣٩) تلك الريح العقيم (٤٠) من باقية لكنا - والحمد (٤١) لله - رفعا عنها

وطأة العدو وقد ناء (٤٦) بكلِّك [10] ، وابتزناه منها أي مشرب وماكل، واعتزنا عليه بالله الذي يُعزُّ ويُدلُّ، ويهدي ويضل، فلم نسامحه في شرط يجرُّ غصاصة، أو يخلف (٤٣) في القلب مضاضة، وخضنا بحر الهول، وبرتنا إلى الله بارينا (٤٤) من القوة والحوّل، وظهرت للمسلمين ثمره سريرتنا وما بذلنا في مصانعة العدو عن الإجهاز عليهم من حسن سريرتنا، ففويت فينا أطماعهم، وانعقد على التخوم (٤٥) بنا إجماعهم، وقصدنا مالقة بعد أن انثالت الجهة الغربية، وأذعنت المعازل الأبية، فيسر الله لنا فتحها، وهنأ (٤٦) منحها، ثم توالى البيعات، وصرخت بمآذن البلاد الدعاة، واضطرب أمر الخائن وقد دلفت المخاوف إليه، وحسب كل صبيحة عليه، فاقترضت "نعامته الشائلة" [11]، ودولة بغيه الزائلة، وأراؤه الفائلة، أن ضم ما أمكنه من ذخيرة مكنونة، وآلة للملوك (٤٧) مصونة، واستركب أوباشه، / الذين استباح الحق دماغهم، وعرف الخلق اعتزازهم، للغدر وانتماعهم، وقصد سلطان قشتالة عن (٤٨) غير عهد ولا وثيقة، ولا مثلى طريقة، ولا شيمة بالرعي خليقة، لكن الله - عز وجل حمله على قدمه، لإراقة دمه، وزين الوجود بدمه، فلحين قدومه عليه راجيا أن يستفزه بفرض، أو يحيل صحة عقده المبرم إلى مرض، ومؤملا هو وشيعته الغادرة كرهة على الإسلام مجهزة، ومضرة (٤٩) لمواعيد الشيطان مستنجزة، تُقبض عليه وعلى شيعته، وصم عن سماع خديعته، وأفحش بهم المثلة، وساء بحسن رأيه فيهم القتلة، فأراح الله بابادتهم نفوس العباد، وأحيا بهلاكهم أرماق البلاد.

119 /

وحثتنا السير إلى دار ملكنا، فدخلناها في اليوم الأغر المحجل، وحصلنا منها على الفتح الهني (٥٠) المعجل، وعدنا إلى الأريكة التي نأى (٥١) بنا عنها التحييص، ثم أعادنا إليها التخليص (٥٢)، فما حسبناه إلا سارارا (٥٣) أعقبه الكمال، ومرضا عالجه الإبلال، فثابت (٥٤) للدين الآمال، ونجحت الأعمال، وبذلنا في الناس من العفو ما تغمد الذنوب، وجبر القلوب، وأشعنا العفو في القريب والقصي، وألبسنا المثيب (٥٥) ثوب البري، وتآلفنا الشارد، وأعدبنا الموارد، وأجرينا العوائد، وأسئنا الفوائد، إلا ما كان من شرذمة عظمت جرائمهم، وخبثت في معاملة الله سرائرهم، وعرف شؤمهم، فاقصيناهم وشردناهم، وأجليناهم عن هذا الوطن الجهادي وأبعدناهم.

ولما تعرف سلطان قشتالة باستقلالنا، واستقرارنا بحضرة الملك واحتلالنا، يادر يعرف بما كان من عمله فيمن لحق به من طائفة الغدر، وأخذان (٥٦) الخديعة والمكر، وبعث إلينا برؤوسهم، ما بين رئيسهم الشقي ومرؤوسهم، وقد طفا على جداول السيوف حبابها، وراق بحناء الدماء خضابها، وبرز الناس إلى مشاهدتها

معتبرين، وفي قدرة الله مستبصرين، / "ولدفاع الله الناس بعضهم ببعض
شاكرين" [13]، "وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر الكافرين" [14]. فأمرنا
بنصب تلك الرؤوس بمتسور (٥٧) الغدر الذي فرعته، وجعلناها علما على عاتق
العمل السيء الذي اخترعته، وشرعنا في معالجة الكلم (٥٨)، وأفضنا على العباد
والبلاد حكم السلم، فاجتمع الشمل كأحسن أحواله، وسكن هذا الوطن بعد
زلزاله، وأفاق من أهواله. ولعلمنا بفضلكم الذي قضياه (٥٩) شائعة، ومقدماته
ذائعة، أخبرناكم به على اختصار، واجتزاء واقتصار، ليسر دينكم المتين بتماسك
هذا الثغر الأقصى بعد استرساله، وإشرافه على سوء ماله، وكنا نخطب محل
أخيئا، السلطان الجليل، المعظم الأسعد الأوحد، الخليفة أمير المؤمنين أبا إسحاق
[15] ابن الخليفة الامام المعظم المقدس أبي يحيى بن أبي بكر، ابن الأئمة المهتدين،
والخلفاء الراشدين، وصل الله أسباب سعده، وحرس أكتاف مجده، لولا أننا
تعرفنا كونه في هذه المدة مقيما بغير تلك الحضرة التونسية، فاجتزأنا (٦٠)
بمخاطبة جهتم السنية (٦١)، لتنبؤوا عنا في إنبائه بهذا التكليف وإخباره، كما
نبتم عنه في حفظ ملكه وعمارة داره (٦٢)، وبين سلفنا وسلفكم الكريم (٦٣) من الود
الراسخ البنيان، والخلوص (٦٤) الكريم الأثر والعيان، ما يدعو إلى أن يكون سبب
المخاطبة موصولا، وأخرة الود خيرا من الأولى لكن الطريق جم العوائق، والبحر
معروف (٦٥) البوائق؛ وقبول العذر بشواغل هذا القطر بالفضل لائق، ومرادنا أن
يتصل الود، ويتجدد العهد، والله - عز وجل - يتولى المسلمين بمتعود (٦٦) إحسانه،
ويجمع قلوبهم حيث كانوا على طاعة الله ورضوانه، وهو سبحانه يصل (٦٧)
سعادتكم، ويحرس مجادتكم، وينجح إدارتكم (٦٨)، ويسني إرادتكم، والسلام
الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته. (كتب في الثالث لذي قعدة عام ثلاثة وستين
وسبعمائة) (٦٩).

/12

رجع التاريخ

«أحداث أندلسية»

واشتدت معتبة طاغية قشتالة بما كان من القبض على هذا الشيخ طويس
الشؤم، لتعلق أمله به، ورجائه الظهور على الأمة بسببه، فأجيب ببعض المقنعات
ومضى لشأنه من غير حفظ الله ولا كرامته.

وتخلف كثيرا من اللغب [16] والأمثال بطرف شكله، ومغريات لؤمه (٧٠)،
وسوء سيرته، وقد تعلق بالألسن كثير من المنظوم، فمن ذلك :

(خفيف)

هَدَمَ السُّدَّ وَهَوَّ مَا هُوَ فَارُ (٧١) كَيْفَ شَيْخٍ مُكَايِدٌ غَدَارُ
إِنَّمَا الْمَلِكُ نَاقَةٌ وَهَوَّ وَاللَّيْهَ إِذَا لَمْ تَعَاجِلْهُ قُدَارُ [17]
مِرْجَلٌ فَوْقَ مَجْمَرٍ (٧٢) الْفَدْرُ يَفْلِي أَضْرَمْتَ تَحْتَهُ مِنَ الشَّرِّ نَارُ
ظَاهَرُ الشُّؤْمِ فِي جَمِيعِ الْمَنَاحِي خَيْرٌ لَمْ يُفْصَ مِنْهُ اخْتِيَارُ
وَرَسُولُ النُّحُوسِ تَنْكَمَشُ الْأَوْ جُهُ مِنْ فِأَلِهِ وَيُخَشَى السِّبَوَارُ
لَوْ سَمَا لِلْبِدْوَرِ حَالٌ كَمَا ل نَالَهَا الْخُسْفُ عَاجِلًا وَالسَّرَارُ
أَوْ أَتَى لِلْبَحَارِ يَجْلُبُ مَاءٌ يَبْسَتُ كُلَّمَا أَتَاهَا الْبَحَارُ
لَا تَهْلِكُ الثِّيَابُ إِنْ كَانَ فِيهَا إِنَّمَا فِي الثِّيَابِ لَوْمٌ (٧٣) وَعَارُ
إِنْ سَرَى فِي رِسَالَةٍ قَرِنَتْ بِالنُّجُوسِ خُسُ مِنْهَا الْأَعْمَالُ وَالْأَسْفَارُ
جَاءَ فِيهَا الْأَمِيرُ يَوْمَ طَرِيفٍ فَاسْتَبَاحَتْ حَرِيمَهُ الْكُفَارُ
ثُمَّ فِي الْقَيْرَوَانَ عَادَ فَكَانَ الشُّؤْمُ مُسْتَضْجَبًا لَهُ وَالْفِرَارُ
وَلَقَدْ ضَاقَتْ الْأُمُورُ عَلَى الْمَوْتِ لَى وَخَابَتْ بِرَنْدِةِ الْأُوطَارُ [18]
وَتَوَلَّى عَنْهَا فَكَانَ لَهُ الْفَتْحُ حَاضِرًا مَا زَهَمَتْ بِخَيْرِ دَارُ
وَجَلالِ الْإِلَهِ لَوْ كَانَ فِيهَا قِ كَذَا الْحُكْمُ لَيْسَ فِيهِ اخْتِيَارُ [19]

/122 /

وأظهر البحث عن الأعمال المالية طعاما يبلغ عدده ألافاً مستقراً بيد كاتب الدولة الغادرة، وظهير الرئاسة الخاملة، المستبصر في ضلالها كرها وطواعية، المستقل بعينها سرا وعلانية، المغتر ببيوارقها الكاذبة، الناعلة باللقاب المهديّة في الدنيا والآخرة، عبد الحق بن عطية [20]، ظالم نفسه بمصاحبة أئمة البغي الذين لا إيمان لهم، ولا شبهة في أمرهم، المستبعد الوسع في تنفيق بهرجهم، وإلقاء الزخرف على حبيهم، صدعا على المنابر وخطاً في الرقوق وصراخا في المجتمعات الدنية، طولب بذلك مطالبة معلمة الظفر منحازة (٧٥) إلى فئة العافية، أدت إلى سجنه، ثم توفى بالمال، فتمشت حاله، والله مقرض السيئة بالحسنة والمال بحسن العقبى والمغبة، فلقد استظهر السلطان ببيعة أخيه مكتبة بخطه، قد جلب بهوره فيها فصلا يقتضي مضايقة أخيه المختار لعقدها، وتسوره على عهد أبيه، فوقع من تسكين اشتطاطه، والإبقاء على جوارحه، ما الله المجازي على السعي فيه.

رجع

«زهد ابن الخطيب»

واستمرت الأحوال همدنة على دخن [21]، لخلو الدولة عن المدير، وفقدان دستها مباشرة السائس، وكان السلطان يذخرني لشعب ثأيا (٧٦)، ورم صدعها، وإجالة قدامها [22]، فورد مني على سراب خابت فيه أماله، وانخنس استشرابه، إذ ترشف الدهر بلاتي واستنزف مائيتي، وقصر من خطوي، وأخمل العرض الأدنى في عيني، وجعل العبرة نصب بصري، والموعظة أمام بصيرتي، ففتبرأت من الخلط [23]، وخلصت لباس الطماعة، وعاهدت الله على رفض / التسبب، وهجر التكسب، وترفعت عن مزاحمة الوزراء، ولبست أثواب الصوفية والفقراء، ووقفت العقار الثمين على زاوية (٧٧) أقمته، وملت بكليتي إلى فئة الله، وتحيرت (٧٨) إلى مطاف العزلة، فعلمت في يد السلطان، وقنع مني بالمساكنة والمجاسة، فسوغته في جانب النصيحة التي تحجم عنها الأبوّة، وتلع عن اقتحام حماها الصداقة، معاملة خالصة لله وللمسلمين، وقربة أستقبل بها وجه رب العالمين، ولم أذخر عنه نهيا عن منكر ولا أمرا بمعروف، أو مجاولة (٧٩) عنو، أو رفع ظلامة تعود على الدين بنفع، أو ترجع على الأمة بحسن مآب.

/12

ثورة ضد الفني بالله بتاريخ

ذي الحجة ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م

وفي غرة شهر ذي حجة كانت الثورة الشنعاء (٨٠)، والرّجة التي خاب عنها المسعي، وقد كان السلطان [أنذر] (٨١) بطائفة تداخل علي بن محمد (٨٢) بن نصر [24] من قرابته حلف الطرش (٨٣) والشقاء، وروء من دون ثمر، قبلة من سلبه الله التمييز، وطوقه سوء الاختيار، وحاد به عن جادة الصلوح (٨٤)، فعوجل بالقبض عليه بمحل ولايته "برج"، يريش [25] ويبري فكبس الوزعة ورجال الدولة، واحتمل لحينه على الظهر إلى قصبة المرية، فأودع قعر الطبق بها ثقيل القيد، شديد الأرقاب، مطبق الغلق، مظنونة به الظنون، فخاف أرياب المكيدة افتضاح الأمر، ووقوع التنبغ (٨٥)، فمجلوا إبراز الكامن وإظهار الخبيء، وتولى كبر ذلك الكياد الدليل البركي [26]، وهو في الوقت من الناس "جلدة بين العين (٨٦) والأنف [27]، لما تقدم من هزيمة النصارى بوادي آش على يده، وتظاهره بالاستقامة، وتمويهه بالمدافعة، ولما قشا في الليف من ضيق صدر الطاغية به، وصرفه الوكد إلى إعدام مكانه، وله شوكة من فرسان الثفر، وكان في صدور العامة، والجزاء

من بني عزون [28] المتوحدين بجلاء عمهم المنيز بالقار (٨٧)، عدو الله، المستنقذ عمره للكيد (٨٨) في حط الأقدام بسبب النميعة، المنتفق / وسيلة (...) (٨٩) وإهداء العورة المقتات من أكل اللحوم البشرية، المؤتمم بالدماء المحرمة، قصده مولاه والمنوه به (٩٠) بولايته عدة الإسلام، قصبه المرية، ليلة الحادثة به وخاطبه من وادي آش، وقد حال بينه وبين أولياء الدولة الفادرة، واستصرخه على كث الجوار، فصم عن ندائه، وأساء صرف رسوله ودفع الأمانة إلى عدوه، وأحمد بن بطرون سمسار هذه الفتنة، وجرّد الحيلة، الصبي الحدث لفة وعرفا، الموعوف، آية (٩٠) الله في التباغض والتبارد والتقايس (٩١) وقلة الإدراك، ابن الشيخ الزمن، أبي الحسن التلمساني قبضه جرماً وهيئة واحتقاراً وجناية، تولج الأنفاق، وطرق الأبواب، وزين الواقعة، وسهل الأمر، وتحمل المواعيد، وداخل (٩٢) النساء، وأحكم نسيج المكيدة، وتردد بين أقطاب هذا الكياد، وهم العدد الجم وفيهم النبهاء والسفلة، وأبناء الدولة، ولفيف السوق، ومنكرو السيرة، ومذيعو التصاريغ غير الحميدة، وأولو الأهواء وأذيال الأشقياء، وغثاء سيل النكبة، ومطيعو داعي المروق، قيمهم الدليل البركي، قريع الخزي ومحلل الأدبار، وكان قد أزمع المبيت بالمدينة ليتم المبرم تحت خفارة الفلّس الذي يستر الوجوه ويعين على الحيل، ويهدئ هول اللغط، فأزعجه توقع المعالجة، واستبرأ لنفسه لبعض امتاع اليوم، فارتاب المتواعدون، وخذل المتناصرون، واقتحم البلد، وقد ركض من بين جنابته يهتف بالناس : أن قد غدرتم، وولي عليكم العدو، وقد وصل لاستباحتمكم.

ودخل البلد، وخلفه شرذمة من جفاة الثغر، فهاجوا في سكه، وقصدوا دار الشيخ علي بن علي بن نصر، وقد جمعهم الوعد ببابه، فاستركبوه وتقدم بين يديه الدليل، فصعدوا إلى باب البنود المفضي إلى ريبض البيازين، بحر الشر ومعدن الهرج ومتوعد السلطان، فاستنوا إليه يقرعون طبولاً / من طبول الأعراس، أغاروا عليها من دكان عرضها، ونشروا راية من سلاح بني عزون (٩٣) أيام قيادتهم على جند الرجل، وأنبث في المدينة نداؤهم، والدعاء لأميرهم، فتواكل أولياؤهم وارتابوا، وسبروا [29] فقيه (٩٤) الريبض ومتبوع جملته، فتبرأ منهم، وسد بابه في وجوهم، فخابت أمالهم، وأسلمهم مغويهم (٩٥)، وقد كان السلطان جلس للناس ضحوتئذ، فطرقة الخبر بأريكة مجلسه، ومنتصب تحيته، فقمنا به من فوره، ودخل داره ناظراً فيما يليق بأمره، والمرج والنداء بالبلد غير غائب عن عينه، ولا محتجب عن سمعه، لإطلال القبة على الكثير من ساحة بلده، فأنسب الوضوء وأنشمر [30]، واستدعى الرأي، فقرر العمل على مثوله بالدخول ببعض الأبراج المشرقة، مواجهها لمصاف العدو، لا يحمل إلا لباب الخالصة، وتفريق ما بالخزائن من

الأسلحة، واستدعيت طبول الملك فقرعت يرتج لها الأفق، ونشرت راية السلطان، وأشيع خبر العطاء، واستركب الجيش بنفير الجهاد، وضبطت الأبواب بالرجال، وعمرت الأبراج بالحامية، وأقبل الناس لما استفاض ظهور السلطان وإخفاق السعي في مناصبته، يغشون مثنوى الملك مستميتين مستمسكين بحبل الطاعة، وتوفر عدد المسلمين بإزاء القلعة، وكلما شره إلى مدافعة من يليه أشير بسكونه وحفظ تعبته استبراء لأهواء الليف، واستجلاء لعزيمة أهل الريض، وتريصا بالعدو القلق المكان، الموهم بالصبر (١٦) والمواقفة إلى أن يجيره الليل. فلما كمل الغرض توجه الجيش فأحاط بالريض واقتمه، وحمل بعضه على موقف الشيخ المنسوب للفتنة، فأدبر أمامه، ودخل الريض يستصرخ أهله، وفر الدليل البركي لأول وهلة فيمن لف لفة، فلقح بحصن اللقون [31] فامتنع به وتقبض على الشيخ البائس فسيق إلى السلطان متلولا، فتقرع بين يديه وهو يقسم على براءته من الدخلة، ثم جر إلى المطبق، / وطير إلى البلاد بما انجلى عنه الصنع.

/12

فكان مما أملتته يومئذ من الكلام المرسل الذي حركته في هذه الأصقاع المغربية لهذا العهد جواره، ما نصه بعد صدره وتحميد (١٧) :

وإلى هذا فإن مما أفادته الفطر السليمة، والعلوم الرضية والقضايا الشائعة (١٨)، والنقل الشرعي، والسنن المرعي، أن مغالب الحق مغلوب، ومزاحف (١٩) الله مهزوم، ومكابير البرهان بالجهل موسوم، ومربع (١٠٠) البغي مهجور، وسيف (١٠١) العدوان مغلول، وحظ الشيطان موكوس، وحزب الله (١٠٢) منصور، ولا خفاء بنعمة الله التي اطرادها في المواطن العديدة، والهفوات البعيدة، والمشتبهات (١٠٣) غير المبينة، والظلمات الكثيفة، معلن بوفور الحظ من رحمته، وفوز (١٠٤) القداح في مجال كرامته، والاختصاص بسبب اختياره، فجعل العصمة ليلة الحادث علينا من دون مضجع أمامنا (١٠٥)، ونهج لنا سبيل النجاة بين يدي كبسه علينا، وسخر لنا ظهري الطرف والطريق، بعد أن فرق لنا بحر الليل، وأوضح لنا خفي المسلك، وعبد لنا العاصي (١٠٦) الحزن [32]، ودمت خمر (١٠٧) الشعراء [33]، وأوطأنا سهوة المنعة، وضرب وجوه الشرذمة المتبعة، بعد أن ركضوا خلفنا (١٠٨) البراذين (١٠٩) البادنة، خزين إهدأنا المجملة (١١٠) بحلي ركابنا، وتحملوا السلاح والرياش المختار من أثير (١١١) صلاتنا، وأبهروا الأنفاس التي طالما رفها إيناسنا، وأبلعها الريق تأميننا، وصيبوا العرق الذي أفضله طعامنا، شرهين إلى دمنا المحظور بالكتاب والسنة، المحوط بسياج البيعة، المحصن عنهم بقديم (١١٢) النعمة، وحرمة الأب ومتعدد الأذمة، فجعل الله بيننا وبينهم حاجزا، وسد يا جوجهم المردة مانعا (١١٣)، وانتقلوا يعضون الأنامل الغضة (١١٤) من سريط [34] جفاننا، ويقلبون الأكف

التي أخذ بها الدهر ترفيعا من المهن إلى رتبة خدمتنا، قد جللهم صفار القدر وذلل الخيبة، وكبح الله جماحهم (١١٥) عن التنفق بتلك الوسيلة. واحتلنا وادي أش (١١٦) لا نملك إلا نفسا لم يشبها غش الملة، ولا كيان / الأمة، ولا دنسها، والفضل (١١٧) لله، عار الفاحشة، ولا وسمها الشؤم في الولاية، ولا أحبط عمل نجاحها (١١٨) دخل [35] العقيدة، ولا مرض السريرة، قد سلمنا المقادة لمن عطف علينا القلوب، وصير لنا ملك أبين من غير حول ولا حيلة، نرى أنه أملك لدمتنا (١١٩)، وأعلم بمآلنا، وأرحم بنا، فثبتت (١٢٠) بها القدم، وحميت لنا من أهلها رعاهم (١٢١) الله الهمم، وصدقت في الذب عنا العزائم، وحاصرنا جيش الغدر (١٢٢) وأولياء الشيطان وظهراء الباطل فبان الصبر والاستقلال (١٢٣)، وظهت الفئة القليلة، والله مع الصابرين [36]، فغلبوا هناك وانقلبوا صاغرين، ومع ما نالنا من الضيق وأهمننا من الأمر، فلم نطلق يد غارة، ولا شرهنا إلى تغيير نعمة، ولا سرحنا عنان (١٢٤) اكتساح على هجمة، ولا شعلنا قبسا (١٢٥) في بيت ولا حلة، وأمسكنا الأرقام بيسير الحلال الذي اشتملته خزائنا من أعشار وزكاة (١٢٦)، وحظوظ مزارعات، وارتقبتنا الفرج ممن محص بالشدة، والإقالة ممن نبه من الغفلة، وألهم للإقلاع والتوبة، ثم وفقنا سبحانه وهياً (١٢٧) لنا من أمرنا رشداً [37]، وسلك بنا طريقاً في بحر الفتنة ييسر فدناه بحقن الدماء، وتأمين الأرجاء، [وشكرناه على البلاء، كشكرنا إياه على الآلاء] (١٢٨)، وخرجنا عن الأندلس وقد كاد لولا عصمة الله أن تذهب مذاهب تدمت الذروة، وتستأصل الشائفة (١٢٩)، وتسيح الفرضة [38]، سبحانه ما أكمل لنا صنعه، وأجمل علينا ستره، إلى أن أن جزنا البحر، ولحقنا بجوار السلطان بالعدوة (١٣٠)، لم تنب عنا عين، ولا شمخ علينا أنف، ولا حمل علينا مركب، ولا خفقت (١٣١) حولنا غاشية، ولا نزع عنا للتقوى والعفاف ستر، بل كان الناس يوجبون لنا الحق الذي أغفله الأوغاد من أبناء دولتنا، والصفادع ببرك نعمتنا، حتى إذا الناس عافوا الطخمة (١٣٢)، وتملأوا الحسرة، وسيموا الخسارة والخيبة، وساسهم الطعام، وعيدة الطاغوت ومربو حجور الجهل، ومياسير المعظمة احتقارا، كلاب الأطماع، وعيدة الطاغوت ومربو حجور الجهل، ومياسير (١٣٣) أسواق / البعد عن الرب، وعرائس محرم الزينة ودود القز، وثعابين النهم، وأعداء الله الأعزة على المؤمنين بالباطل، الأذلة في نفوسهم (١٣٤) بالحق، ممن لا يحسن المجاورة (١٣٥)، ولا يحمل السلاح ولا ينزه مجمع الحشمة عن الفحشاء، ولا يطعم المسكين، ولا يشعر بوجود الله، داروا من شقيهم المحروم على مضعوف ملفف في الحرير المصور (١٣٦)، متحف بلطف العهر، مغلل بالخداع، مسلوب الجدة بأيدي انتهابهم، شؤم على الإسلام، ومعرفة في وجه الدين، أخذ الله منهم حق

الشريعة، وأنصف أئمة الملة، ولم ينشبوها أن تهارشوا فعض بعضهم بعضاً، واستأصلهم البغي وألحم السيف، وتفنن القتل، من بين مجدل يوارى بأحلاس النواب الدبرة، وغريق يقذف به إلى سوء الميتة، واستهينت حرمة الله، واهتضم (١٣٧) الدين، واستبيحت المحرمات، واستبضعت الفروج في غير الرشدة، وساعت في عدو الله الحيلة، فتحركنا عن اتفاق من أرباب الفتيا، وعزم من أولي الحرية، وتحريض من نوبي الحفيظة (١٣٨) والهمة، وتذامر من الشوكة، وتحريك ممن وراء البحر من الأمة.

فكان ما (١٣٩) علمتم من تسكين الثائرة، وإشكاء الغريم، وإصمات الصارخ وشعب الثائي، ومعالجة (١٤٠) البلوى، وتدارك القطر، وقد أشفى وكشف الضر والبأساء، أما الحبوب فانتهبها رجل [40] الدبا(١٤١)، واستشاط عليها جو السماء وأما مرافق البحر ومرافد البر فسدت طرقها أساطيل الأعداء، وأما الحامية فشد بها فساد السيرة وغمط الحق وتفضيل الأذى، وأما المال فاصطلم السفاه (١٤٢) والأدبار بيضاه وصفراه، وكبس خزائنه حتى وقع الإدقاع والإعدام، وأقوى العامر، وأقمرت المخابيء (١٤٣) والمغابن، فأعريت جفون السيوف من حلاها، وجرى تمويه (١٤٤) الآلات الذي علاها، وغاض المؤمنين النفاق والبحث والدغل المستبطن، محض الحين الفاضح، وسلمت للعدو والعروسة وتخمرت الثغور من غير مدافعة، / واكتسحت الجهات فلم يترك بها نافخ ضرمة [41]، وحق القول ووقع (١٤٥) البهت وخذل الناصر، [وتبرأت الأواصر] (١٤٦)، فحاكمتنا العدو إلى النصفة ولم نقره على الدنيا، وبأيناه أخرج ما كنا إليه (١٤٧)، وأطمع ما أصبحنا في مظاهرتة على الكفار مثله اعتزازا بالله وثقة به، ولجأ إليه وتوكلنا عليه، سبحانه ما أبهر قدرته، وأسرع نصرته، وأوحى أمره، وأشد قهره. وركبنا بحر الخطر بجيش نحاربه(١٤٨)، ونهدنا قدما لا نهرب الهول ولا نراقبه، وأطللنا على أحواز ربه (١٤٩) في الجمع القليل إلا من مدد الصبر، المفرد إلا من مظاهرة الله، الغفل إلا من زينة الحق المظلل جناح عقابه بجناح (١٥٠) الروح، المفتحة جياؤه بصهيل العز، الطالعة غرره بطليعة النصر. فلما أحس بنا المؤمنون المضطهدون بساحتهم، انتثروا من عقال الإيالة الظالمة، والدعوة الفاجرة، وتبرأوا من الشرذمة الفاوية، والطائفة المناصبة لله المحاربة، وأقبلوا ثناتا (١٥١) وأفرادا، وزرافات ووجدانا، ينظرون بعين لم ترو (١٥٢) في غيبتنا من محيا رحمة، ولا اكتحلت بمنظر رافة، ووجوه عليها قمره [42] الخسف، وأبشار عليها يؤس الجهد، يتعلقون بأذيالنا تعلق الفرقي (١٥٣)، ويتنون لإلحاح الجوع أنين المرضى، ويجهشون بالبكاء ويعلمون لله ولنا بالشكوى، ففرغناهم الأمان من العدو أول عارفة جلونا (١٥٤) عليهم وصرفنا وجه [التأمين]

(١٥٥) والتأنيس وجميل الود إليهم، وقارضناهم (١٥٦) الاجهاش والرقعة، ورتبنا (١٥٧) لهم من الذلة، واستولينا على دار الملك ببلدهم، فأنزلنا أخايث كان الأشقياء تخلفوهم بها من أخلاف لا تزال تطأ أبقاضهم الحدود، وتأنف من استكفانهم اليهود، وانتالت علينا البلاد، وشمر الطاغية ذيله عن الجهات، وراجع الإسلام رمق الحياة، وحثنا السير إلى دار الملك، وقد فر عنها الشقي (١٥٨) بشوكة بغية التي أمدته في الغي وجرأته على حرمة الله، وقصد دار قشتالة بكل ما صانت الحقائق من نخيرة، وحجبت / الأبهاء من خزنة ثمينة، يتوعدون المسلمين بإدالة الكفر من الإيمان، واقتياد جيوش الصلبان، وشد الحيازم إلى تبديل الأرض غير الأرض، ومحو رسوم الدين، وطمس معالم الحق كيادا لرسول الله في أمته، ومناصبته لله في حبيبه (١٥٩)، وتبديلا لنعمة الله كفرا، والمعروف الحق نكرا، أصبح له الناس على مثل الرضف [43] يرتقبون إطلال الكريهة، وسقوط الظلة، وعودة الكرة، وعقبى المعرفة، والله من ورائهم محيط، وبما يعلمون بصير [44]، ولدعاء المستضعفين من المؤمنين مجيب، ومنهم وإن بعدوا (١٦٠) في أقصى الأرض قريب. ولم نقدم لما حللنا بدار الملك شيئا على مراسلة صاحب قشتالة في أمره نناشده العهد، ونطري له الوفاء، وننافره إلى الحق، ونقوده إلى حسن التلطف، إلى الذي نشاء من الأمر، فحسم الداء، واجتث الأعداء، وناصر الإسلام وهو أعدى عدوه، وخدم الدين وهو المعضل من أدوائه، وصارت صغرى عناية الله بنا التي كانت العظمى، واندرجت أولها في الأخرى، وأتت ركائب [الأمن و] (١٦١) اليمين تترى، ورأى المؤمنون أن الله لم يخلق هذا الصقع (١٦٢) سدى ولا هياه عبثا، وأن له فينا خبيثة غيب وسر عناية يبلغنا إيها، ويطوقنا طوقها، لا مانع لعطائه، ولا مصدر لآلائه، له الحمد ملء أرضه وسمائه، فمن اطردت له هذه العجائب محملة عوائق الاستقامة، مزينة (١٦٣) جيوب التقوى، كيف لا يتيمن بعهده، ويدان (١٦٤) الله بمناصحته، ويحذر عناد القدر بمخالفته، وتخشى عاقبة محادثته (١٦٥)، "إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" [45]، فقللنا أظفار المطالبة، وغضضنا طرف التبعة (١٦٦)، وسوغنا من كشف وجهه في حربنا نعمة الإبقاء وأقطعنا من قطع رحم طاعتنا جانب الصفح، وأدرنا (١٦٧) لكثير ممن شح عنا ولو بالكلمة الطيبة جرية الرزق، ووهبنا لله ما وجب لنا من الحق، وديننا له بكظم الغيظ، وعمرنا الرتب بأربابها، وجردنا الألقاب بعد خرابها، / وقبضنا الجباية محملة كند العادة، مقودة بزمام الرفق، ممسوحا عطفها بكف الطواعية، فبللنا صدى الجيش الممطول بالأمانى الكذاب، المستخدم في الذب عن الفحشاء ومراقدة العهر، ودارينا الأعداء، وحسبنا الداء، "وظهر أمر الله وهم كارهون" [46]، إلا أن تلك الشرذمة الخبيثة أبقّت

جرائم نفاق أكتنتها أحجار الغدر، وبذرتها حصائد الشر، وأخلصوا الحقايب اللعنة ممن ساء ظنه، وخبث فكره، وظن أن العقاب لا يفلته، والحق لا يذره، والسياسة لا تخفزه، فدبت عقاربهم، وتزاورت (٨١٨) طوافاتهم، وتباث (١٦١) فساقهم، فدبروا أمرا تیره الله تتييرا، وأوسع خزيا وببلا، وجعلوا يرتادون من أذبال القرابة من استخلصه الشيطان، وصحبه الخذلان، ومن لا يصلح لشيء من الوظائف، ولا يستقل ببعض الكلف، فحركوا بوا [47] منهم رهن زمانة (١٧٠) من شر النواب الذين لا يسمعون فأجرهم رسنه، ووقف وقفة العير بين الورد والصدر، بخلال ما أطلعنا الله طلع نئه، فعاجلناه بالقبض عليه، واستودعناه مصفدا ببعض الأطباق البعيدة والأجبال العميقة، فمرج (١٧١) أمرهم، وخافوا أن تحترش السعيات ضباب مكرهم، وتتبع نفاقهم، فأقدموا اقدام العير على الأسد استعجالا للحين ورجعا (١٧٢) لحكم الخيار، وإقداما مع الذي تولى (١٧٣) كبرها [48]، وكشف وجهه في معصيتها، الخبيث البركي [49]، حلف التهور والخرق، والموهو بالبسالة وهو الكذوب الفلول النكوث، تحملنا هفوته، وتغمدنا بالعفو قديما وحديتا زلته، وأعرضنا فيه عن النصيحة وأبقينا له حكم الولاية (١٧٤)، وأنسنا من نفرتة، وتغايينا عن عرته، وسوغناه الجرائم التي سلفت (١٧٥)، والجرائر التي سبقت (١٧٦)، من إفساد العهد وأسر المسلمين، والافتيات على الشرع، والصدوع بدعوى الجاهلية، فلم يفده إلا بطرا، ولم يزده إلا مكرا، والخير في غير أهله يستحيل شرا، والنفع ينقلب ضرا، والتفت عليه طائفة من الأخلاف، (١٧٧) بني عزون، / قرعاء الجهل والمشامة، وأذئاب بيت الأدبار، ونفاية [50] الشرار، حرك حرابتهم (١٧٨) مكان صهرهم البائس ابن بطرون الضعيف المنة، الساقط (١٧٩) الهمة، الخامل التفصيل والجملة، وغيرهم ممن تأذن الله بتضليل (١٨٠) كيدهم، وتخييب سعيهم، فاقتموا البلد صبيحة كذا يهتفون بالناس أن قد طرق حماهم، وأن العدو قد دهمهم، ملتفتين يرون أنهم في أذبالهم، وأن رماهم تنوشهم (١٨١)، وسرعانهم ترهقهم، كأنهم سقطوا من السماء، أو ثاروا من بين الحصباء، ثم جالوا في أزقة البلد يقدحون في الصفاح نار الحباحب [51] ركضا فوق الصخر المرصوف، وخوضا في الماء غير المصروف، ثم قصدوا دار الشيخ البائس على بن علي (١٨٢) بن نصر، من نفاية البيت، ودردي القوم، من شيخ قميء الشكل، قبيح اللثغ، طاهر الكزاز لإدمان المعاقرة، مزنون بالريب على الكبرة [52]، ساقط الهمة، عديم الدين والحشمة، منته في البخل والهلع إلى أقصى دركات الخسة، مثل في الكذب والنميمة، معيب المثانة، لا يرقأ بوله، ولا يجف سلسه، فاستخرجوه مبايعا له بالخلافة، منصوبا على كرسي الإمامة، مدعوما بالأيدي لكونه قلقا (١٨٣) لا يثبت على

الصهوة، مختارا لحماية البيضة والعدل في الأمة، معتما للذب عن الحنيفة السمحة، وصعدوا به إلى الربوة بإزاء قلعتنا مستديرا (١٨٤) إلى الريض، مطلا على دار الملك، قد أقام له رسم الوزارة نكله بن بطرون (١٨٥)، الطاوي الكشح، الدرب (١٨٦) بركض المسومة، الجرد، المين الحجة، بغل طاحونه الغدر وغذي السرق [و] الخيانة، واليهودي الشكل والنحلة (١٨٧)، وقرعت حوله طبول الأعراس، إشادة بخمول أمره، واستهجان آله، ونشرت عليه راية قال رأيها، وخاب سعيها، وطافت (١٨٨) به زعنفة من طعام ممن يحلى في الكريهة (١٨٩)، ولا يزيد على الماء والصفير من حيله، وانبث في سكك البلد مناديه وهتف أولياء باطله باسمه، واستنجزوا (١٩٠) مواعيد الشيطان فاختلفت / (١٩١) ودعوا بسماسير الغدر فصمت، وقدحوا نار (١٩٢) الفتنة فصلدت وما أورت.

/133 /

وإحين شعرنا بالحادثة، ونظرنا إلى مرج الناس، واتصل بنا ريح الخلاف، وجهير الخلعان (١٩٣)، استعنا بالله وتوكلنا عليه، وفوضنا أمرنا إليه، وهو خير الناصرين، وقلنا : "ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين" [53]، واستركبنا الجند، وأذعنا خبر العطاء، وأطلعنا بريح الجهاد، ونغير الجلال، وملأنا الأكف بالسلاح، وعمرنا الأبراج بالرجال، وقرعنا طبول الملك، ونشرنا راية (١٩٤) الحق، واستظهرنا بخلاصة الأمر وأولياء الدعوة، وخاطبنا فقيه الريض نخبر خبره، ونسبر غوره، فالفينا متواريا في كسره (١٩٥)، مرعيا على دينه، مشفقا من الأخطار بدمه، مشيرا إلينا بكمه، وتفقدنا البلد فلم نرتب بأحد من أهله.

فلما كملت التعبئة، وصحت الجملة، أنهدنا بالجيش ولي أمرنا الذي اتخذناه ظهيرا، واستبطناه مشيرا، والتزمناه جليسا وسميرا، ولم نذخر عنه محلا أثيرا، الشيخ الأجل أبا سعيد عثمان بن الشيخ أبي زكريا يحيى بن عمر بن رحو [54]، فنهد والرعب يقدمه، والسعد في خدمتنا يخدمه، في جيش كثيف الجملة، سابغ العدة، مزاح العلة، وافر الناشبة، أخذنا نقاب الريض وشعابه، ولف عليه أطنابه، وشرع إليه أسله، ولم يكن إلا كلا ولا، حتى داسه بالسابك، وخلفه مجر العوالي ومجرى السوابق، وهو الحمى الذي لا يتوعد، والحجر الذي لا يقرب فلولا تظاهر مشيخته بشعار السلم، واستظلالهم بظلال العافية، لحت الفارقة، ووقعت بهم الدبرة (١٩٦)، وفر الأعداء لأول وهلة (١٩٧)، وأسلموا شقيهم أذل من وتد في قاع [55]، وسلحافة بأعلى (١٩٨) يفاع، فنقبض عليه، وأخذت الخيل أعقاب الغدرة أشياعه، وقيد إلينا يرسف قبل القيد في قيد الهرم، ثعلبان مكيدة، وسكيت ضلال، ومظنة فضيحة، وأضحوكة سمر، فتقرع بين يدينا / (١٩٩)، وأخذته الملامة، وجلله الخزي، وتل إلى التطبيق [56] حتى يستدعى (٢٠٠) حكم الله في جرمه، ونقتضي

/134 /

الفتيا في جريسته، ونختار من أقسام ما عرضه الوحي من قتلته، وهدات الثائرة من يومها، واجتث شجرة الفساد (٢٠١) من أصلها، فالحمد لله الذي أتم نوره وإن كره الكافرون، "إن هؤلاء متبر ما هم فيه، وباطل ما كانوا يعملون [57]". وماذا رابهم منا، أصغر الله منقلبهم، وأخزى مردهم، واستأصل [ملكهم، أو لا يتبني] (٢٠٢) الأمر وارثه، ثم عوده إلينا طواعية، ثم رفعنا وطأة العدو ضربة، ومددنا (٢٠٣) ظلال الأمن دفعة، وابقاؤنا (٢٠٤) رمق الثغور حين لم يجدوا حيلة إلى ما عرفوا في مدتنا من أمنة، وبلوا من حيلة وتسوغوا (٢٠٥) من هدنة، وانسحب فوق أموالهم وحريمهم من عفة، وظهر لله علينا من نعمة، "ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن، وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء [58]". اللهم ألبسنا سريرتنا لهم (٢٠٦)، وعاملنا بدخلتنا فيهم، وإن كنا أردنا بجماعتهم شرا، وفي دينهم إغماضا، أو عن العدل فيهم عدولا، فعاملنا بحسب ما تبلوه من عقدنا، وتستكشفه من خبيثتنا، وإن كنت تعلم مناصحتنا لسوادهم، واستنفادنا (٢٠٧) الجهد في إتاحة عافيتهم، ورعي صلاحهم، وتكيف أمالهم، فصل لنا عادة صنعك فيهم، وملكنا طاعتهم، واهدبنا جماعتهم، وارفع بنظرنا إطاعتهم (٢٠٨)، يا أرحم الراحمين.

ولما أسفر صبح هذا الصنع عن حسن العقبي، واستقر على التي هي أركى، وظهر أن دولتنا لا تخاف بالله دركا ولا تخشى، وأن السبيل (٢٠٩) الحق أنجي، ومحجته أحجى، [خاطبناكم نجلو نعم الله قبلنا عليكم، ونشيد بتقوى الله بناديكم، و] (٢١٠) بتوالي عنايته بنا فيكم، (٢١١) ونهدي طرف صنعه الجميل قبلنا إليكم، ليكسبكم اعتبارا فترجوا لله وقارا، وتزيدوا يقينا واستبصارا، ولا تصرفوا لغير من اختار الله لكم اختيارا (٢١٢)، وهو سبحانه نعم الوكيل.

واستدعيت الفتيا ثاني يوم الثورة، فأطبق الفقهاء على وجوب قتل الرئيس، ثم / 135 خطبوا السلطان العفو عن جريسته، والتزي بحلي الحلم عن زلته، لمكان ذياع الشبهة في أكناهه، وعدم صلوحه لمكان الخوف الذي أفسد ذكره، ومنع من العقد له، واضطرب منهم قوم عرفوا في انتكاث العزيمة، عادتهم في فضح الله إياهم عند محاك الأهواء، فأبقي في حكم الثقافة، إلى أن هلك حتف أنفه لزمان قريب، وتقول باغتياله.

وخطب السلطان في هذا الغرض بكثير من المنظوم، فمن ذلك قول الشيخ القاضي المفلح الشهير أبي إسحاق بن الحاج [59]:

(طويل)

هَنِيئاً كَمَا حَيَى الْحَيَا أَوْجُهُ الزُّهْرِي
وَنَعْمَى أَتَتْ تَتْرَى كَمَا وَافَتْ الصَّبَا
وَحُسْنِي أَتَتْ فِي إِثْرِ حُسْنِي كَمَا أَتَى
وَإِقْبَالَ مُلْكٍ رَاقٍ بِالْعَزْ تَاجَهُ
وَعَصْرُ غَدَا يَفْتَرُ بِالسَّعْدِ تُغْفَرُهُ
وَأَيَّامٍ أَنْسٍ قَدْ مَحَتْ كُلَّ وَخْشَةٍ
وَإِدْرَاكَ أَمَالٍ مَلَكَتْ قِيَادَهَا
سَمَتْ بِكَ أَفْلاكُ الْخِلاَفَةِ رَاقِيَاً
وَوَاقَعَتْ (٢١٢) بِالْحَرْبِ الشَّقِيَّ الَّذِي بَغَى
وَضَمَّكَ بَيْتُ الْمَلِكِ أَبْلَجُ أَزْهَرَاً
وَسُرَّتْ بِكَ الدُّنْيَا وَرَاقٍ جَمَالُهَا
وَجَالَ إِلَيْكَ النَّصْرُ فِي حُلِّ الرُّضَى
وَيَهْنِكُ عِيدٌ بِالسَّعَادَةِ وَالْمُنَى
وَجَاءَكَ لِلْأَعْيَادِ فِي الْفَضْلِ سَابِقَاً
وَقَدْ ذَهَبَتْ بِالْأَمْنِ كُلَّ مَسَاءَةٍ
وَاللَّهُ فَتَحَ قَدْ طَرِبْتَ لَوَقْتِهِ
هَزَزَتْ بِهَا الدُّنْيَا فِدْلٌ عَلَى الْعُلَى
وَأَصْبَحَتْ فِي الْحَمَاءِ تَسْكُنُ رِبْعَهَا
حَرِيصاً عَلَى الْجُودِ الْمَوَاصِلِ وَالنَّدَى
فَلَا شَخْصَ إِلَّا وَهُوَ جَدْلَانُ فَارِحُ
وَيَا ابْنَ أَبِي الْحِجَاجِ لِلسَّعْدِ يَهْتَدِي
إِمَامٌ رَضِيَ قَدْ جَاءَ فِي الْفَضْلِ أَوْلَاً
بِبَدْلِ النَّدَى وَالْبِئَاسِ يُعْرَفُ دَائِمَاً
هُمَامٌ يَزِينُ الْأَرْضَ نَقْعُ جِيَادِهِ
يَحُومُ عَلَى قَبِيضِ النَّجِيعِ حُسَامُهُ
إِلَيْكَ أبا عَبْدِ الْإِلَهِ أَتَى الْمَسَلَا (٢١٦)
وَحُنَّتْ لِرُؤْيَاكَ الْقُلُوبُ مَحْبَةً
وَعَادَتْ بِكَ الدُّنْيَا إِلَى الْخَفْضِ (٢١٧) وَالغِنَى
وَكُنْتُ لِفَيْضِ الْجُودِ أَصْلاً وَاللَّعْسَى
وَلِإِنِّي بِالْأَمْدَاحِ فَيْكَ لَمَوْلَعُ
وَلِإِنِّي بِالْأَشْعَارِ قَدْ جُنْتُ مُتَحِفَاً

وَبُشْرَى كَمَا جَلَى الدُّجَى وَصَحَ الْفَجْرُ
فَجَرَّتْ ذِيولَ الرُّوضِ عَاطِرَةَ النَّشْرِ
إِلَى الرُّوضِ إِثْرَ الْغَيْثِ مُنْسَكِبُ النَّهْرِ
كَمَا رَاقٍ تَاجُ الْأَفْقِ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِي
كَمَا افْتَرَّ تُغْرُ الْكَاسِ عَنِ حَبِيبِ الْخَمْرِ
كَمَا قَدْ مَحَا صَبْحُ الرُّضَى لَيْلَةَ الْهَجْرِ
كَمَا مَلَكَ السَّاقِي قِيَادَ أَخِي السُّكْرِ
كَمَا قَدْ سَمَا فِي أَوْجِهِ طَائِرُ النَّسْرِ
كَمَا قَدْ بَغَى شَرَّ الْبُغَاةِ عَلَى الصَّقْرِ
كَمَا ضَمَّتْ الْأَصْدَافُ كَشْحاً عَلَى الدَّرِّ
كَمَا رَاقٍ مُنْسَوِّقُ الْحَلِيِّ عَلَى النَّحْرِ
كَمَا جَالَ غُصْنُ الرُّوضِ فِي الْوَرْدِ الْخَضْرِ
كَمَا عَادَ بَرْدُ الْعَصَبِ لِلطَّيِّ وَالنَّشْرِ
كَمَا سَبَقَ الْأَمْلَاكُ يَوْمَا بَنُو النَّصْرِ
كَمَا ذَهَبَتْ شَيْمًا (٢٠٥) [الإمارة (٢١٤)] بِالْبِشْرِ
كَمَا طَرِبْتَ نَفْسُ الْجَوَادِ إِلَى الشُّكْرِ
كَمَا دَلَّ مَرْقُوبُ الْهَلَالِ عَلَى الشُّهْرِ
كَمَا سَكَنَ الْقَلْبُ الْمُؤْمِنُ فِي الصَّدْرِ
كَمَا حَرَصَتْ نَفْسُ الْبُخَيْلِ عَلَى الْوَفْرِ
كَمَا خَرَجَ الْحِجَاجُ فِي لَيْلَةِ النَّفْرِ [61]
كَمَا يَهْتَدِي الضَّلَالُ (٢١٥) بِالْكَوْكَبِ الدَّرِيِّ
كَمَا جَاءَ بِسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِ السُّطْرِ
كَمَا تُعْرَفُ الْأَنْهَارُ بِالْمَدِّ وَالْجَزْدِ
كَمَا زَيَّنَتْ بِيضُ الْقَرَاطِيسِ بِالْحَبْرِ
كَمَا حَامَ ظَمَانٌ عَلَى مَوْرِدِ عَمْرِ
كَمَا قَدْ أَتَى الْحِجَاجُ شَوْقاً إِلَى الْحَجْرِ
كَمَا حُنَّتْ الْوَرِقَاءُ لَيْلَاً إِلَى الْوَكْرِ
كَمَا عَادَ سِرُّ الْعَاشِقِينَ إِلَى الْجَهْرِ
كَمَا كَانَ ضَوْءُ الشَّمْسِ أَصْلَ سَنَا الْبَدْرِ
كَمَا وَلِعَ الْأَبْطَالُ بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ
كَمَا أَتَحَفَ الْجَمَالُ يَثْرِبُ بِالْتَّمْرِ

بمقدمك الميمون أرخت أسعدي
وأنت الذي صنت السرى وحميتهم
وأصبحت بالسيف المطاول غالباً
ولكن على عفو جئلت تكزماً
فلا زلت في بريد السعادة رافلاً
ودام لك العز المجدد والعلى
كما أرخ الروم التواريخ بالصفير
كما قد حمى رب التقى جانب الصير
كما يقلب السران بالشرع للعسر [62]
كما جئلت نفس الجبان على الذعر
كما ترفل الحسنة في حلل الخمر (٢١٨)
كما دام حب العرب للنظم والنثر

«القبض على الدليل البركي»

واستقر الدليل البركي في الشردمة الخاصة بحصن اللقون من الحصون الملججة في جوار العدو، وكان لنظره، وقد أعده للثورة منذ أزيد من عشرين سنة، فلم يدع فيه خلة إلا سدها، ولا عورة إلا حصنها، واختزن به الآلة والطعمة، واستجرى الماء، فلما أخفق سعيه، وتبر كيده، صرف إليه وجهه على جبال الفخار، شرقي المدينة، وسبق إليه التدبير، فدخله في سريع من ليلة يوم الكائنة، طوى في برهة اليوم إليه سبعين ميلاً، ودخله، ولم يستقر به حتى غشيت الخيل المتبعة، فألفته أمنع من عقاب الجو، قد استقل بمصام منقطع السبب، مختزل من الأرض، منسوب للسحاب، فنكا القرح، وأثار الغمة، ورجم الظنون، واستدعت الجهات إلى منازلته، واتخذت المجانيق، فلم يغن ذلك شيئاً، وأهم المسلمين أمره، وتوقع أن تفلظ شوكته، ويتصل به أولو الفساد، وينخرق من جهته عقد السلم، ويسلك مسلكه بعض المجاورة من الحصون، فداخلته أدعوه إلى النزول، وأضمن له عفو السلطان، / وأطرنى له التوبة، وأحذره سوء العاقبة، فراجعني مستقيماً إلي، باخعا (٢١٩)، إلا أنه لا يقنع بأحد من المسلمين في رم أمره، ومباشرة إنزاله من منتزاه وعقد وثيقة أمانه غيري. فكان ذلك، وتوجهت إليه تاسع عشر ذي الحجة من العام <٧٦٣هـ> وصعدت إلى باب الحصن مشاهدا كرك [63] الأندلس سنوا ومعنه، فنزل إلي بعد أن أشرت بإفراج المحلات عنه، وسمحت في ذات الله بنفسي إلى توقع مكيدته، واستنزته ومن معه، وقبضت الحصن بما فيه، فثقفته بمن يضبطه للسلطان، واستتقته وجملته سالكا طريق الثغر من البر حيلة إلى أنتقيرة، وأوصلته إلى مأمنه من العمالة المرينية المشاركة لهذه الحدود، فاستقر بجبل الفتح، إلى أن كان من سأمته للمطاوله به ما أوجب صرف وجهه إلى جهة السلطان المتجافي عن جريمته، موهما التطارح عليه في قبول الفينة (٢٢٠) فصاحت به الجهات، ووقع التحذير، واستركب الجند، وأخذت عليه الثنايا والفجاج، وغار جملة من خيله، وتقبض على طائفة من قومه، ولجأ إلى أنتقيرة ركضاً، فتقبض بها عليه، وتوجه من باب السلطان في صفده في الحديد، واحتمله إلى مالقة، فاستودع بمطبق القصبه منها إلى هذا العهد.

/138

ولما عدت من استنزال هذه الشرذمة الثائرة، وتسكين النائرة، وسد حرب الفتنة، أشرت على السلطان باستيلاف النفوس، وتسكين نفرتها لاشتراك الجمهور في لازم الذنب، وضم النشر، وإصلاح فساد السيرة، والتجافي عن الناس، والسلوك على نهج السنة، فانقاد رضي الله عنه لذلك انقياد مثله من الملوك أولي العقول الرضية، والنفوس الزكية، والأخلاق الرضية.

فصدر عني منشور من إنشائي علوت به ذروة المنبر الأعظم من حضرته عقب الفراغ من صلاة يوم الجمعة القريب اتصاليه بيوم الإياب، خاطبت به الجم الغفير بعد التسليم عليهم من أعلى القمة والإجهاش في / سبيل العطف عليهم والرحمة نصه (٢٢١).

هذا كتاب كريم أصدرناه، بتوفيق من الله، شارحا للصدور، ومصالحا بعناية الله للأمر، ملحقا جناح الأمان والعدل والإحسان للخاصة والجمهور، يعلم من يسمعه أو يقف عليه ومن يقرأه (٢٢٢) ويتدبر ما لديه ما أعاننا (٢٢٣) عليه الله من تأمين النفوس وحقق الدماء، والسير في التجافي عنها على سنن (٢٢٤) السواء، ورفع التثريب عن البعيد فيها والقريب، والمساواة في العفو عنها والغفران بين البريء والمريب، وحمل من يظن أنه ينظر بعين العداوة في باطن الأمر وظاهره محمل الحبيب، وترك ما يتوجه بها من المطالبات، ورفض التباعات (٢٢٥)، مما لا يعارض حكما شرعيا، ولا يناقض سننا (٢٢٦) من الدين مرعيا، فمن كان رهن تبعة، أو طريد تهمة، أو منبزا (٢٢٧) في الطاعة بريبة، فقد سحبتنا عليه ظلال الأمان، وألحفناه أثواب العفو والغفران، ووعدناه من نفسنا مواعد الرفق [و] الإحسان، حكما عاما، وعفوا تماما، فاشيا في جميع الطبقات، منسحبا على الأصناف المختلفة، عاملنا في ذلك من يتقبل الأعمال، ولا يضيع السؤال، واستغفرنا الله عن نفسنا وعمن أخطأ علينا من رعيتنا، ممن يدرأ الشرع غلطته، ويقبل الحق فينته، ومن يستغفر الله يجد الله غفورا رحيمًا [64] لما رأينا من وجوب اتفاق الأهواء والضمانر، وخلوص القلوب والسرائر، في هذا الوطن الذي أحاط به العدو والبحر، ومسه بمتقدم الفتنة الضر، وصلة لما أجراه الله على يدينا، وهياه بنا، فلم يخف ما سكن بنا من نار فتنة، ورفع من بأس وإحنة، وكشف من ظلمة، وأسدل من نعمة، وأصفى من مورد عافية، وأولى من نعمة (٢٢٨) كافية، بعدما تخرمت الثغور، وفسدت الأمور، واهتمضم الدين، واشتد على العباد والبلاد كلب الكافرين، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس فله الحمد دائبا، والشكر واصبا (٢٢٩)، ومن الله أسأل أن يتم نعمته علينا، كما أتمها على آبائنا، من قبل، إن ربنا (٢٣٠) / حكيم عليم [65]، ونحن قد شرعنا في تعيين من ينوب عنا من أهل العلم والعدالة، والدين

والجلالة، للتطوف بالبلاد الأندلسية، ومباشرة الأمور بالإيالة النصرية، ينهون إلينا ما سيتطلعونه، ويبلغون من المصالح ما يتعرفونه، ويقينون ما تحتاج إليه الثغور، وتستدعيه (٢٣١) المصلحة الجهادية من الأمور، ونحن نستعين بفضل رعيئنا وخيارهم، والمراقبين الله (٢٣٢) منهم في إيرادهم وإصدارهم، على إنهاء ما يخفى (٢٣٣) عنا من ظلامة تقع، أو حادث يبتدع، ومن اتخذت بجواره خسر فاشية، أو نشأت في جهته للمنكر ناشية، فنحن نقلده العهدة، ونطوقه القلادة، ووراء تنبيهنا على ما خفي عنا من الشكر لمن أهداه، وإحماد سعي من أبلغه وأداه، ما نرجو ثواب الله عليه، والتقرب به إليه، فمن أهدى لنا شيئاً من ذلك فهو شريك في أجره، ومقاسم في مثوبته، حسبنا الله ونعم الوكيل.

وكتب عن الأمر الكذا في الكذا.

فلم نر بالأندلس يوماً أعلى نداء، ولا أذيع دعاء، ولا أعظم بكاء، من ذلك اليوم، ثم ظهر مصداقه عامة اليوم وما بعده من إطلاق عقال الجناة، ورفع الجناح، وتسريع الآمال، وإنزال الوهم من منصة الشهرة ومواراتها بالتراب حكم السنة، وإفشاء الصدقة، وإذاعة العفو، والأخذ على أيدي الظلمة، وتغيير المنكرات، فسكن الناس وأنسوا بجناب العافية، واستروحوا ريح الأمانة، وأخلصوا للسلطان الدعاء وأمحضوا الطاعة، وسكن لهذا العهد الزلزال.

واستقر رجال البيت النصرى من وراء البحر، وبريء مرض القلوب، وأقصرت في الفساد الآمال، وبدا للناس في أمر السلطان ووزنوه بميزان النصفة، ونظروا إليه بعيون البصيرة، وثنوا الأئمة إلى حسن الطاعة وسؤال الامتاع به، من ملك مصنوع له / مكيف الغرائب لدولته، حسن الخلق والشكل، قد امتاز بذلك ما بين الأمة، لطيف الشمائل، خفر الوجنة، بري عن الشر والموجدة، نساء للأحقاد (٢٣٤)، معتدل الأحوال، مغمد السيف إلا بحقه، كثير الهوينا، سريع الدمعة، متحمل النصيحة، صبور على الموعظة مبسوط الكنف، داع بالكنى والألقاب المحبوبة، كثير الهوى للصالحين، مواصل للصدقة، ثاقب الفهم، صادع اليمين، شجاع مقدم على الهول، قلما يأتي الزمان بمثله، أو يوجد بشبهه، من غير التماس لرفده، ولا تمهيد لصلته، ولا خوف من جورده، تولاه الله بما تولى به أهل العناية منه، ورده الرد الجميل إليه بعد الوفاء بحق قلادته، ومناصحته في عهده.

/141

هوامش الفصل السابع

- (١) م : مقيم.
- (٢) م : وفرية، ولعل المناسب للسياق ما أثبتنا.
- (٣) م : حظوة.
- (٤) م : ريق.
- (٥) م : تولول لها فكاة، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (٦) م : هانة، تصويبه ما أثبتنا.
- (٧) م : إيعان، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٨) وردت الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ١٣٤ - ١٣٦، وفي ط. القاهرة ١/٥٠١ - ٥٠٧. وفي النسخ ٦/٣٣٣ - ٣٣٩.
- (٩) ن ٦/٣٣٣ : من أمير المسلمين.
- (١٠) ن : القدم.
- (١١) ن ٦/٣٣٣ : بولة.
- (١٢) من ر ١٣٤ ط، ن.
- (١٣) اللفظتان ساقطتان من رين ٦/٣٣٤.
- (١٤) من ر، ن.
- (١٥) ر، ن : ليل.
- (١٦) م : المعبر، تصحيحه من ر، ن.
- (١٧) ر، ن : على جهاد عبدة.
- (١٨) ساقطة من ن ٦/٣٣٤.
- (١٩) ن : الخير.
- (٢٠) من ر ١٣٤ و، ن.
- (٢١) ن : التدبيرات.
- (٢٢) من ر، ن.
- (٢٣) م : عمومها، تصويبه من المرجعين.
- (٢٤) ر ١٣٤ و، ن ٦/٣٣٥ : فالتعارف.
- (٢٥) ن : بنسبنا.
- (٢٦) ن : الحين.
- (٢٧) ن : إلى أن .
- (٢٨) ن : اللجأ إلى رحمة الله تعالى.
- (٢٩) من ر ١٣٤ و، ن ٦/٣٣٦.
- (٣٠) ن : هتك.
- (٣١) م : دان، تصويبه من ن.
- (٣٢) ن : الملتان.

- (٣٣) ر ١٣٥ ظ، ن : اكتمل.
- (٣٤) ن : لقرى ضيفنا.
- (٣٥) ن ٣٣٦/٦ : بعد.
- (٣٦) من ر ١٣٥ ظ، ن.
- (٣٧) ر، ن وسخر.
- (٣٨) م : فلك، تصويبه من ن.
- (٣٩) ر، ن : من بعد.
- (٤٠) م : العظيم، تصويبه من ر، ن.
- (٤١) ر، ن : والفضل.
- (٤٢) م : نئا، تصويبه من ر، ن.
- (٤٣) م : ولا يخلف.
- (٤٤) ر ١٣٥ ظ : رينا.
- (٤٥) ن ٣٣٧/٦ : التحرم.
- (٤٦) ر، ن : هياً.
- (٤٧) ن : للملك.
- (٤٨) ن : من.
- (٤٩) ر، ن : نصره.
- (٥٠) ن ٣٣٧/٦ : الإلهي.
- (٥١) ر ١٣٥ و، ن : نبأ.
- (٥٢) هذه الجملة ساقطة من "ن".
- (٥٣) م : سرا، تصويبه من ر، ن.
- (٥٤) م : فثاب.
- (٥٥) ر، ن : المريب.
- (٥٦) ر ١٣٥ و، ن ١٣٨/٦ : ولخوان.
- (٥٧) ن : بمسور.
- (٥٨) ن : العلم.
- (٥٩) م : قصاياها، وهو تصحيف.
- (٦٠) م : فاجتزنا، تصويبه من ر ١٣٥ و، ن ١٣٨/٦.
- (٦١-٦٢) ساقط من "ن".
- (٦٣) ساقط من "ن".
- (٦٤) ساقط من "ن".
- (٦٥) ن : مفروق.
- (٦٦) ن ٣٣٩/٦ : بمتوارد.
- (٦٧) ن : يطيل.
- (٦٨) م : اردادتكم، تصويبه من ر، ن.

- (٦٩) ساقط من "ن".
- (٧٠) م : لوم.
- (٧١) م : عار، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (٧٢) م : بياض.
- (٧٣) م : لوم.
- (٧٤) م : الأمير فيها، والأنسب للوزن ما أثبتنا.
- (٧٥) م : منجزة، وهو تصحيف.
- (٧٦) م : ثاها، وهو تحريف.
- (٧٧) م : زاوية.
- (٧٨) م : تحيرت.
- (٧٩) م : محاولة.
- (٨٠) وردت الإشارة إلى هذا الحدث في الإحاطة مخ. الأكاديمية التاريخية ل ١٧٠، ١٧١ في تسعة أسطر، وفي المطبوع ٦٥/٢. وفي المحة ص ١٢٩ في سطر ونصف.
- (٨١) من ح ١٧٠، ل ١٢٩.
- (٨٢) ح ١٧٠، ل ١٢٩ : علي بن علي.
- (٨٣) م : الطرس.
- (٨٤) م : حادة الصلوع، ولعل المناسب ما أثبتناه لأن الصلوح تعني الصلاح.
- (٨٥) م : التنبع، وهو تصحيف.
- (٨٦) م : العنف، وهو تحريف.
- (٨٧) م : الفاربي، ويمكن قراءتها الفار.
- (٨٨) م : الكيد، والسياق يقتضي قراءتها للكيد أو في الكيد.
- (٨٩) بياض بالأصل.
- (٩٠) م : آيات.
- (٩١) م : التعاصص.
- (٩٢) م : ودخل، والأنسب ما أثبتنا.
- (٩٣) م : بنو غرون، يراجع التعليق السابق.
- (٩٤) م : فغية، ولعل المناسب ما أثبتناه.
- (٩٥) م : مغويهم، وهو تحريف.
- (٩٦) م : للصبر.
- (٩٧) وردت هذه الرسالة في الإحاطة مخ الأكاديمية التاريخية ورقة ١٧١ - ١٧٥، وفي المطبوع ٦٦/٢ - ٧٧.
- (٩٨) ح ١٧١ : والقضا بالشرية.
- (٩٩) ح : مزاحم.
- (١٠٠) ح : ومرتع.
- (١٠١) ح : وسيوف.

- (١٠٢) ح : السلطان.
(١٠٣) ح : والشبهات.
(١٠٤) ح : ويراز.
(١٠٥) ح : وإمانا.
(١٠٦) ح ١٧١ : عاصي.
(١٠٧) ح : غمر.
(١٠٨) ح : قلييا.
(١٠٩) م : الباردين، تصويبه من ح.
(١١٠) ح : المتجملة.
(١١١) م : أثر، والسياق يقتضي ما أثبتناه من "ح".
(١١٢) ح : بتقديم.
(١١٣) م : وسد الباب أجوجهم المردة مالعا.
(١١٤) م : العضة.
(١١٥) ح : جماعتهم.
(١١٦) ح : قسبة وادي آش.
(١١٧) ح : والحمد.
(١١٨) م : لحل.
(١١٩) ح : لرمتنا، وفي ط. القاهرة ٦٧/٢ : لحرمتنا.
(١٢٠) ح : فتشبتت.
(١٢١) ح : رحمهم الله.
(١٢٢) ح : العور.
(١٢٣) ح : الظفر والاستقبال.
(١٢٤) ح : عنا.
(١٢٥) ط. القاهرة : ولاشعنا لبسا، وهو تحريف واضح.
(١٢٦) ح : وزكوات.
(١٢٨) ح : والهمنا.
(١٢٨) م : "ح".
(١٢٩) ح : العرصة.
(١٣٠) ح : سلطان المغرب.
(١٣١) ح ١٧١ : خفت، وفي ط. القاهرة : هتفت.
(١٣٢) ح : الصيحة.
(١٣٣) ح ١٧٢ : ومياسيس.
(١٣٤) ح : أنفسهم.
(١٣٥) وردت الجملة الآتية زيادة في "ح" وهي : "ولا يلزم الصهولة".
(١٣٦) ح : الحرم المحصور.

- (١٣٧) ح ١٧٢ : واستضيم.
- (١٣٨) م : الحفظة، تصويبه من "ح".
- (١٣٩) ح : ما قد.
- (١٤٠) ح : ومعالجة.
- (١٤١) ح : فالتمسها وجل الرب.
- (١٤٢) ح : السفه.
- (١٤٣) ح : المجابي.
- (١٤٤) ح : تموه.
- (١٤٥) ح ١٧٢ : ووقع القول وحق.
- (١٤٦) غير واضح في المتن، تصويبه من "ح".
- (١٤٧) ح : ما كنا إلى ككحه.
- (١٤٨) م : غواربه، والأرجح ما أثبتنا.
- (١٤٩) م : أحوازية، وهو تحريف تصويبه من "ح".
- (١٥٠) ط. القاهرة : يحتاج، والأنسب ما ورد في المتن وفي "ح".
- (١٥١) م : تباتا، تصويبه من ح.
- (١٥٢) م : تسر، وهو تحريف.
- (١٥٣) ح ١٧٢ : الفريق.
- (١٥٤) من "ح".
- (١٥٥) ح : جعلونا.
- (١٥٦) ح : وخارطناهم.
- (١٥٧) ط. القاهرة ٧١/٢ : ووثنا بتشديد التاء بمعنى أقلنا من الذلة، وهو أرجح.
- (١٥٨) ح : الشقي الفاضب.
- (١٥٩) ح : حنيفيته.
- (١٦٠) م : وان بعدن، وفي ح ١٧٣ : وان قعدوا، والأرجح ما أثبتنا.
- (١٦١) من "ح".
- (١٦٢) م : الصنع.
- (١٦٣) ح : فحمله عوائق الاستقامة مزية.
- (١٦٤) ح : لا يتمنى بعهد يدين الله.
- (١٦٥) ح : وتخشى عاقبة أمره.
- (١٦٦) ح : التبعية.
- (١٦٧) م : وارردنا، والسياق يقتضي ما أثبتناه من ح ١٧٣.
- (١٦٨) ح : وتدارت.
- (١٦٩) ح : وتبات فسادهم، وفي م : وتبات، ولعل الأصح ما أثبتناه، لأن تبات بمعنى تبادلوا الأسرار فيما بينهم.
- (١٧٠) ح : زهق زمانه.

- (١٧١) ح ١٧٣ : فخرج.
- (١٧٢) م : ريعا، تصويبه من "ح".
- (١٧٣) ح : واقداما على التي هي أشبه وتولى.
- (١٧٤) م : وألفينا حكم الزالية، وما أثبتناه من "ح" يتفق مع ط. القاهرة ٧٠/٢.
- (١٧٥) ح : سبقت.
- (١٧٦) ح : سلفت.
- (١٧٧) ح : الخلف.
- (١٧٨) ح : عرك جراتهم.
- (١٧٩) ح : السقيط.
- (١٨٠) ح : يائذن الله بضلال.
- (١٨١) ح ١٧٣ : تنهشهم وتنوشهم.
- (١٨٢) ح : أحمد.
- (١٨٣) م : قلعا، تصويبه من ح.
- (١٨٤) ح : مستترا.
- (١٨٥) ط. القاهرة ٧٥/٢ : مطرون، وفي "ح" : يكون صححها الناسخ في الهامش "بطرون" وهو يتفق مع ما ورد في "م".
- (١٨٦) ح : الروب.
- (١٨٧) ح ١٧٤ : والنحل.
- (١٨٨) ح : ودارت.
- (١٨٩) ح : من لا يملى.
- (١٩٠) ح : وانتجروا.
- (١٩١) ح : فاخلفت.
- (١٩٢) ح : زناد.
- (١٩٣) م : الجعلان، تصويبه من "ح".
- (١٩٤) ح : الوية.
- (١٩٥) م : كسره، ولعل الصواب ما أثبتناه من ح ١٧٤.
- (١٩٦) ح : ووقعت به الرزية.
- (١٩٧) م : الوهلة.
- (١٩٨) ح : في أعلى.
- (١٩٩) ح ١٧٤ : أيدينا.
- (٢٠٠) نستدعي.
- (٢٠١) ح : الخلف.
- (٢٠٢) بياض بالأصل، تصويبه من "ح".
- (٢٠٣) م : ومدنا.
- (٢٠٤) كذا بالأصل ويمكن قراءتها وأبقينا.

- (٢٠٥) ح : وتسوغا .
(٢٠٦) ساقطة في "ح".
(٢٠٧) م : واستفادنا، تصحيحه من ح ١٧٤ .
(٢٠٨) م : اضعاء، والأنسب ما أثبتناه من "ح".
(٢٠٩) ح ١٧٥ : سبيل.
(٢١٠) زيادة من ح.
(٢١١) ح : وعنايته لدينا ولديكم.
(٢١٢) ح : وتصفو العين من اختار لكم اختيارا.
(٢١٣) م : واقعت، وهو تحريف مخل بالوزن.
(٢١٤) م : زيادة لاستقامة الوزن.
(٢١٥) م : سيما الأمرة، وما أثبتناه يقتضيه الوزن والمعنى.
(٢١٦) م : الله، وما أثبتناه للملاحة الوزن.
(٢١٧) م : الحفض.
(٢١٨) م : الحمر، ولا معنى لها هنا، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
(٢١٩) م : باجما، والأنسب ما أثبتناه لأن يخع معناها : بالغ في الطاعة (لج).
(٢٢٠) م : الفنة، والأنسب ما أثبتنا.
(٢٢١) وردت هذه الخطبة في الريحانة مخ. الاسكوريال، لوحة ١٦٤، وفي ط. القاهرة ٥٧/٢.
(٢٢٢) ر ١٦٤ و : أو يقرأه.
(٢٢٣) ر ١٦٤ و : ما عاهدنا.
(٢٢٤) ر : السنن.
(٢٢٥) ر : التيمات.
(٢٢٦) ر : سببا.
(٢٢٧) م : منيرا، وهو تصحيف.
(٢٢٨) ر ١٦٤ و : عصمة.
(٢٢٩) ر : واجبا.
(٢٣٠) ر : ريك.
(٢٣١) ر : وتستوجه.
(٢٣٢) ر : والمرافقين لله.
(٢٣٣) ر : ما تخفي.
(٢٣٤) م : للاحناد، والسياق يقتضي ما أثبتنا.

تعليقات الفصل السابع

- [1] يوسف بن كماشة.
- [2] النجھ : الصد والنهر.
- [3] وجدت خرقاؤه صوفاً : مثل يضرب للحق. أنظر (مجمع الأمثال ١/٥٥ رقم ١٣٥٩).
- [4] اقتباس من المثل : "العصا من العصية"، وعند العوام "العصا من العصي". أنظر (مجمع الأمثال ١/١٥ رقم ٣٢ - أمثال العوام ١/١٧٥ رقم ١١).
- [5] يقصد بالقائم بأمر الموحدین، محمداً بن عبد الله بن تافراجين، وفي الإحاطة، ابن تافراجين، بينما ابن خلدون أورده : ابن تافراجين، وقد كان حاجباً، ثم استبد بأمر الدولة فانتزعها من أبي حفص عمر الثاني بن أبي بكر (٧٤٧ - ٧٧٠ هـ / ١٣٥٠ - ١٣٦٨ م)، توفي سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٦٤ م. أنظر (- الإحاطة ٢/٢٢ - العبر ١/٥٢٣).
- آل حفص : نسبة إلى حفص بن عمر الهنتاتي. أنظر أخبارهم بتفصيل في (- ابن أبي الضياف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان) - العبر ١/٥٧٧).
- [6] إشارة إلى الحديث : "الأرواح جنود مجندة..." أنظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ١/٣٥٨).
- [7] سورة ١١ (هود)، آية ٤٦.
- [8] الثور والحمل : برجان من البروج الإثنى عشر. انظر وصفهما في (عجائب المخلوقات ص ٦٧).
- [9] تضمين للحديث "إنما الأعمال بالخواتيم"، أنظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٢/١٠).
- [10] اقتباس من بيت معلقة امرئ القيس :
- فقلت له لما تعطى بصلبه وأردف إعجازاً وناء بكلل
- [11] من المثل "شالت نعماتهم" أي تفرقوا. (مجمع الأمثال ١/٢٣٩ رقم ١٢٦٧ - زهر الأكم ٣/٢٤٠).
- [12] السرار : آخر ليلة من الشهر.
- [13] إشارة إلى قوله تعالى : "ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، سورة ٢ (البقرة)، آية ٢٥١.
- [14] اقتباس من قوله تعالى : "ويريد الله أن يحق الحق ويقطع دابر الكافرين، سورة ٨ (الأنفال)، آية ٧.
- [15] السلطان أبو إسحاق إبراهيم (... - ٧٧٧ هـ = ... - ١٣٦٩ م)، من ملوك الحفصيين، تولى الملك سنة ٧٥١ هـ = ١٣٥٠ م، وهو غلام، فقام بأمره ابن تافراجين الذي كان حاجباً لوالده، أنظر حياته ومصادرهما في (الاعلام ١/٣٤).
- [16] اللغب : الكلام الفاسد.
- [17] يقصد قدار بن سالف عافر ناقة صالح عليه السلام، أهلك الله بفعله ثمود، ويضرب به المثل في الشؤم. (مجمع الأمثال ١/٣٧٩ رقم ٢٠٣١).
- [18] إشارة إلى فشل الغني بالله في رندة محملاً تبعه ذلك إلى شؤم ابن كماشة لأنه كان وزيره آنذاك.

- [19] ياباس الساق : أي قليل الخير.
- [20] أبو محمد بن عبد الحق بن أبي القاسم بن عطية المحاربي ولد بوادي آش سنة ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، كان شاعرا، كاتباً، تولى القضاء بوادي آش في سلطنة الغني بالله الأولى، كما تولى الكتابة ورئاسة بيت المال في فترة إسماعيل ومحمد السادس. أنظر (اللمحة ص ١٢٧. الإحاطة ٥٥٥/٣-٥٥٩).
- [21] "هدنة على سخن"، مثل يضرب فيمن يضمم الأذى ويظهر الصفاء، وهو مأخوذ من قول الرسول (صلم). أنظر (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٧/٧٠. - مجمع الأمثال ١/١٦١ رقم ٨٣٦).
- [22] اجالة قداحها : إدارة القدر في الميسر، وهو مأخوذ من المثل : "مجبل القدر والجزور ترثع". (- مجمع الأمثال ٢/٣١٦ رقم ٤٠١٤).
- [23] الخلط : الإختلاط بالناس.
- [24] أورده ابن الخطيب في اللمحة تحت إسم علي بن علي بن أحمد بن نصر، وفي الإحاطة مرة باسم علي بن علي ومرة بإسم علي بن أحمد، وفي المتن علي بن علي، وأيضاً علي بن محمد، وهو من قرابة الغني بالله، بويغ بالخلافة ليحتل مكانه في ثورة منيت بالفشل بتاريخ ذي الحجة ٧٦٣هـ / أكتوبر ١٣٦٢م. أنظر (- اللمحة ص ١٢٩ - الإحاطة، مخطوطة الاسكوريال، رقم ٦٠. لوحة ١٧، ط. القاهرة ٦٥/٢).
- [25] برجه : قرية تابعة لالمرية تقع غربها بحوالي ١٠٠ كلم. أنظر (- معجم البلدان ٢/١١٣). وقوله : لا يريش ولا يبرى : أي لا يضر ولا ينفع. أنظر (المخصص ٢/٦٥).
- [26] الدليل البركي : وهو الذي ترأس ثورة ذي الحجة ٧٦٣هـ، وقد كان من أنصار إسماعيل أخي الغني بالله. أنظر (الإحاطة ٢/٦٥).
- [27] اقتباس من بيت لعبد الله بن عمر قاله رداً على من لاموه في حب ابنه سالم :
يديروني عن سالم وأريغهم وجلدة بين العين والأنف سالم
وسالم يكنى أبا عمر وأبا المنذر، كان فقيهاً، توفي سنة ١٠٦هـ / ٧٢٤م.
وفي الحديث : "لا تؤنوا عمارة فإنما عمارة جلدة ما بين عيني". أنظر ابن قتيبة : المعارف ص ٩٣).
- [28] بنو عزون : اختلف في تسميتهم، بعض المؤرخين سماهم بني غزلون، والبعض أطلق عنهم بني غزون، والأرجح ما أورده ابن صاحب الصلاة "بنو عزون" وهم بيوتات من البربر ينتمون إلى قبيل زناتة، كانوا أمراء بتيروال، ولا زالت عائلات في المغرب تحمل هذا الإسم. أنظر (الجمهرة ص ٤٩٩. - ابن حيان : المقتبس ٥/٣٥٩. - ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٣، ٨١. - Bosh Vilà, Historia de Albarracín y su sierra, II, 169).
- [29] سبروا : جربوا واختبروا.
- [30] انشمر : تهيأ.
- [31] حصن اللقون : (Alicùn) من المناطق الخصبة التابعة لالمرية.
- V. (Madoz, Diccionario geográfico, II, 7).
- [32] الحرن : الممتع عن الإنتقياد، وفعله حرن.
- [33] دمت : سهل ولين.

- خمر : بفتح الخاء والميم، ما وارى من الشجر، ويكسر الميم، المكان الكثير الخمر.
- الشعراء : الأرض الكثيرة الشجر، ورمال شعراء : تثبت العصي وما شابهه.
- [34] سريط : فعله سرتط، أي سار سيراً سهلاً في الحلق، ومنه المثل، الأخذ سريط والقضاء سريط. (- مجمع الأمثال ١٤/٨ رقم ١٥٧).
- [35] نخل : فساد.
- [36] اقتباس من قوله تعالى : كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين، سورة ٢ (البقرة) آية ٢٤٩.
- [37] إشارة إلى قوله تعالى : ربنا آتانا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً، سورة ١٨ (الكهف) آية ٢٤٩.
- [38] الفرضة : من النهر، التلثة التي ينحدر منها الماء، ويقصد بها هنا، تشتت خطورة الأمر.
- [39] الطغام : أوغاد الناس.
- [40] رجل الريا : بكسر الراء وتسكين الجيم، قطعة عظيمة من الجراد.
- [41] "نافخ ضرمة" : مثل يقصد به ما في الدار أحد. (مجمع الأمثال ٢٧٨/٢ رقم ٣٨٤٨).
- [42] قمره : بياض يميل إلى الخضرة.
- [43] الرضف : ج رصفة وهي الحجارة المحماة.
- [44] إشارة إلى قوله تعالى : " إن الله بما تعملون بصير"، سورة ٢ (البقرة)، آية ٢٣٧.
- [45] سورة ٢٢ (الحج) آية ٢٣٧.
- [46] سورة ٩ (التوبة) آية ٤٨.
- [47] البو : ولد الناقة، ويطلق أيضا على جلد ولد الناقة يحشى تبنا أو غيره ويقرب من أم الفصيل، فتخدع وتعطف عليه فتدر، ومنه المثل : "أخدع من البو"، أنظر (لج).
- [48] الكبر : بكسر الكاف وتسكين الباء، الاثم الكبير.
- [49] الخبيث البركي : يقصد به الدليل البركي الذي سبقت الإشارة إليه.
- [50] نفاية : بقية.
- [51] الصفاح : الحجارة العريضة الرقيقة.
- الحباحب : ذباب نو ألوان يطير في الليل وفي نذبه شعاع كالسراج، ومنه نار الحباحب التي يضرب بها المثل في الضعف.
- [52] الكبرة : بفتح الكاف وكسرها وتسكين الباء، الكبر في السن.
- [53] سورة ٧ (الاعراف) آية ٨٩.
- [54] أبو سعيد عثمان بن الشيخ أبي زكريا يحيى بن عمر بن رحو، كان أبوه شيخا للغة المغاربة في السلطنة الأولى للفتي بالله، وقد سجنهما السلطان المذكور في ١٣ رمضان ٧٦٤هـ = ١٣٦٢م. أنظر (اللمحة ص ١١٦ - ١٣٠).
- [55] "وتد في قاع" : يوجد عند العامة بالصيفة "بحال وتد في نخال". أنظر (أمثال العوام ١٧٧/٨ رقم ٩٤).
- [56] تل : اقتيد وسيق.
- الطبق : أو المطبق، وهو السجن تحت الأرض.

- [57] سورة ٧ (الأعراف)، آية ١٣٩.
- [58] سورة ١٤ (إبراهيم) آية ٣٨.
- [59] أبو إسحاق بن الحاج، سبق تعريفه.
- [60] شيماء : علامة في الجلد.
- [61] الحجاج الثقفي (٤٠ - ٩٥هـ = ٦٦٠ - ٧٠٤م) وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد، قائد داهية، ولد ونشأ في الطائف. أنظر (الأعلام ١٦٨/٢).
- [62] إشارة إلى الحديث : «لن يفلح عسر يسرين».
- [63] كرك : إسم لقلعة حصينة تقع في المملكة الأردنية الهاشمية على الشاطئ الشرقي للبحر الميت، أنظر (معجم البلدان ٧/٢٤٠ - الروض المعطار، تح إحسان عباس ص ٢٠٢).
- [64] إشارة إلى قوله تعالى : «واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيمًا»، سورة ٤ (النساء) آية ١٠٦.
- [65] إشارة إلى قوله تعالى : «ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم»، سورة ١٢ (يوسف) آية ٦.

الفصل الثامن

«بعض الرسائل والأشعار التي كتبها ابن الخطيب بعد عودته الى غرناطة»

وصدر عني إلى هذا العهد من المنظوم والمنثور ما يذكر :

فمن ذلك كتاب من إنشائي للسلطان بمصر [1]، نصه : (١)

«الأبواب التي تفتح لنصرها أبواب السماء، وتستدر (٢) من أفاقها سحاب
النعماء، وتجلي بأنوار سعدها دياجي الظلماء، وتعرف نكرة البلاد والعباد
بالانتساب الى محبتها والانتماء على اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد
الاسماء، ويجترأ من صلوات صلاتها عند الموانع من كمال حالاتها (٣)، بالإيماء،
وتحمل لها التحية ذات (٤) الدسر والألواح طاعنة نحر الصباح على كتف الماعز (٥)،
أبواب السلطان الكبير، الجليل الشهير، الطاهر الظاهر، الأوجد الأبعد، الأصعد
الأمجد، الأعلى العادل، العالم (العلم العامل) (٦)، الفاضل الكامل، سلطان
الإسلام والمسلمين، عماد الدنيا والدين، رافع ظلال العدل على العالمين، جمال
الإسلام، علم الأعلام، فخر الليالي والأيام، ملك البرين والبحرين، إمام الحرمين،
مؤمل الأمصار والأقطار، عاصب تاج الفخار، هازم الفرنج والترک والتطار، الملك
المنصور بن الأمير الرفيع المجادة (٧)، الكريم الولادة، الطاهر الظاهر، الكبير
الشهير، المعظم المجد، الأسنى (٨) الموقر، الأعلى فخر الملة (٩)، سيف / الأمة، تاج
الإمارة، عز الإسلام، مستظل الأنام (١٠) قمر الميدان ، أسد الحرب [العوان] (١١)،
المقدس المطهر، أحمد ابن والد السلاطين، وملك المسلمين، وسيف خلافة الله (١٢)
في العالمين، وولي المؤمنين، سلطان الجهاد والحج، ومقيم رسم العج والثج (١٣)
[2]، ومحبي معالم (١٤) الدين، قامع المعتدين، قاهر الخوارج والمتمردين، ناصر
السنة (١٥)، محيي الملة، ملك البرين والبحرين، سلطان الحرمين، الملك العادل،
العالم العامل (١٦)، الطاهر الظاهر، الأصعد الأبعد الأوجد، الأعلى (١٧) المنصور
المؤيد، المعان المرفع المعظم المجل المؤمل، المجاهد المرابط الغازي المكمل، المطهر
الكبير الشهير المقدس، الملك الناصر، أبي عبد الله محمد بن قلاوون الصالحي،
جعل الله فسطاط دعوته معموداً بعمود الصبح، وحركات عزمه مبنية على الفتح،

ومجمل سعادته غنيا عن الشرح، وجياد أوصافه متبارية في ميدان المدح، وزناده أرائه وارية عند القدح، موجب حقه وجوب الشعائر الخمس، المرحب لأجل أفقه الشرقي بوفادة الشمس، المجدد في اليوم حكم ما تقرّر بين السلف، رحمه الله، في الأمس (١٨)، أمير المسلمين بالأندلس عبد الله [الغني بالله] (١٩) الغالب به محمد بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر :

سلام كريم كما زحفت (٢٠) راية الصباح، تقدمها طلّاح مبشرات الرياح، وتفاوح زهر الأدياح، وتحاسن (٢١) طرد الوجوه الملاح، يخص أبوابكم (٢٢) التي رتب العز فصولها، وعضدت نصوص النصر (٢٣) فصولها، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي جعله فاتحة القرآن، وخاتمة دعاء أهل الجنان، وشكره على ما أولى من مواهب الإحسان، حمداً وشكراً يستخدمان من الإنسان، ملكتي القلب واللسان، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله، زهرة كمامه الأكوان، وسيد ولد آدم على اختلاف اللغات والألوان، الذي أذل بعزة الله أنوف الطغيان / وغطى بدينه الحق على الأديان، وزويت له الأرض فرأى ملك أمته يبلغ ما روي (٢٤) له فكان الخبر وفق العيان، والرضى عن له من الأصحاب والأحابب والأعمام والإخوان صلاة يجدها الجديان، ويمليها الملوان، وتتزاحم على تربتها (٢٥) المقدسة مع الأحيان، ما سجعت طيور البراعة من أعواد (٢٦) البراعة على الأفنان، والتفتت عيون الالتفات من (٢٧) بين أجفان البيان، والدعاء لأبوابكم الشريفة (٢٨)، جعل الله عصمته تقيم بها وظيفتي الحجابة والاستئذان، وضرب بدعوتها التي هي لذة الإقامة والأذان على الأذان، واستخدم بروج الفلك الدوار في مرضاة (٢٩) أمرها العزيز [استخدام] (٣٠) الأنصار والأعوان، حتى يعمل في (٣١) المدافعة عن حماها مخالبا السرحان، وفي الإشادة بعدلها كفتي الميزان، ويهدي [لها] (٣٢) من الزهرة كرة الميدان، ومن الهلال عوض الصولجان، وأبقى في عواملها ضمير الأمر والشان، إلى يوم تعنو وجوه الملوك إلى الملك الديان، فإننا كتبناه إلى تلكم (٣٣) الأبواب كتب الله لعتبتها النصرة الداخلة، كما أخجل بمكارمها السحب الباخلة، وجعل مفارق مناصلها الفاصلة (٣٤)، المختضبة من نجيع عداها غير الناصلة، وقرن بكل سبب من أضدادها فاصلة، من دار ملك الإسلام بالأندلس، حمراء غرناطة، وصل الله سبحانه عادة الدفاع عن أركانها، وشد بأيدي اليقين عرى أملها في الله ورجائها، حيث المصاف المعقود، وثمن النفوس المنقود، ونار الحرب ذات الوقود، حيث الأفق قد تردى بالقتام وتعمم، والسيف قد تجرد وتيمم، وغبار الجهاد يقول : أنا الأمان من دخان نار جهنم، حيث الإسلام من عدوه كالشامة من جلد البعير، والتمرة من أوسق العير، حيث المصارح تتزاحم الحود

/143

على شهادتها، والأبطال يعلو بالتكبير مسمع نداءها، حيث الوجوه الضاحكة المستبشرة [3] قد زينتها الكوم (٣٥)، وفر عن سماتها اللوم، ودارت بها الجوامع تواربها (٣٦)، وسلمت منها النفوس الى الله مشتريها، / حيث لا اله إلا الله قد اقتطعها عن وراعا بحر يزخر، وكفر عن الإقدام عليها لا يتأخر، وكلمة بتثليث الله تفخر (٣٧) وأمة لا تصون نفسها عن الموت ولا تذخر، وعندنا من التعظيم لتكم الأبواب ما لو اعتمده (٣٨) الرياح لسكنت وقارا، والأفلاك ما ألفت مدارا، توسع عن أنبائكم مطالع الصبح استخبارا، وتستهدي لطائفها أنفاس الرياح أصائل وأسحارا، وتقعن بالقليل المحب اذا لم يجد مزارا، وتعد من الاستغراق، بجهاد المراق، عن مراسلة تلك الأفاق أعذارا، لا يوسعها الحق إلا قبولا وإيثارا، ولما ضاق نطاق الصبر من ذلك عما كان (٣٩) يواريه (٤٠)، وأصبح بين خجل يليقه، وأمل يغريه، وبرى اليراع إلى بته شوق (٤١) كاد يغنبه عن يبريه، أصدرنا هذه المخاطبة الحمراء قد ورد خدها الخجل، وقصر عن القيام بعذرها المروي المرتجل، تنوب عن الكلام بالاشارة، وتخاف الرد لإغفال الزيارة، واقفة بباب الإيوان، متقاصرة بدارة الخوان، عن رتب الإخوان، قصاراها تحصيل الاغضاء عن قصورها، ورفع الإهمال عن سورها، والإرعاء على غربتها، وبعد تربتها، ورعي وسيلتها وقربتها، فلتنعم الأبواب الشريفة بالإصغاء ولتلق (٤٢) عن باب الإلغاء، ولتعلم مجالسها الممهدة على التقوى المؤسسة، وعلومها المشرفة المقدسة (٤٣) أن هذا القطر الذي (٤٤) أفضت لنا رعاية رعاياه (٤٥)، ومهدت لسياستها أكوار مطاياها، وجعلت بيدنا، والمنة لله، عباب (٤٦) عطاياها، قطر مستقل بنفسه، مرب يومه في البر [على أمسه] (٤٧) زكي المنابت، عذب المشارب، متم المأمل مكمل المآرب، فاره الحيوان، معتدل السحن والألوان، وسيط في الأقاليم السبعة، شاهد لله بإحكام الصنعة، أما خيله ففارهة، وإلى الركض شارهة. وأما سيوفه (٤٨) فلمواطن الغمود كارهة، وأما أسله (فحسن النعت / لين العطف، وأما أسنته) (٤٩) فمتمدركة الخطف، وأما [عوامله] (٥٠) فبينة الحذف، أما نياله فمحذورة القذف، إلا أن الإسلام به في سبط مع الحيات [4]، وذريئة للمنيات الوحيات، وهدف للنبال وأكلة للصهب السبيل (٥١)، تطأهم [5] الغارات المتعاقبة، وتتحيفهم (٥٢) الحدود المصاقبة، وتجوس خلالها العيون المراقبة، وتريب من أشكال مختطهم الا بفضل الله العاقبة (٥٣) فليس الا الصبر، والضرب والهبر، والتفميز والبتير (٥٤)، والمقابلة والجبر، وقد حال البحر بينهم وبين إخوان ملتهم، وأساة علتهم، يقومون بهذا الفرض، عن أهل الأرض، ويقرضون ملك العرض أحسن القرض، قولا بعد المدى، وغول الردى، ولغظ العدى، «وما عدا مما بدا» [6]، لسمعتم تكبير الحملات، وزئير أسود تلك الفلاة،

ودوي الحوافر، وصليل السيوف من فوق المغافر، وصراخ الثكالي، وارتفاع الأصوات (٥٥) الى الله تعالى، ولو ارتفع قيد المكان، وهو للأولياء مثلكم من حيز الإمكان، لمقلتم مقل الأسنة الزرق، حالة من أطراف قضب الرماح محال الورق، وأبصرتم القنا الخطار وقد عاد أخلّة، والسيوف قد صارت فوق الخدود (٥٦) أهلة، وعقود الشهادة عند قاضي السعادة مستقلة، وكان كما تحصره علومكم الشريفة، حدق سورة الفتح، وآخر دلاء ذلك المنح، عرض على (٥٧) الفاروق فاحتاط، وأغرى به من بعده، فاستشاط، واختط وخاط، وسرحت خيل ابن أبي سرح، في خبر يدعو الى شرح، حتى إذا ولد مروان تقلدوا كرتها التي هوت، وخضمو ما أنضجت ورثة الحق وشوت، وأيديهم على الأمر احتوت، وقازوا (٥٨) منه بما نوت، نفل ولأئده الوليد، وجلب له الطارف والتلبد، وطرقه طارق (٥٩)، وضافت عن أخباره المهارق، وجلت الفائدة، وظهر على الذخيرة التي منها المائدة [7] ثم استرسل المهب، ونصر الرب، و«يكثر الطير / حيث ينتثر الحب» [8] وصرفت أشرف الشام أعنتها الى التماس خيره، وطارت أجنحة (٦٠) العزائم تيمنا بطيره، وقصدته الطلائع صحبة بلج بن بشر [9] وغيره، ففتحت الأقفال، ونفلت الأنفال، ونجح الفال، ووسمت الأغفال، وافتتحت البلاد الشهيرة، وانتقيت العذارى الخيرة، واقتنيت الذخيرة، وتجاوز الإسلام الدروب وتخطى، وخضد الأرقى، وأركب وامطى ، واستوثق واستوطا، وتتاعب وتمطى، حتى تعددت مراحل البريد، وسخت عين الشيطان المرید، واستوسق للإسلام ملك ضخم السرادق، مرهوب البوارق، رفيع العمد، بعيد الأمد تشهد بذلك الآثار والأخبار، والوقائع الكبار، والأوراق والأسطار، وهل يخفى النهار، ولكل هبوب ركود، والدهر حسود لمن يسود، فراجعت الفرنج كرتها، واستدركت معرفتها، فدومت (٦١) جوارحها وحلقت، وأومضت بوارقها وتألقت، وتشبثت وتعلقت، وأرسلت الأعتة وأطلقت، وراجعت العقائل التي طلقت، حتى لم يبق من الكتاب الا الحاشية، ولا من الليل إلا الناشية، وسقطت الفاشية، وأخلدت (٦٢) الفئة المتلاشية، وتقلصت الظلال الفاشية، إلا أن الله تدارك بقوم رجح من سلفنا «أثبتوا في مستنقع الموت (٦٣) أقدامهم [10]» وأخلصوا لله بأسهم وإقدامهم، ووصلوا سيوفهم الباترة بخطاهم، وأعطاهم منشور العز من اعطاهم، حتى (٦٤) تعين الدين وتحيز، واشتهر بالمدافعة (٦٥) وتميز، وعادت الحروب سجالات، وعلم الروم أن لله رجالا، وقد أوفد جدنا، رضي الله عنه، على أبواب سلفكم من وقائعه في العدو كل مبشرة، ووجودية منتشرة، ضحكت لها ثغور الثغور، وسرت في الأعطاف حميا السرور، وكانت المراجعة عنها شفاء للصدور، وتمائم في الدور (٦٦)، وخفرا في وجوه البدر، فإن زمام الإسلام / موصول، وفروعه تجمعها

في الله أصول، وما اقرب «الحنن ممن داره صول» [11] والملة والمنة لله واحدة، والنفوس لا منكورة للحق ولا جاحدة، والأقدار معروفة، والآمال لما (٦٧) يوصل الى الله مصروفة، فإذا لم يكن الاستدعاء، أمكن الدعاء، والخواطر فعالة، والكل على الله عالة، والدين غريب، والغريب يحن الى أهله. والمرء كثير بأخيه على بعد محله (٦٨).

ولما صير الله لنا تراثهم (٦٩) الهني، وأمرهم السنني، وبناعهم العبادي (٧٠) وملكهم الجهادي، أجزانا، وله الطول، على سننهم، ورفع أعلامنا في هضابهم المشرفة وقنتهم، وحملنا فيهم خير حمل، ونظم بنا لهم أي شمل، وألبس أيامنا سلما فسيح الإثارة (٧١)، وأحكم الإدارة، وهنا الإمارة، ومكن العمارة، وأمن في البحر والبر العبارة والسيارة (٧٢)، لولا ما طرقهم فينا من تمحيص. أجلى عن تخصيص، وتمحض تبره بعد تخليص، ومرام عويص، نبثكم بثه، ونوالي (٧٣) لديكم حثه، ونجمع منبثه، فإن في قص الحوادث ذكرى [12]، ومعروف الدهر لا يؤمن أن يعود (٧٤) نكرا، وشر الوجود معاقب بخيره، والسعيد من اتعظ بغيره، والحزم أفضل ما إليه ينتسب وعقل التجربة بالمران (٧٥) يكتسب، وهو أن بعضا ممن ينتسب الى بيتنا بوشائج الأعراق، لا بمكارم الأخلاق، ويمت إلينا بالقرابة البعيدة لا بالنسبة السعيدة، ممن كفلناه يتيما، وصناه ذميما شتيما، وبوأناه مبوأ كريما، بعد أن نشأ حرفوشا ذميما لثيما، ونوهنا من خموله بالولاية، ونسخنا حكم تسحبه بأية العناية، داخل أخوا لنا كنا ألزمانه الاقتصار على قصره، ولم نجعل أداة تدل على حصره، وسامحناه في كثير من أمره، ولم نرتب بزیده، ولا عمره، واغتررنا برماد على (٧٦) جمره، فاستدعى له من الصعاليك شيعته، كل درب بكف الأغلاق، وتسرب أنفاق النفاق، / وخارق للاجماع والاصفاق، وخبير بمكاند (٧٧) الخراب ومذاهب الفساق، وتسور بهم القلعة من ثم شرع في سده بعد هده، ولم تكمل الأقدار المميزة في جده (٧٨)، في ليلة آثرنا بيتتنا (٧٩) فيها ببعض البساتين خارج قصورنا، واستتبنا من يضطلع بأمرنا، فاستتم الحيلة، التي شرعها، واقتحم القلعة واقترعها، وجدل حرس النوبة (٨٠) وصرعها، وكبس محل النائب [13] وجدله، ولم ينشب أن جدله، واستخرج الأخ البائس فنصبه، وشد به تاج الولاية وعصبه، وابتز أمرنا وغصبه، وتوهم الناس أن الحادثة على ذاتنا قد تمت، والدبرة (٨١) قد ألت، ولقد همت، فخذل الناصر، وانقطعت الأواصر، وأقدم المتقاصر، واقتحمت الأبهاء والمقاصر، وتفرقت الأجزاء وتحللت العناصر، وفقد من عين الأعيان النور الباصر، فأعطوه طاعة معروفة، وأصبحت إليه الوجوه مصروفة وركضنا وسرعان الخيل تقفو أثر منجاتنا، والظلام يخفيها، وتكفي علينا السماء

والله يكفيها، الى أن خالصنا الى مدينة «وادي آش» خلوص القمر من السرار، لا نملك إلا نفسا مسلمة الى الأقدار (٨٧)، ملقية له [مقادة] (٨٣) الإختيار، مسلوية (٨٤) لحكم الملك والبلد، والأهل والولد والشعار والدثار، لا تعرف سببا لنكث العهد من بعد العمل بموجبه (٨٥) والاستقرار (٨٦)، وناصحنا أهل تلك المدينة فعملوا على الحصار، واستبصروا في الدفاع عنا أتم الاستبصار، ورضوا لبيوتهم المصحرة، ويساتينهم المستبحرة، بفساد الحديد وعبث النار، ولم يرضوا لجوارهم بالإخفاء، ولا لنفوسهم بالعار، إلى أن كان الخروج عن الوطن بعد خطوب تسبح فيها الأتلام سبحا طويلا، وتوسعها الشجون شرحا وتأويلا، ويلقي (٨٧) القصص منها على الأذان قولاً ثقيلا، وجزنا البحر، وضلوع موجه إشفاقا علينا تخفق (٨٨)، وأكف رياحه حسرة تصفق / ونزلنا من جناب (٨٩) سلطان بني مرين على المثوى الذي رحب بنا نزرعه، ودل على كريم (٩٠) الأصول فرعه، والكريم الذي وهب وأجزل (٩١)، ونزل لنا عن الصهوة وتنزل، وتخير (٩٢) وحكم، ورد على الدهر الذي تهكم، واستعبر وتبسم، وألى وأقسم، وبسمل وقدم، واستركب لنا واستخدم.

/14

ولما بدا لمن وراعنا سيئات ما كسبوا، وحققوا ما حسبوا، وطفأ الفناء ودرسيوا، ولم ينشب الشقي الجريء (٩٣) أن قتل البائس الذي موه بزيفه، وطوقه بسيفه، ودل ركب المخافة على خيفه، إذ أمن المضعوف من كيدته، وجعل ضرغامه بازيا لصيده، واستقل على أريكته استقلال الظليم على تريكته، حاسر الهامة، متنفقا بالشجاعة والشهامة، مستظها بأولي الجهالة (٩٤) والجهامة، وساعت في محاولة عدو الدين سيرته، ولما حصص الحق انتككت مريرته، وخبثت سريرته (٩٥)، وارتابت بجنبه المستور جيرته، وفغر عليه طاغية الروم فمه فالتقمه، ومد عليه الصليب نزاعه فراعته وشد عليه الكفر يده فما عضده الله ولا ايده، وتخمرت ثغور الاسلام بعد انتظامها، وشكت الى الله (٩٦) باهتظامها، وغصت بأشلاء عباد الله وعظامها، وظهور أوضاعها، وركلت السنة والجماعة، وانقطعت من النجع الطماعة، واشتدت المجاعة (٩٧) وطلعت دعوتنا من المغرب فقامت علينا الساعة، وأجزنا البحر تكاد جهاته تتقاربان (٩٨) تيسيرا، ورياحه لا تعرف في غير وجهتنا مسيرا، وكان ماءه نوب لقي إكسيرا، ونهضنا يتقدمنا الرعب ويتبعنا الدعاء (٩٩) وتجاجيء بنا الإشارة، ويحفزنا الإستدعاء.

وأقصر الطاغية عن البلاد بعد أن ترك ثغورها مهتومة، والأخافة عليها محتومة، وطوالها مفضوضة، وكانت قبل بنا مختومة / وأخذت الخائن الصيحة عن البلاد (١٠٠) فاختبل، وظهر تهوره الذي [عليه] (١٠١) جبل، فجمع أوياشه السفلة وأوشابه وطرقه (١٠٢) الذي غش به المحض وشابه، وعمد الى الذخيرة التي صانتها

/1.

الأغلاق الحريزة، والمعازل العزيزة، فملا بها المناطق، واستوعب الصامت والناطق،
والوشح والقراطق، واحتمل عدد الحرب والزينة، وخرج ليلا عن المدينة واقتضت
آراؤه الفائلة، ونعامته الشائلة [14]، ودولة بغية الزائلة، أن يقصد طاغية الروم
بقضه وقضيضه [15]، وأوجه وحضيضه، وطويله وعريضه، من غير عهد اقتضى
وثيقته، ولا أمر عرف حقيقته، إلا ما أمل اشتراطه من تبديل الكلمة، واستئصال
الأمة المسلمة، فلم يكن تحصل في قبضته، ودنا من مضجع ربضته، واستشار
نصحاءه في أمره، وحكم الحيلة في جناية غدره، وشهره ببلده، وتولى بعد قتله
بيده، وألحق به جميع من أمده في غيه، وظاهره (١.٣) على سوء سعيه، ووجه إلينا
برؤوسهم فنصبت بمتسور (١.٤) غدرها، وقلدت لبة تلك البنية (١.٥) بشذرها،
وأصبحت عبرة للمعتبرين، وأية للمستبصرين، وأحق الله الحق بكلماته وقطع دابر
الكافرين» [16].

وعدنا الى أريكة ملكنا كما عاد (١.٦) القمر الى بيته، بعد كيته وكيته، أو
العقد الى جيده، بعد انتشار فريده، أو الطير الى وكره، مفلتا من غول الشرك
ومكره، ينظر إلينا الناس بعيون لم تَرَمُدْ غَبْنًا. (١.٧) محيا رحمة، ولا طشت (١.٨)
عليها بعدنا غمامة رحمة، ولا باتت للسياسة في ذمة، ولا ركبت لدين ولا همة،
فطوينا بساط العتاب طي الكتاب، وعاجلنا (١.٩) سطور المؤاخذة بالاضراب،
وأنسنا نفوس أولى الأقران بالإقتراب، وسهلنا الوصول إلينا، واستفقرنا الله
لنفسها ولمن جنى علينا، فلا تسألوا عما أثار ذلك من استدراك ندم، ورسوخ قدم /
واستمتاع بوجود بعد عدم، فسبحان الذي يحص ليثيب، ويأمر بالدعاء ليحيب،
وينبه من الغفلة ويهيب، ويجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب.

ورأينا أن نطالع علومكم المشرفة (١١٠) بهذا الواقع تسيبيا للمفاتحة
المعتمدة، وتمهيدا للموالة المجددة، فأخبار الأقطار مما تنفقه الملوك على أسمارها،
وترقم بيدانعه حالات أعمارها، وتستفيد منه حسن السير، والأمان من الغير،
وتستعين على الدهر بالتجارب، وتستدل بالشاهد، على الغائب، وبلادكم ينبوع
الخير وأهله، ورواق الإسلام الذي يأوي قريبه ويعيده الى ظله، ومطلع نور الرسالة،
وأفق الرحمة المنتالة، منه تقدم علينا الكواكب تضرب أباط أفلاكها، وتتخلل
مداريها (١١١) المذهية غدائر أحلاكها، وتستعلي البدر، ثم يدعوها الى المغرب
الحدور، وتطلع الشمس متجردة من كمام ليلها، متهادية في دكان (١١٢) ميلها، ثم
تسحب الى الغروب فضل ذيلها، ومن تلقائكم ورد العلم والعمل، وأرعي الهمل.
فنحن نستوهب من مظان الإجابة لديكم يقوم لدينا مقام المدد، ويعدل منه الشيء
بالمال والعدد، دعاء المؤمن يظهر الغيب ما فيه (١١٣)، والله يعلم ما يبديه العبد

ويخفيه، وإياه نسأل (١١٤) أن يدفع عنا وعنكم عوادي (١١٥) الفتن، وغوائل المحن، ويحملنا على سنن السنن، ويلبسنا من تقواه أوقى الجن، وهو سبحانه وتعالى يصل لأبوابكم سعدا (١١٦) تستقل لدى قاضي القضاة رسومه، فتكتب حقوقه، وتكتب خصومه، ولا تكلفه الأيام فسحا ولا تسومه، بفضل الله وعونه وكرمه ومنه (١١٧). والسلام الكريم الطيب المبارك بدء بعد عود، وجودا إثر جود، ورحمة الله وبركاته. (في كذا، وبه أختتم بخير) (١١٨).

وقلت / في مخاطبة الأمير بغا الخاصكي [17] القائم بأمر سلطان مصر، المكتوب إليه الكتاب قبل (١١٩) :

إلى (١٢٠) الأمير كذا المؤمن على أمر سلطان المسلمين، المقلد تدبيره السيد قلادة الدين، المثني على رسوم بره المقامة (١٢١) لسان الحرم الأمين، الأوي من مرضاة الله ورسوله إلى الربوة ذات القرار والمعين، المستعين من الله على ما تحمله وأمله بالقرى المعين، سيف الدعوة، ركن الدولة، قوام الملة، مؤمل الأمة، تاج الخواص، أسد (١٢٢) الجيوش، كافي الكفاة، زين الأمراء علم الكبراء، عين الأعيان، حسنة الزمان، الأجل المرفع الأسنى، الكبير الشهير الأسمى، الحافل الفاضل، الكامل المعظم، الموقر الأمير، بغا (١٢٣) الخاصكي، وصل الله له سعادة تشرق غرتها، وصنائع تسح فلا تشح درتها، وأبقى تلك المثابة قلادة الله وهو دُرْتها.

سلام كريم، طيب بر عميم، يخص إمارتكم التي جعل الله الفضل على سعادتها أمانة، واليسر لها شارة، فيساعد الفلك الدوار مهما أعملت إدارة وتمتثل الرسوم (١٢٤) كلما أشارت إشارة.

أما بعد حمد الله الذي هو بعلمه (١٢٥) في كل مكان، من قاص ودان، واليه توجه الوجوه، وان اختلفت السير وتباعدت البلدان، ومنه يلتمس الإحسان، ويذكره ينشرح الصدر ويطمئن القلب ويمرح اللسان، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد العظيم الشأن، ونيبه الصادق الرسالة (١٢٦) الواضح البرهان، والرضى عن آله وأصحابه وأعمامه وأحزابه أحلاس الخيل، ورهبان الليل وأسود الميدان، والدعاء لامارتكم السعيدة بالعز الرائق الخبر والعيان، والتوفيق الوثيق البنيان، فإننا كتبناه اليكم - كتب الله لكم حظا من فضله وافرا، وصنعا من محيا السرور سافرا، وفي حق الإعلام بالنعيم الجسام مسافرا، من حمراء غرناطة دار (١٢٧) ملك الأندلس، دافع الله عن حوزتها / كيد العداة، وأتحف نصلها بيوكر النصر المهداة، ولا رائد إلا تشوق الى التعارف بتلك الأبواب الشريفة التي أنتم عنوان كتابها المرقوم، وبيت قصيدها (١٢٨) المنظوم، والتماس بركاتنا الثابتة الرسوم، وتقرير المثول في

سبيل زيارتها بالأرواح عند تعذرها بالجسوم، وإلى هذا فإننا كانت بين سلفنا تقبل الله جهادكم، وقدس نفوسهم، وأمن معادهم، وبين تلك الأبواب السلطانية (١٢٩)، أبقى الله على الإسلام والمسلمين ظللها (١٣٠)، كما عرفهم (١٣١) عدلها وأفضالها، مراسلة ينم عرف الخلوص من خلالها، وتسطع أنوار السعادة من أفق كمالها، وتلتصق من أسطار طرووسها محاسن تلك المعاهد، الزاكية المشاهد، وتعرب عن فضل المذاهب وكرم المقاصد، واشتقنا الي أن نحددها بحسن منابكم، ونصلها (١٣٢) بمواصله جنابكم، ونفتنم في عودها الحبيد مكانكم، ونؤمل لها زمانكم، فخطبنا الأبواب الشريفة في هذا الغرض مخاطبة خجلة من التقصير، وجلة من الناقد البصير، نؤمل الوصول في خفارة يدكم التي لها الأيادي البيض، والموارد التي لا تغيض، ومثلكم من لا تخيب المقاصد في شمائله، ولا تضحى المآمل في ظل خمائله، فقد اشتهر من حميد سيركم ما طبق الافاق، وصحب الرفاق، واستلزم الإصفاق، وهذه البلاد مباركة، ما أسلف أحد فيها مشاركة، الا وجدها في نفسه وماله، ودينه وماله (١٣٣)، والله أكرم من وفي لامرئ بمكياله، وهو جل جلاله، يجمع القلوب على طاعته، وينفع بوسيلة النبي الذي نعول على شفاعته، ويبقي تلك الأبواب ملجأ للإسلام والمسلمين، وظلا لله على العالمين، وإقامة لشعائر الحرم الأمين، ويتولى إعانة إمارتكم على وظائف الدين، ويجعلكم ممن أنعم عليه من المجاهدين، والسلام / الكريم يخصكم ورحمة الله وبركاته. في كذا.

154 /

وكتبت مخاطبا (١٣٤) لرئيس ديوان الإنشاء الشريف شمس الدين أبي عبد الله ابن أبي ركب :

أبقى الله أيام المجلس العالي ظللا على العشائر والفضائل، أجمة للأسد العز الصائل، مفضضة الغدوات مذهبة الأصائل، من أمثالهم التي كلفت بها الألسن، موثرة لما يحسن، «لولا الحمقى لخربت الدنيا»، والذي يشرح به هذا المضمهر، أنها بهم تعمر، فيعمل الصائف للشاتي، ويخلف الذاهب للآتي، ومن الأدلة والبراهين المستقلة عند الجلة، مخاطبة المملوك (١٣٦) ذلك المجلس العلمي مع قصور النسب التي تدمت للعدر وتمهد، بل مع [وفور] (١٣٧) ما يرغب ويرزهد، أما باعتبار [الأيالة، فالخلافة أصل، وما سواها فرع، يعضدها طبع وشرع، ولا يتسع في ردها ذرع، وأما باعتبار] (١٣٨) القطر فأين القدم من المفرق، وأين المغرب من المشرق، وتشهد بذلك الشعائر الخمس، واليوم والأمس، لا بل الشمس، فهذا تنصب فيه منصتها، تشهر قستها، وهذا تبتلع فيه قرصتها، وتجترع غصتها، وأما باعتبار الذوات، فلو لم يكن إلا النسب القرشي موجبا للتقديم، مسوغا بالحديث الصحيح مزية القديم (١٣٩)، فإلى أين يذهب مخاطب المجلس العلمي وقد سدت المذاهب، وتباينت الأنوار والغياهب، والله الواهب، ولقد أحس المملوك عند تعاطي

هذه الذريعة التي تزل فيها الأقدام، ويفتضح الإقدام، وتخل الدعوى بصاحبها كما يفعل المدام خورا في الطباع، وقصرا في الباع، وكلا في الأداة، وسهوا في فريضة البيان المؤداة، أما الفكر [ففر] (١٤٠)، وأما اليراع فنحل واصفر، وأما الطرس فحقق فؤاده، وأما النفس فحال سواده، مهلا عليك، واليك عني إليك، والجهل لوم، وأوزان (١٤١) الأعيان حلوم، «وما منا إلا له مقام / معلوم» [18]، ومتعدي طوره ظلوم، «قد علم كل أناس مشريهم»، [18] فليعملوا الى الإنصاف مهربهم، «ولا توجد يد إلا بما تجد [19]» مثل معروف، «وإذا لم تكن إبل فمعزى» لمثل هذا الغرض مصروف، ورب حقيرة أجدت، ونفس حر الى الموقع اللطيف مهدت، وقد أهدت [القبرة] (١٤٢) الى سليمان جرادة فقبل ما أهدت، والمجلس العلمي تولى الله اطالة مدته، يجري الملوك في الإدلال على سدته مجرى العاطش، ورد الحوض فاقتمه، غير مبال على جسده [يمن زحمه] (١٤٣)، والمسلت الذي سقط (١٤٤) على الحميم [20] فأسام، وما سأل ولا سام، ولا بالى ببني حام ولا سام، والمحب أمكنه الوصل، فما راعه النصل، وطالما قبض العنان، وزجر البنان، وعلل بالخدع الجنان، وأمل أن يكون اللقاء بالمشافهة الى لقاء، ويتأتى الى الأفق الأعلى ارتقاء، وتكبر عن أن تصاد العنقاء، [21] فعرج على ظلل الصبر ويمم، ولم يجد إلا الصعيد فتيمم، [22] فأصدر هذه المفاتيح لتمثل بباب المجلس العلمي حاطة رأسها، رابطة بالفناء المقدس أفراسها، مصدقة افتراضها واقتراسها، جانية غراسها، لاثمة ركن المجد الذي يشهد بمجده الركن المستلم، والتقى والعلم، والسعي (١٤٥) والملتزم، والحطيم (١٤٦) [23] وزمزم، مؤدية من الشوق الذي شب عمره عن الطوق، [24] مالولا نداء المجلس العلمي لخيف تعديه، وظهور ما يكنه زنده الواري ويبيديه، ومن الاعتداد أضيف من تآزره الآمال (١٤٧) وترتيديه، ومن التحية الطيبة والبركة الصيبة أطيب ما يتحفه النسيم اللدن ويهديه، ومقرره أنه بالنفس يفديه (١٤٨)، وعلى الشوق الحثيث يستعديه، وكان الأمل أن يشاهد غرة السيادة من المرقب القريب، ويقتني غرائب إفادته التي لا غرو أن تحن على الغريب، ويقضي الأمل بلقائه ممطول دينه، ويزيل المناقسة التي وقعت من جراء كماله بين اذن الملوك / وعينه، لكن الاختيار لمن بيده المقاد، ولا فعل لسواه هو الاعتقاد، [وغير ذلك حظه الانتقاد] (١٤٩)، وعسى ألا تخيب هذه السحابة المستنابة من لثم يمينه واجتلاء نور جبينه، فأجدر بمن ركب الفلك، وخاض اللجج الحلك، الى باب من كرم انتماؤه، وزينت [بنجوم] (١٥٠) الحساب المنيف سماؤه، أن لا يعدم مشفقا، ولا يكون قصده مخفقا، وأقرأ على المجلس العلمي من طيب السلام ما يخجل روضة الحزن، عقب المزن، ورحمة الله وبركاته.

/155

/156

وكتبت عن السلطان للشيخ الأمير الزاهد الصالح وانزمار ابن الشيخ
الوزير الأمير أبي زيان عريف بن يحيى العربي السويدي ما نصه (١٥١) :
من الأمير فلان الى الشيخ الكذا بن الشيخ الكذا، وصل الله سعادة تجذبه،
وعناية اليه تقريه، وقبولاً ممن (١٥٢) يدعوه الى خير ما عند الله ويندبه. سلام [كريم]
عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله المرشد المثيب، السميع المجيب، معود اللطف الخفي
والصنع العجيب، المتكفل بانجاز وعد النصر العزيز والفتح القريب، والصلاة على
سيدنا ومولانا محمد رسوله ذي القدر الرفيع والعز المنيع والجناب الرحيب، الذي
به نرجو ظهور عبدة الله على عبدة الصليب، ونستظهر منه على العدو بالحبيب،
ونعده عدة لليوم العصيب (١٥٣)، والرضى عن آله وصحبه الذين فازوا عن مشاهدته
بأوفى النصيب، ورموا الى هدف مرضاته بالسهم المصيب، فإننا كتبناه إليكم -
كتب الله لكم عملاً صالحاً يختم الجهاد صحائف بره، ويتمحض لأن تكون كلمة الله
هي (١٥٤) العليا جوامع أمره، وجعلكم ممن تهنى في الأرض التي فتح فيها أبواب
الجنة حصّة عمره - من حمراء غرناطة، حرسها الله، وطف الله / [هامي
السحاب] (١٥٥)، وصنعه رائق الجناب، والله يصل لنا ولكم ما عود من صلة لطفه
عند انبثات الأسباب، والى هذا أيها الولي في الله الذي هو بركة المغرب المشار
ليها بالبنان، وواحد في رفعة الشان، المؤثر ما عند الله على الزخرف الفتان،
المتقل من المتاع الفان، المستشرف الى مقام العرفان، من درج الإسلام والإيمان
والإحسان، فإننا لما نؤثره من بركم الذي نعهده من الأمر الأكيد، ونضمه من وديكم
الذي نطه محل الكنز العتيق، وتلتمسه من دعائكم التماس العدة والعديد، لا
[نزال] (١٥٦). نسأل عن أحوالكم التي ترقّت في أطوار السعادة ووصلت جناب
الحق بهجر العادة، وألقت الى يد التسليم لله والتوكل عليه بالمقادة، ففسر بما
هناء الله (١٥٧) لكم من القبول، وبلغكم من المأمول، وألهمكم من الكف بالقرب إليه
والوصول، [والفوز بما لديه والحصول] (١٥٨)، وعندما رد الله علينا ملكنا الرد
الجميل، وأنالنا فضله الجزيل، وكان لعثارنا المقيّل، خاطبناكم بذلك لمكانكم من
ودادنا، ومحلكم من حسن اعتقادنا، ووجهنا إلى وجهة دعائكم وجه اعتقادنا، والله
ينفعنا بجميل الظن في دينكم المتين، وفضلكم المبين، ويجمع الشمل بكم في
الجهاد عن الدين، وتعرفنا الآن ممن له بأئبائكم اعتناء، وعلى جلالكم حمد وثناء،
ولجانب (١٥٩) وديكم اعتزاء وانتفاء يتجاوز عزمكم بين حج مبرور ترغبون من أجره
في ازدياد، وتجذبون العهد منه بأليف اعتياد، وبين رباط في سبيل الله وجهاد،
وتؤثر مهاد بين ربي أثيرة عند الله وهاد، تحشر يوم القيامة شهداؤها «مع الذين

أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين»، فرحين بما آتاهم الله من فضله، [25] والله أصدق الصادقين، حيث لا غارة لغيره عدا الإسلام تنقى، ولا تقية الا لا ابتغاء ما لدى الله ترتقى، حيث رحمة الله قد فتحت أبوابها، وحوار الجنان قد زينت أترابها، دار العرب الذين قرعوا باب الفتح، وقازوا بجميل (١٦٠) المنح، وخلدوا الآثار/ وأرغموا الكفار، وأقالوا العثار، وأخنوا الثار، وأمنوا من لفتح (١٦١) جهنم بما علا وجوههم من ذلك الغبار، فكتبنا إليكم هذا نقوي بصيرتكم على جهة الجهاد من العزمين، ونهيب بكم الى إحدى الحسنين، والصحيح غير خاف عن (١٦٢) ذي عينين، والفضل ظاهر لإحدى المنزلتين، فإنكم اذا حججتم أعدتم فرضا أديتموه وفضلا ارتديتموه، فأنذته عليكم مقصورة، وقضيته فيكم محصورة، وإذا أقمتم الجهاد جلبتم الى حسناتكم عملا غريبا، واستأنفتم سعيًا من الله قريبا، وتعدت المنفعة الى ألوف من النفوس، المستشعرة لبأس البؤس، ولو كان الجهاد بحيث يخفى عليكم فضله لأطلنا (١٦٣) وأعنة الاستدلال أرسلنا، هذا لو قدمتم على هذا الوطن وفضلكم غفل من الإشهار، ومن به لا يوجب لكم ترفيع المقدار، فكيف وفضلكم أشهر من محيا النهار، ولقاؤكم أشهى الآمال وأثر الاوطان، فإن قوي عزمكم [والله] (١٦٤) يقويه، ويعيننا من بركم على ما ننويه، فالبلاد بلادكم، وما فيها طريقكم وتلاذكم، وكهولها إخوانكم، وأحداثها أولادكم، ونرجو أن تجلوا لذكركم الله في رباها حلوة زائدة، ولا تعدموا فيها من روح الله فائدة، وتتكيف نفسكم فيها بكيفيات (١٦٥) تقصر عنها خلوات السلوك، الى ملك الملوك حتى تغتبطوا بفضل الله الذي يوليكم، وتروا أثر رحمته فيكم، وتخلفوا فخر هذا الانقطاع الى الله في قبيلكم ونبيكم، وتختموا العمر الطيب بالجهاد الذي يعلوكم، ومن الله يدنيكم، فنبيكم العربي صلوات الله عليه وسلامه، نبي الملاحم، ومعمل الصوارم، وبيهاد الفرنج ختم عمل جهاده، و«الأعمال بالخواتم»، هذا على بعد بلادهم من بلاده، وأنتم أحق باقتفاء جهاده، والاستباق الى أماده، هذا ما عندنا حثناكم عليه، وندبناكم إليه، وأنتم في إثار هذا الجوار ومقارضة ما عندنا بقدمكم على / بلادنا من الاستبشار، بحسب ما يخلق عندكم (١٦٦) من بيده مقادة الاختيار، وتصريف الليل والنهار، وتقليب القلوب وإجالة الأفكار (١٦٧) ، وإذا تعارضت الحظوظ «فما عند الله خير للأبرار»، و«دار (١٦٨) الآخرة دار القرار» [26]، وخير الأعمال عمل أوصل الى الجنة وياعد من النار، وتعلموا أن نفوس أهل الكشف والإطلاع، بهذه الأرجاء والأصقاع، قد اتفقت (١٦٩) أخبارها، واتحدت أسرارها، على البشارة بفتح قرب أوانه، وأظل زمانه، فنرجو الله أن تكونوا ممن يحضر مدعاه، ويكرم فيه مسعاه، ويسلف [فيه] (١٧٠) العمل الذي يشكره (١٧١) الله ويرضاه، والسلام الكريم

/158 /

/159 /

[يخصكم] (١٧٣) ورحمة الله تعالى وبركاته.

في كذا.

وخاطبت السلطان أيدى الله على لسان الأمير السعيد ولده [27] من مالقة

بما نصه : (١٧٣)

مولاي الذي رضى الله مقترن برضاه، والنجح مسبب عن نيته ودعاه،
وطاعته مرتبطة بطاعة الله، أبقى الله علي بكم ظل رحماه، وغمام نعماه (١٧٤)،
وزادني من مواهب هدايته (١٧٥) في توفية حقه الكبير فإن الهدى هدى الله، يقبل
مواطبيء رجلكم (١٧٦) التي ثراها شرف الخنود وفخر الجباه، ويقرر من عبوديته ما
يسجل الحق مقتضاه، ويسلم على مثابة رحمتكم السلام الذي يحبه الله ويرضاه،
ولدكم وعبدكم يوسف من منزل تأييدكم بظاهر مالقة - حرسها الله - والوجود (١٧٧)
ألسن بالعز ناطقة، والأعلام والشجر بالسعد رائقة (١٧٨)، وأنواع التوفيق موافقة
(١٧٩) وصنائع اللطيف الخبير مصاحبة مرافقة، وقد وصل يا مولاي لعبدكم المفتخر
بالعبودية لكم ما بعث به علي مقامكم، وجادت به سحائب إنعامكم، ولن تحت
صحة ستركم المسدول، وفي ظل اهتمامكم الموصول، ولن ارتسم بخدمة أبوابكم
الشريفة من الخدام، وأولي المراقبة والالتزام، ما يضيق عنه بيان العبارة، ويفتضح
فيه لسان القول والإشارة، من عنايات سنوية / ونعم باطنية (١٨١) وجليية، وملاحظة
مواوية، ومقاصد ملكية، فما شئت من قباب مذهبة، وملابس منتخبة، وأسرة مرتبة،
ومحاسن لا مستورة ولا محجبة، واللواء الذي نشرتم على عبدكم ظله الظليل،
ومددتم عليه جناح العز الكفيل (١٨٢)، جعله الله أسعد لواء يسير في خدمتكم، ومد
علي وعليه لواء حرمتمكم، حتى يكون لجهادي بين يديكم شاهداً، وبالنصر العزيز
والفتح المبين عليكم عائداً، ولطائفة الخلوص لأمركم قائداً، ولأولياء بابكم هادياً،
ولأعدائكم كائداً.

/160/

واتفق يا مولاي أن كان عبدكم قد ركب مغتتما أبرد (١٨٣) اليوم، وموثرًا
للرياضة في عقب النوم، فلما عدنا تعرضت لنا تلك العنايةات المجلوة الصور،
المتلوة السور، وقد حشر الناس، وحضرت منهم الأجناس، فعلا الدعاء وانتشر
الثناء، وراقت الأبصار تلك الهمة (١٨٤) العليا، فنسأل الله يا مولاي أن يكافيء
مقامكم بالعز الذي لا يتنزل والنصر الذي يستأنف ويستقبل، والسعد الذي محكمه
لا يتأول، والعبد ومن له على حال اشتياق للورود على بابكم الرفيع (١٨٥) المقدار،
وارتياح لقرب المزار.

وأبرح ما يكونُ الشوقُ يوماً إذا دنتُ الديارُ من الديار

والعمل على تيسير (آلات) (١٨٦) الحركة متصل، والدهر لأوامر سعدكم (١٨٧) محتفل، بفضل الله، والسلام على مقام مولاي ورحمة الله وبركاته مقام الشفقة والرحمة، والمنة والنعمة.

وخاطبت السلطان [28] المعظم ملك المغرب - أسعده الله - بما نصه (١٨٨) :

المولى (١٨٩) الذي طوق المنن، وأحيا السنن، وأثبت الله حبه في القلوب النبات الحسن، ناظم كلمة الدين بعد انتشارها (١٩٠)، ومقيل عثارها، والآخذ بثأرها، والمخلد لأثارها، / السلطان الكذا (١٩١)، أبقاكم الله عالي القدم، منصور العلم، ظاهرا على الأمم، مقصود الحمى كالركن والملتزم، عبد مقامكم الذي أوتيموه غريبا، وأنستموه مريبا، وأنلتموه على عدو الدهر نصرا عزيزا، وفتحا قريبا، فلم يخش دركا ولا تثرىبا ولا عدم حظوة وثيقة (١٩٢) وشفقة ونبعة وتقريبا (١٩٣)، فلان ابن كذا عن ثناء يعطر الأفاق، ويرقم الأوراق (١٩٤) ويخلق الجيوب والأطواق، وحب بهر وراق (١٩٥)، وجاس اشتهاره الشام والعراق، ويطالع العبد محل مولاه الذي خلف ببابه قلبه وولده، وصبره وجلده، وصير وطنه داره الحقيقي وبلده، أنه لما قدم على محل أخيه المعتد بما أودع الله من الخلال الشريفة فيه، مولاي ابن أبي عبد الله، كافأ (١٩٦) الله جميل رعيه، وكرم عهده، وحكم بإجلاء جده، ومضاء حده، ورعى الوسيلة، وصدق المخيلة، وجلا عند اجتلاء مخاطبتكم أسارير الفضيلة، فلم يدع حقا الا صرفه، ولا نكرة إلا [أظهر شأنها] (١٩٧) وعرفه، ولا نعمة إلا سكبها، ولا مزية إلا أوجبها، ولا رتبة إلا أعلاها، ولا نعمة الا أولها ومن ذاك يا مولاي وإن تعددت الوسائل والأدلة، وادكرت القرب بعد أمة، إلا بوصاتكم التي لا تهمل، وحظوتكم^{١٩٨} التي لا تجهل، وعطف مقامكم الذي اشتهر، واعتنائكم الذي راق وبهر، فالعبد عبدكم بكل اعتبار، وخديمكم بين يديكم وأن نأت الدار، ومحسوب علم نعمة مقامكم الرفيع المقدار، والأمل في مقامكم غير منقطع السبب، والأهل والولد تحت كنف مقامكم الأصيل الحسب، حتى يمن الله بحج بيته وزيارة رسوله من بين يديكم (١٩٩)، ويكون قضاء هذا الوطر منسوبا اليكم، وبعده يستقر القرار، حيث يختاره من يخلق ما يشاء ويختار، بحول الله.

/161

والعبد يذكر مولاه بما بشره به بين يدي وداعه، وبمرأى من وزيره السعيد / واستماعه، من انجلاء الحركة عن عزه وظهوره، ونجاح أحواله واستقامة أمره، ويهنيه بصدق الوعد وإمطار الرعد، وظهور السعد، وهي وسيلة اذا عدت الوسائل، وروعيت (٢٠٠) الذمم والجلائل، ومثل مولاي من رعى وأبقى، وسلك التي هي أبر وأتقى، وما قصر عنه القلم في حق مولاي فالرسول - أعزه الله - يتممه، وما قصر

/162

عنه الرسول قاله يعلمه، وهو جل وعلا يديم أيام مولاي ويبقي سعده (٢٠١)، ويصل عزه وعضده. والسلام.

ومما خاطبت به أحد الجلة (٢٠٢) :

أبقى الله أيام المجلس العلمي العلي يانعة من الفضل أدواحه، مؤيدة بروح الله أرواحه، ولازال نور علمه مشرقا صباحه، ونسيم ثنائه شهرا غدوه وشهرا رواجه، وبماذا أثنى على شمائله التي لو كانت [أقطارا لكانت حجازا] (٢٠٣)، أو كانت ألفاظا لكانت حقيقة لا مجازا، أو كانت مواعيد (٢٠٤) لكانت إنجازا، أو كانت آيات لكانت إعجازا، أو أكافيء بعض فضائله التي لو كانت غيثا ما خص بلدا، أو شفقة ما أثرت أهلا ولا ولدا، أو قوة نفسانية لشعرت النفوس بما تكسب غدا» [29] أو أراجع بيانه الذي امداده فلكي، وإلهامه ملكي، الا لو أنني استعرت لمحة من بلاغته التي بحق ما كانت لها المناير موضوعة، والخواطر «في بيوت أذن الله أن ترفع» [30] مجموعة، والمبادرة إلى التماس بركتها مشروعة، والأكف في أعقابها لاستسقاء سحابها (٢٠٥) مرفوعة، فلعمري لقد كنت أوفي حقا، وأشيم من أفق الرضى عن نفسي برقا، لكن حسبي «نية أبلغ من العمل». وعزم مول وجهه شطر بلوغ هذا الأمل، ولم تزل ترد من لدن المجلس العلمي نواسم قدس، وتحييني من تلقائه بماسم أنس، خطرت على ربوع الخواطر فعاشت، وتجلت لجبال الوجود / فتلاشت، وطش ويلها بساحات العقول فطاشت، ومن لخطاب المجلس العالي بمواد تليق بصوره (٢٠٦)، أو لبات تجمل بدرره، أو وجوه يرضاهما الحق لغرره، أو أفهام تقبض أيديها قبضة من أثره، فلولا أن العدل من شيمه، والمجد من خيمه، والفضل من ديمه، ما كان من حقي أن الوذ بغير القصور، ومن لي (٢٠٧) بمساورة الأسد الهصور، ومقابلة العلم المنصور، غير أنني أقف على شكر المجلس العلمي لسانا لو ملكت غيره لوقفته، وأنفق على حمده بيانا لو ظفرت يدي بأعلى منه لأنفقته، وأنفق في الثناء عليه سببا لولا الاعتماد على إغضائه ما لفقته، وإذا [كان] (٢٠٨) العذر لا يلتبس طريقه، ظهر بالقبول فريقه، وساغ للخجل ريقه، وليعلم سيدي أن مشرقبة وجهها إلي الأمير أبو الحسن أثيره صحبة هدية تشتمل على فذلكة (٢٠٩) الطيب وقلذات من العود الرطيب، فعبجت من انتماء ذلك الأرج حسا ومعنى الى دارينه [31]، وتذكرت قولهم : «عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه» [32]، وقد كان عندي أثيرا فهو لوصاتكم به فلك أثير، ومحترما وإن رعيه اليوم لكثير، فمن أذاع (٢١٠) عني بعض بركم فكأنما حمل عني فرضا، وأحسن قرضا، وعرض على الآمال عرضا، وقال : خذ حتى ترضى، وسيدي يسمح فيما حمل عليه الإدلال في جوابه، ويجعل إغضاء مثابته حسب ما يلتمس من ثوابه، فلا يخفى عن

عين فضله ما بليت (٢١١) به من شغل متشعب، ومرام للخدمة متصعب، بحيث يشغلني عن شأني، ويضايق في خطرة الذكر (٢١٢) تامر جناني، فلو لا أنني اختلست (٢١٣) هذه النفثة من كفه، وفسحت لمصلحتها موقفا في صفه، لما وجدت الى بعثها سبيلا، ولا ألقيت لألمي الصاحي في كنف المراجعة مقبلا (٢١٤)، والله تعالى - يصفي للمجلس العلمي مواد عرفاته، ويحفظ على هذا الوجود إنسان عينه وعين إنسانه. والسلام. /1

وكتبت (٢١٥) :

سيدي شهاب الطلبة الثاقب، وفخر الكتيبة العظيم المناقب، أقسم بالحاشر العاقب و«الغاسق الواقب» [33]، لما زلت لنجائبكم (٢١٦) بحال المراقب، وصلني كتابكم الذي هنا ويشر، وأحيا وأنشر، ناصحا هاديا، رائحا في الوفاء غاديا، فأردى صاديا، وأخذ (٢١٧) بحظ من فضيلة قوله : « ولا يقطعون وأديا » [34]، فحبذا طعام اشتركتناه زكا، وماتت توسد واتكا، ووفاء وبالسموال (٢١٨) حكا [35]، وأوجد لما خذل الدهر الخؤون والله المشتكى، وأنار الله مشكاة تلك الذات التي لطفت أسرارها، وتآلفت أنوارها، وأعلقها بالعالم الأزلي وأنهلها في المورد المفيض على القطب [36] والولي فالقاني محترما، ولخدمة (٢١٩) المولى ملتزما، ومحل (٢٢٠) ودي في مثلها أن يذكر ، فهو أشهر من أن يشهر (٢٢١).

لا تدعني إلا بيا عبدها (٢٢٢) فإنه أشرفُ (٢٢٣) أسمائي

وأما ما أهديتم من نيا بتسريح مكسوب، وملك للملكم مكسوب، فمن جاد بالنفس على أعدائه، كيف لا يوجد بالعرض على أوليائه، والله الكفيل بحسن جزائه، ومن أياديكم لدي يا ولدي حبا وشفقة، ومحل أخي اعتدادا وثقة، أن تمرغوا عني خدكم في أخص رجله العالية، وتقبلوا تراب بساطه (٢٢٤) قبلا متواليه، بخلاف ما يرتفع - إن شاء الله - بالحضور حكم النيابة، ويسر الله اللحاق بتلك المثابة، والسلام على سيدي وأخي ورحمة الله وبركاته.

ولما قدم على الحضرة الأندلسية الفقيه الصدر الأحفل، وجامع أشتات الفضائل الإنسانية، والشيم الحسبية، المتميز عن أبناء جنسه بالمزية غير الخفية، كاتب سر الخلافة المرينية، الفاضل العالم، الحبيب الماجد المعظم، أبو زيد عبد الرحمان بن أبي بكر بن خلدون [37] / خاطبته قبل لقائه ببعض الطريق بما /16
نصه (٢٢٥) :

(طويل)

حَلَّتْ حُلُولَ الْغَيْثِ فِي الْبَلَدِ الْمُحَلِّ
يَمِيناً بَمَنْ تَعْنُو الْوَجْوهُ لُوجْهَهُ
عَلِي الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالرُّحْبِ وَالسَّهْلِ
لَقَدْ نَشَأْتُ عِنْدِي لِلْقِيَاكِ غَبْطَةٌ
مَنْ الشَّيْخِ وَالطُّفْلِ الْمَعْصَبِ (٢٢٦) وَالْكَهْلِ
تَنْسِي اغْتِبَاطِي بِالشُّبَيْبَةِ وَالْأَهْلِ
وَوَدِّي لَا يَحْتَاجُ فِيهِ لِشَاهِدِ
وَتَقْرِيرِي الْمَعْلُومُ ضَرْبٌ مِنْ الْجَهْلِ

يمينا (٢٢٧) برب حجت قريش لبيته، وقبر صرفت أزمة الأحياء لميته، ونود
ضربت الأمثال بمشكاته وزيته [38] لو خيرت - أيها الحبيب الذي زيارته الأمانة
السنية، والعارفة الوارفة، واللطيفة المطيفة - بين رجع الشباب يقطر ماء ويرف
نماء، ويغازل عيون الكواعب (٢٢٨) [فضلا عن الكواعب] (٢٢٨) إشارة وإيما، بحيث
لا الوخط يلم بسياج لمته، أو يقدح ذبالة في ظلمته، أو يقوم حواريه في ملته، من
الأحابش وأمته، وزمانه روح وراح، ومغدى في النعيم ومراح، [وقصف صراح] (٢٢٩)،
ورقى وجراح، وانتخاب واقتراح، وصدور ما بها الا انشراح، ومسرات
تردفها أفراح، وبين قدومك خلع الرسن، ممتعا باليقظة والوسن، محكما في نسك
الجنيد [39] أو فتك الحسن [40]، ممتعا بظرف المعارف، مالنا أكف الصيارف،
ماحيا بآنوار البراهين شبه الزخارف، لما اخترت الشباب، وإن شاقني (٢٣٠) زمنه،
وأعياني ثمنه، وأجرت سحب دمعي دمنه، فالحمد لله الذي رقى جنون اغترابي،
وملكني أزمة أرابي، وغبطني بمائي وترابي، ومالف أترابي، وقد أغصني بلذيذ
شرايبي، ووقع على سطوره المعتبرة أضرابي، وعجلت هذه مغبطة بمناخ المطية،
ومنتهى الطية، وملتقى السعود غير البطية، وتنهى (٢٣١) الآمال الوثيرة الوطية، فما
شئت من نفوس عاطشة الى ريكك، متجملة (٢٣٢) بزيك، عاقلة خطي/ مهريك،
ومولى مكارمه نشيدة أمثالك، ومطابق مثالك، وسيصدق [الخبر] (٢٣٣) ما هنالك،
ويسعني (٢٣٤) فضل مجدك في التخلف عن الإصحار، بل اللقاء من وراء البحار.
والسلام.

/166 /

فراجعني من ظاهر الحضرة بما نصه : (٢٣٥)

سيدي وذخري (٢٣٦) ومالك أزمة أمري، أبقاك الله مأوى الغريب، وسرود
الكئيب، وملجأ الآمال عند ازحام الأهوال والخطوب، ولازال جنابك محط رحال
الوفود، ومطمح الأمل البعيد، ما عسى أن أثني على كريم (٢٣٧) سجايك، أو أشكر
عظيم مزايك، وهي صادرة عن الذات، التي لها الفضل بالذات، والبعد الذي [له]
(٢٣٨) المجد من بعض الصفات، والكرم الذي لا يتخصص بالأشخاص والأوقات

(٢٣٨)، ولا يغفل المتأثر إليه بالبضاعة من الود والمزجاة (٢٤٠)، فلم يبق إلا الاعتراف بالقصور، والعجز [عن] (٢٤١) توفية حق المشكور، والإحالة على العليم القدير. وأعرف سيدي - أعزه الله - أن كتابه الكريم الذي أوسعني تشريعا، وجمع لي علمية وتعريفا، إنما وصلني بغوير دفعه إلي العودي المتوجه بكتاب العناية المولوية التمسها لي فضلك الجزيل، ومجدك الأصيل، واستدعاها نظرك الجميل، وكمالك الذي عليه التعويل، فلا تسأل يا سيدي عن ذلك عندي من السرور، وإيناس النجع بما تؤمل، فالحمد لله الذي أنس في الغربة بمجدك، ووقف الأفعال والأقوال على شكرك وحمدك، وسيدي - أعزه الله - يتفضل بقبول عذري للإدلال على فضله بمثل هذا الهذر (٢٤٢) الذي أحاشيه عن الخطاب به.

وأما يا سيدي شكر النعم المولوية السلطانية فوالله لا أطيق القيام بها كتابا، ولا والله خطابا، لقصوري وجلالها (٢٤٣) سيدي - أعزه الله - على جميل عادته، وعظيم إفادته يقرر من ذلك بعض الواجب / وإلا فاستيفازه عسير، والله المعين على ما يجب، وهو سبحانه يحفظ سيدي ويبيقيه. والسلام الكريم يخص جلاله من الملوك المحب ابن خلدون.

/167 /

رسالة من ابن الخطيب الى ابن خلدون بمناسبة زفاته بالجارية هند

وخاطبته وقد اشترى بكرا من بنات الروم مولدة اسمها هند وأعرس بها،
بما نصه (٢٤٤):

(سريع)

أوصيك بالشيخ أبي بكره لا تأمن في حالة مكره
واجتنب الشوك إذا جئتُهُ جنبك الرخمان ما تكره

سيدي لازلت تتصف بالوالج ، بين الخلاخل والدمالج، وتركض فوقها ركض الهمالج [41] (٢٤٥)، أخبرني كيف كانت الحال، وهل حطت بالقاع من خير البقاع الرحال، وأحكم بمرود المرادة الاكتحال، وارتفع بالسقيا الإمحال، وصح الانتحال، وحصص الحق فذهب المحال، وقد طولعت بكل بشرى وبشر وزفت هند منك الى بشر [42]، فله من عشية، تمتعت من الربيع بفرش موشية، وابتذلت (٢٤٦) منها أي أوساد (٢٤٧) وحشية، وقد أقبل ظلي الكناس من الديماس [43]، ومطوق الحمام من الحمام، وقد حسنت الوجه الجميل التطرية، وأزيلت عن الفرع الأثيث الابرية [44]،

وصقلت الخدود فهي كأنها الأمرية، وسلط (٢٤٨) الدلك على الجلود، وأغرقت النورة بالشعر الملوود، وعادت الأعضاء يزل (٢٤٩) عنها اللبس، ولا تتألفها البنان الخمس، والسحنة يجول في صفحتها الفضية ماء التعميم، والمسواك يلبي من ثنية التعميم، والقلب يرمي من الكهف الرقيم، بالمقعد المقيم، وينظر الى نجوم الوشوم فيقول : إنني سقيم، وقد تفتح ورد الخفر، وحكم لزنج (٢٥٠) الظفيرة بالظفر، واتصف أمير الحسن بالصدود المفتقر، ورش بماء الطيب، ثم أعلق ببيله (٢٥١) دخان العود الرطيب. وأقبلت الغادة يهديها اليمن وتزفها السعادة، فهي تمشي على استحياء وقد ذاع طيب الرياء، وراق / حسن الحيا حتى اذا نزع الخف، وقبلت الأكف، وصاح (٢٥٢) المزهر وتجاوب الصدف، وذاع الأرج، وارتفع الحرج، وتجوّز (٢٥٣) اللوى والمنعرج [45]، ونزل على بشر بزيارة هند الفرج، اهتزت أرضه (٢٥٤) وريت، وعوصيت الطبايع فأبت، والله در القائل [46]:

(متقارب)

ومرّت وقالت : متى نلتقي فهشّ (٢٥٥) اشتياقاً إليها الخبيثُ
وكادَ يُمزقُ سرِّواله (٢٥٦) فقلتُ : إليك يساقُ الحديثُ

فلما انسدل جنح الظلام، وانتصفت من غريم العشاء الأخيرة فريضة الإسلام، وخاطت خيوط المنام عيون الأنام، تأتي دنو الجلسة، ومسارقة الخسة، ثم عض النهد ، وقبلة الفم والخذ، وإرسال اليد من النجد الى الوهد، ثم كانت الإمالة قليلا قبل المد، ثم الإفاضة فيما يقبض ويرغب، ثم الإماطة لما يشوش ويشغب، ثم إعمال المسير الى السرير.

(طويل)

وسرنا- إلى الحُسنى ورقّ كلامنا ورُحنتُ فذُلتُ صنبةً أيّ إذلالٍ [47] (٢٥٧)

فاستقرت (٢٥٨) على موطا مالكها، واصبها نسي مسالكها، ومقتضى فذالكها (٢٥٩)، هذا بعد منازعة للأطواق يسيرة، يراها الغيد من حسن السيرة، ثم شرع في حل التكة، ونزع الشكة [48]، وتهب (٣١٠) الأرض العزاز عمل السكة، ثم وقع (٣١١) الرحي والاستعجال، وحمي الوطيس والمجال، وعلا الجزء الخفيف، وتضافرت الخصور الهيف، وتشاطر الطبع العقيف (٣١٢)، ثم تواتر التقبيل، ثم كان الأخذ الوبيل، وامتان الأنوك من النبيل، ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل، فيالها من نعم متداركة، ونفوس في سبيل القحة متهالكة، ونفس يقطع حروف الحلق، وسبحان الذي يزيد في الخلق، وعظمت الممانعة، وكثرت باليد عن الموضع المعتمد

المصانعة، وطال التراوح، والتزاور، وشكى التجاور، واشتد القلق والتضارير،
 فهناك تختلف الأحوال، / وتعظم الأهوال، وتخسر أو تبيع الأموال، فمن عصا
 169 / عسوطس [49] تنقلب ثعبانا مينا، و[نونة] (٢٦٤) تصير تينا، وبطل لم يهله المعترك
 الهائل، والوهم الزائل، ولا حال بينه وبين قرنه قرته الحائل، فتعدى فتكة السليك
 [50] الى فتكة البراض [51] وتقلد مذهب الأزارقة من الخوارج في الاعتراض
 (٢٦٥) [52]، واتصف بصفة الساخط وهو الراضي، ولوح في ميدان السرير،
 بالحسام الطير، ولعب في ملعب الأوطار، بالقنا الخطار (٢٦٦)، ثم شق الصف، وقد
 خضب السيف والكف، بعدما كاد يصيب البريء بطعنته، ويبوء بمقت الله ولعنته.

(طويل)

طَعْنَتْ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً تَائِسَةً لَهَا نَقْدٌ لَوْلَا الشَّعَاعُ أَضَاعَهَا [53]
 وهناك هدأ القتال، وسكن الخبال، ووقع المتوقع فاستراح البال، وتشوق
 الى مذهب الثنوية من لم يكن للتوحيد بمبال، وكثر السؤال عن المبال بما بال.

(بسيط)

وإن تعددت اللذات وأطردت فليس يعدل شيئاً لذة الظفر (٢٦٧)
 (٢٦٨) ولم ير المجربون للحروب صريحا أشفق من صريع السرير على من
 صرعه، ونصب إليه الذابل وشرعه، حتى أضرعه، فكثيرا ما ينشد ونفسه قد ذلت،
 وقواه قد انحلت، ونظرة عينيه قد اختلت :

(طويل)

خيلِي هل أبصرتُما أو سمعتُما خليلاً بكى من حب قاتله قبلي (٢٦٩)
 ويقول الجريح وقد نظر الى دمه، يسيل على قدمه :

(بسيط)

إنِّي له عن دمي المسفوكِ معتذِرٌ (٢٧١) أقولُ حملتُهُ في سفكهِ تعبا [54]
 ومن سنان عاد عند الحاجة (٢٧٠) عنانا، وشجاع صار هدانا جيانا، كلما
 شابهته شائبة ربية، أدخل يده في جيبه فأنحجرت الحية، وماتت الغريزة الحية (٢٧١)،
 فكأنه سلحفاة أغمدت، ورأسها جحدت (٢٧٢)، / فهناك يزيغ البصر، ويخدل
 المنتصر، ويسلم الأصر (٢٧٣)، ويقلب الحصر، ويجف اللعاب، ويظهر العياب (٢٧٤)،
 ويخفق الفؤاد، ويكبو الجواد، ويسيل العرق، ويجري في غير محله المرق (٢٧٥)،

/170

ويعظم الكرب ويشتد الأرق، وينشأ في محل الأمن الفرق، ويدرك فرعون الغرق، ويقوى اللجاج وتعظم الحرق، فلا يزيد الحال إلا شدة، ولا تعرف تلك الجارحة المؤمنة إلا ردة.

(طويل)

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللَّهِ لَفَتَسَى فَكَثُرَ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادُهُ
فكم مغرى بطول اللبث، وهو من الكيد والخبث، يؤمل الكرة، ليزيل المعرة (٢٧٦)، ويستنجز الوعد، ليستأنف السعد (٢٧٧)، ويستنصر الخيال، ويحمل باليد الاحتيال.

(رجز)

«إِنَّكَ لَا تَشْكُو إِلَى مُصَنِّمَتٍ [56] فَاصْبِرْ عَلَى الْحَمْلِ الثَّقِيلِ أَوْمَتْ
ومكثر اللثم والضم، والعض والشم، يدعو في طلل هامد، «ويضرب في حديد بارد» [57].

(وافر)

لَقَدْ نَادَيْتَ لَوْ أَسْمَعْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي (٣٦١)
وكم معتذر بمرض أصابه وجرحه أوصابه، ووجع طرقه، جلب أرقه، ومغضب (٢٨٠) يقلد للمصانعة (٢٨١) الذنب، ويطوقها العتب (٢٨٢)، وخطيب ارتج عليه أحيانا، فقال: «سيجعل الله بعد عسر يسرا» [59]، ويعد عي بيانا، اللهم إنا نعوذ بك من فضائح الفروج اذا استغلقت أفعالها، ولم تتسم بالنجيب (٢٨٣) أغفالها، ولا نفلت أنفالها (٢٨٤)، ومن معرات الأقدار، والنكول عن الأبيكار واتباع الأفكار (٢٨٥)، ومن النزول عن البطون والسرر، والجوارح الحسان الغرر قبل ثقب الدرر، ومن سواد الوجه إذا بكرت (٢٦٨) الوجوه، ونالت النفوس من إطراء الغادين والمهينين ما ترجوه، ولا تجعلنا ممن يستحيي من البكر بالغداة، وهذا / مجال فضح فيه رجال، وفراش شكيت فيه أوجال، وأعملت روية وارتجال، فمن قائل:

(سريع)

أَرْفَعُهُ طَوْرًا عَلَى أَصْبُعِي وَرَأْسَهُ مَضْطَرِبٌ أَسْفَلَ
كَالْحَنْشِ الْمَفْتُولِ يُلْقَى عَلَى عَوْدٍ لَكِي يُطْرَحُ فِي مَزْبَلِكِ

وقائل :

(سريع)

يا حسرة المرء على نفسه
كحائطٍ خر على رأسه

عدمت من أيري قوى حسبه
ترأه قد [مال] (٢٨٧) على أصله

وقائل :

(طويل)

برجلي ورأسي دُملاً وزكاما
رخاوة أير لا يطيق قياما

أحسُدني إبليسُ داعين أصبحا
فليهما كانا به وأزیده

وقائل :

(طويل)

به خبت من أير وعالتك داهية
عليه وجوه النيك في كل ناحية [(٢٨٨)]

[أقول لأيري وهو يرقب فتكته
إذا لم يكن للأير بخت تعدرت

وقائل :

(طويل)

رشاء إلى جنب الركية [60] ملتف
إلى أبويه ثم يدركه الضعف

تعقف فوق الخصيتين كأنه
كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه

وقائل :

(طويل)

وكان غنياً من قواه فأفلسا
مضى الوصل إلا مئنة تبعث الأسي

تكرش أيري بعدما كان أملسا
وصار جوابي للمها إن مرزني بي

وقائل :

(طويل)

ولم يخطر الهجران منه على بالي
حططت به رحلي وجردت سربالي
عرضت له شيئاً من الحشف البالي

بنفسي من حيثئله فاستخف بي
وقابلني بالهزء والنجه بعدما
وما أرتجى من موسر فوق دكة [61] (٢٨٩)

/172

هموم لا تزال تُبكي، وعلل على الدهر تُشكى وأحاديث تقص وتُحكي (٢٩٠)،
 فإن ذلك العضو على شهرته، وعظم قدرته، يستمد من الميرة [62]، وحركته لا تقوم
 إلا بالمؤن الكثيرة، من حياء يرتفع، وبلادة بها في الغالب ينتفع، وفكر يفقد، وشبق
 على أصله يعقد، ورياح تنفخ، ورطوبة ترسخ، وعضل شديد، وعمر جديد، ومزاج
 (٢٩١) في عرض الحر طويل مديد، وهو غير مطاوع للإدارة، ولا معط للمقادة، خبيث
 وقاح، شامت فضاح، كم نقص من وقت، وجلب من مقت، لا يستصلح بالتعليم،
 ولا يرد عن مرتكبه الذميم بالعذاب، ولا يغلب إلا بمقام الرضى والتسليم.

(كامل)

حكوا فلا أحلى من التسليم فأدر حديث رحيقه (٢٩٣) المختوم
 برد به الأحشاء من نار الجوى وأنضح لهيب فؤادك المكلوم
 ما قابل التسليم نار صبابته إلا أنتنيت في الحال (٢٩٤) برد نعيم

فإن كنت - أعزك الله - من النمط الأول (٢٩٥) (ولم تقل : «وهل عند رسم
 دارس من معول (٢٩٦) [63]، فقد جنيت الثمر (٢٩٧)، (واستطبت السم، وتلوت أول
 وردك اقتربت الساعة وانشق القمر) (٢٩٨) [64]، فاستدع الأبواق من أقصى
 المدينة، وأخرج على قومك في لباس الزينة، واستعد كرسي القعود، والقباب
 المدهون من السهود (٢٩٩)، واستبشر بالوفود، وعرف (٣٠٠) المسمع عارف الجود،
 وتتيجج بصلابة / العمود (٣٠١)، وإنجاز الوعود، واستمتع بالسعود (٣٠٢)، واجن
 رمان النهود، من أغصان القود (٣٠٣)، وأنشر من الشعور السود، عباسية [65]
 البنود (٣٠٤)، واقطف (٣٠٥) بينان اللثم أقاح الثغور وورد الخود.

وإن كانت الأخرى فاخف الكمد، وارض الثمد (٣٠٦)، وانتظر الأمد، وأكذب
 التوسم، واستعمل التيسم، واستكثم النسوة، وأفض فيهن الرشوة، أو تقلد
 المغالطة وارتكب، وجيء على قميصك بدم كذب، واستنجد الرحمان، واستعن على
 أمرك بالكتمان.

(كامل)

لا تُظهرن لعاذر أو عاذل (٣٠٧) حاليك في السُراءِ والضُراءِ
 فلرحمة المتجعين حرارة (٣٠٨) في القلب مثل شماتة الأعداء [66]

وانتشق الأرج، وارتقب من (جانب الفرج الفرج) (٣٠٩)، فكم غمام (طبق وما
 همي) (٣١٠)، «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» [67]، وأملك بعدها عنان نفسك،

حتى تمكك الفرصة، وترفع اليك القصة، (فتزول القصة، وتتقب القرصة) (٣١١) ولا
تشره الى عمل لا تفيء منه بتمام، وخذ عن إمام، والله در عروة بن حزام (٣١٢) :

(طويل)

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قَتَالَهُمْ حَتَّى رَمَوْا مُهْرِي بِأَشْقَسِرِ مُزِيدِ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتَلْتُ لُونَهُمْ أَقْتُلُ وَلَا يَضْرِبُ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَقَرَّرْتُ عَنْهُمْ (٣١٢) وَالْأَحْبَةُ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعَقَابِ يَوْمِ مَفْسَدِ

واللبانات ثلثين وتجمع، والمأرب تدنو وتترزح (٣١٤)، وتحسن (٣١٥) ثم تسمع،
وكم من شجاع خام [68]، ويقظ نام، ودليل أخطأ الطريق، وأضل الفريق، والله -
عز وجل - يجعلها خلة موصولة، وشملا أكنافه بالخير مشمولة، وبنية أركانها
لركائب اليمن مأمولة، حتى تكثر خدم سيدي / وجواريه، وأسرته وسراريه (٣١٦)،
وتصفو عليه نعمة باريه، ما طورد قنيص، واقتحم غيص، وأدرك مرام عويص،
وأعطي زاهد وحرم حريص. والسلام.

/174

وخاطبت القاضي الفقيه الأديب الشهير، أبا إسحاق ابن الحاج، على لسان
قاضي الحضرة صاحبنا الشيخ الفقيه الحسيب، أبي الحسن ابن الحسن وكانت
الأقلام قبل لنظر قاضي الحضرة، أمليتها ببيت الكتاب بديهة لم تجف فيها مدة،
ولا أبلدت منها لفظة، فاستظرفوا ذلك (٣١٨) :

سيدي جعل الله أكوار العمام تتضاعل لكور عمامتك، والنفوس الطامحة
الهمم، على اختلاف الأمم، تعترف (في هذا النهج الأهم) (٣١٩) بوجوب إمامتك،
وسر الإسلام باتصال سلامتك، وتبرأ الملام من ملامتك. وصلنتي رسالتك التي أختبت
في ميدان البلاغة وأوضعت، وأخلاف الفنون ارتضعت، وعلى ارتفاع القدر
ارتضعت، ووضعت الحكمة المشرقية بنت ساعة، «والله أعلم» بما وضعت، لكنها
تنافست الجوارح (لما غصت بالنعم المسارح) (٣٢٠) وتعارض السانح والبارح
[69]، والرامز والشارح، فحصلت الأذن على الغنى، وأتحفت من اللفظ البديع
بأعظم الجنى (٣٢١)، ومن المعنى الغريب ببلوغ المنى (٣٢٢)، واستولت العين من الخط،
على الحسن البعيد الشط، ونتيجة ما أودع الباري بين مقدمتي البري والقط،
وعظمت حسرة الخلق إذ بقي باب مسدودا، وأصبح مسلكه من المسالك غير النافذة
معدودا، واشتد أسف الضرس إذ أصبحت أرحاء طواحينه عاطلة، وسحاب الدين
عليه غير هاطلة، ومذاهبها باطلة، ومواضعها بالمضفة (٣٢٣) باطلة، وما ضر سيدي
والله يقيه الضر، ويحفظ منصبه الحر/ وبحره الذي يقذف الدر أن لو ضاعف

/175

الطول، وجمع الفعل والقول، فوجه الكتان، ما يثقل ظهر الأتان، ومن الزيت ما يملأ ركن البيت، ومن الدجاج والعسل المجاج، ما يتكفل بصلاح المزاج، ومن الأترج [70] والليم، ما يخل بحلم الطيم، فجانب الورع عن هدية سيدي لا يضيق، فهو الرفيق الشفيق، والعدل الذي وضع من فضله الطريق. وأما ألا يكون حظ وليه إلا فقر لا يدفع فقرا، وألفاظ لا تذهب وقرا، وجنة يجوع من يحل بها ويعرى، وبحر لا يجد الفائض له قعرا، فأمر ينكر على المجادة التيمية، والمثابة الحكيمة، مع [أن] الأقاليم (٣٢٤) لم تزل ترفد هذه الخطة كلما وهت (٣٢٥)، وتصلح صلاتها إذا مهت، ولولا مرافقتها ما أمرت ولا نهت، ولا أكلت ما اشتهت، فليراجع سيدي عادة الكرم، «ولا يحسب الشحم في الورم» [71]، والله يطلع من تلقائه على الأدقة، التي تضيق عن أحمالها الأزقة، والعسول المتكلفة بالسول، والزبيب الذي يسر قلب الحبيب، والأجبان التي تشجع قلب الجبان، والجديان التي تزري على الخبر بالعيان (٣٢٦) والبيض التي تشهد بالفيض، والزيت الذي يخلف حياة الميت، والله يبقني سيدي للقضاة زينا، في العلماء عينا، ويقضي بجوده على الدهر الذي سمح بجوده ديننا، والسلام عليه، ما استمنح [جواد] (٣٢٧) وأطرف بالفكاهة فؤاد، ورحمة الله تعالى وبركاته.

وخاطبته في المعنى اذ هو اليوم فارس الميدان، وصدر هذا الشأن (٣٢٨) :

(طويل)

يا قاضي العدل الذي لم تزل تمتار شهبُ الفضل من شمسك
قعدت للإنصاف بين السورى فاطلب لنا الإنصاف من نفسك

ما للقاضي - أبقاه الله - ضاق ذرع عدله الرحب عن الصحب، وصم عن العتب، وضمن على / صديقه حتى بالكتب، أمن المدونة الكبرى ارتكب هذا التجريح، أم من المبسوطة ذهب الى هذا الأمر المريج [72]، أم من الواضحة امتنع عن الإلمام والتعريح، ومن أمثالهم : «إذا ولي أخوك فأقنع بعشر وده»، وقد قنعنا (٣٢٠) والحمد لله بحبة من مده وإشارة (٣٢١) من درجه وبره، وساعة معتدلة من زمان بلوغ أشده، فما باله يمتل مع الغنى، ويحوج الى العنا، مع قرب الجنى، المرحلة (٣٢٢) مرحلة ظالع [73] وخامع، ومطمح طامح ومرأى راء ومسمع سامع، والكف واسع، والمكان لا ناء ولا شاسع، والضرع حافل، والزرع كاف كافل، والقريحة وارية الزند، والإمامة خافقة البند، وهب البخل يقع بما في الخوان على الأخوان، فما باله يقع بالبيان، أعيد سيدي من ارتكاب رأي ذميم، يريد بيت القطا في تميم،

ويعضد معناه بتميم، وهلا تلا حاميم [74]، وعهدي بالسيادة القاضوية قد نامت لهذا العهد في مهاد الترف نوم أهل الكهف، ولم تبل بمررد الويل واللهف، أو شربت لحفظ الصحة بختعا، ودقت لاعادة (٣٢٤) الشبيبة عفصا ورو سختجا، وغطت على الصبح «بالليل اذا سجي» [75] ومدت على ضاحي البياض طلاء سجسجا، وردت سوسن العارض بنفسجا، ولبس بحرما الزاخر ثوبا من طحلب البحر منتسجا، وأحكم العمامة وصديق المرأة ينصح ويرشد، ويطري (٣٢٥) المحاسن وينشد، حتى حسنت الدارة، وصحت الاستدارة، وأعجبه الوجه الجميل، والقذ الذي يميذ في دكة الدار ويميل، وأغرى بالسواك التتميم والتكميل، وولج بين شفري سيدي الميل، وقيل لوضاح اليمن [76] : خاب فيك التمايل، وامتد جناح برنس السرق، واحتفل الفصن الرطيب في ناضر الورق، ورش الورد ماءه عند رشح العرق، وتهياً للمنطلق، وقرأت عليه نساء أعوانه وكتبته ديوانه سورة الفلق [77]، من بعدما ما أوقف الأملين الحجاب على أقدامهم، وكبحهم الجالون (٣٢٦) عن إقدامهم، فمثلوا واصطفوا، وتآلفوا والتفوا، وداروا وحفوا، وما تسلوا إلا أخفوا (٣٢٧) كأنما أسمعتهم صيحة النشر، أو خرجوا لأول الحشر، فعيونهم بملتقى المصراع معقودة، [وأذهانهم لمكان الهيبة مفقودة] (٣٢٨)، وجعالاتهم قبل الطلب بها منقودة، فعندما فرش الوساد، وارتفع بالنفاق الكساد، وذاع البكا (٣٢٩) وتأرج الحساد، [واستقام الكون وارتفع الفساد، وراجعت أرواحها الأجساد] (٣٤٠)، جاءت السيادة فجلست، وتنعمت الأحداق بالنظر الذي اختلست، وسمحت الأكف حتى أفلست، وزانت الشمس ذلك الفلك، وجلت الأنوار الحلك، فتحت الأبواب وقالت هيت لك، ووقفت الأعوان سماطين، ومثلوا خطين، وتشكلت مجرة تنتهي منك الى البطين، يعلنون بالتفدية ويجهرن، «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» [78]، من كل شهاب ثاقب، وطائف غاسق واقب، وملاحظ مراقب، كميض الإزار، ويعيد المزار، حامل للأوزار، خصيم ميين، ووارث سوفسطيقا عن زين، مضطلع بفقهِ البين وحريمها، فضلا عن تلقين الخصوم وتعليمها، يرأسهم العريف المغرب، والمقدم المدرب، والمشافه المباشر، والتابع الكاشر، والنهج العاشر، الذي يقتضي خلاص العقد، ويقطع في الكاليء والنقد، ويزكي ويجرح، ويمسك الثبت أو يطرح، ويجمل ويشرح، والمسيطر (٣٤١) الذي بيده ميزان الورق، وجمع الأجر المقترق، وكفه قابلة رحم الدواة الفاغرة، ورشاء بلالة الصدور الواغرة، فإذا وقف الخصمان بأقصى مطرح الشعاع، وأنأى مجمع الرعاع، وأعلنا النداء، وطلبا الأعداء، وصاحا : جعل الله أنفسنا لك الفداء، ورفع الأمر الى مقطع الحق، والأولى بالثابة الأحق، وأخذتهما (٣٤٢) الأيدي دفعا في القفي، ورفعنا لستر اللطف الخفي،

/17

وإمساكا بالحجز والأكمام، ومنعا للمباشرة والإلمام، واستنطاقا عند الإذن بالكلام، وإسكاتا عند صريف الأقلام، فإذا أدلى بحجته من أدلى، ووسعهما دينه (٢٤٧) عدلا، وحق القول، واستقر الهول، ووجبت اليمين، أو الأداء الذي له الذخر الثمين، / أو الرهين أو الضمين، أو الاعتقال الذي هو على إحداهما (٢٤٤) الأمين، نهش الصل الذي سليمه لا يبيل (٢٤٥)، وأسببت العقارب التي لا يفلتها الهارب، ولا ينجي منها المسارب، وكم تحت الظلام من غرارة يجعلها غرا، وصرة ربح فيها صر، وسهد في انتظار قلة شهد، وكبش يجر تارة بروقيه، ويدفع بعد رفع ساقيه، ومعزى وجددي، وقلاند وهدي، وسرب دجاج نوات لجاج، يفضحن الطارق، ويشعثن المفارق، فمتى يستفيق سيدي من هذا اللفظ (٢٤٧) العائد بالصلة، واللهمي (٢٤٨) المتصلة، أو تفرغ يده البيضاء لأعمال ارتياض، وخط سواد في بياض أو حنين لروح أو رياض، أو امتاع طرف باكتتاب حرف أو اعمال عدل لرسول في صرف، أو حشو ظرف بتحفة ظرف، شأنه أشد استغراقا، ومبوأه أكثر طراقا، « من ذكر حبيب ومنزل » [79] وأم مغزل، وكيف يستخدم القلم الذي يصارف ماء البحر بذوب التبر في ترهات عدم جناها، وأقطع جانب الخيبة لفظها ومعناها، اللهم الا أن تحصل النفس على كفاية تختم لها الصرر، وتشام من خلالها للجين الغرر أو تحن النفس الى الفكاهة والأنس، وينفق لديها ذمام الأبقاء على الجنس، فربما تقع المخاطبة المنزورة، وتبيح هذا المرتكب الصعب الضرورة، والمرغوب من سيدنا القاضي أن يذكر يؤسنا بالأغفال عند نعيمه، ولا يخيب آمالنا المتعلقة بأذيال زعيمه، ويسهمنا حظا من فرائد حظه، لا من فوائد خطته، ويجعل لنا كفلا من فضل بريته وحنطته (٢٤٩) لا من فضل هرتة وقطته، فقد غنينا عن الحلاوات بحلاوة لفظه، وعن الطرف المجموعة بفتون حفظه، وعن قصب السكر بقصب أقلامه، وعن جبن الروم بروامه، وبهديه عن جديه، وبمجاجته عن دجاجته، وبدر لجه عن أترجه، وعن البر ببره، وعن الحب بحبه، ولا نأمل إلا طلوع بطاقته، وقد رضينا بجهد طاقة، والا لا بد أن نحشد جيش الكلام / الى عتبه، ونوالي عليه الكتاب حتى يتقى بضريبة كتبه . والسلام.

ومن المنظوم المقيد لهذا العهد قولي في طريق «سلا» وقد أنكرت سوء
معاملة بني عبس :

(طويل)

غضبَ الإلهُ على بني عبسِ وعلى ما اشتمكتَ عليه من تيسِ
ما كان رأبي في المبيتِ بها عن فطنة مني ولا كيسِ

وقلت بتقلقت [80] وهي من معادن البرغوث : (٣٠٠)

(وافر)

بتأفلقتَ (٣٠١) برغوثٌ كثيرٌ
إذا عجلتَ لنا بالوئيبِ قلنا
يضجُ لهولِهِ الفلكُ الأثيرُ
أثارَ جرادَ مزعجةٍ مثيرُ

وقلت في الشيخ أبي سعيد عثمان بن يحيى شيخ العسكرية (٣٠٢) :

(كامل)

أسميُ ذي النورينِ [81.] وجهك إن بدا (٣٠٣)
إن تفتخرَ بمرينِ أرضِ المغربِ الـ
شمسُ الضحى حلتُ بليثِ عرينِ
أقصى (٣٠٤) فإنك أنتَ فخرُ مرينِ

وقلت أخطب السلطان في بعض مبراته :

(كامل)

أخجلتني يا مُجَلَّ الشمسِ
حملتني ما لا أطيعُ به
يا نورَ ناظري وسرِّ هوى
أنا غرسُ ملكِ جدتني بندي
شكراً بجود يدٍ قد احترقت
وعمرت كرسي الخليفة معصو
بمكارمِ أعتِ <على> نفسي (٣٠٥)
فدهشتُ منك وغبتُ عن حسبي
قلبي، ويا عزِّي ويا أنسي
كفيتك، فاجنِ الحمدَ من غرسي
سحبُ الحيا بينانهُ الخمسِ
ما بحقِ العرشِ والكرسي

وقلت عند عزمي على الرجوع عنه الى «سلا» :

/18

(بسيط)

ودعتُ منك فوادي يومَ ترحالي
جارَ الزملنِ على ضغفي وأرخصِ ما
لا الماءُ بعدك ماءً حينَ أشربهُ
ولا يلدُ حديثُ الناسِ في أذني (٣٠٦)
قد كنتُ أهلي ومالي والشيبيةَ لي
ضرائرُ الدهرِ سارتُ عن ديارك لو
قالوا : سلا حركتُ أشواقهُ فسلا
إن كان لي بعدَ بعدي عنك من أملِ
فلا تسلِ (٣٠٦) بعدَ ذاكَ اليومِ عن حالي
قد صنتهُ قبلها منِ دمعي الغالي
ولا الطعامُ طعامٌ حينَ يدنى لي
ولا يجولُ جمالُ الكونِ في بالي
فلا شبابي ولا أهلي ولا مالي
لا الضرورةُ لم يخطرُ على بالي
والله ما كنتُ يوماً عنك (٣٠٨) بالسالي
إلا لقاؤك ، لا بلغتُ أمالي

وقلت مما نقش في قبة المشور الجديد :

(بسيط)

واعجب لما حُزْتُ من شكل ومن زين
[82] أن لا يرى جامعاً ما بين أختين
قلو السعادة بي للدين من دين
إيوان كسرى وكم بين الإيوانين
[83] شتان والله ما بين الزبدين
كم ألف الحسن مني بين لوني
عين ومولاي كالإنسان في عيني
فحجة الحمد حق دون ما مين
للجود والبأس داباً بين ضدي
بكل باري الظبا ماضي الذبايين
قد ألبس الدين ثوب العار والشين
وانزل الروح خفياً الجناحين
والنصر والفتح في مغناي القين
رب تنزه عن كيف وعن أين

شاهد بعينيك مني قرة العين
أنا الفريدة في دهر دياتك
قد كنت ديناً على الدين الحنيف فلم
أشبهت في شهرة اسم واشتهار علي
بيوت نار بنور الله قد طفيت
كم جمع الظرف مني بين مفتري
كأنني لمباني الملك أجمعهم
كأنني بن أبي الحجاج أنشأني
هو الذي جمعت يمناه بوركها
هو الذي أسخّص السلطان مجتهداً
واستدرك الفلثة الشنعاء من زمن
بناصره أرسل الله الصبا شراً
لا زال شمل المعالي في مجتمعاً
وكيف الأمل لأقصى لمخترعي

/181 /

ومن المكتوبات في المباني السلطانية (٣٦٠) :

(طويل)

تروح هبات الله نحوي وتغثدي
سمي النبي الهاشمي محمد
وكم زان حسن الجيد حسن المقلد
فلا زال في سعد وعز مؤكّد (٣٦٣)

لي الله من عنوان ملك مجدّد
بنانسي أمير المسلمين محمد
وقلّد جيد الملك (٣٦١) مني قلادة
ونوه في ربع (٣٦٢) الخلافة سعده

ومن ذلك أيضا :

(بسيط)

محمد بن أبي الحجاج بانويه
وحافظ الدين قاصيه ودانيه
وكان أول ثار في مغانيه
وطول عمر وسعد فهو ثانيه

يا حسنه منصبا راقت مغانيه
مجدد الملك سيف الحق ناصره
سميه خط هذا القصر مبتدئا
فإن يكن أولاً في اسم وفي اسم أب

وقلت في غرض نصيحة في رابطة العقاب :
(بسيط)

مَوْلَايَ يَا ذَا الْجَلَالِ الْبَاهِرِ الْعَالِي
اسْمَعْ مَقَالَةً مِنْ لَّا يَبْتَغِي عَوْضًا
وَلَا عَبِيدَ وَلَا خَيْلَ وَإِنْ لَبِسَ النَّا
يَرَى الْأُمُورَ قَدْ اخْتَلَّتْ عَلَيْكَ وَمَا
حَتَّى إِذَا انْهَدَ رُكْنٌ قَبِيلِ هَاوِدَهُ
فَلَا لِدُنْيَا وَلَا أُخْرَى أَفُوزُ بِهَا
وَأَنْتَ مَوْلَايَ قَدْ أَعْرَضْتَ (٣٦٥) مُشْتَغَلًا
أَحْمَالُ جِصٍّ وَأَجْرٌ تُعَاقِبُهُهَا
فِي دَارٍ قَحْطٌ وَقَفْرٌ ثُمَّ بَيْنَ عَيْدِي
فَكَمْ يَنْخَسِدُ رِيحَانًا وَيَفْرُشُهُ
لَا تُحَسِبِ النَّاسَ فِي نَوْمٍ فَاعَيْنَهُمْ
وَكُلَّ طَعَامِهِمْ وَالْبَسِ لِبَاسَهُمْ
وَلتَجْتَنِبِ كُلَّ مَنْقُودٍ عَلَيْكَ لَهُمْ
وَحَذِّ مِنَ الْأَمْرِ بَعْضًا وَأَقْتَصِدْ وَأَفِقْ
وَكُنْ حَذِورًا وَلَا تُغْفَلْ مَكِيدَةً مَنْ
وَأَنْتَ جَرِيكَ الرَّحْمَانَ مُخْتَبِرًا
لَمْ يَبْقَ بَعْدَكَ لِإِسْلَامٍ مِنْ أَمَلٍ
ضَاعَتْ أُمُورُهُمْ هَدَّتْ نُفُوسُهُمْ
قَدَّرْتَ أَمْرَكَ سَهْلًا تَسْتَقْبَلُ بِهِ
لَا يَسْتَقْبَلُ بِهَا إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ
فَانظُرْ لِنَفْسِكَ وَالْإِسْلَامِ فِي مَهَلٍ
وَالْأَمْرِ جَدًّا فَشَمَّرْ وَاسْتَعِدْ لِكَيْ
بِذَاتِ جَهْدِي بِمَا أَلْقَاهُ فِي جِسْدِي
لَمْ يَبْقَ عَنِّي شَيْدٌ قَدْ أَنْتَيْتُ بِهِ

سَلَالَةَ الصُّخْبِ وَالْأَنْصَارِ وَاللَّ
مِنْ ضَيْعَةٍ لَا، وَلَا جَاهٍ وَلَا مَالٍ
سُ الْجَدِيدِ كَفَاهُ الْوَاهِنُ الْبَالِي
مِنْ نَاصِرِكَ فِيهَا [لَا] (٣٦٤) وَلَا وَالِي
وَأَهْمَلِ النَّصِيحَ فِيهِ أَيُّ إِهْمَالٍ
خَسِرْتُ فِي اللَّغْوِ أَقْوَالِي وَأَعْمَالِي
عَنْهَا بِثِقَلَةِ أَجْرَامٍ وَأَجْبَالٍ
وَجَرُّ أَلْوَابِ صَخْرٍ فَوْقَ أَعْجَالٍ
نَوِي شَرِّهِ وَأَهْوَاءِ وَأَهْوَالٍ
فِي مَسْقَطِ خَرْبٍ أَوْ مَنْزِلِ خَالِي
تَرِنُوا إِلَيْكَ فَعَامِلَهُمْ بِأَجْمَالٍ
وَأَنْصِبْ لِصَيْدِهِمْ أَشْرَاكَ (٣٦٧) مُحْتَالٍ
يَسْلَمْ جَنَابُكَ مِنْ قَبِيلٍ وَمَنْ قَالِ
وَانظُرْ لِنَفْسِكَ فِي جَيْشٍ وَفِي مَالٍ
يَدْنُو إِلَيْكَ وَيَنْوِي فَتُكَ مَغْتَالٍ
لَكِي يَرَى مِنْكَ فَعَلَ الْحَافِظُ الْكَالِي
فَحَطَّ جَمَاعَتَهُمْ فِي دَارِ إِضْلالٍ
فَانظُرْ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ (٣٦٨)
قَلَادَةَ اللَّهِ فَاعْلَمْ (٣٦٩) ذَاتِ أَنْتِقَالٍ
لَا يَبْرُكُ الْمَجْدُ فِي حِلِّ وَتَرْحَالٍ
وَعَامِلِ اللَّهِ مَكِيلًا بِمَكِيلِ
لَا تَغْتَرِرْ (٣٧٠) بِخِرَافَاتٍ وَأَمَالِ
وَفِي مَفَادِي وَفِي دِينِي وَأُطْفَالِي
نَصِيحَةَ الْوَدِّ وَالْإِخْلَاصِ أَوْلَى لِي

وكتبت له عقب رقعة تتضمن وسائل في سبيل رغبة اليه في الانصراف الى

بيت الله :

(طويل)

وسائل لا تلقى شفاعتها كلاً
أتيت به حتى النبيين والرسل
ولا ابناً ولا جدّاً له خبر يتلى
وجود نظام الكون إن عدم اختلا
ومهد لهم من برك الرخب والسهلا
ومن دونهم عرفته البر والفضلا

جعلت إليك [الله] (٣٧١) والملا الأعلى
ومن يقتضي الخلق الحقوق بجاهه
ولم أبق أما للشفاعة أو أبناً
وبالقطب والغوث الذي بوجوده
فلا تخز في رد كرام وجوههم
حشاك بأن تبدو لهم منك وحشة

وكتبت أداعب صاحب القلم الأعلى، جملة الفضل والتخلق، أبا عبد الله بن

زمرك [84]، ولها حكاية :

(كامل)

هذا يخبر أن جوعك فاجا
ويدل أنك قد تركت علاجاً
أبدأ ، وترفض صحة ومزاجا
واحذر طعاماً يفسد الأمشاجا
في خيسها أسد الخساسة (٣٧٤) هاجا
فيعود مكرده الشروب أجاجا
وقصدت في أعقابها سفاجا
وخدمت غير مقصر دجاجا
في دين كل نهامة أفواجا
وشربت من ماء العصير مجاجا
تأتي بها عند الصباح خداجا

يا طالباً من جاره سباجا [85] (٣٧٢)
ويدل أنك قد نبذت تدابيراً
وكلفت بالملوك تؤثر أكله
خف من غداء غير معتدل القوى
هيهات تعتبر الهجاء طبيعة
والمرء من فمه يصاب وفرجه
فكأنني بك قد نبذت مهرقما [86]
وصحبت جزراً للحم (٣٧٥) طيب
وقتحت باب الزرد تدخله الها
وبلغت الكبون فضل عصيدة
وغنوت كالحبلى جنيتك خرية

184 /

وخاطبت رئيس الكتاب بين يدي السلطان يوم عرضه جند الرجل بقولي،

درجته بها من العلوي :

(مقارب)

عميد الكتابة ما أفطنه
بيادق في سفرة السلطنة

سألت عن الجند جند الرجال
فقال : وقد صفوا يوم عرض

وافتحت كتابا لأبي جعفر بن خاتمة بقولي (٢٧٦) :

(مج الخفيف)

قسماً بالكواكب الزهر
إنما الفضل مائة
والزفر عاتمة
خُتِمَتْ بِأَبْنِ خَاتِمَةِ

وقلت في التورية : /

(طويل)

شريفٌ ثقيلٌ للوصي [87] انتسابه
كان ابن حجر قد عناه بقوله
عليّ أتى المنوى فناءً بكلكلٍ
كجلمودٍ صخرٍ حطَّ السيلُ من علٍ [88]

وقلت في غرض معروف مني (٢٧٧) :

(كامل)

قالوا لخدمته دعاك محمد
فاجبتهم أنا والمهيمين كاره
فكرهتها وزهدت في التنويه
في خدمة المولى محب فيه

وقلت في بعض الأسفار (٢٧٨) :

(مج الرجز)

قال جوادي عندما
إلى متى تهمرني
همزت همزاً أعجزه
ويبل لكل همزة [89]

وردت علي هدية من عنب من باب السلطان لأول فصله، وكان معي الشيخ
القاضي أبو البركات، فقال :

(مج الكامل)

لله من عنب تلو
ح طلاوة الدنيا عليه
فقلت :

قد كان يسكر شربه
فسكرت من نظري إليه
فقال :

وهديئة المولى تحط لفضلها رأسي لديه

فقلت :

والشُّكْرُ يَقْصُرُ بِي عَلَى مَنْ كُلُّ فَضْلٍ فِي يَدَيْهِ
وقلت من المعاني التي جاريت بعض الأصحاب فيها على عادة الكتاب
والأدباء :

(منسرح)

أُنْكَرْتُ لِمَا أَطَّلُ عَارِضَهُ فَقَالَ لِي حِينَ رَأَيْتُهُ نَظْرِي
أَلَمْ تَقُلْ لِي بِأَنَّ نَفْسِي قَمَرٌ فَانْظُرْ إِلَيَّ وَبِرِّ أَرْتَبِ الْقَمَرِ [90]
وفي الغرض المذكور (٣٧٩) :

(بسيط)

جَاءَ الْعِذَارُ بِظِلِّ غَيْرِ مَمْدُودٍ فَمُنْتَهَى الْحُسْنِ مِنْهُ غَيْرُ مَحْدُودٍ
نَادَيْتُ قَلْبِي إِذْ لَاحَتْ طَلَانُوعُهُ يَا صَبْرَ أَيُّوبَ هَذَا دَرْعُ دَاوُودِ [91]
وفي نقيضه (٣٨٠) :

(بسيط)

مَا غَضُّ (٣٨١) مَنِّي أَنْ أَخْلَفْتُ مَوْمُودِي (٣٨٢) وَرَوْضُ خَدِّكَ مِنْهُ ذَاوِي الْعَمُودِ
وَقَالَ قَوْسُ (٣٨٣) عِذَارٍ فَوْقَ صَفْحَتِهِ سَفِينَةُ الْحُسْنِ قَدْ حَطَّتْ عَلَى الْجُودِي (٣٨٤)
وقلت في الغرض الأول :

(طويل)

مَرَرْتُ بِوَادِي النَّمْلِ مِنْ فَوْقِ خَدِّهِ وَقَدْ خَافَ سُلْطَانَ الْهَوَى وَتَكَلَّمَا
وَكَانَ سُلَيْمَانَ الْجَمَالَ يَنْقُضُ رِجْلَهُ يَصِيخُ لِمَا جَاءَتْ بِهِ فَتَبَسَّمَا [92]
وخاطبت سلطان المغرب عن الأمير أبي^(٣٨٥) الحجاج [93] في شأن جارية
اسمها زيتونة :

(سريع)

يَا دُرَّةَ لِلْمَجْدِ مَكْنُونَةٌ حَاجَةٌ مِثْلِي مِنْكَ مَضْمُونَةٌ
وَمَنْ يَجِدُ بِالْخُبْرِ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُودِمَ الْخُبْرَ بَرِيَّتُونَةٌ

وقلت اخاطب السلطان وقد كتب الي بخطه يسأل عن حالي عقب دواء :

(مجث)

خليفةُ الله في أرضه، ونعم الخليفة
ومن كفاءه افتخاراً
شوقني إليك قسوي
فجمل اليوم عذري
لازلت للدين عزاً
لكن قسوي ضعيفه [94]
تلك السجايا الشريفة
مؤمناً كل خيفة

/187

وخاطبته بديها وقد رحم الله بالمطر (٢٨٦) :

(مج الكامل)

مولاي يهنيك المطر
رحم العباد بخاطر
متدارك الدفاع يح
أقسمت لو طلبت سعو
عدم العيبات يستر عند
أمن الوجود بجودك البؤ
ودوت حديث غلاك حن
والله ما يحكيك ما
واقسي (٢٨٧) به الوطن الوطن
في جو نفسك قد خطر
سب من بناتك قد قطر
دك صلد صخر لانقطر
لك في البرية والبطر
سي وكان على خطر
سي التورك كلاً والتطر
كتب البيان وما سطر

وقلت بديها ببعض الطريق بحال عبرة (٣٨٨) :

(منسرح)

وانظر خضاب الشباب قد نصلا
ومطليبي والذي كلفت به
لا أمل مسعف ولا عمل
وزائر الإنس بعده انفصلا
أملت (٣٩٠) تحصيله فما حصلا
ونحن في ذا الموت قد وصلا

وقلت وقد بعثت بها الى مدينة «سلا» حيث أهلي وولدي الى هذا العهد :

(رمل)

خدع الشوق فؤادي فانخدع
ثم لما حل في فخ الهوى
قيض الله لنا يوم النوى
يا عريب الشعب من وادي النقا
أفلا أقصر شيناً وارثدع
طيرة بعد حذار ووقع
شعل النار به حتى انصدع
أخضل الغيث رباكم ونقع

/188

أَخْلَقَ الصَّبْرُ فَمَا فِي ثَوْبِهِ
 قُلْتُ فَارْقَتْ شَبَابِي وَجِدَهُ
 هَلْ لِهَذَا الْبَيْنِ مِنْ مُجْتَمَعٍ
 طَمَعَتْ نَفْسِي بِزُورِ غَرْمَا
 وَالَّذِي أَظْمَأَ لَوْ شَاءَ سَقَى
 يَا نَسِيمَ الرِّيحِ إِنْ جِئْتَ الْحِمَى
 وَتَلَوْتِ بِأَكْنَافِ سَلَا
 قُلْ لِرَادِي الْقَبْطِ [٣١٢] [95] هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ
 أَوْ عَلَى مَرْجٍ حَمَامٍ خَطْبُورَةٍ
 أَوْ بِأَسْمِيرٍ لَنَا مِنْ سَمِيرٍ
 وَسَقَى شَلَّةً عَهْدٌ مُغْدِقٌ
 وَدِيَاطُ الْفَتْحِ [97] يَا حَيُّ الْحَيَا
 وَدِيَاضُ الشَّيْخِ [99] كَمْ مَرَأَى لَنَا
 دَبِجَ الْغَيْثِ بِهِ خَضِرَ الرَّبِيبِ
 فَإِذَا جَاعَتْ تَحِيَّاتُ الصَّبَا
 سَمِعَتْ أَغْصَانَهُ دِينَ الصَّبَا
 تَنْشُرُ الزَّهَرَ عَلَيْنَا وَرَقَا
 سَكَّةُ اللَّهِ فَسُبْحَانَ الَّذِي
 وَأَطَاعَتْ بِأَبِي الْعَاصِي [100] الْمُنَى
 وَعَلَى الْمَلْحَدِ مِنْ شَرْقِيَّتِهِ
 فِيهِ أَوْدَعْتُ فَوَادِي فِي التُّورَى
 إِنْ سَلَا قَلْبِي مِنْ بَعْدِ "سَلَا"
 نَمْرُ الْقَلْبِ بِهَا خَلْفَتُهُ
 أَمْتَعِ الدَّهْرَ بِهَا لِمَا سَهَا
 وَإِذَا جِئْتُ رُبُوعَا بَعْدَهَا
 أَبْلَغَنَّ صَحْبِي بِهَا مَمْحُوضَةً
 بُولِيَّ اللَّهِ فَايْدَأُ وَأَقْتَصِدُ
 وَعَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ [103] اعْطِفْ تَجِدُ
 وَإِلَى الزَّوَاوِيَةِ الْعُلْيَا [104] التَّفْتِ
 أَبْلَغِ الْأَحْبَابَ عَنِّي أَنْتَسِي
 حَيُّ بِالرِّضْوَانِ عَنِّي ابْنُ رِضَى [105]

أبدأ واللّه لي من منتقع
 فإذا الدنيا وما فيها تبّيع [٣١١]
 أو لهذا المرتجى من مرتجع
 فهي تجني بعده عقبي الطمع
 والذي فرق لو شاء جمع
 بعدما طبق غيم وارتنع
 ترفع الدوح قليلاً وتضع
 يصل الأنس لديها ما قطع
 ما سرت في خاطري إلا انجمع
 أو على ناظورهما من مجتمع [96]
 إن همي في الربيع منها وهمع
 ما بنى المنصور فيه واخترع [98]
 فيه يزدى بالتهى أو مستمع
 كيفما شاء ووشى ووشع
 سجد الروح خشوعاً وركع
 فهي تقضي دعواً بعد دفع
 نقش الكون عليها وطبع
 قدر الصرف وأعطى ومنع
 فلکم باب ألى الأنس شرع
 رحمة الله فكم فضل جمع [101]
 وليست الحزن ثوباً لو نفع
 فإلى الغدر، بلا شك، نزع
 هل لقلبي بعدها من منتجع
 ثم لما استشعر السهور رفع [٣١٢]
 فعل الله بقلبي وصنع
 ناظر المسك شذاها فانقطع
 واحد الأحاد [102] في باب الورع
 ناسكاً لله والناس اتضع
 فهي مئوى من عن الغي نزع
 فجأ البين فوادي وفجع
 فرع مجد قنة المجد فرع

سنة الفضل به قامت وقصد
 حسب زاك ونفس حيرة
 وابن حمدي بن حمدي فابتدر
 بيت علم وقضاء وملا
 وابن داود [106] بودي فابتدر
 ألف، مذ كان ماألوف وإن
 حكمي البينت في مكننه
 وابن غياث [107] غياث وشفا
 ولعثمان أبو عني وابننه
 وأذكر الصباغ عبد الله إن
 وأتصق شقرون بالسفد وإن
 يا لهم من سادة جرعني
 زرعوها في جميلاً فجنحوا
 سلم الله على أهل سلا

أحدثت من فضله فيها يدغ
 وطباع لم يدنسها الطبع
 أي نذب راية السرور (٣١٥) رفغ
 وتر المعروف فيه وشفغ
 فهو في الخلّة صبح قد سطغ
 فصل الخطّة أجلي (٣١٩) وصدغ
 نام نو الحكمة منّا واضطجع
 جملة الخلق به اللّه نفغ
 حسن عهدي ذرة الرعي رضغ
 رجغ الشدو وبالذكر سجع
 قيل : أي السعد ؟ قل : سعد بلغ [108]
 بينهم من مضعض (٣١٧) البيّن جرغ
 يخصد الإنسان إلا (٣١٨) ما ندغ [109]
 ما صباح لاح أو برق لمغ

وكتبت أراجع الفقيه الأديب المتقن أبا جعفر بن خاتمة (٣١٩) [110]:

(سريع)

لم في الهوى العذري أو لا تلم
 شأنك تعنيتي وشانتي الهوى
 فالعذل لا يدخل أسماعني
 كل أمري في شأنه ساعني

أهلا بتحفة القادم، وريحانة المنادم، وذكرى الهوى المتقادم، لا يصغر الله
 مسراك، فما أسراك، / لقد جبت لي (٤٠٠) من همومي ليلا وجست رجلا وخيلا،
 ووفيت في صاع الوفاء كيلا، وظننت بي الأسف على مافات، فأعملت الالتفات
 لكيلا [111]، فأقسم لو أن أمري اليوم بيدي، أو كانت اللمة السوداء من عددي،
 «ما أفلت أشراكي المنصوية لأمثالك [112]، حول المياه وبين المسالك، ولعلمت (٤٠١)
 ما هنالك، ولكنك تركت حمى كسحته (٤٠٢) الغارة الشعواء، وغيرت ريعه الأنواء،
 فخدم بعد ارتجاجه، وسكن تاذين (٤٠٣) دجاجه، وتلاعبت الرياح الهوج فوق فجاجه،
 وطل عهده بالزمن الأول، «وهل عند رسم دارس من معل» [113] وحيا الله ندبا
 الى زيارتي ندبك، وبأدابه الحكمية أدبك،

(واقر)

فكان وقد أقاد بك الأمانني
 كمن أهدى الشفاء إلى العليل

وهي شيمة بوركت من شيمة، وهبة الله قبله من لدن المشيمة، ومن مثله في صفة رعي (٤.٤)، (وفضل سعي، وقول ووعي) (٤.٥).

(مج الخفيف)

قَسَمًا بِالكَوَاكِبِ الزُّفْرِ وَالزُّهْرُ عَاتِمَةٌ
إِنَّمَا الْفَضْلُ مَلَأَتْ خُتِمَتْ بِأَبْنِ خَاتِمَةٍ

كساني حلة فضله وقد ذهب زمان التجمل، وحملتني باهض شكره (وكتدي واه عن التحمل) (٤.٦)، ونظرتني «بالعين الكليلة عن العتب (٤.٧) [114]» فهلا أجاد التأمّل، واستطلع طلع بثي (٤.٨)، ووالى في مبرك الهجرة حثي، «وإنما أشكو بثي [115]»، «ولو ترك القطا ليلا لنا ما [116]».

وما حال شمل وتده مفروق، وقاعدته فروق، وصواع بني أبيه مسروق، وقلب قرحه من غضة الدهر دام، وجمرة حسرته ذات احتدام، هذا، وقد صارت الصغرى التي كانت الكبرى لمشيبي لم يدع أن هجم، كما (٤.١٠) نجم، ثم تهلل عارضه وانسجم.

(كامل)

192 / لَا تَجْمَعِي هَجْرًا عَلِيٍّ وَغَرْبًا قَالَهُجْرٌ فِي تَلْفِ الْغَرِيبِ سَرِيعٌ

نظرت فإذا الجنب ناب، والنفس فريسة ظفر وناب، والمال أكلة انتهاب، والعمر رهن ذهاب، واليد صفر من كل اكتساب، وسوق المعاد مترائية (٤.١١) والله سريع الحساب.

(وافر)

وَلَوْ نُعْطِيَ الْخِيَارَ لَمَا افْتَرَقْنَا وَلَكِنْ لَا خِيَارَ مَعَ الزَّمَانِ

وهب أن العمر جديد، وظل الأمن مديد، ورأي الاغتباط بالوطن سديد، فما الحجة لنفسي إذا مرت بمطارح جفوتها، وملاعب هفوتها، ومثاقب قناتها، ومظاهر عزائها ومناحتها، والزمان ولود، وزناد الكون غير صلود.

(كامل)

وَإِذَا امْرُؤٌ لَدَغْتَهُ أَفْعَى مَرَّةً تَرَكْتَهُ حِينَ يَجْرُ حَبْلٌ يَفْرُقُ [117]

ثم أن المرغب قد ذهب، والدهر قد استرجع ما وهب، والعارض قد اشتهب، وأراء الاكتساب مرجوحة مرفوضة وأسمائه على الجوار مخفوضة، والنية مع الله

على الزهد (٤١٢) فيما بأيدي خلقه معقودة، والتوبة بفضل الله - عز وجل - شروطها (٤١٣) منقودة، غير معترضة ولا منقودة، والمعاملة سامرية ودروع الصبر سايرية، والاقتصاد قد قرت العين بصحبته، والله قد عوض حب الدنيا بمحبته، فإذا راجعها مثلي من بعد الفراق، وقد رقى لدغتها ألف راق، وجمعتني بها الحجرة، ما الذي يكون (٤١٤) الأجرة، جل شأني، وإن رضي الوامق وسخط الشاني، إني إلى الله، مهاجر، وللعرض الأدنى هاجر، ولأطعان السرى زاجر، لنجد وحاجر، (٤١٥) [118] لكنني دعاني إلى الهوى، إلى المولى المنعم هوى، خلعت نعلي وما خلعت، وشوق أمرني (٤١٦) فأطعته، وغالب والله صبري فما استطعته، والحال أغلب، وعسى أن لا يخيب المطلب، فإن يسره رضاه، فأمل (٤١٧) كمل، وراحل احتمل، وحاد أشجى الناقة والجمال، وإن كان خلاف ذلك فالزمان جم العوائق (٤١٨) والتسليم بمقامي لائق.

(بسيط)

ما بينَ غَمُضَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا (٤١٩) يُقَلَّبُ (٤٢٠) الأمرُ منَ حالٍ إلى حالٍ

وأما تفضيل (٤٢١) هذا الوطن على غيره، ليمن طيره، وعموم خيره، وبركة جهاده، وعمران رياه ووهاده، بأشلا زهاده، حتى لا يفضله إلا أحد الحرمين، فحق برىء من المين، لكنني للحرمين جنحت، وفي جو الشوق إليهما سرحت (٤٢٢)، فقد أفضت إلى طريق قصدي محجته، ونصرتني والملة لله حجته، وقصد سيدي أسنى قصد توخاه الحمد والشكر، ومعروف عرف به النكر، والآمال من فضل الله من بعد تمتاز، «والله يخلق ما يشاء ويختار» [119]، ودعاؤه بظهر الغيب مدد، وعدة وعدد، وبره حالي الظعن والإقامة معتمل معتمد، ومجال المعرفة بفضل لا يحصره أمد، (٤٢٣)، والسلام الكريم يخصه من محبه المثني على كماله، فلان (٤٢٤).

/193

والكتاب الوارد من أبي جعفر بن خاتمة، نصه بعد صدره (٤٢٥) :

وإلى هذا يا سيدي، ومحل تعظيمي وإجلالي، أمتع الله الوجود بطول بقائكم، وضاعف في العز درجات ارتقائكم، فإنه من الأمر الذي لم يغب عن رأي العقول، ولا اختلفت (٤٢٦) فيه أرباب المحسوس والمعقول، أنكم بهذه الجزيرة شمس أفتها، وتاج مفرقتها، وواسطة سلكها، وطران ملكها، وقلادة نحرها، وفريدة (٤٢٧) درها، وعقد جيدها المنصوص، وكمال زينتها على العموم والخصوص، ثم أنتم مدار أفلاكها، وسر سياسة أملاكها، وترجمان بيانها، ولسان إحسانها، [وطب مارستانها، والذي عليه عقد إدارتها] (٤٢٨)، وبه قوام إمارتها، فليديه يحل (٤٢٩) المشكل، وإليه يلجأ في الأمر المعضل، فلا غرو [و] أن تنقيد بكم الأسماع

والأبصار، وتحقق نحوكم الأذهان، والأفكار، ويزجر عنكم السانح والبارح، ويستنبأ ما تطرق عنه العين، وتخلج عنه الجوارح، استقراء لمرامكم، واستطلاعاً لصالح (٤٢٠) اعتزامكم، واستكشافاً عن مرامي سهامكم، لا سيما إقامتكم على جناح خفق، وظهوركم في ملتصع بروق، واضطراب الظنون فيكم مع الغروب والشروق / حتى تستقر بكم الدار، ويلقي عصاه التيسار (٤٢١)، ولها العذر في ذلك إذ صدعها بفراقكم لم يندمل، وسرورها بلفائكم لم يكتمل، فلم يبرأ بعد جناحها المهيض، ولا جم ماؤها المغيض، ولا تميزت من دأديها (٤٢٢) لياليها البيض، ولا استوى نهارها، ولا تألقت أنوارها (٤٢٣)، ولا اشتملت نعمائها، و[لا] نسيت غماؤها، بل هي كالناقة، والحديث العهد (٤٢٤) بالمكاره، تستشعر نفس العافية، وتسمح (٤٢٥) منكم باليد الشافية، فبحنانكم (٤٢٦) عليها، وعظيم حرمتكم على من لديها، لا تشبوا لها عذب المجاج بالأجاج، وتفظموها عما عودت من طيب المزاج، فما لدائها وحياء قريبكم غير طيبكم من علاج، وإني ليخطر بخاطري محبة فيكم، وعناية بما يعينكم، ما نال جانبكم في هذا الوطن من الجفاء، ثم أذكر مالكم (٤٢٧) من حسن العهد، وكرم الوفاء، وإن الوطن إحدى الحواضن (٤٢٨) الاظار التي يحق لهن جميل الاحتفاء، وما يتعلق بكم من حرمة أولياء القرابة وأوداء الصفاء فيغلب على ظني أنكم لحسن العهد أجنح، وبحق نفسكم على حق أوليائكم أجنح، وللتي هي أحسن (٤٢٩) قيمة من فضائلكم أوهب وأمنح (٤٣٠)، وهب أن الدر لا يحتاج في الاثبات، الى شهادة النور واللبات (٤٣١)، والياقوت، غني في المكان عن مظاهر (٤٣٢) القلائد والتيجان، أليس أنه أعلى للعيان، وأبعد عن مكابرة البرهان، تألقها في تاج الملك أنو شروان، فالشمس وإن كانت أم الأنوار، وجماء الأبصار، مهما أغمى مكانها من الأفق قيل : أليل هو أم نهار ؟ وكما في علمكم ما فارق ذوو الأحلام [وأولو] (٤٣٤) الأرحام مواطن استقرارهم، وأماكن قرارهم، إلا برغمهم واضطرارهم، واستبدال (٤٣٥) خير من دارهم، ومتى توازن الأندلس بالمغرب، أو يتعوض منها (٤٣٦) إلا بمكة أو يثرب، ما تحت أديمه (٤٣٧) أشلاء أولياء وعباد، وما فوقه مرابط جهاد، ومعاهد ألوية في سبيل الله ومضارب أوتاد، ثم يبيوء ولده ميوأ أجداده، ويجمع لهم (٤٣٨) من طارقه، وتلاده، أعيد أنظاركم المسددة، / من رأي فائل، وسعي طويل لم يحل منه بطائل، فحسبكم من هذا الإياب السعيد، والعود الحميد، (٤٣٩)، رأيكم في أهل الحرية ومعاندهم، وستركم على غائبهم وشاهدهم.

وخاطبت الفقيه الحكيم [أبا] القاسم بن داود [بن] الفخار من أهل «سلا»

[120]، بقولي (٤٤٩) :

(رجز)

يا من يعيدُ للطَّيِّبِ كُلَّ صُورَةٍ عن مثل في علمه مخصورة
والفلكُ الدُّوَارُ مِنْ نُورِهِ والنارُ تَمْضِي حَكْمَهُ ضَرْوَرَةٍ
فهذه تحمِلُ طَبَاهِرًا وهذه تلقى بها قاذورَه
أوصافُ حق في مُثَالِ باطلٍ وآلية منهية مأمورة

سيدي جعلك الله ممن تكيف بالحق وتجوهر، وعلم المشرق والمظهر، إذا غلب الفرق واشتقت الى لقائك، وارتحت الى البرق من تلقائك، وإذا غلب الجمع وهو ثمرة المجاهدة، تمتعت بك عين المشاهدة، وإن تشوفت الى الحال (٤٥٠) واستشرفت فلم تنتقل عما عرفت خرقة القوم اللباس، ومن مشكاة الحق الاقتباس، وقد ذهب اللباس، ولي أمل في العودة الى ذلك الجوار، الحفي بالزوار، والجناب المظلل بالأعتاب (٤٥١)، والبيت المعمور، بالكليات من الأمور، والله يبلغ المآرب، ويسر المسارب، ويعذب المشارب، وقد نظمت كلمة تضمنت ذكر المعاهد التي نشأت بها العلاقة، وتعدرت من سكر شكرها الإفاقة، لتتنظرها «بعين الرضى الكلية عن العيوب»، وتاذن في انتساخها لمن ذهب الى ذلك من أرياب القلوب، لعل ذكركم بالجميل ينفع، وفي كثير من سيناتي يشفع، والله عز وجل يتولى تأيسكم (٤٥٢) أيها الحكيم، الذي له النفس الزكية والقلب السليم، ويبلغك كمالك الأخير، «فهو على كل شيء قدير» [121]، [والسلام عليكم ورحمة الله] (٤٥٣).

وخاطبت الشيخ الخطيب الرئيس أبا عبد الله بن مرزوق / [122] وقد بلغ الخبر بسراحه من الاعتقال، وخلصه من النكبة، بما نصه (٤٥٤) :

سيدي الذي يده البيضاء لم تذهب بشهرتها المكافأة، ولم تختلف في مدحها الأفعال ولا تغايرت في حمدها الصفات، ولا تزال تعترف بها العظام الرفات، أطلقك الله من أسر [كل] الكون كما أطلقك من أسر بعضه، وزهدك في سمائه الفانية وفي أرضه، وحقر الحظ في عين بصيرتك، بما يحملك على رفضه، اتصل بي الخبر السار من تركك لثانك، وإجناء الله إياك ثمرة احسانك، وانجياب لظلام الشدة الحالك، عن أفق حالك (٤٥٥) ، وكبرت ارتياحا لانتشاق رضى (٤٥٦) الله الطيب العاطر (٤٥٧) الأرج، واستعيرت لتضاؤل الشدة بين يدي الفرج (٤٥٨)، لا بسوى ذلك من رضى مخلوق يؤمر فيأتمر، ويدعوه القضاء فيبتدر، إنما هوفيء (٤٥٩) ليس له من الأمر شيء ونسأله جل وتعالى أن يجعلها آخر عهدك بالدنيا وبينها، وأول معارج نفسك التي تقرئها من الحق وتدنيها، وكأنتني والله أحس بثقل هذه الدعوة على سمعك، ومضادتها - ولا حول ولا قوة إلا بالله - لطبعك، وأنا أنافرك الى العقل

/19

الذي هو قسطاس الله في عالم الإنسان، والآلة لبث العدل والإحسان، والملك الذي يبين عنه ترجمان اللسان، فأقول : «ليت شعري ما الذي غبط سيدي بالدنيا، وإن بلغ من زبرجها الرتبة العيا، وأقرض (٤٦٠) المثال بحالة (٤٦١) إقبالها، ووصل حبالها، وخشوع جبالها، وضراعة سبالها (٤٦٢)، ألتوقع المكروه صباحا ومساء، وارتيقاب الحوالة التي [تديل من النعيم (٤٦٣) الباساء، ولزوم المنافسة التي] (٤٦٤) تعادي الأشراف والرؤساء، ألترتب العتب (٤٦٥)، حتى على التقصير بالكتب (٤٦٦) وضغينة (٤٦٧) جار، وولوع الصديق بإحصاء الذنب، أالنسبة وقائع الدولة إليك وأنت بري (٤٦٨)، وتطويقك المويقات وأنت منها عربي، أالاستهدافك للمضار التي تنتجها غيرة الفروج، والأحقاد التي تضطئنها ركبة السروج، وسرحة المروج، ونجوم السماء ذات البروج / ألتقليدك التقصير فيما ضاقت عنه طاقتك، وصحت إليه فافتك، من حاجة لا يقتضي قضاءها (٤٦٩) الوجود، ولا يكفيها الركوع (٤٧٠) والسجود، ألقطع الزمان بين سلطان يعبد، وأفكار سهام للغيوب تكبد، وعجاجة شر تلبد، وأقبوحة تخلد، وتؤبد، ألويزير يُصانَعُ ويُدَارَى، وذبي حجة صحيحة يجادل في مرضاة الله (٤٧١) ويمارَى، [وعورة لا توارَى] (٤٧٢)، ألباكرة كل غائب (٤٧٣) حاسد، وعدو مستأسد، وسوق للإنصاف والشفقة كاسد، وحال فاسد، أالوفود (٤٧٤) تتزاحم بسدتك، متكلفة (٤٧٥) لك غير ما في طوقك، فإن لم يقع الإسعاف (٤٧٦) قلبت عليك السماء من فوقك، أالجلساء ببابك لا يقطعون زمان رجوعك وإيابك، إلا بقبيح اغتياك، فالتصرفات تمقت، والقواطع النجومية توقت، والألاقي (٤٧٧) تبث، والسعايات تحث، والمساجد يشتكى فيها البث يعتقدون أن السلطان في يدك بمنزلة الحمار المدبور، واليتيم المحجور، والأسير المأمور، ليس له شهوة ولا غضب، ولا أمل في الملك ولا أرب، ولا موجدة لأحد كامنة، وللشر ضامنة، وليس في نفسه عن رأي نفرة، ولا بإزاء مالا يقبله نزوة وطفرة (٤٧٨)، إنما هو جارحة (٤٧٩) لصيدك، وعان [123] في قيدك، وآلة لتصرف كيدك، وأنك علة حيفه، ومسلط سيفه، الشرار يسلمون (٤٨٠) عيون الناس باسمك، ثم يمزقون بالغيبة مزق جسمك، قد تنخلهم أخبث ما فيه، وأختارهم السفية فالسفيه، إذ الخير يستره الله عن الدول ويخفيه، ويقنعه القليل ويكفيه (٤٨١)، فهم يمتاحون بك ويولونك الملامة، ويفتحون عليك أبواب القول، ويسدون طرق السلامة، وليس لك في أثناء هذه إلا مالا يعوزك مع ارتفاعه، ولا يفوتك مع انقشاعه، وذهاب صداعه، من غذاء يشبع، وثوب يقنع، وفراش ينيم، وخديم يقعد ويقيم، وما الفائدة في فراش / تحته (٤٨٢) جمر الغضا، ومال من ورائه سوء القضا، وجاه يعلق عليه سيف منتضى، وإذا بلغت النفس الى الالتذاذ بما لا تملك واللجاج حول المسقط الذي تعلم أنها فيه تهلك، فكيف تنسب الى نبل، أو

/197 /

198 /

تسير من السعادة في سبل، وإن وجدت في القعود بمجلس التحية، بعض الأريحية، فليت شعري أي شيء زادها، أو معنى أفادها، إلا مباركة وجه الحاسد، وذو القلب الفاسد، ومواجهة العدو المستأسد، أو (٤٨٣) شعرت ببعض الإيناس، في الركوب بين الناس، هل التذت (٤٨٤) إلا بلحم كاذب، أو جذبها غير الفود مجاذب (٤٨٥) انما راكبك من يحدق الى الحلية والبزة، ويستطيل مدة العزة، ويرتاب اذا حدثت بخبرك، ويتبع بالنقد والتجسس مواقع نظرك، ويمنعك من مسايرة أنيسك ، ويحتال على فرغ كيسك، ويضمم الشر ك وارئيسك، وأي راحة لمن لا يياشر قصده، ويسير متى شاء وحده (٤٨٦)، ولو صح في هذه الحال حظ وهبه زهيدا، أو عين الرشد عملا حميدا، لساغ الصاب، وخفت الأوصاب، وسهل المصاب، لكن الوقت أشغل، والفكر أوغل، والزمن قد غمرته (٤٨٧) الحصص الوهمية، واستنفذت منه الكمية، أما ليله ففكر أو (٤٨٨) نوم، وعتب بجراء الضرائر ولوم، وأما يومه فتدبير وقبيل ودبير، وأمور يعيا بها ثبير، ولغظ لا يدخل فيه حكيم كبير، وبلاء مبير (٤٨٩)، وأنا بمثل ذلك خبير، والله يا سيدي ومن فلق الحب، وأخرج الأب، وذراً (٤٩٠) من مشى وما (٤٩١) دب، وهدي وأكب، وسمى نفسه الرب، لو تعلق المال الذي يجره هذا الكرح، ويوري سقيطه هذا القدح، بأذيال الكواكب، وزاحمت البدر بدره بالمناكب (٤٩٢)، ولا ورثه عاقب، ولا خلص به محتقب، ولا فاز به سافر ولا منتقب، والشاهد الدول، والمشاهم (٤٩٣) الأول، فأين الرباع المقتناة، وأين الديار المبتناة، وأين الحوائط [124] المغترسات، وأين الذخائر المختلصات، وأين/الودائع المؤملة، وأين الأمانة (٣٩٤) المحملة ، تاذن الله بتثبيرها، وأدنى نارالتيار من دنانيرها، فقلما تلقى أعقابهم الا عرى (٤٩٥) الظهور، مترمقين بجرايات (٤٩٦) الشهور، متعللين بالهباء المنثور، يطردون من الأبواب التي حجب عنها اباؤهم، وعرف منها اباؤهم، وشم من مقاصيرهم عنبرهم وكباؤهم [125]، لم تسامحهم الأيام (٤٩٧) في إرث محرر، أو حال مقرر، وربما محقه الحرام، وتعذر منه المرام، هذه - أعزك الله - حال قبولها المرغوب فيه، ومالكها مع الترفيه (٤٩٨)، وعلى فرض أن يستوفي العمر في العز مستوفيه، وأما ضده من عدو يتحكم وينقم، وحثت بغي يبتلع ويلتقم، وطبق (٤٩٩) يحجب الهوى، ويظيل في الترب الثواء، وثعبان قيد بعض الساق وشؤبوب عذاب يمزق الأبخار الرقاق، وغيلة يهديها الفاسق (٥٠٠)، ويجرعها العدو الفاسق، فصرف السوق، وسلعته المعتادة الطروق، مع الأقول والشروق، فهل في شيء من هذا مغتبط لنفس حرة، أو ما يساوي جرعة ماء (٥٠١) مرة، واحسرتا للأحلام ضللت، وللأقدام زلت، ويالها مصيبة جلت، واسيدي أن يقول : حكمت علي باستئقال الموعظة واستجفائها، ومراودة الدنيا بين خلائها وأكنافها، وتناسي عدم وفائها،

فأقول : الطيب بالعلل أدرى، والشفيق بسوء الظن مغرى، وكيف لا (٥٠٢) وأنا أقف على السجلات (٥٠٣) بخط يد سيدي من مطارح الاعتقال، ومثاقب النوب الثقال، وخلوات الاستعداد للقاء الخطوب الشداد، ونوش (٥٠٤) الأسنة الحداد، وحيث يجمل بمثله ألا يصرف في غير الخضوع لله بنانا، ولا يثني لمخلوق عنانا، وأتعرّف أنها قد ملأت الجو والدو، وقصدت الجماد واليو، تقتجم أكف أولي الشمات، وحفظة المذمات، وأعوان النوب الملمات، زيادة في الشقاء، وقصدا بريئا من الاختيار والانتقاء، مشتملة من التجاوز على أغرب من العنقاء، [ومن النفاق على أشهر من البلقاء] (٥٠٥) ، فهذا يوصف بالامامة وهذا / ينسب في الجود الى كعب بن مامة [126]، (وهذا يجعل من أهل الكرامة (٥٠٦)) ، وهذا يكلف الدعاء وليس من أهله، وهذا يطلب منه لقاء (٥٠٧) الصالحين وليسوا من شكله. الى ما أحفظني والله من البحث عن السموم، وكتب النجوم، والمذموم من المعلوم، هلا كان من ينظر في ذلك قد قوطع (٥٠٨) بتاتا، وأعتقد أن الله قد جعل لزمان الخير والشر ميقاتا، وأنا لا نملك موتا ولا نشورا ولا حياة، وأن اللوح قد حصر الأشياء محوا وإثباتا، فكيف نرجو لما منع منالا أو نستطيع مما قدر إفلاتا، وأقيدونا (٥٠٩) ما يرجح العقيدة المقررة، نتحول (٥١٠) اليه، وبينوا لنا الحق نعول عليه، الله الله يا سيدي في النفس المرشحة، والذات المحلاة بالفضائل الموشحة، والسلف الشهير الخير، والعمر المشرف على المرحلة (٥١١) بعد حث السير، ودع الدنيا لأهلها فما أوكس حظوظهم، وأخس محوظهم، وأقل متاعهم، وأعجل إسرافهم، وأكثر عناهم، وأقصر آناءهم.

(مج. الكامل)

ما ثم إلا ما رأيت وربما تُغيبي السلامنة
والناس إمّا ظالمون أو جائرٌ يشكوا ظلامنة
وإذا أردت العز لا ترزأ بنبي الدنيا قلامنة
والله ما احتقّب الحصر يصسوى الذنوب أو الملامنة
هل ثم شك في المعاد الحق أو يوم القيامة
قولوا لنا ما عندكم بالله يا أهل الإمامنة (٥١٢)

وإن رميت بأججاري وأوجرت المر من أشجاري، فوالله ما تلبست منها اليوم بشيء قديم ولا حديث، ولا استأثرت بطيب فضلا عن خبيث وما أنا إلا عابر سبيل، وهاجر مرعى وبيل، ومرتقب وعدا بدر (٥١٣) فيه الإنجاز، وعاكف على حقيقة لا تعرف المجاز، قد فررت من الدنيا كما يفر من الأسد، وحاولت قطع المداخلة (٥١٤) حتى بين روعي والجسد، وغسل الله قلبي - من الطمع والحسد، فلم أبق علامة (٥١٥) الا قطعتها، ولا جنة للصبر الا ادرعتها، أما اللباس فالصوف. وأما الزهد

فيما بايدي / الخلق في معروف وأما المال الغبيط فعلى الصدقة مصروف، وواله لو علمت أن حالي هذه تتصل، وعراها لا تنفصل، وترتيبى هذا يوم، ولا يحيرني (٥١٦) الوعد المحتوم، والوقت المعلوم، لمت أسفا، وحسبى الله وكفى. ومع هذا يا سيدي فالموعظة تتلقى من لسان الوجود، والحكمة ضالة المؤمن يطلبها ببذل المجهود، ويأخذها من غير اعتبار بمحلها المذموم، ولا المحمود، ولقد عملت نظري فيما يكافىء عني بعض يدك، أو ينتهي في الفضل الى أمك، فلم أر لك الدنيا كفاء لو كنت صاحب دنيا، ووجدت (٥١٧) بذل النفس قليلا [لك] (٥١٨) من غير شرط ولا ثنيا، فلما ألهمني - جل جلاله - الى مخاطبتك بهذه النصيحة المفرغة في قالب الجفاء، لمن لا يثبت عن الصفاء، ولا يشيم بارقة الوفاء، ولا يعرف قانورة الدنيا معرفة مثلي من المدنسين (٥١٩) بها المنهمكين، وينظر عوارها الفادح (٥٢٠) بعين اليقين، ويعلم أنها المومسة التي حسنها زور، وعاشقها مغرور، وسرورها شرور، تبين لي أنني قد كافيت صنيعتك المتقدمة، وخرجت عن عهدتك الملتزمة، وأمحضت [لك] (٥٢١) النصح الذي يعز الله ذاتك، ويطيب حياتك، ويحيى مواتك، ويريح جوارحك من النصب، وقلبك من الوصب (٥٢٢)، ويحقر الدنيا وأهلها في عينك اذا اعتبرت، ويلاشي عظامها لديك اذا اختبرت، كل من تقع عليه عينك حقير (٥٢٣) قليل، وفقير دليل، لا يفضك بشي، الا باقتناء رشد أو ترك غي، أثوابه النبيهة يجردها الغاسل، وعروة عزه يفصلها الفاصل، وماله (٥٢٤) الحاضر الحاصل، يعيث فيه الحسام الفاصل، والله ما تعين للخلف الا ما تعين للسلف، ولا مصير الجموع الا التلف (٥٢٥)، ولا صح من «الهياط والمياط» [127]، والصياح والعياط، وجمع القيراط الى القيراط [128]، والاستظهار بالوزعة والأشراط، والخبط والخباط، والاستكثار / والاعتباط، والغلو والاشتطاط (٥٢٦)، وبناء الصرح وعمل الساباط [129]، ورفع العمدة وإدارة الفسطاط، إلا ألم (٥٢٧) يذهب القوة، وينسي الآمال المرجوة، ثم نفس يصعد، وسكرات تتردد، وحسرات لفراق الدنيا تتجدد، ولسان يتقل، وعين تبصر الحق (٥٢٨) وتمقل، «قل هو نبياً عظيماً، أنتم عنه معرضون» [130]»، ثم القبر وما بعده، والله منجز وعيده [ووعده] (٥٢٩)، فالاضراب الاضراب، التراب التراب، وإن اعتذر سيدي بقلة الجلد، لكثرة الولد، فهو ابن مرزوق لا ابن رزاق، وبيده من التسبب ما يتكفل بإمساك أرقام، أين النسخ الذي يتبلغ الإنسان بأجرته، في كن حجرته، لا بل السؤال الذي لا عار عند الحاجة بمعرفته، السؤال والله أقوم طريقاً، وأكرم فريقاً (٥٣٠)، من يد تمتد الى حرام، لا يقوم بمرام، ولا يؤمن من ضرام، أحرقت فيه الحلل، وقلبت الأديان والمثل، وضربت الأبخار ونحرت العشار، ولم يصل منه على يد واسطة السوء المعشار، ثم طلب عند الشدة، ففضح، وبان شؤمه ووضح اللهم،

طهر منها أيدينا وقلوبنا، وبلغنا من الانصراف إليك مطلوبنا، وعرفنا بمن لا يعرف غيرك، ولا يسترفد الا خيرك، يا الله. وحقيق على الفضلاء إن جنح سيدي منها الى إشارة، أو أعمل في اجتلائها إضبارة (٥٣١) أو لبس منها شارة، أو تشوف لخدمة إماره، ألا يحسنوا ظنونهم بعدها باين ناس، ولا يفتروا بسمة ولا خلق ولا لباس، «فما عدا عما بدا». يتقضي العمر في سجن وقيد، وعمرو وزيد، وضر وكيد، وطراد صيد، وسعد وسعيد، ووعد ووعيد (٥٣٢)، فمتى تظهر الأفكار، ويقر القرار، وتلازم الأذكار، وتشام الأنوار، وتتجلى (٥٣٣) الأسرار، ثم يقع الشهود الذي تذهب معه الأخبار، ثم يحق الوصول الذي إليه من كل ما سواه الفرار، وعليه المدار، وحق الحق الذي ما سواه فباطل، والفيض الرحماني، الذي - سبحانه - هاطل (٥٣٤)، ما شابت مخاطبتي هذه شائبة تريب، ولقد / محضت لك ما يحضه للحبيب الحبيب، فتحمل جفائي الذي حملت عليه الغيره (٥٣٥)، ولا تظن بي غيره، وإن لم يكن قدرتي مكاشفة سيادتك بهذا البث (٥٣٦)، في الأسلوب الغث (٥٣٧)، فالحق أقدم، ويناؤه لا يهدم، وشأني معروف في مواجهة الجبابرة، على حين يدي الى رفدهم ممدودة، ونفسي في النفوس المتهافتة عليهم معدودة، وشبابي فاحم، وعلى الشهوات مزاحم، فكيف بي اليوم مع الشيب، ونصح الحبيب، واستكشاف العيب، إنما أنا اليوم على كل من عرفني ثقيل (٥٣٨)، وسيف العدل في كفي صقيل، أعذل أرباب (٥٣٩) الهوى وليست (٥٤٠) النفوس في القبول سوا، ولا لكل مرض دوا، وقد شفيت صدري، وإن جهلت قدرتي، فاحملني، حملك الله على الجادة الواضحة، وسحب عليك سر الأبوة الصالحة. والسلام.

ازجال لابن الخطيب

صدر عني لهذا العهد من المنظوم في فن الزجل، أزجال على طريقة الصوفي المحقق أبي الحسن الششتري [131]، رحمه الله ونفع به فمن ذلك قولي (٥٤١):

مَنْ عَوَّلَ عَلَى صَفَلٍ وَلَمْ يَلْتَفِتْ عَقْلٌ وَاتَّحَدَّقَ (٥٤٢) إِذْ يَنْتَلَفُ فَصَلُّ يَتَحَقَّقُ

ومهما يبر النقطا
يتحرز من الفلطا
ويمشي على الفلطا (٥٤٥)

تريد (٥٤٤) أن تكون دارا
إن الحبال غارارا
ويجعلها سيارا

عَدَّ يَمْتَنِعُ (133) شَكْلٌ وَيَطْرُدُ وَفِي رَكْلٌ تَمْتَرُقُ يَنْبُتُ كَثِيرٌ رَجُلٌ أَوْ يَزْهَقُ (٥٤٦)

ويطالع مع التركيب
ويرجع على الترتيب
[ويرقق بالتدريب

على السلوم (٥٤٧) العالبي
إلى المركز (٥٤٨) التالبي
يرد الجديد بالسي [٥٤٩)

وَحِينَ يَبْقُ مَعَ كُلِّ يَحْصُلُ الْوُجُودُ كُلُّ الْمَطْلُوقِ وَحِينَ يَفْنُ مَوْقِلًا (٥٥٠) حَقُّ الْحَقِّ

من رجع إلى ذات
يد (٥٥١) يفرح بلذات
وتغلب (٥٥٢) أوقات

يصير لالفنا قبا
يرد الخيوط كبا
ويد (٥٥٣) يفتق [134] الجبا

إِيكَ يَغْلِبُ جَهْلٌ وَيَهْتَفُ لغيرِ أَهْلِ أَوْ يَلِيقُ (٥٥٥) حِفْظُ السِّرِّ أَشْكَلُ (135) أَوْ أَلِيقُ (٥٥٦)

الشوق طريق قاصد
وكل سوى (٥٥٨) زائد
فمن ينصر الواجد

والوجد ينقذ فيه (٥٥٧)
والوجه (٥٥٩) التوجيه
وكل ما يطأ فيه (٥٦٠)

فقد أنجم (٥٦١) شملٌ وَجَنَحَ بَعْدَ نَمَلٌ وَاتَّعَلَقَ تَرَكَ قَوْلَ مَنْ قَلَّ (137) وَاشْتَلَقَ

قَدِمْتُ الزُّجَيْلَ حَقًّا
شَقَقْتُ الطَّلِيَّ شَقًّا
عَرَّضْتُ مِنَ شَكَا الْفَرْقَا

وَالْوَقْتُ مَلِيحٌ مَجْمُوعٌ
وَالْيَوْمُ كَبْرٌ مَرْفُوعٌ
وَعَنَى وَهُوَ مَفْجُوعٌ (٥٦٢)

أَحْرَمَنِ الْمَلْحَ وَصَلْتُ حِينَ قَطَعُ وَمَا وَصَلْتُ

وَأَخْلَقْتُ مِنْ تَيْهٍ وَمِنْ مَطَلُ صَبْرْتُ أَحْمَقُ

وقلت أيضا : (٥٦٣)

بِئْسَ طَلُوعٌ وَبِئْسَ نُزُولٌ (٥٦٤)
وَفَنَسِي مَنْ لَمْ يَكُنْ
أَنَا لَيْسَ نَشْكُرُ خَلِيعٌ [138]
حَتَّى يَقْطِعَ فِي الْقَطِيعِ [139]
إِنْ نَبَتْ جَرِي (٥٦٦) سَرِيْعٌ
يَحْلُلُ لَكَ إِنْ تَجَسَّوْلُ
وَلِنْ أَرَدْتَ كَنْ مَرَا [141]
فَإِذَا نَظَرَ إِلَى بِنْتِ
كُلِّ شَيْءٍ يَظْهَرُ لُ فِيهَا
يَحْتَجُّ أَنْ (٥٧١) يَشْدُدَ يَدَيْهِ
فَهِيَ صَبِغٌ (٥٧٢) قَدْ تَحَوَّلُ
وَالْكَحْلُ مِنَ الْعِيْبُونِ
شَمْسٌ مَعَ ظَلِّ اخْتَلَطُ
وَبَدِي نُورٌ (٥٧٦) الْفَلْطُ
وَجَّ يَلْعَبُ وَسَقَطُ
وَقَالَ أَشْرُ ثُمَّ يَا طَلُوسُ
فَلَا تَحْرَبِ الْحَطَّانَ (٥٧٩)
مَنْ مَشَى وَلَسَ يَمِيْلُ (٥٨٠)
فَإِذَا شَعَرَ وَصَلُ
مَنْ لِيهِ (٥٨٢) يَتَمَسَّلُ
وَتَدْرُ لَوْ الْمَسْوَلُ [144]
يَسْتَوِي صَحْبُ الْخَطَابِ
وَيَرَى السَّنِينَا تَدْرُ (٥٨٤)

اخْتَلَطْتُ [لك] (٥٦٥) الْفُزُولُ
وَبَقِيَ مَنْ لَمْ يَكُنْ
إِنْ تَمَلَّ وَلِنْ صَحَا
وَيَسْدُرُ بِحَالِ رِحَا
وَشَرِبَ حَتَّى اسْتَحَا (٥٦٧)
أَوْ مَرَّ [140] أَحْرَزَ الْعَجُولُ (٥٦٨)
وَلِنْ أَرَدْتَ كَنْ رَجُلُ
وَرَأَى ذَاتُ مَرَا (٥٧٠) [142]
وَلَا يَدْرُ كَيْفَ طَرَا
عَنْ يَرْجِعُ لِسْوَارَا
يَعْرِفُهَا (٥٧٣) الْفُحُولُ
قَلَّ مَا تَحْتَجُّ (٥٧٤) كَحْلُ
وَاخْتَفَّتْ عَنِ الْحَدُودُ (٥٧٥)
يُودُ تَجْرِيحِ الشُّهُودُ [143]
وَضَحَكَ مِنْ (٥٧٧) الْوُجُودُ
اتَّخَذَ (٥٧٨) وَلَا حَالُوسُ
وَلَا تَخَلَطُ التُّلُوسُ
قَالُوا : (٥٨١) يَقْطَعُ الطَّرِيقُ
وَلِنْ غَفَلُ فَهُوَ غَرِيبُ
فَإِذَا جَازَ الْمُضِيْبُ
وَتَلَدُ لَوْ الْعُسُولُ (٥٨٢)
وَالْمَخَاطِبُ وَالرُّسُولُ
وَالطَّلُوعُ مَعَ الْهَبُوطُ

/205 /

وَيَرْكَبُ الْأُمُودَ وَيَحْتَـلُ الرِّبَاطَ
 وَلَا يَتَّـرِكُ الحَضْرَـةَ وَلَا يَهْمِلُ الشُّرُوطَ
 مَا بَقِيَ لِي مِمَّا نَقُولُ قَدْ طَبَخْتُ (٥٨٥) لَكَ البَقُولَ (٥٨٦)
 غَيْرَ أَنْ ذَا الْأُمُودِ لَسَ مِنْ طَوْدِ العُقُولِ

وقلت أيضا : (٥٨٨) /20٤

أَنَا لَسَ نَضْمَنُ أَبْدَأَ لِمِدْكَأ وَلَا يَلْطُمُ ظَهْرِي بِمِحْكَأ (٥٨٩)

كُنْ (٥٩٠) مَعِي مَعْشُوقٌ (٥٩١) إِنْ مَلِيحٌ وَمَهَاوِدُ (145)
 قَلْتُ زَيْنٌ أَخَذْتُ صَدِّكَ (٥٩٤) بِزَايِيدُ
 إِنْ عَمَلُ قَلِ (٥٩٥) ذَا المَلِيحِ العَوَايِيدُ

دَكَ طَوْدِي لَمَّا تَجَلَّى لِي دَكَأ (٥٩٦) وَشَبَّكَ فِي خَنَاقِ فَرْدَامِ شَبْكَأ (٥٩٧)

خَلَعَ أَثْوَابَ حَتَّى تَعْلِي (٥٩٨) خَلَعَهَا
 وَصَفَايِخَ حُمَارِي وَاللَّهَ قَلَعَهَا
 ثُمَّ فَرَقَهَا بَعْدَ ذَا (٥٩٩) وَجَمَعَهَا

وَدَلَّكُنِي وَمَزَّقَ أَشْلَاقِي دَلْكَأ (٦٠٠) وَفَنَيْتُ (٦٠١) بَيْنَ يَدَيْهِ وَهَلَكُمِي هَلْكَأ

قَالَ تَفْتَشُ فِي الجِبَالِ (٦٠٢) وَالخَنَادِقِ
 وَإِنْ مَا عَكَ تَبْصِرُنِ لَوْ كُنْتُ صَادِقُ (٦٠٤)
 أَنَا هُوَ الجَزُودُ (146) وَأَرْضُ البِنَادِقِ

وَأَنَا هَلْبُ (٦٠٥) وَحِمِصٌ وَعَمْكَأ وَأَنَا هُوَ أَبُو قُبَيْسٍ وَمَمْكَأ

وَخَذَ رُوحِي بَيْنَ (٦٠٦) أَحْصِمٍ وَدَمِّسِي
 وَتَلَفَّنِي بَيْنَ الإِسْمِ وَالْمُسْمَى
 وَاخْتَبَرَنِي بِفَكَ قَفْلِي المَغْمِي (٦٠٧) (148)

ثُمَّ وَحَكْ (٦٠٨) اذْنِي حَكًّا لَا غِنَى أَنْ تَفَكَّ ذَا الْقَفْلِ فَكًّا

سَخَّرَ اللَّهُ وَدَّرَتْ بِهِ (٦٠٩) رَفَكَكَتُ
فَمَلَكَتْنِي مِنْ بَعْدِ ذَا وَمَلَكَتُ
وَالْوَجُودُ كُلُّ جُكْتُ فِيهِ وَسَاكَتُ

فَأَنَا فِيهِ بُحَالٌ قَلْبِي (٦١٠) فَبِرْكَأ (٦١١) لَا مَنُغِّصُ وَلَا رَقِيبٌ وَلَا شَرْكَأ

ثُمَّ لَمَّا رَجَعْتِ عَنْ لَحَاسٍ (٦١٢)
قُلْتُ مَوْلِي أَيْنَ فَصَلِّ وَجُنُوسِ
قُلْ تَرَانٍ لَا تَحْتَجِبُ عَنْكَ شَمْسِي

أَحْمَ قَلْبِكَ وَأَسْبُوكَ بِالشُّوقِ سَبْكَأ لَسْ يَقَعُ طَابِعِي عَلَى غَيْرِ سَبْكَأ (٦١٤)

وقلت أيضا : (٦١٥)

(طبع الذيل)

الْبُعْدُ عَنْكَ يَا بَنِي
وَحِينَ حَمَلٌ (٦١٦) قُرِيُوكَ
أَكْبَرَ مَصْرَائِي سَبْكَأ
سَبْكَأ أَقَارِي سَبْكَأ (٦١٧)

يُوحِشُ (٦١٨) فِيكَ ظُهُودِي
وَنَذُكُ وَتَذُفُشُ
مَنْ بَعْدَ غِيَمَاتِي
مَنْكَ قَلْبِي سَبْكَأ [150]
تَقْبِضُنِي سَبْكَأ (٦٢٠) هَيْبَتِي
يَسْطُنُ مَعَكَ (٦١٩) أَنْسِي

لَوْ بَانَ طِبَاعُكَ (٦٢١)
أَنْ (٦٢٢) صَبَبْتُ مِنْكَ خَلْوًا
وَإِخْرَجَ قِيَامِي
تَنْشَبُ مَخَالِبِي

سَقَيْتُنِي سَبْكَأ (٦٢٣)
وَكُنْتُ لِي الْمَوَانِسُ
وَأَمُّ نَزَلِ عَدِي سَبْكَأ
مَنْ خَمَّرَكَ (٦٢٤) الْقَدِيمُ
وَكُنْتُ لِي النَّدِيمُ (٦٢٥)
وَصَبَرْتُ بِكَ مَرْقَنَةً

وَلَمْ يَكُنْ شَرَابِي سَبْكَأ
وَأَنْمَسَا بِفَضْلِ سَبْكَأ
مَنْ قَرَضَ شَرَابِي (٦٢٦)
تَمَسَّتْ مَخَالِبِي

[[يَاكَ لَا تَنْظُرُ اثْنَيْنِ
مَا تَمُّ إِلَّا وَاحِدٌ
وَأَفْهَمُ ذِيكَ الْمَعَانِي
وَأَنْجَمَ بِذَاتِكَ
غَيْرَكَ عَلَى صِفَاتِكَ

لَا تَسْمَعُ الْفَاطِطُ
أَنْتَ هُوتَ (١٢٧) فَفَاطِطُ
وَاحْذَرُ ذِيكَ التَّقِطُ
لَسَّ تَسْمُ طَالِبِي
مِنَ الْأَقْبَارِي [١٢٨]

يَا مَنْ يَقُولُ كَثِيرٌ (١٢٩)
حَقًّا تَرَى الْكَوَاكِبُ
مُطَلَّقَ نَظَرْتُ فَانْكَسَّعَ (١٣٢)
مَا تَمُّ غَيْرَ (١٣٣) وَاحِدٌ
وَالْكَوْثُ مِثْلُ كَثْرَةٍ

فِي النَّاسِ (١٣٠) هُمُ الْمِصْلَاحُ
مَعَ طَلْعَةِ (١٣١) الصَّبِيحِ
وَأَرْجِعْ لِلْإِنْطِ بِسَاحِ
فَافْطِنُ (١٣٤) يَا صَاحِبِ
جَوْزِ الْعَجَائِبِ

تَمَّ الزُّجَلُ فَسَاءَ مَا
عَمَلٌ مُحَقَّقٌ (١٣٥) إِنْ جِيءَ
فِي قَدْ زَجَلٌ عَاشِقٌ

وَجَّ كَمَا تَرَى
لَوْشِي وَشُشْتِي رِي [151]
خُبْسَارٌ قَدْ ذُرِّي (١٣٦)

نَيْكِي وَكَيْفَ لَا نَبْكَي
وَدَعْتُهُمْ وَسَارَتِ

عَلَى حَبَائِبِ
عَنْهُمْ رَكَابِ

وقلت أيضا : (٥٣٧)

[عرق عرب ورملة مائة] [152]

دُرُّ بِحَالِ الرَّحِي حَتَّى لَسَّ يَبْقَى عِنْدَكَ يَا بِنِ فِي الْحِي حِي

قُطِبُ مِنْ ذَاتِكَ اَعْمَلُ (١٣٨)
لَا يَهْلِكُ الْرَوِي أَبُوكَ
فَإِذَا رَأَيْتَ دَقِيْقَكَ

وَعَلِيَّةُ الْمَسْدَارُ
لَا يَهْلِكُ الْغَبَارُ (١٣٩) [153]
قَدْ طَلَعَ ثُمَّ فَارَ (١٤٠) [154]

احْتَفِظْ يَا أَحْيَ بِرُسَيْمَلِكَ وَاحْذَرُ (١٤١) أَنْ تَكُونَ بِهِ سَخِي (١٤٢)

وَأَمَّشِ لِلدَّيْنِ مِنْ ثُمَّ
مَنْ أَوْبِنِي (١٤٤) وَفِيهَا
وَمَا صَاحِبُ الدَّيْنِ

وَتَدْرِي (١٤٣) فِيهِ قُنُونُ
مَا يَقْبِرُ الْعَيْنُونُ
فَهُوَ فَوْقَ الظَّنُونُ

/20

إن دعاك (٦٤٧) بالثَمِي (٦٤٨) اجْرٍ خُذْ لَّ يعطيك ثم رَدَّ الوُءِي

أنا حين جيتُ قامِندُ
ورجِعْ ذلَّ عَزَا
قلتُ يا حبيبي
أنتَ واللَّه أنَا

قال بينه شُوي (٦٤٩) إذا حَقَّقْتَ تَحْمَقُ وتَشُقُّ المَلُوي (٦٥٠)

امشِ رَكْبَ وجَلْبَلْ
وادرِ كُلَّكَ وِبِدُّكَ (٦٥١)
فإذَا رأيتَ ديري (٦٥٤)
يَنْصَرِفُ (٦٥٥) لِلْمَجْسي

ودَجَّعَ لَكَ مُرِي ارتَجَّ السكْنى ماع (٦٥٦) قد تركتُ الكُرِي

تم هذا الزَجِيْلُ
سَقَّتْ لكَ فِيهِ ذَا الْأَسْرَارِ (٦٥٧)
والى القاضِ نَدْعِيكَ
وَجَّ وَاللَّه حَسَنُ
ولا تَطْلُبْ (٦٥٨) ثَمَنُ
الفقسي بن الحسن (٦٥٩) [155]

أو الى بن جُرَيْ (156) إن لم اشْ تَدْرِ قَدْرُ (٦٦٠) أو نُسَمِيكَ قَلِي (157)

وتذكرت من المغرب في هذا المعنى قولي :

(مع الرمل)

10 /

أنتَ في حَسَنِكَ فَرْدُ
أنتَ بِبَدْرِ إِنْتَ شَمْسُ
أنتَ خَمْرُ أنتَ ثَمْرُ
أنتَ مَعْنَى العَشِيقِ لَوْلَا
أنتَ مَعْنَى المَعْمَانِي
أَيْنَ أَيْنَ أَيْنَ بَيْنَ
وإذا صَحَّ الهَوِي فإلَّه سَمْرُ فِي عَذَابِكَ شَهْدُ
وَأَنَا إِنْ صَحَّ قَوْلِي
نَبَذْتُ القِيْدَ مَوْلِي
حَصْحَصَ الحَقُّ وَمَا بَعْدُ
كُلُّ حُسْنٍ مِنْكَ يَبْدُو
أنتَ أَسُّ أَنْتَ وَرْدُ [158]
أنتَ لِحِطِّ أَنْتَ خَدُّ
ك سَلَا بِشِيرٍ وَمَنْدُ
أنتَ كَمَلٌ أَنْتَ بُمْدُ
أَيْنَ قَبْلُ أَيْنَ بَعْدُ
وَجَرِي رَسْمٌ وَجَدُ
أَوْ تَقِيْدَتُ فَمَعْبُدُ
د بُلُوغِ القَصْدِ قَصْدُ

وقلت من الهزل بطريق الرجوع :

شعر

أَفْرَحُوا وَطَيَّبُوا قَدْ مَضَى عَدُوُّ اللَّهِ
وَأَنْجَبَرُ حَبِيبِي وَانْجَبَرُ حَبِيبِي
كَانَتْ الْبِلَادُ وَأَهْلُهَا نَعِمَ فِيهَا رَغِيْبَانَا
لَمْ تَرَ نَهَارَ فِيهَا ضَوْ وَلَا بَعْدُ طَيِّبَانَا
كَيْفَ لَ وَقَدْ صَارَتْ أَرْمُلًا غَرِيْبَانَا
يَا لَلَّهِ وَيَّيْ نَصِيْبُ قَدْ رَفَعْتُ مِنْ شَوْقِي
وَالْأُمَمُ مِنَ الْحَسَنَاتِ لَمْ غَابَ نَصِيْبِي
وَالْعِيُونُ عِيُونُ تَجْرِي دُونَ شَرَابِ سَكْرَانَا
وَالَّذِي ظَفَرَ مِنْهُمْ وَالْقُلُوبُ حَيَارَانَا
يَجْعَلُو فِجِيْبِي عَسَى يَنْطَفَا وَجْدِي
عَشْرَ كُنْ هَذَا الْحَادِثِ وَيَسْكُنُ وَجِيْبِي
سَقَطَتْ بِهِ الدُّنْيَا فِي الْفَالِكِ وَغَلَطَا
يَسْتَفِيْتُ ذَاكَ الْمَوْلَى فِرْدَامِ [159] سَقَطَا
وَلَا مَنْ يَجِيْبِي اسْتَوَى الْوَطْنَ كُلَّهُ
وَمَرْضُ دِيْنِ الْإِسْلَامِ خَلْفَ مَعْ نَجِيْبِي
وَلَا مَنْ يَسُدُّ النَّوْمَ حَتَّى كَادَ يَغْمُضُ [162]
كُلُّ أَحَدٍ سَأَلَهُ فِيهِ وَلَا مَنْ يَغْمُضُ [163]
حَتَّى جَاءَ طَيِّبِي لِلْقَضَا وَفَوْضُ
بِمَحْمَدِ الْمَوْلَى فَزَالَ الْأَلَمُ وَالْبُوسُ
وَرَجِعَ بِهِ الْإِسْلَامُ عَزُّ دِيْنِ مُحَمَّدٍ [164]
وَدَاتُ بِهِ الدُّنْيَا كَمَا كَانَ مُمَهَّدُ
وَصَلَّ غَابَ رَقِيْبِي وَسَعَادَةُ أَنْ تَبْقَى
يَنْزِلُ الْفَرْجُ لَنَا فِي عَقَبِ عَقِيْبِي
وَلَكِنَّهُ هُوَ الْوَلُّ النَّاسِ تَنْتَهِي الشَّدَايِدُ
أَيُّ وَطْنٍ رَأَى قَمْنَدُ بِالْجَمِيْلِ عَوَايِدُ
وَمَنْ نَاهُ بِزَايِدُ وَمَنْ نَاهُ بِزَايِدُ

/21

انجبر غريبٌ والتحف بستر الله بريته مع مريبو

لولا شفقة السلطان
ما اجتمع شمل [165] إنسان
الإله يعين
فيها مع يمين
ومن يعجبك دنياه
أو يعجبك دين

فقيه مع خطيبُ قال للفنش نومتار ياشنيور قطيبو (166)

قل للاندلس عنبي
ومن بعد ذا نرجع
كيف نسيتني بالحق
وقدرت ترفد
كن نزيد بعدد
الوصل نجدد
وقدرت ترفد

الاله حسيبو كل من يخون إلف أو يهجر حيبو

من لا يعرف النعمة
وقلاليس الكشفا
ويندم لأمران فسات
وه رد يصعب
فزواها يرقب
بيض ولد تنقب
وه رد يصعب

ويرب حيبو ويرى ما بي ولد وما بي ريبو

قد رجع لفضل الله
الله يلهمو شكور
أي هنبي أي فرحنا
المفصوب لولاه
في الذي قد ولاه
يا حيايب الله

أفرحو وطيبو قد مضى عدو الله وانجبر حيبو /

هوامش الفصل الثامن

- (١) وردت هذه الرسالة في ربحانة الأسكوريال، ل ١٣٤١٣، وفي المطبوع /١-٤٩٠-٥١. وفي النسخ /١-٣٢١-٣٢٦.
- (٢) م : تستد، تصويبه من ر ١٣٠، و ن /١-٣٢١.
- (٣) ر، ن : حالات صفاتها.
- (٤) ن : نوات.
- (٥) ر : كبد، ولعلها كتد السماء.
- (٦) ساقطة من ر، ن.
- (٧) ن /١-٣٢٢ : الجادة.
- (٨) ر. ١٣، و، ن : الأسمى.
- (٩) ن : الجلة.
- (١٠) م : الأعلام، والأنسب ما أثبتناه من ر، ن.
- (١١) من ر ن.
- (١٢) ر، ن : على.
- (١٣) ر : العج والبع والثج.
- (١٤ - ١٥) و (١٦ - ١٧) ساقط من ن.
- (١٨) ر ١٣١ ط، ن ٣٢٢ : رحمهم الله بالأمس.
- (١٩) من ن.
- (٢٠) م : خفت.
- (٢١) ن : يفاوح أرجه زهير، ويحاسن.
- (٢٢) ر، ن : أبوتكم.
- (٢٣) ر : النظر.
- (٢٤) م : محي الواو، تصويبه من ر، ن /١-٣٢٢.
- (٢٥) ر ١٣١ ط، ن /١-٣٢٣ : تربته.
- (٢٦) ر : في أغماد.
- (٢٧) ن : المعاني ما.
- (٢٨) ر : لمقام أبوتكم.
- (٢٩) ساقطة في ر، ن.
- (٣٠) من «ن».
- (٣١) ن : يعلم ما.
- (٣٢) من ر، ن.
- (٣٣) ر، ن : تلك.
- (٣٤) ساقطة من «ر»، «ن».
- (٣٥ - ٣٩) ساقط في ن /١-٣٢٤.

- (٣٦) م : توديبها . تصويبه من ر .
(٣٧) م : يفخر، والصواب ما أثبتناه من ر .
(٣٨) ر ١٣١ و : اعتقدته .
(٣٨ - ٤٢) ساقطة من «ن» ٣٢٤/١ .
(٤٠) ر ١٣١ و : وداع البراع شوق .
(٤١) ر : وليغ .
(٤٣ - ٤٤) ساقطة من «ن» .
(٤٥) ن : غياب
(٤٦) من ر، ن .
(٤٧) زيادة من ر، ن .
(٤٨) ساقطة من «ن» .
(٤٩) من ر، ن .
(٥١) ن ٣٢٤ / ١ : واكله للشبال .
(٥٢) ر ١٣١ و : تخيلهم .
(٥٣) ن : الا ان يتفضل الله بحسن العاقبة .
(٥٤) ر، ن : الهمز والنيز .
(٥٥) ن : الأدعية .
(٥٦) ن ٣٢٥ / ١ : الخوذ .
(٥٧) م : عن، والأنسب ما أثبتناه من ر، ن .
(٥٨) ر ١٣١ و، ن ٣٢٥ / ١ : وفازت .
(٥٨) رن وطرقت خيل طارق .
(٦٠) ن : باجنحة .
(٦١) م : فلوخت، تصويبه من ن ١ / ٣٣٥ .
(٦٢) غير واضحة في المتن، تصويبها من ر ١٣٢ ظ، ن ١٢٦ / ١ .
(٦٣) ر : الحرب .
(٦٤) ن : حين .
(٦٥) ن : واشتد بالمدافعة .
(٦٦) م : الدر، تصحيحه من ر، ن .
(٦٧) ن ٣٢٦ / ١ : الى ما .
(٦٨) الى هنا ينتهي ما ورد في النسخ ٣٢١ / ١ - ٣٢٦ . أما الجزء التالي فقد ورد في النسخ ٩٠ / ٥ - ٩٤ .
(٦٩) ن ٩٠ / ٥ : الينا تراثهم .
(٧٠) ن : العادي ،
(٧١) ن : فسح الدارة .
(٧٢) ن : السيارة والعبارة .

- (٧٣) م : ونولي.
- (٧٤) ر ١٣٢ و : يكون.
- (٧٥) ن : بالمرأة.
- (٧٦) ر ١٣٢ و : برماده، وفي ن ٩١/٥ : برماد علا.
- (٧٧) ن : بمكان.
- (٧٨) ساقطة في «ن».
- (٧٩) ر : مبيتنا.
- (٨٠) م : حرسه العورة، وصرها وما أثبتناه من «ن»
- (٨١) ن : والدائرة بنا.
- (٨٢) ن ٩١/٥ : لحكم الأقدار.
- (٨٣) من «ن».
- (٨٤ - ٨٥) ساقط من «ن».
- (٨٥) ن : بموجب الإستقرار.
- (٨٧) ن : وتلقي.
- (٨٨) م : مخفق، والأنسب ما أثبتناه من ر ١٣٣ ظ، ن ٩٢/٥.
- (٨٩) م. جانب، تصويبه من ر، ن.
- (٩٠) ن ٩٢/٥ : كرم.
- (٩١) ن : فاجزل.
- (٩٢) ن : وخير.
- (٩٣) ن : الخزي.
- (٩٤) م : الجزالة، تصويبه من ر ١٣٣ ظ، ن
- (٩٥) ن : انكشفت سريرته.
- (٩٦) ن : اليه.
- (٩٧) م : الجماعة، تحريف صححناه من ر ١٣٣ ظ، ن ٩٢/٥.
- (٩٨) م : تتقارب.
- (٩٩) ن : ويتقدمنا الدعاء.
- (١٠٠) عن البلاد : ساقطة من ر، ن.
- (١٠١) من ر، ن.
- (١٠٢) ن ٩٣/٥ : ويهرجه.
- (١٠٣) م : وظاهر.
- (١٠٤) ن ٩٣/٥ : بمسور.
- (١٠٥) ر ١٣٣ و، ن : البنية.
- (١٠٦) ن : رجع.
- (١٠٧) ن : لم ترومذ غبنا من.
- (١٠٨) م : طاشت، تصويبه من المرجعين.

- (١٠٩) م : وعاجبنا، تحريف صححناه من ر، ن.
(١١٠) ن ٩٤/٥ : الشريفة.
- (١١١) م : مدارها، تصحيحه من ر ١٣٤ ظ، ن.
(١١٢) ن : دركات.
- (١١٣ - ١١٤) ثبت في «ن» بالصورة الآتي : ما فيه مما ورد وایاه سبحانه نسال.
(١١٥) ن : دواعي.
- (١١٦) ٩٤/٥ : لا يوتكم ما .
(١١٧) ن : وعزته وكومه ومنته.
- (١١٨) ساقطة من «ن».
- (١١٩) وردت هذه الرسالة في ریحانة الاسكوريال لوحة ١٣٦، وفي ط. القاهرة ١/٥٠٧ - ٥٠٩ .
وفي النسخ ٢٧١/٦ - ٢٧٣ .
- (١٢٠) م : من، لكن السياق يقتضي ما أثبت من ر ١٣٦ ظ، ن ٢٧١/٦ .
(١٢١) ن : لمقامه.
- (١٢٢) م : اشد، تصويبه من المراجع.
(١٢٣) ن : يبلغا.
- (١٢٤) م : ويمثل الرسوم، الأنسب ما أثبتناه من ن.
(١٢٥) ن : ٢٧٢/٦ : يعلمه.
- (١٢٦) ر ١٣٦ ظ، ن : الصادق البيان.
(١٢٧) م : دارك تصويبه من ر، ن.
- (١٢٨) م : قصدها تصحيحه، من ر ١٣٦ و، ن.
(١٢٩ - ١٣٠) ساقط من «ن» ٢٧٣/٦ .
- (١٣١) ن : عرفتم.
(١٣٢) ن : ونواصلها.
- (١٣٣) ن : في نفسه ودينه وماله وعياله.
- (١٣٤) ثبتت هذه الرسالة في ریحانة الاسكوريال لوحة ١١٩، ط. القاهرة ٢/١٢٩ - ١٧١ .
(١٣٥) م ديان، وهو تحريف وأصح.
- (١٣٦) م : الملوك، والسياق يقتضي ما أثبتنا من ر ١١٩ ظ.
(١٣٧) من «ر».
- (١٣٨) زيادة من ر يقتضيها السياق.
(١٣٩) ر ١١٩ ظ : التقديم.
- (١٤٠) بياض بالأصل، تصويبه من ر.
(١٤١) ر : ولا وزن.
- (١٤٢) زيادة من ر يقتضيها السياق.
(١٤٣) م : غير ميال على سده، والزيادة من ر ١٩٩ و.
(١٤٤) ر : وقع.

- (١٤٥) ر ١١٩ و : والمسمى.
- (١٤٦) ر : وأريس.
- (١٤٧) ر : تازره.
- (١٤٨) م : يعديه، تصويبه من «ر».
- (١٤٩) من ر ١١٩ و.
- (١٥٠) من ر.
- (١٥١) ثبتت في ربحانة الأسكوريال، لوحة ١٣٦ - ١٣٧، ظ - القاهرة ١/٥٠٩ - ٥١٢. وفي النفع ١٨٧/١ - ١٩٠.
- (١٥٢) ن ١٨٧/١ : منه وساقطة في «ر».
- (١٥٣) ر ١٣٦ و : ونعده في الشدائد عدتنا.
- (١٥٤) م : في، والأنسب ما أثبتنا من ر، ن.
- (١٥٥) زيادة من ر ١٣٧ ظ، ن ١٨٧/١ يقتضيها السياق.
- (١٥٦) من «ن».
- (١٥٧) ن ١٨٨/١ : هيا الله تعالى.
- (١٥٨) من «ن».
- (١٥٩) ن ١٨٩/١ : بجناب.
- (١٦٠) ن : بجزيل.
- (١٦١) م : فلع، والسياق يقتضي ما أثبت من المراجع.
- (١٦٢) ن : علي.
- (١٦٣) ن/١٨٩ : لاطنبنا.
- (١٦٤) من ر ١٣٧ و، ن.
- (١٦٥) ر : تكييفات، ن : تكييفات.
- (١٦٦) ن/١٨٩ : عنكم.
- (١٦٧) م : وجلة فكار. وهو تحريف تصويبه من ر ١٣٧ و، ن.
- (١٦٨) ر، ن الدار.
- (١٦٩) م : اتفق.
- (١٧٠) من ر، ن.
- (١٧١) م : يشكر.
- (١٧٢) من ر، ن.
- (١٧٣) وردت هذه الرسالة في ربحانة الأسكوريال، ل ١٧٨ وفي المطبوع ٢/٩٩ - ١٠١. وفي النفع ٣٤٤/١ - ٣٤٦.
- (١٧٤) م : رحماه، وما أثبتناه من ر ١٧٨ و، ن ٣٤٤/١.
- (١٧٥) ن : مواهبه هداية.
- (١٧٦) ن : أقدامكم.
- (١٧٧) م : الجود، تصويبه من ر، ن ٣٤٥/١.

- (١٧٨) ر، ن : خافقة.
- (١٧٩) ن : متوافقة.
- (١٨٠) ر، ن : حجة.
- (١٨١) باطنة، والأنسب ما أثبتناه من ر ١٧٨، ن ٣٤٥ / ٦.
- (١٨٢) ن : الجليل.
- (١٨٣) ن : يرد.
- (١٨٤) ر : الابصار للهمة.
- (١٨٥) ن : ابوابكم الرفيعة.
- (١٨٦) ساقطة من ر، ن ٣٤٦ / ٦.
- (١٨٧) ن : السعد.
- (١٨٨) وردت هذه الرسالة في ربحانة الأسكوريال، ل ١٧٧، وفي المطبوع ٩٥ / ٢ - ٩٦. وفي النسخ ٢٨٥ / ٦ - ٢٨٦.
- (١٨٩) ر ١٧٧ ط : المقام.
- (١٩٠) ن ٣٨٥ / ٦ : انتشارها.
- (١٩١) ن : أبو زيان.
- (١٩٢) ر : ولا شفقة.
- (١٩٣) ر، ن : ابن الخطيب.
- (١٩٤ - ١٩٥) : ساقط من «ر».
- (١٩٦) ن : ٢٨٦ / ٦ : كفل.
- (١٩٧) من ر ١٧٧ ط.
- (١٩٨) ر، ن : حرمتكم.
- (١٩٩) ن : علي يديكم.
- (٢٠٠) م : ورعيت، تصويبه من ر ١٧٧، ن ٢٨٦ / ٦.
- (٢٠١) ن : مجده.
- (٢٠٢) وردت هذه الرسالة في ربحانة الأسكوريال، ل ١٩٦، وفي المطبوع ١٥٩ / ٢ - ١٦٠. مصدرا لها بقوله : «ومن ذلك مما خاطبت به أحد الأجلة بما نصه».
- (٢٠٣) من ر ١٣٦ ط.
- (٢٠٤) م : كانت.
- (٢٠٥) ر ١٩٦ : للاستسقاء بسحابها.
- (٢٠٦) اللفظتان غير واضحتين في المتن، التصويب من ر
- (٢٠٧) م : يلي، والأنسب ما أثبتناه من «ر».
- (٢٠٨) من ر ١٩٧ ط.
- (٢٠٩) م : فلذكة.
- (٢١٠) ر ١٩٦ و : ادعى.
- (٢١١) ر : ما منيت.

- (٢١٢) ر : تامور.
- (٢١٣) م : احتلست.
- (٢١٤) م : مقبلا.
- (٢١٥) وردت هذه الرسالة في ريحانة الأسكوريال، ل ٢٠٣، وفي المطبوع ١٨٣/٢ - ١٨٤.
- (٢١٦) ر ٢٠٣ : سحاختم.
- (٢١٧) م : فحبذا طعام اشتركناه، تصحيحه من «ر» تجنباً للتكرار.
- (٢١٨) ر : ووفاء وفاء السمؤال.
- (٢١٩) م : وما لخدمه.
- (٢٢٠) م : مجيل، تصويبه من «ر».
- (٢٢١) ر : يذكر.
- (٢٢٢) ر : عيد ما.
- (٢٢٣) ر : أشهر.
- (٢٢٤) ر ٢٠٣ و : بساط ترابه.
- (٢٢٥) وردت هذه الرسالة في الإحاطة مخ الأسكوريال ١ / ٢٥٠. وفي ط. القاهرة ٤٤٩/٣ - ٤٥٠. ريحانة الأسكوريال لوحة ٢٠٣، والمطبوع ١٨٥/٢ - ١٨٦، وفي التعريف بابن خلدون، ص ٨٢ - ٨٤ - الفتح ١٧٣/٦ - ٧٤.
- (٢٢٦) ح س. ٢٥٠، ن ١٧٣/٢ : المهدا.
- (٢٢٧) المراجع : اقسمت.
- (٢٢٨) زيادة من المراجع المذكورة ما عدا «ر».
- (٢٢٩) زيادة من المراجع.
- (٢٣٠) ح س. ٢٥٠، ن ١٧٤/٦ : راقني.
- (٢٣١) م : نهى، تصويبه مما ذكر.
- (٢٣٢) م : متحمة.
- (٢٣٣) من المراجع.
- (٢٣٤) المراجع : ووسع.
- (٢٣٥) ثبتت هذه الرسالة في الإحاطة مخ - الأسكوريال رقم ١٦٧٤، السفر الثاني، لوحة ١٦٦.
- (٢٣٦) م : نخر، تصويبه من ح ١٦٦/٢.
- (٢٣٧) ح س : كرم.
- (٢٣٨) بياض بالأصل تصويبه من ح.
- (٢٣٩) : الافات.
- (٢٤٠) ح س : واو المزجاة.
- (٢٤١) من ح س.
- (٢٤٢) م : الهدر، وهو تصحيف.
- (٢٤٣) ح س ١٦٦/٢ : وجلاتها.
- (٢٤٤) وردت هذه الرسالة في الإحاطة مخ الأسكوريال ١ / ٢٥٠ - ٢٥٢، والمطبوع ٥٠١/٣ - ٥٠٧.

- ربحانة الأسكوريال، لوحة ٢١٥ - ٢١٧، والمطبوع ٢٢٦/٢ - ٢٣٢. - النسخ ١٧٤/٦ - ١٨٠.
- (٢٤٥) م : المهالغ، وهو تحريف تصحيحه ما أثبت من المراجع.
- (٢٤٦) ن ١٧٥/٦ : ابدلت.
- (٢٤٧) م : وساد.
- (٢٤٨) م : وسلك، ما أثبت من المراجع المذكورة لتناسبه مع السياق.
- (٢٤٩) ن ١٧٥/٦ : يزلق.
- (٢٥٠) ح س، ن : لزنجي ٢٥١.
- (٢٥١) ر ٢١٥ و : به، ن : بباله.
- (٢٥٢) المراجع : وصخب.
- (٢٥٣) ر : وتجووز.
- (٢٥٤) ح س، ن : الأرض.
- (٢٥٥) م : فهاش، تصويبه من المراجع.
- (٢٥٦) ن : سرباله.
- (٢٥٧) زيادة من المراجع المذكورة.
- ما بين (٢٥٨ - ٢٥٩) ساقط من ح س، ن ١٧٦/٦.
- (٢٦٠) م : تهييب، وفي ح، س، ن : تهيئة، وفي ر ٢١٥ : تهييت.
- (٢٦١) ر، ن ١٧٦ : كان.
- (٢٦٢) م : الخفيف، والأنسب ما أثبتناه من المراجع تجنباً للتكرار.
- (٢٦٣) م : التحاور، وهو تصحيف.
- (٢٦٤) غير واضح في المتن، تصويبه مما ذكر.
- ما بين (٢٦٥ - ٢٦٦) ساقط من ح س، ن ١٧٦/٦.
- (٢٦٧) ساقط من ح س، ن.
- ما بين (٢٦٨ - ٢٦٩) ساقط من ح س، ن ١٧٧/٦.
- (٢٧٠) عند الحاجة، ساقط من ح س، ن.
- (٢٧١ - ٢٧٢) ساقط من المراجع.
- (٢٧٣) ح س، ن : الأشر.
- (٢٧٤) عند العياب : ساقط من المراجع.
- (٢٧٥) هذه الجملة ساقطة من ح س، ن.
- (٢٧٦ - ٢٧٧) ساقط من ح؛ ن ١٧٧/٦.
- (٢٧٨ - ٢٧٩) ساقط من ح س، ن.
- (٢٨٠ - ٢٨١) ساقط من ح س، ن.
- (٢٨٢) ر ٢١٦ ظ : للممانعة، وهي أنسب للمعنى.
- (٢٨٣) ر : النسيم.
- (٢٨٤) ساقطة من المراجع.
- (٢٨٥) ساقط من المراجع.

- (٢٨٦) م : ادريكرت، تصويبه من ح س، ر ٢١٦ ظ.
- (٢٨٧) زيادة من المراجع لضروبة الوزن.
- (٢٨٨) زيادة من المراجع المذكورة.
- (٢٨٩) ن ١٧٩/٦ : تكة.
- (٢٩٠ - ٢٩١) ساقط من ح س، ن ١٧٩/٦.
- (٢٩٢) ر ٢١٦ و : الجوى.
- (٢٩٣) ر : فادر رحيق فؤادي.
- (٢٩٤) ر : حال.
- (٢٩٥ - ٢٩٦) ساقط من ر.
- (٢٩٧ - ٢٩٨) ساقط من ح س، ن.
- (٢٩٩) ر ٢١٦ و : الشهود.
- (٣٠٠) المراجع : عارفة.
- (٣٠١) ح س، ن ١٧٩/٦ : العود.
- (٣٠٢) ساقطة في ح س، ن.
- (٣٠٣ - ٣٠٤) ساقطة من ح س، ن.
- (٣٠٥) ر ٢١٦ و : واقتطف.
- (٣٠٦) ر : بالتمد.
- (٣٠٧) المراجع : لعازل أو عاذر.
- (٣٠٨) ر : مرارة.
- (٣٠٩) ساقط من ح س، ن.
- (٣١٠) ساقط من ح، ن.
- (٣١١) ساقط من ح س، ن.
- (٣١٢) ح س، ن ١٨٠/٦ : الحارث بن هشام.
- (٣١٣) ح س، ن : منهم.
- (٣١٤) المراجع : وتترج.
- (٣١٥) ر ٢١٧ ظ : وتخور، ن : وتحن.
- (٣١٦) م : سرائره، تصويبه من المراجع المذكورة.
- (٣١٨) ثبتت في ربحانة الأسكوريال، لوحة ٢١٧، ظ. القاهرة ٢٣٢/٢ - ٢٣٣.
- (٣١٩) ساقطة من ر ٢١٧ ظ.
- (٣٢٠) ساقطة من «ر».
- (٣٢١) ر : ببلوغ المنى.
- (٣٢٢) ر : بأعظم الجنى.
- (٣٢٣) ر ٢١٧ ظ : بالمضغ.
- (٣٢٤) ر ٢١٧ و : الإقليم.
- (٣٢٥) ر : سمت.

- (٣٢٦) ر ٢١٧ ظ : تروى بالخبر عن العيان وفي م : الحفن بدل الخبر وهو تحريف.
(٣٢٧) من ر.
(٣٢٨) م : فوا، تصويبه من ر.
(٣٢٩) ثبتت الرسالة في ربحانة الأسكوريال لرحمة ٢١٧ - ٢١٨، ط. القاهرة ٢ / ٢٣٣ - ٢٣٧
أحاطة الاسكوريال ١/٢١٧ - ٢١٩، ط. القاهرة ١/٣٥١ - ٣٥٥.
(٣٣٠) م : اقنعنا، وهو تحريف.
(٣٣١) ر ٢١٧ و : وإيثاره.
(٣٣٢) م : المحلة.
(٤٣٣) م : السيادة، وهو تحريف تصويبه من ر، ح س.
(٣٣٤) م : الشكوى، والأنسب ما أثبتناه من ر، ح س.
(٢٣٥) ر ٢١٨ ظ : ينظر في.
(٣٣٦) ر : وكلهم الخذلان.
(٣٣٧) ر : ولا خفوا.
(٣٣٨) من ر، ح س.
(٣٣٩) : الكياء.
(٢٤٠) من ر، ح س.
(٣٤١) م : المسطر، تصويبه من ر ٢١٨ و.
(٣٤٢) م : وأخذت، والسياق يقتضي ما أثبتنا من ر، ح س.
(٣٤٣) م : ووسعها دينها، تصويبه من المرجعين.
(٣٤٤) م : أحداهما، وهو تحريف.
(٣٤٥) ر : لا يبل.
(٣٤٦) ر، ح س : لبست، والأنسب ما روي في المتن لأن لسب معناها لذغ، وهذا يلائم سياق المعنى.
(٣٤٧) م : اللفظ، تصويبه من ر، ح س.
(٣٤٨) ر : اللمى، ح س : اللهو.
(٣٤٩) م : هرتة، والسياق يقتضي ما أثبتناه من المرجعين.
(٣٥٠) انظر البيتين في ديوان «الصيب والجهام»، ص ١٤٩.
(٣٥١) م : تفلقت.
(٣٥٢) ورد البيتان في النسخ ٦/٤٨٥ وفي أزهار الرياض ١/٢٨٩.
(٢٥٣) ن : في الوغى.
(٣٥٤) ن، الأزهار : العنوة القصوى.
(٣٥٥) زيادة يقتضيها الوزن.
(٣٥٦) م : فلا تسال، والوزن يقتضي ما أثبتناه.
(٣٥٧) م : في اذى،
(٣٥٨) م : عنك يوما، الوزن يفرض ما أثبتناه.

- (٣٥٩) م : مفتأي، وهو تصحيف.
- (٣٦٠) انظر الأبيات في ديوان «الصيب والجهام»، ص ٤٦٠.
- (٣٦٢) د : الأملك.
- (٣٦٢) د : بحر.
- (٣٦٣) د : مؤيد.
- (٣٦٤) زيادة لاستقامة الوزن.
- (٣٦٥) م : اعترضت، وهو تحريف مخل بالوزن.
- (٣٦٦) م : كم، والوزن يقتضي ما أثبتناه.
- (٣٦٧) م : شرك، وهو تحريف صحته ما أثبتناه.
- (٣٦٨) هذا الشطر مكسور.
- (٣٦٩) كتب في الهامش.
- (٣٧٠) م : ولا تغتر، لكن الوزن يقتضي ما أثبتناه.
- (٣٧١) بياض بالأصل قدرناه بما أثبت.
- (٣٧٢) م : اسكريجا، انظر التعليق رقم ٨٥.
- (٣٧٣) م : الصعلوك، وهو تحريف. لأن المملوك نوع من الطيبخ.
- (٣٧٤) م : الحساسة.
- (٣٧٥) م : اللحم.
- (٣٧٦) انظر البيتين في النفع ٢٠/٦، وأزهار الرياض ٢٦٧/١، وفي الإحاطة ٢٥٥/١.
- الأسكوريال لوحة ٤٥١.
- (٣٧٧) ورد البيتان في النفع ٧٨/٥، وأزهار الرياض ٢٠٧/١، والإحاطة ٤٤٣/٤.
- (٣٧٨) انظر البيتين في النفع ٤٧٤/٦، وفي الإحاطة. مخ الأسكوريال ٤٥٢/١.
- (٣٧٩) انظر البيتين في ديوان «الصيب والجهام»، ص ٤٥٣، وفي النفع ٤٧٢/٦.
- (٣٨٠) ورد البيتان في ديوان «الصيب والجهام»، ص ٥٥٤، وفي النفع ٤٧٢/٦.
- (٣٨١) ن : ما ضر.
- (٣٨٢) د : وعدي، والمتن أصح.
- (٣٨٣) د : صوت.
- (٣٨٤) م : الجود.
- (٣٨٥) من المحتمل أنه : أبو عبد الله بن أبي الحجاج، انظر التعليق ٩٣.
- (٣٨٦) وردت هذه الأبيات في ديوان «الصيب والجهام»، ص ٥١٠، الإحاطة مخ الأسكوريال ٨٤/١، وفي النفع ٤٨٣/٦.
- (٣٨٧) د : أوفى.
- (٣٨٨) د : حق.
- (٣٨٩) ثبتت في الإحاطة ٥٩٣/٤، وفي النفع ٤٧٣/٦.
- (٣٩٠) ح، ن : حاولت.
- (٣٩١) أشار الناسخ في الهامش الى أنه مأخوذ في قول الشاعر :

ما كنت أوفي شبابي كنه قيمته حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

- (٣٩٢) م : وادي النبط.
(٣٩٣) م : ورفع، لكن الوزن يقتضي ما أثبتنا.
(٣٩٤) م : وابلغ، الوزن يقتضي اسقاط الواو.
(٣٩٥) م : السرور، وهو تحريف مخل بالوزن.
(٣٩٦) م : جلى.
(٣٩٧) يمكن قراءتها مضمض.
(٣٩٨) م : الى، والأنسب ما أثبتنا.
(٣٩٩) ثبتت في الإحاطة مخ. الأسكوريال ٢٦٣/١، ط. القاهرة ٢٥٥/١ - ٢٥٩، وفي ريحانة الأسكوريال، ل ٢٠٨ - ٢٠٩، ط. القاهرة ٢٠٢/٢ - ٢٠٥، وفي النفع ٣٠/٢ - ٣٣، وفي أزهار الرياض ٢٦٧/١ - ٢٧٠.
(٤٠٠) المراجع : الى.
(٤٠١) ن، الأزهار : ولا عقلت.
(٤٠٢) ح س، ن الأزهار : كسعت.
(٤٠٣) ن، الأزهار : سكت اذنين.
(٤٠٤) ح س ٢٦٣/١، ن ٣١/٦، الأزهار ٢٦٨/١ : صلة. (٤٠٥) ساقطة من ر ٢٠٨ و.
(٤٠٦) ساقطة من ر.
(٤٠٧) ن، الأزهار : العيب.
(٤٠٨) ن، الأزهار : نشي.
(٤٠٩) الأزهار : المعجزة.
(٤١٠) الأزهار : لما.
(٤١١) ح س، ن ٣٢/٦، الأزهار ٢٦٩/١ : مترامية.
(٤١٢) م : الدهر، تصويبه من المراجع المذكورة.
(٤١٣) ر : ٢٠٩ ظ : شروطها غير معترضة ولا منقودة، ح س، ن ٣٢/٦ : والتوبة بفضل الله مفقودة.
(٤١٤) المراجع : تكون.
(٤١٥) ساقطة من ر.
(٤١٦) ح، ن، الأزهار : وشوقي.
(٤١٧) ن : فامر.
(٤١٨) ن : العلائق.
(٤١٩) م : وانتباهها، والوزن يقتضي ما اثبتنا من المراجع.
(٤٢٠) ن، الأزهار : يصرف.
(٤٢١) المراجع : تفضيله.
(٤٢٢) ن ٣٣/٦، الأزهار ٢٧٠/١ : سنحت.
(٤٢٣ - ٣٢٤) ساقط من المراجع المذكورة ما عدا «ر».

- (٤٢٥) ثبتت في الإحاطة مخ الأسكوريال ١٢٦/١ - ١٢٩، ط. القاهرة ٢٥٣/١ - ٢٥٥. النفع ٢٨/٦ - ٣٠، أزهار الرياض ٢٦٥/١ - ٢٧٧.
- (٤٢٦) المراجع : ولا اختلف.
- (٤٢٧) م : فريد، تصويبه من المراجع.
- (٤٢٨) زيادة مما ذكر.
- (٤٢٩) المراجع : يحل.
- (٤٣٠) م : لطلع، وهو تحريف.
- (٤٣١) م : استيار، وهو تحريف.
- (٤٣٢) المراجع : داجيها.
- (٤٣٣) ن ٢٩/٢ : ولا تألفت انهاها.
- (٤٣٤) م : بل هي كالناقة والحديث عنه بالمكاره، تصويبه مما ذكر.
- (٤٣٥) ن : يستشعر نفس العافية ويتمسح.
- (٤٣٦) م : فبجانبيكم، تصويبه من المراجع.
- (٤٣٧) ن، الأزهار ٢٦٧/١ : ما نالكم.
- (٤٣٨) ن : المواطن.
- (٤٣٩) المراجع : أعظم.
- (٤٤٠) المراجع : وأسجع.
- (٤٤١) م : الليات، وهو تصحيف.
- (٤٤٢) م : عن، والسياق يقتضي ما أثبتنا من المراجع.
- (٤٤٣) م : مظاهره، تصويبه مما ذكر.
- (٤٤٤) بياض بالأصل، تصويبه من المراجع .
- (٤٤٥) ن ٢٩/٦، الأزهار ٢٦٧/١ : دار خير.
- (٤٤٦) المراجع : يعوض عنها.
- (٤٤٧) المراجع : اديمها.
- (٤٤٨) المراجع : ويجمع له بين.
- (٤٤٨) الى هنا ينتهي ما ورد في المراجع.
- (٤٤٩) ثبتت الرسالة في ريحانة الأسكوريال، لوحة ٢٠٨، ط القاهرة ٢٠١/٢ - ٢٠٢.
- (٤٥٠) ر ٢٠٨ و : الأحوال.
- (٤٥١) م : الأعتاب، وكذلك في ط. القاهرة، أما في مخطوطة الأسكوريال فغير منقطه، والأرجح ما اثبتنا.
- (٤٥٢) ر ٢٠٨ و : شانكم.
- (٤٥٣) زيادة من «ر».
- (٤٥٤) ثبتت في الإحاطة مخ الأسكوريال ١٢٦/١ - ١٢٩، ط. القاهرة ١١٨/٣ - ١٢٦. - ريحانة الاسكوريال ورقة ٢٧٥ - ٢٧٦، ط. القاهرة ٤٣٠/٢ - ٤٣٧. - النفع ١٤٤/٥ - ١٥٢.
- (٤٥٥ - ٤٥٨) ساقط من نم ١٤٥/٥.

- (٤٥٦) ح س : عفو.
- (٤٥٧) من ح س.
- (٤٥٩) ر، ن : فيء وظل.
- (٤٦٠) ن ١٧٦/٥ ك ونفرض.
- (٤٦١) ر ٢٧٥ و : بحال.
- (٤٦٢) م : بالها، تصويبه مما ذكر.
- (٤٦٣) ر : النعم.
- (٤٦٤) من ح س، ر.
- (٤٦٥) ر : العذل.
- (٤٦٦) ن : في الكتب.
- (٤٦٧) م : وظعينة، والأنسب ما أثبتناه من ر، ن.
- (٤٦٨) ر : وأنت منها عرى.
- (٤٦٩) م : قضاوها.
- (٤٧٠) ح س، ر : الركوع للملك.
- (٤٧١) ح س، ن ٢٤٦/٥ : السلطان.
- (٤٧٢) من ح س، ن.
- (٤٧٣) ن : قرن.
- (٤٧٤) ن : الوفود.
- (٤٧٥) ح س، ن : مكلفة.
- (٤٧٦) ح س : فان لم تتل أغراضها.
- (٤٧٧) ح س : الأراقي.
- (٤٧٨) ن ٤٧/٥ : ولا طفرة.
- (٤٧٩) م : جارية، وهو تحريف.
- (٤٨٠) ن : يسلمون.
- (٤٨١) ح س، ر، ن : بالقليل فيكفيه.
- (٤٨٢) ن ١٤٧/٥ : فرش تحتها.
- (٤٨٣) م : و، الأنسب ما أثبتناه من ح س، ن.
- (٤٨٤) ن : ما التذت.
- (٤٨٥) ن : جاذب.
- (٤٨٦) ن : ويمشي اذا شاء.
- (٤٨٧) ن ١٤٧/٥ : عمرته.
- (٤٨٨) م : و، والأنسب (او).
- (٤٨٩) م : ميين تصويبه مما ذكر.
- (٤٩٠) م : ودار، وفي ح س : ودري والأصح ما اثبتنا من ن ١٤٨/٥.
- (٤٩١) ن : من.

- (٤٩٢) ن : لما .
- (٤٩٣) ح س، ر، ن : والمشائيم.
- (٤٩٤) ن : الأمانات.
- (٤٩٥) ح س : اعربا، ن : اعرام.
- (٤٩٦) ن : لجرايات.
- (٤٩٧) ن ١٤٨/٥ : الا في ارث.
- (٤٩٨) ن : حال قبولها مع الترفيه وما لها المرغوب فيه.
- (٤٩٩) ح س، ن : ومطيق.
- (٥٠٠) ن : الواقب الغاسق.
- (٥٠١) ح س، ن : حال.
- (٥٠٢) م : وكيف.
- (٥٠٣) ح س، ن : السحافات.
- (٥٠٤) ن : ونوشى.
- (٥٠٥) زيادة من المرجعين المذكورين.
- (٥٠٦) ساقطة من ن ١٤٩/٥.
- (٥٠٧) م : لقضاء، تصويبه من المرجعين.
- (٥٠٨) م : قطع، تصحيحه مما ذكر.
- (٥٠٩) م : افيدنا، وهو تحريف.
- (٥١٠) ن ١٤٩/٥ : فنتحول.
- (٥١١) ن ١٤٩/٥ : الرحلة.
- (٥١٢) ح س، ن : أهل الخطابة والامانة.
- (٥١٣) ح س، ن ١٥٠/٥ : قدر.
- (٥١٤) ح س، ن : وحاولت المقاطعة.
- (٥١٥) ح س، ن : عادة.
- (٥١٦) م : ولا يجيرني، تصويبه من المرجعين.
- (٥١٧) ن ١٥٠/٥ : والفيت.
- (٥١٨) من المرجعين.
- (٥١٩) ر، ح، س : المتدسسين.
- (٥٢٠) ن : القادح.
- (٥٢١) من المرجعين.
- (٥٢٢) ر ٢٧٦ ظ، من الوصب وقلبك من النصب.
- (٥٢٣ - ٥٢٤) ن ١٥٠/٥ : عينك فهو حقيق.
- (٥٢٥) ح س، ن المجموع الا الى التلف.
- (٥٢٦) م : والاستشطاء، صوابه من ح س، ن .
- (٥٢٧) ن : أمل.

- (٥٢٨) ح س، ن : الفراق.
(٥٢٩) من المرجعين.
(٥٣٠) ن ١٥١/٥ : رفيقا.
(٥٣١) م : ادياره، صوابه من المرجعين.
(٥٣٢) ح س، : وعيد وعبيد.
(٥٣٣) ن ١٥٢/٥ : وتستجلى.
(٥٣٤) ح س، ن ١٥٢/٥ : الذي ربابه لابد هاطل.
(٥٣٥) م : الغبرة، صوابه من المرجعين.
(٥٣٦) ن : النث.
(٥٣٧) ح س، ن : الرث.
(٥٣٨) ح س، م : عرفني كل تقيل.
(٥٣٩) ن : أهل.
(٥٤٠) م : وليس، صوابه من المرجعين.
(٥٤١) انظر القصيدة ٦٣ في ديوان الششتري، تح النشر، ص ٢٢٥ - ٢٢٧.
(٥٤٢) ش : يتحنق.
(٥٤٣) بعض نسخ ش : اصله.
(٥٤٤) ش : تريد، والأنسب ما ثبت في المتن.
(٥٤٥) ش : الخطه.
(٥٤٦) ورد هذا القفل في ش : على الصورة التالية :
غدا يمتحن شكـلوا ويطـوروا فيـ وحلوا
يتمزق يثبت كثـيرا رـجـلوا أو يزـمق
- (٥٤٧) ش : اسلم.
(٥٤٨) م : المركن، السياق يقتضي ما أثبتا من ش.
(٥٤٩) زيادة من ش يقتضيها تركيب القصيدة.
(٥٥٠) ش : يظهر لو.
(٥٥١) ش : ان
(٥٥٢) ش : ولا تغلبوا، والأنسب ما ورد في المتن.
(٥٥٣) ش : وان.
(٥٥٤) ش : ويطلب.
(٥٥٥) ش : أو يقلق.
(٥٥٦) ش : أشكل لو أليق.
(٥٥٧) ش : بيه، وأهلها أنسب.
(٥٥٨) ش : السوى.
(٥٥٩) بعض نسخ ش : وللوجد.
(٥٦٠) ش : وكل المعاني فيه.

- (٥٦١) بعض نسخ ش : يجمع.
- (٥٦٢) ش : وفناؤه موجود.
- (٥٦٣) انظر القصيدة ٥٩ في ديوان الششتري ص ٢١٦ - ٢١٨. كما أورد ابن خلدون مطلعها في المقدمة، تح. علي عبد الواحد وفي ج ٤ ١٤٦٤، وكذلك في النسخ ١٧/٧.
- (٥٦٤) في معظم نسخ ش، وفي «ن» والمقدمة : بين طلوع وبين نزول.
- (٥٦٥) من ش ٢١٦ والأنسب للوزن اختلط لك، (حسب نظرية د. كورينطي في عروض الزجل، انظر مقدمة ابن قزمان).
- (٥٦٦) ش ٢١٧ : سيرو.
- (٥٦٧) جميع نسخ ش : استحا، ولعله أصوب، اذا الامتحاء في كلامهم يطلق على غاية السكر.
- (٥٦٨) ش : فلتجول ان كان تجول أو تمود ترعى العجول
- (٥٦٩) ش ٢١٧ : أرت.
- (٥٧٠) قراءات مختلفة في نسخ ش، والتي أثبت د. النشار ويروي ذاتو بلا مرا.
- (٥٧١) ساقطة من «ش».
- (٥٧٢) ش : أحوال.
- (٥٧٣) في بعض نسخ «ش» : يعرفونها، وفي أخرى : يعرفوا بها.
- (٥٧٤) ش : يحتاج.
- (٥٧٥) م : الخلود، والأنسب للمعنى ما أثبتناه من «ش».
- (٥٧٦) ش : بدر، وهو أنسب.
- (٥٧٧) ش : منه.
- (٥٧٨) ش : لا اتحاد.
- (٥٧٩) ش ٢١٧ : الحصون.
- (٥٨٠) ش : ولم يصل.
- (٥٨١) كذا في المتن وفي جميع نسخ «ش» : فقالوا، والوزن مضطرب في كلتا الحالتين، لهما : قالو.
- (٥٨٢) كذا في المتن، والوزن يقتضي اليه.
- (٥٨٣) ورد في «ش» ك هكذا :
- وتدر عليه سيول وتلذ لو عسول
- (٥٨٤) ش : الفلك يدور.
- (٥٨٥) م : طخت، تصويبه من «ش».
- (٥٨٦) ش : يقول، وهو أنسب.
- (٥٨٧) ش : ذي.
- (٥٨٨) انظر القصيدة ٤٢، ديوان الششتري ص ٤٠١ - ٤٠٢.
- (٥٨٩) شرا : ٤٠١ : أنا ليس نظامان ابدا المدكا ولا يلطم ظهره بعد نهكه.
- (٥٩٠) ش : لس.
- (٥٩١) ساقطة من «ش».

- (٥٩٤) حنك.
- (٥٩٥) ش : قالي،
- (٥٩٦) ش : لدكة.
- (٥٩٧) ش : «وشبكني وحظ في عنقي شبكة».
- (٥٩٨) ش : نقل .
- (٥٩٩) ش ٤.٢ : وبعد هذا.
- (٦٠٠) ش : وسلكني ومزق أشياتي دلکه.
- (٦٠١) ش : ولبيت، والانسب ما ورد في المتن.
- (٦٠٢) اختلاف في ترتيب الأبيات، راجع القصيدة في المرجع المذكور.
- (٦٠٣) ش : بالجبال.
- (٦٠٤) «وأنا ما عك ونبصر ان كنت صادق».
- (٦٠٥) م : جلب، وهو تصحيف صوابه ما أثبتنا.
- (٦٠٦) ش : واخذني من بين.
- (٦٠٧) وسلبني وفك قلبي المعنى.
- (٦٠٨) ش : ثم قلبي وحك.
- (٦٠٩) ش : ودنوت.
- (٦١٠) م : فليق.
- (٦١١) ش : وأنا فيه بحال قلبك في سكه.
- (٦١٢) ش : ولا معاند.
- (٦١٣ - ٦١٤) ساقط من «ش».
- (٦١٥) انظر القصيدة ٨ في ديوان الششتري ص ٩٩ - ١٠٠.
- (٦١٦) ش ٩٩ : حصل لي.
- (٦١٧) ش قاربي.
- (٦١٨) كذا في الأصل، وهو ناقص، وفي ش : يوحشني.
- (٦١٩) ش : فيك.
- (٦٢٠) ش : يقبضني.
- (٦٢١) ش : بانطباعي.
- (٦٢٢) في بعض نسخ ش : وان.
- (٦٢٣) بعض النسخ : عيبية، وفي أخرى : عيبية وفي أخرى : عيبيا.
- (٦٢٤) ش : خيرك.
- (٦٢٥) ورد في ش هكذا :
- وكنت لي موانس في السكر والنديم
- (٦٢٦) ش : شاربي، وهو أنسب للوزن.
- (٦٢٧) بعض نسخ ش : هو ذاك، هو.
- (٦٢٨) زيادة من ش.

- (٦٢٩) ش ١٠٠ : يامن يقل لي كثره.
(٦٣٠) ش : فالناس.
(٦٣١) ش : مع بهجة.
(٦٣٢) ش : فاسمع.
(٦٣٣) ش : ماثم الا.
(٦٣٤) ش : فافهم.
(٦٣٥) اغلب نسخ ش : محق.
(٦٣٦) في ش هكذا :
- عارض لزلج عاشق خبرو لقسد درى
(٦٣٧) انظر القصيدة ٩١ في ديوان الششتري ص ٢٩١ - ٢٩٣.
(٦٣٨) ش ٢٩١ : اجعل.
(٦٣٩ - ٦٤٠) وردا في «ش» هكذا :
- واذا رايت فتحك وقد اضا واستنار
ويدت لك خفايا كنز ذاك الجدار
- (٦٤١) ش ٢٩٢ : ورسيما لك.
(٦٤٢) ش : بوسخى.
(٦٤٣) ش : وترى.
(٦٤٤) في بعض نسخ «ش» : واني وفي، وفي أخرى : معاني.
(٦٤٥) ش : انما.
(٦٤٧) ش : ان أعطاك.
(٦٤٨) بعض نسخ «ش» : بالتمني.
(٦٤٩) ش : قال لي اهنأ شوى.
(٦٥٠) ش : القبي، وهو أنسب.
(٦٥١) ش : وانف.
(٦٥٢) ش : واد كلك وبعضك.
(٦٥٣) م : ولن، وكذا في بعض نسخ «ش»، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
(٦٥٤) ش : ديرك.
(٦٥٥) ش : بنطرب.
(٦٥٦) ش : عندي.
(٦٥٧) ش : ذي.
(٦٥٨) م : ولا تطلب، والأنسب ما أثبتناه من «ش».
(٦٥٩) ش : الفقيه أبو الحسن، وكلاهما صحيح، لأنه يقصد أبا الحسن بن الحسن.
(٦٦٠) ش : ان لم ايش تدري قدرك.
(٦٦١) م : وتسميك، وسياق المعنى يقتضي ما أثبتناه من «ش».

تعليقات الفصل الثامن

[1] سلطان مصر : المنصور القلاووني (٧٣٨ - ٨٠١ هـ = ١٣٢٨ - ١٣٩٨ م وهو محمد المنصور بن حاجي المظفر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، بويع بالسلطنة بالقاهرة سنة ٧٦٢ هـ = ١٣٦٠ م، وقام بتدبير ملكه اتابك عساكره بيلغا فدامت سلطنته سنتين وأربعة أشهر، بعدها خلعه بيلغا وأدخله في نور الحرم بقلعة القاهرة سنة ٧٦٤ هـ = ١٣٦٢ م. انظر (الأعلام ٧٥/٦)

لأخبار الدولة القلاوونية انظر (الخطط ٢ / ٢٣٦ - ٢٤٢).

- D. Ayalon, The Mamluk military society, Londres, 1979.

[2] الإشارة الى الحديث النبوي : «قال ومال الحج، قال العج والشج». (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٤٢٠/٨).

[3] إشارة الى قوله تعالى : «وجوه مسفرة ضاحكة مستبشرة»، سورة ٨٠ (عبس)، آية ٢٨.

[4] اشعار الى قول الشاعر : «كيف الحياة مع الحيات في سفظ».

[5] صهب : ج. اصهب، وهو الأبيض المشوب بحمرة.

- السبال : ج سلبية، وهي اللحية أو شعر الشارب، وصهب السبال، من أمثالهم في نعت العدو. انظر (فصل المقال ص ٤٤٩).

[6] «ما عدا مما بدا»، من الأمثال ويقصد به ما منعه مما ظهر لك وقد قاله علي بن أبي طالب للزبير بن العوام يوم الجمل، واخذه الشاعر ابن عنين في قوله :

يا دهر ويحك ما عدا مما بدا أرسلت سهم الحاديات فاقصدا
(مجمع الأمثال ٢/٢٩٦ رقم ٢٩٩٨).

[7] يقصد مائدة سليمان التي تروى بعض كتب التاريخ ان المسلمين غنموها يوم فتح الأندلس.

[8] اقتباس من قول بشار بن برد :

يسقط الطير حيث ينتثر الحسب وتغشى منازل الكرماء

[9] بلج بن بشر (... - ١٢٤ هـ = ... - ٧٤٢ م) وهو بلج بن بشر بن عياض القشيري، قائد شجاع، من دمشق، بعث به هشام بن عبد الملك على مقدمة جيش الى افريقية، نزل بالقيروان، ثم رحل الى الأندلس حيث هزم البربر واستولى عليها أحد عشر شهرا، وتوفي بعدها. انظر (الأعلام ٧٣/٢).

[10] إشارة الى قول امي تمام :

فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت اخصمك الحشر
[11] إشارة الى البيت :

ما أقدر أن يدني على شحط من داره الحزن ممن داره صول

نسبه ياقوت الى حندج بن المري بينما نسبه احسان عباس الى الحماسي.

- معجم الأدباء ٢/٢٧٠ - النفع، تج احسان عباس ١/٢٢٦ حاشية ٤).

- حزن : حزن بني يربوع وهو قرب قيد في جهة الكوفة. انظر (معجم البلدان ٢/٢٥٤).

- صول : مدينة في بلاد الخرز في نواحي باب الأبواب وهو الدريند. انظر (معجم البلدان ٢/٢٣٥).

- [12] اشارة الى قوله تعالى : «كذلك نقص عليك ما سبق وقد آتيناك من لدنك ذكرا، سورة ٢. (طه)، آية ٩٩.
- [13] يقصد رضوان الحاجب.
- [14] من المثل : «شالت نعماتهم»، سبقت الإشارة اليه. انظر (١٨٨ / ١١).
- [15] من المثل : «جاؤوا قضهم بقضيتهم»، أي كبيرهم وصغيرهم . انظر (فصل المقال ص ١٩٨ - زهر الاكم ٦٣/٢).
- [16] سورة ٨ (الأنفال) آية ٧. والآية هكذا : «ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين».
- [17] بغا الخاصكي، كان مدير الدولة في عهد محمد منصور القلاووني والأشرف، وقد انتهت اليه الرئاسة ونظام الملك، فبلغت مماليكه ثلاثة آلاف. انظر (- النفع ٢٧١/٦ - الدرر الكامنة ٤٣٤/٤ - التعريف ص ٤٧).
- [18] سورة ٢٨ (الصفات) آية ١٦٤. سورة ٢ (البقرة)، آية ٦٠.
- [19] « لا توجد يد الايماتجد»، من الأمثال. انظر (المحاضرات ص ٢٧٢)
- [20] اقتباس من الحديث النبوي : «المسلى الذي سقط على الحميم» (لع، سلت).
- [21] من قول المرعي :
- أرى العنقاء تكبر ان تصادا فعاند من تطبيق له عنادا.
- [22] اقتباس من قوله تعالى : « فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا» سورة ٤ (النساء) آية ٤٣.
- [23] الحطيم : مكان شمال الكعبة بمكة، وهو بناء مستدير على شكل نصف دائرة، وخلفه يقع اللطاف الذي يحيط بجدر أربعة، وقد اختلفت في سبب تسميته بالحطيم. انظر (معجم البلدان ٢٧٣/٣. الروض المعطار، تج. احسان عباس ص ١٩٥ - صبح الأعشى، ٤/٢٥٤).
- [24] من المثل : «شب عمرو عن الطوق»، انظر (زهر الاكم ٢١٣/٣).
- [25] سورة ٤ (النساء)، آية ٦٩؛ سورة ٢ (آل عمران) آية ١٧٠.
- [26] سورة ٤٠ (غافر)، آية ٣٩.
- [27] السلطان : محمد الغني بالله، وابنه هو يوسف، الذي تولى ملك غرناطة بعد وفاة أبيه سنة ٧٩٣هـ = ١٣٩١م. انظر . العيادي : دراسات في تاريخ المغرب، والأندلس ص ٤٥٤ - A. Arie, España nusulmana, p. 41).
- [28] يقصد السلطان أبا زيان.
- [29] اشارة الى قوله تعالى : «وما تدري نفس ما تكسب غدا»، سورة ٣١ (لقمان)، آية ٣٤.
- [30] سورة ٢٤ (النور)، آية ٣٦.
- [31] دارين : فرضة بالبحرين يجلب اليه المسك من الهند. انظر (معجم البلدان ٤٣٢/٢).
- [32] اقتباس من بيت طرفة :
- هن المرء لا تسال ولسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
وأورده ابن قتيبة بالصيغة الاتية ناسبه الى عدى بن زيد :
- عن المرء لا تسال وأبصر قرينه فان القرين بالقرين مقتدى
ومنه المثل : «عن المرء لا تسال وأبصر قرينه». (مجمع الأمثال ٤٢٩/٢ - عيون الأخبار ١٧٩/٣).
- [33] اشارة الى قوله تعالى : ومن شر غاسق اذا وقب» سورة ١١٣ (الفرقان)، آية ٢.

- [34] سورة ٩ (التوبة)، آية ١٢١.
- [35] السموال بن حيان بن عادي اليهودي، يضرب به المثل في الوفاء، فيقال : «او في من السموال». (مجمع الأمثال ٣٧٤/٢ رقم ٤٤٣٢).
- [36] القطب : مصطلح صوفي يعني الوالي الذي بلغ أعلى المقامات.
- [37] أبو زيد عبد الرحمان بن أبي بكر بن خلدون، المؤرخ الشهير (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ = ١٣٣٢ - ١٤٠٦ م)، انظر حياته مفصلة في كتابه .التعريف).
- [38] اشارة الى قوله تعالى : «مثل نوره كمشكاة فيها مصباح»، سورة ٢٤ (النور)، آية ٣٥.
- [39] الجنيد : أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد، امام الصوفية، توفي سنة ٢٩٧ هـ = ٩٠٩ م انظر (السبكي : طبقات الشافعية ٢/٢٨).
- [40] الحسن : الحسن بن هانئ بن الجراح المكنى أبا نواس، الشاعر العباسي المشهور.
- [41] الهماليج : ج هملاج، وهو البرنون الحسن السير.
- [42] اشارة الى هند بنت خارجة الفزاري (١٠٠ - ١٠٠ هـ / ٧١٩ - ٧٠٠) من أهل الكوفة، وقد كانت مشهورة بجمالها فتزوجها بشر أمير العراقين. انظر (الأعلام ٨/٩٦ - ٩٨).
- [43] الديماس : أخذها العرب من اللفظة اليونانية "Thermos" التي تعني مع الكلمة التي تطورت منها : داموس، ثم تطورت اللفظة وأصبحت تعني القبات والأروقة والأبنية المقوسة. انظر (ورقات عن الحضارة التونسية ٣/٣٥٢).
- [44] الابرية : القشرة التي تكون في الراس وتزال بالمشط.
- [45] اللوى : ما التوى من الرمل ومسترقه.
- المنعرج : المنعطف.
- [46] البيتان لبشار بن برد، وضمهما المثل : اليك يساق الحديث»، وهو يضرب في سوء المسالة اذا عجل بها قبل آوانها. انظر (مجمع الأمثال ٨/٤٨ رقم ١٨٥ - فصل المقل ص ٥٠. زهر الاكم ١/٨١).
- [47] هذا البيت لامرئ القيس .
- [48] التكة : بكسر التاء، رباط السروال، ولازالت اللفظة مستعملة في المغرب الى الآن. - الشبكة : السلاح.
- [49] عسطوس : الخيزران. (المخصص ٤/١٠١).
- [50] سليك بن سلكة وهو تميمي من بني سعد، يضرب به المثل في العود. (مجمع الأمثال ٢/٤٧ رقم ٢٦١٤).
- [51] البراض : (... - نحو ٣٥ ق هـ / ... - نحو ٥٩٠ م) هو البراض بن قيس رافع الضمري الكناني، فاتهك جاهلي بسببه هاجت حرب الفجار بين خندق وقيس، ويضرب به المثل، فيقال : «فتك من البراض»، واليه أبو تمام بقوله :
- كل يوم له بصرف الليالي فتكة مثل فتكة البراض
انظر (الأعلام ٢/٤٧ - مجمع الأمثال ٢/٨٧ رقم ٢٨١٨).
- [52] الاعتراض : عدم المبالاة بالقتل في حال الخروج.
- [53] البيت لقيس بن الخطيم. (ديوانه ص ٧).

- [54] البيت لابراهيم بن سهل. انظر (- اللحة ص ٩١ . - الإحاطة ٥٢٣/٨)
- [55] البيت لأبي فراس الحمداني، وله رواية أخرى :
إذا لم عين من الله لفتى اتته الرزايا من وجوه الفوائد
انظر (ديوانه ص ٨٣)
- [56] هذا البيت يجري مجرى الأمثال، ومنه أنك تشكو الى غير مصمت، أي لا يهتم بامرک.
(مجمع الأمثال ١٢٦/٨ رقم ٦٤٢).
- [57] «يضرب في حديد بارد»، مثل يضرب لمن طمع في غير مطمع. (مجمع الأمثال ٢ / ٢٨٦ رقم/٤٨٨٣).
- [58] يتضمن المثل : «قد أسمعت لو ناديت حيا»، ويضرب لمن يوعظ ولا يفهم (مجمع الأمثال ١٠٦/٢ رقم ٢٨٩١).
- [59] سورة ٦٥ (الطلاق)، آية ٧.
- [60] رشاء : حبل الدلو.
- الركية : البئر الذي به ماء.
- [61] الذكة : بفتح الدال : ما استوى من الرمل، أو بناء مسطح أعلاه للجوس أو لجعل كرسي عليه، والجمع ذكك، ويبدو أن المعنى الثاني هو المقصود.
- [62] الميرة : م مير، الطعام الذي يذخره الإنسان.
- [63] عجز بيت من معلقة امرئ القيس صدره «وان شفائي عبرة مهراقة».
- [64] سورة ٥٤ (القمر)، آية ١.
- [65] اشارة الى العلم العباسي، الأسود اللون مكنيا به عن سواد شعرها.
- [66] البيتان لأبي علي بن الشبل. انظر (القفطي : المحموني من الشعراء ص ٢٧٢).
- [67] سورة ٨ (الأنفال)، آية ١٧.
- [68] خام : جين.
- [69] السانح من الصيد : ما جاء عن يمينك فولاك مياسره والعرب تتعامل بالسانح وتتشام بالبارح ومنه المثل من لي بالسانح بعد البارح. (مجمع الأمثال ٢/٣٠١ رقم ٤٠٢٦).
- [70] الاترج : ثمر تسميه العامة الكباد، وهو من جنس الليمون.
- [71] اقتباس من حكمة المتنبي الشهيرة :
أعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن لحمه ورم
[72] المريخ : الملتبس.
- [73] ظالع : ظلع البعير، اذا غمز في مشييه.
- [74] اشارة الى بيت قاله محمد بن طلحة بن عبيد الله يوم الجمل :
يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التندم
وتبتدئ عدة سور بحاميم، ولعل المقصود هنا - سورة ٤٤ (الخان).
- [75] سورة ٩٣ (الضحى)، آية ٢.
- [76] وضاح اليمن : (٩٠ هـ / ٧٠٨ م) هو عبد الرحمان ابن اسماعيل بن عبد كلال، شاعر رقيق الغزل، جميل الطلعة قدم مكة حاجا في خلافة الوليد بن عبد الملك فرأى أم البنين

- بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد، تنزل بها فقتله الوليد، ويسميه بعض المؤرخين عبد الله بن اسماعيل. انظر (الأعلام ٣/٣٩٩)
- [77] سورة ١١٣ (العلق).
- [78] سورة ٦٦ (التحریم)، آية ٦.
- [79] اقتباس من بيت معلقة امرئ القيس :
- قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوى بين الدخول فحول
- [80] تاققلت : مدينة صغيرة مبنية في سهل رملي على بعد خمسة عشر ميلا شرقي معمورة واثنى عشر ميلا من الرباط. انظر (- الروض المعطار تج. احسان عباس ص ٧٥ - وصف افريقيا ١/٢٦٨).
- [81] يقصد بذى النورين عثمان بن عفان.
- [82] اشارة الى قوله تعالى : «وان تجمعوا بين الأختين الاماقد سلف»، سورة ٤ (النساء)، آية ٢٢.
- [83] اقتباس من بيت ربيعة بن ثابت الرقي :
- لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سالم والأغر بن حاتم
- [84] ابن زمرك : (٧٣٢ - ٧٩٣هـ = ١٣٣٣ - ١٣٩٠) محمد بن يوسف ابن محمد بن أحمد الصريحي أبو عبد الله، من أشهر شعراء الأندلس. انظر (الأعلام ٧/١٥٤).
- (EI, 2 III 997 [F. de la Granja]).
- [85] سكباج : بفتح السين وكسرهما، لحم فتي يوضع في صلصة خيل. انظر (كتاب الطبخ في الأندلس والمغرب لمؤلف مجهول ص ٩٤).
- [86] مهرقم : بائع بقايا الحيوانات كالقلب والكبد ولازال في المغرب يسمى ببائع الهرقة الخ... (لوزي ٢/٧٥٥).
- [87] يقصد بالوصي عليا بن أبي طالب.
- [88] ابن حجر : امرؤ القيس الشاعر الجاهلي المشهور، والشطر مأخوذ من بيت من معلقته، صدره : «مكر مفر مقبل مدير معا».
- [89] سورة ١٠٤ (الهمزة). آية ١.
- [90] ارنب القمر : احدى منازل
- [91] أيوب : يقصد به النبي أيوب ويضرب به المثل في الصبر. - درع داود : تنسب اليه لأنه أول من صنعها.
- [92] اشارة الى سورة ٢٧ (النمل)، آية ١٧، ١٨.
- [93] أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل السلطان النصرى توفي سنة ٧٥٥هـ = ١٣٥٤م وهذا التاريخ قديم جدا عن تاريخ تأليف النفاضة، ثم حسب القرائن فالأرجح أن المقصود هو أبو عبد الله بن الحجاج، وأنه مجرد سهو من الناسخ.
- [94] سقيفة بني ساعدة : توجد في المدينة المنورة وفيها اجتمع المسلمون لمبايعة سعد بن عباد الخزرجي.
- [95] وادي القبط : (وادي الغيط)، وهو وادي أبي رقرق الذي يفصل الرباط عن سلا ويصب في المحيط، وقد سماه ابن الخطيب في النفاضة وادي الغيط. انظر (النفاضة ٢/١٢٥).

[96] اسمير : وادي أبي رقرق. انظر (الاتحاف الوجيز ص ٥٠).

- ناظور : برج، مركز الحراسة حاليا.

v.(- J. Caillé de Rabat jusqu'au portectorat francais, 3 V. Paris 1949).

[98] يشير الى بانها يعقوب المنصور الموحدى سنة ٥٩٤هـ = ١١٨٧م انظر (الأعلام ٢٦٧/٩).

[99] رياض الشيخ : لعل المقصود بها زاوية الشيخ أبي زكريا وهي مجاورة للجامع الأعظم من طالعة سلا، وقد كانت من الأمكنة التي يجتمع فيها الأولياء وينزلون بها قصد التبرك والزيارة والرباط وبها نزل الشيخ أحمد بن عاشر بعد وفاة شيخه الياورى. انظر (الاتحاف الوجيز، ص ٥١).

[100] أبو العاصي : يقصد به وادي أبي رقرق (حسب رأي د. المنوني).

[101] يقصد زوجته التي توفيت بسلا ودفنت هناك. انظر (التفاضة ٢/٢٠٥).

[102] واحد الأحد : أحمد بن عاشر المتصوف الشهير.

[103] عبد العزيز الصنهاجي، من مشاهير الأولياء بسلا، كان علي قيد الحياة سنة ٧٧٠هـ. ١٣٦٨م. انظر (- الاتحاف الوجيز، لوحة ٩١. - اتحاف اشرف الملاء، لوحة ٤١، درة الحجال ١٢١/٣).

[104] الزاوية العليا : زاوية النساك أو الزاوية العنانية، من أقدم الزوايا بسلا، بناها أبو عنان خارج مدينة سلا قصد تزويد الواردين عليها من الغرباء والمنقطعين ونوي الحاجة، وأعيان الدولة، وقد فرغ من بنائها في ٢٨ شعبان ٧٥٧هـ = ٢٥ اغسطس ١٣٥٦، ولها بابان أحدهما مواجه لسلا والآخر لشالة، (الاتحاف الوجيز، ص ٥٨).

- Jaques Meunié, " La Zaouiat En Noussak, une fondation merenite aux bords de Salé", Mélanges d'histoire et d'Archeologie de l'Occident musulman, t. II, Hommage a G. Marçais, Alger 1957, PP. 129-145).

[105] ابن رضى : لعله أبو يحيى مسعود بن أبي بكر بن مسعود الرضى، ينتمي الى غرناطة، وقد خلف أباه في منصب القضاء بسلا (اتحاف اشرف الملاء، لوحة ٦٢. - الإحاطة ١/٥٣٨).

[106] ابن داود : أبو القاسم بن أحمد بن القاسم بن محمد بن داود الفخار، توفي في حدود ٨٠٠هـ = ١٣٩٧م. انظر (المنوني : ملامح وداوين في السيرة والمديح النبوي، مجلة دعوة الحق، ١٠، ٩، ١٩٦٦) ص ١٠٥ - ١٠٦).

[107] ابن غياث عمر، كان طبيبا وناظر المارستان العناني بسلا، وهو من أساتذة محمد القوري في الطب، ويقال أن ضريحه يعرف بسيدي مغيث بطلعة سلا على مقربة من الجامع الأعظم، كانت وفاته في آخر المائة الثامنة. (الاتحاف الوجيز، ص ١٤٦).

[108] سعد بلع : نجمان مستويان في المجرة أحدهما خفي، وسمي الأكبر بالعا كئنه بلع الآخر، وتقول العرب اذا طلع سعد بلع صار في الأرض لمع، وفي نوبه يكثر المطر. انظر (عجائب المخلوقات ص ٨٣).

[109] يحصد الإنسان مازرع، مثل مشهور، ويوجد في أمثال العوام بالصيغة التالية : ازرع ما تحصد. انظر (أمثال العوام ١/١٧٨ رقم ١١٧).

[110] أبو جعفر بن خاتمة (٧٠٠ - ٧٧٠هـ / ١٢٩٩ - ١٣٦٩) هو أحمد بن علي بن محمد ابن خاتمة أبو جعفر الأنصاري الأندلسي من المرية، طبيب مؤرخ، أديب. انظر (الأعلام ١/١٨٦ -

- [111] الكتيبة الكامنة ص ٢٣٩ (- نشير الجمان ص ١٧٥).
 [111] اشارة الى قوله تعالى : «كيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم»، سورة ٥٧ (الحديد)، آية ٢٣.
- [112] اقتباس من بيت الشريف الرضي :
 لو كانت اللمة السوداء من عدى يوم الغيم لما أفلتت اشراكي
- [113] عجز بيت من معلقة امرئ القيس صدره : «وان شفائي عبدة مهراقة».
- [114] اشارة الى بيت عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر :
 وعين الرضى عن كل عين كلية ولكن عين السخط تبدى المساويا
- انظر (ابن قتيبة : عيون الأخبار ١١/٣).
- [115] سورة ١٢ (يوسف)، آية ٨٦.
- [116] عجز البيت التي :
 الا يا قومنا ارتحلوا وسيروا ولو ترك القطا ليلاناما
- وهو يضرب مثلا لمن اجبر عن مكروهه. انظر (- فضل المقال ص ٢٨٤ - مجمع الأمثال ١٧٤/٨ رقم ٣٢٢٣).
- [117] البيت لصالح بن عبد القدوس، وهو يتضمن معنى المثل من نهشته الحية حذر الرسن الأليق، ويوجد أيضا في أمثال العوام بصيغة : «من لذقة الحية من الحبل ينفره». انظر (- تاريخ بغداد ٣٠٤/٩ - مجمع الأمثال ١٩/٢ رقم ٤١٣٢ - أمثال العوام ١٤٣/١).
- [118] حاجر : موضع من ديار بني تميم. انظر (معجم ما استعجم ٢٢٩/١ - معجم البلدان ٢٠٤/٢).
- [119] اشارة الى قوله تعالى : وريك يخلق ما يشاء ويختاره، سورة ٢٨ (القصص)، آية ٢٨.
- [120] أبو القاسم بن داود ابن الفخار الصديقي السلاوي، فقيه ومحدث وشاعر كان أحد المدرسين بمدرسة الطالعة بسلا توفي سنة ٨٠٠ هـ، انظر (درة البحال ٢٨١/٣، الاتحاف الوجيز ص ١٤٠).
- [121] سورة ٥٧ (الحديد)، آية ٢.
- [122] أبو عبد الله بن مرزوق (٧١٠ - ١٣١١ هـ / ١٣١١ - ١٣٨٠ م)، هو محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي، يكنى أبا عبد الله ويلقب بشمس الدين، من أهل تلمسان، وهو مؤلف المسند الصحيح. انظر (نيل الإبتهاج ص ٢٦٧ الديباج المذهب ص ٣٠٥ - التعريف ص ٤٩ - الأعلام ٣٢٨/٥).
- [124] الحوائط : ج. حائط، وهو البستان المحاط بجدران.
- [125] كباء : ما يتبخر به كالمندل، وهو عود، والجمع كبي.
- [126] كعب بن مامة : من بني إيد، ويضرب به المثل في الجود فيقال أجود من كعب بن مامة. (مجمع الأمثال ١٨٣/١ رقم ٩٧٨).
- [127] الهياط والمياط وهو مثل يقصد به شدة واذي والهياط معناه الصياح، والمياط : الدفع، منهم من يجعله من الصياح والجلبة. (مجمع الأمثال ١٢٠/٨ رقم ٥٠٦).
- [128] القيراط : نصف الدوق، وقيل ربع سدس الدينار.

- [129] الساباط : سقيفة بين دارين تحتها طريق، والجمع سوابيط وسابطات.
- [130] سورة ٢٨ (ص)، اية ٦٧.
- [131] الششتري : (٦١٠ - ٦٦٨ هـ / ١٢١٣ - ١٢٢٩ م) هو علي بن عبد الله الهميري أبو الحسن، من ششتر، وهو متصوف مشهور. انظر (الأعلام ٣٠٥/٤). - علي سامي النشار : «أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي وأثره في العالم الإسلامي»، صحيفة المعهد المصري، السنة ١، ٩٥٣ (ص ١٢٩ - ١٦٨، ديوان الششتري ط ١، الإسكندرية ١٩٦٠، ص ١ - ٢٠).
- [132] الغلطا : نطق عامي للفظه الغلطا التي تعني الأرض الصلبة، ويقصد بها هنا النفس الأمانة، ويتفق هذا مع تعريفه لها في روضة التعريف حيث قال : «وهذه النفس لا يقع عليها الاختيار، فهي حجر صلد، غير قابلة للفح..» انظر (ابن الخطيب : روضة التعريف ١/٣٦٨).
- [133] يمتخ : يقتلع الشيء من موضعه.
- [134] يفتق : يمزق.
- [135] اشكل : احسن.
- [136] جنح : خرجت له أجنحة.
- [137] أشلق : تعلق ولازم.
- [138] خليع : سكران.
- [139] يقطع في القطيع : يشرب حتى الثمالة، ويقصد الخمرة الالهية.
- [140] مر : أذهب.
- [141] مرا : امرأة.
- [142] مرا : مرأة.
- [143] ويدي نوره الغلط : لعل المقصود به بدر الغلط، وذلك بأن يشهد اثنان برؤية هلال رمضان، فيظهر نوره فيما بعد ويكشف الغلط.
- [144] المسول : الحليب.
- [145] مهاود : مطيع.
- [146] الجزور : الجزر، ج. جزيرة.
- [147] حلب وحمص : بلدتان شهيرتان بسوريا. معجم البلدان ٢/٢٨٢ - ٢/٢٠٢.
- أبو قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة : (معجم البلدان ٤/٣٠٨).
- عكة : اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن. (معجم البلدان ٤/٤٢٠).
- [148] المغسى : المقل.
- [149] : قلبق : تعريب للكلمة الإسبانية (Galapago) وتعني السلحفاة. - فيركا : في بركة.
- [150] قليبتي : تصغير قلبي.
- [151] لوشى : يقصد نفسه لأنه من لوشة.
- ششتري : أي الششتري الذي سار على نهجه في الزجل.
- [152] عرق عرب ورمل مائة : من أقسام الموسيقى الأندلسية. انظر (الجراري : معجم مصطلحات الملحن الفنية، الرباط ١٩٧٨، ص ٨٩).
- [153] ابك : الأب، بفتح الألف وتشديد الباء، الحبوب.
- الغيار : السماد.

- [154] طلع ثم فار : طزج.
- [155] الفقي ابن الحسن : أبو الحسن بن الحسن النباهي . سبق تعريفه.
- [156] ابن جزى : (٧١٥ - ٧٨٥ - ١٣١٥ - ١٣٨٣م) هو أحمد بن محمد من أحمد بن عبد الله بن جزى، من غرناطة كان فقيها وأديبا، وقاضيا. انظر ترجمته ومصادرها في (معجم المؤلفين ٧٢/٢).
- [157] فلي : تصغير فلان
- [158] اقتباس من بيتي الششتري. انظر (ديوانه ص ٤٤٠).
- مثل حسنك ما رأينا قط يا وجه السرور
أنت شمس أنت بدر أنت نور فوق نور
كما نجد هذه المعاني عند الحلاج في قوله :
وكيف يثبت ثمان وأنت فرد فرد
يجوز قلبي المعاني وليس من ذلك بد
المد في الناس مولى كأنني فيك بد
- انظر (سبك المقال، مخ. الخزانة الحسينية رقم ٢٠٥، لوحة ٥).
- [159] فردام : لعلها من اللفظة الفصيحة في ردام، أي لا خير فيه.
- [160] سهيل : (Fuengerola) مدينة صغيرة ساحلية تقع شرقي مربلة بمسافة ٢٨ كلم.
- بسطة : (Baza) مدينة قريبة من وادي آش، وهي مشهورة.
- [161] خلف : من اللفظة الفصيحة بفتح الخاء وكسر اللام بمعنى احمق.
- نجيبو : نجيبه. والإنسان النجيب : الفاضل النفس والعمل. الذكي.
- [162] يغمض : يطبق عينيه، كناية عن الموت.
- [163] لا من يغمض : يعني لا من ينام.
- [164] محمد الأولى : الغني بالله، ومحمد الثانية : محمد الرسول.
- [165] شمل : يسار.
- [166] الفنش : يقصد بها Pedro el Cruel.
- نومتار : لفظة اسبانية (No matar) بمعنى لا تقتل.
- ياشنير : السيد بالاسبانية (Señor). قطيبو : تعريب اللفظة الاسبانية (Cautivo) التي تعني الاسير، ويقصد أبا سعيد البرميخو الذي قتله بدر الأول. (المتن، ل ٧٧).

رجع التاريخ <احتفال الغني بالله بالمولد النبوي لعام ٤٦٧هـ / ١٣٦٣م>

وفي شهر ربيع الأول من عام أربعة وستين وسبعمائة استدعى السلطان الناس إلى بنيته الضخمة، سمر الركاب، وحديث الرفاق، وحجة الهمة، وفذلقة الحسن، التي ابتدعها لحين ولايته الثانية، هذه المنقذة من البأساء، الفاتحة بالقبول أبواب السماء، واتخذها مجلسا عاما، وإيوانا للمشورة جامعا، فأغرى بها نفس الملك، وخاطر التهمم، وأطاع داعي التوسع، وتجاوز الغايات، إذ عمد إلى المشور [1] القديم أثر سلفه، فصيره دكا، واستضاف إليه ما جاوره تجرا، فأقام بشرفه مجلس القعود ومنتصب سرير الإمارة، ومفترش أريكة الملك والتحية على سرير الإمارة، أعباء الأحوال التي تطمح إليها قدر الخلفاء جفاء ورحبا وزليجا وعمدا ونقشا وزخرفا، ورفع مكانها عن أرض الإيوان فوق القامة، تطل عليه منها القسي المزخرفة، قائمة فوق عمد المرمر المخروط طولاً يعيي الخطو، ويتعب الذرع، تحته أدراج ثلاثة، قد غطي كل ذلك اللين [2] المغشي بالزجاج الملون بين قائم وقعيد، ومشترك ومفصول وأقلت سقف القبة العليا عمد أربع كأنما فردن من أديم الصباح، أخذها على بدانتها الخراط، فترك بها من الأسورة والتحازيم ما يبهت العين ويذهل الفكر، قامت على أربعها قبة سامية على سائر المسقف، قد منطقتها بحر الزجاج، عديم الفياصل، "عبرة لأولي الأبصار" [3]، ودارت به المسقفات أخذة نهاية الاحتفال خشبها، بالفة أقصى المبالغ سموكها، تناظر منها مسقفان ضخمان قبة وجوفا، قد برزا في الشكل الخمسن وتفننت فيهما الصنائع، وتعددت الأشكال والفصوص، ولطفت النقوش، وتناسبت الأصباغ، وماج بحر الزليج في جميع حيطانها، يعلو محصور خواتمه طرة نقش بها منظوم يجمع فصول / السياسة [4]، قد علت حروفه ورق الذهب الإبريز، وتراكم خلالها سحيق

اللازورد(١)، وغشيت الأبواب المفضية إلى دهليز القصر والدورة المنسوبة لخزانة الطيب ومدخل القبة المعينة للجمهور وقبة خزانة العطاء على ضخامة الألواح وعراضة المصاريح بالصفح المصقول المخطوط، صنائع يفصل بين حدودها قضيب الشبه الموه بالنضار ومسماره، وامتد بين يدي هذه القبة منخفضا تلثي القامة الدار القوراء المخصوصة بإسم المشور الخاص، إيوان فخم تسائر فيه العين، حيث البساطة والسذاجة، والانفساح والضياء، يقابل مدخلها القبة الموصوفة مفضيا إلى المشور الثاني، وقد حفّ بهذا الإيوان المسقف الطويل المذکور بلاط الوليد، القائم على عمد المرمر المخروط، مائلة كأعناق الغيد، تقل من تيجان القسي كل بديع، وفي المسقف عن يسار الداخل البهو المطل على البلد، المحدق إلى ما وراءه من مراصد البيات وحدود الثغور، المصفي سمع محتله إلى أهزاج المياه المنحدرة عن فيوض برك القلعة، ولغظ الخلق كدوي الدبر في بيوتهم دويها، وبهذا البهو كان مثل السلطان يوم الكائنة [5]، فاخص هذا المكان بمزية الظهور، وخصوصية الطائلة، وأفرغ عليه لقب النصر، ومثل بوسط هذا القصر الفسيح الأقطار الصهريج الغريب الشكل، المقدرة أضلاعه، وقطع (٢) من نواتر، تصب فيه ميازيب الخصص [6] الرحيبة، المرية أقطارها على القامة الإنسانية، وأسود النحاس من الموهمة الموهمة إحكاما وأجراما أشبال الحيوان تنساب عن العباب المتدارك، ويفضي المدخل إلى المشور الثاني المنحط عن شكل الأول وذرعه، المشتمل على السقائف والميضات، [7] ومقاعد الكتابة وقبة العرض، واستجلاء الرقاع، ومباشرة المتظلمين، والمثول لتحية (٣) العامة، المفضي بابه إلى الطريق / المجاور إلى المسجد العتيق، خلف (٤) الزخرف أثر السلطان أبي الوليد [8] رحمة الله عليه.

/215

فأقام ليلتئذ بهذا المصنع، المنقطع القرين في معمور الأرض على حياله من توسط الإحكام إياه بنيته (٥)، المولد الكريم ولما يكمل أوله فضلا عن تاليه، فرفع وسطه بالهندام الهائل، المسخر في مهرة الملاحين ورؤساء البحريين، متناء (٦) الأصل عن النؤابة، بعيد مهوى الورقة الساقطة، ممتازا بحسن الشكل، ساميا في الجو كالصعدة [9] إملاسا واستقامة، ولم يرض بعده في الهواء (٧) حتى أضيف إليه مثله لاعم بينهما الإحكام شدا وديسرا، ورفع بأعلاه السقف المرفوع والظل الممدود [10]، الخباء الشهير المنسوب اتخاذه لهم السلف من هذا البيت، يسع كنه، وتعم طنبه الجمع المشهود، واللفيف المحشود، والبيض والسود، المحملة أجزاءه الظهور الغزيرة (٨) من نواب البحر، المؤلف بعضها إلى البعض بعري الحديد التي لا تنتهي القدر البشرية إلى ماوراءه، الجامع من الرقوم والأوراق

والأصباغ ما لا تتعاطاه البطاح إذا حلت أوكيتها (٨) السحاب الدكن، وحنث عليها الغمام الوطف، ولا الرياض حالها الحزن (١٠) [11]، ودبجها المزن، ومن الجدل الفارة ثعابينها إلى أقاصي المطارح وغايات المراسي والمساحب كل قوي متين، وثمان ميين، ومن الجلود المخروزة (١١) بخيوط الحرير واللجين على الأشكال المتعددة، الطاعن في نحر الجو بالجامور الهائل والتاج الفخم، المتعدد القسي والتفافيح والتفاريح، المرسل الهيدب، الفلكي النطاق، الأفقي الذيل، المتناسب الأكر، المغير ذوائب المآذن الشهيرة، وصواري المراكب مدن البحار الزاخرة، فعمت أنياله سماء الإيوان على تباعد أقطاره، فجاء عبدة الأبصار، وخيرا باقيا على الأعصار، وعم أرض القبة العليا بالفرش الرفيعة، قد علتها أريكة الملك، لابسة زي التجلة، موثرة شعار الوقار بياضا وخصوصية، وجلت أرض المشور جمعاء /

الحصر النظيفة، والأنطاع العجيبة، ولزقت بحيطانه منها الأستار البديعة اللطيفة، ودارت بالبركة الصخرية (١٢) من حسك البلور والشبه ما تقصر عنه ديار الملك وخزائن الخلائف، وتخلت الساحة العريضة أجرام المنار الرحيبة الأقطار السامية العمدة، الفيلية الأرجل، المتعددة الأقراط، أشجار عادية، وأجرام نحاسية عكف الصناعات على إيلاف أعضائها أياما، فجاءت موثرة للبهت، مبلدة للفكر، وأجرام من الحسك بين الشكل الأقور والمخروط، مقاعد للشمع ومنابر لجنوع الموم، إلى ما لا يحصى من الأنوار والمشاكى وأوعية (١٣) المشاعل وجلال الشمع وخشاشه، بحسب الأماكن والشوكات والتفاريح، وانطلقت على تلك العمدة الشمعية وجذوع بناء النخل (١٤) أيدي سدنة بيوت الله عند غروب القرص، فأشعلت نواحبها بالنار، فآزهر اللوح الأشب، وراق المرأى المعجب.

/216 /

ولما اجتمع الناس، وماج من دون الأبواب البحر، وكاد يريداهم على انفساح المدى الضغط، برز السلطان في خاصته فاقتعد أريكة الملك مغريا بتلك الأوضاع حسن نظره، ومتخير ترتيبيه، ثم أذن للناس على طبقاتهم، فاستقروا عن تزاحم وتدافع وعلاج أنسابهم مضضه التعجب من هول ما أفضوا إليه، يغشون كرسى الملك مطرين ومحيين (١٥)، فيسعهم بشره، ويشملهم بالجميل وحسن المقارضة رده، ويبهت أبصارهم شكله، ويبههم رؤؤه لكان تاج العمة التي أصار إليها زي الملك بالاندلس، وكان غفلا منها قبله [12]، ونباهة الجلسة التي عينتها همته ثم أقيمت الصلاة جامعة، وعند الفراغ أحكم الخدمة والعرفاء ونبهاء المماليك ترتيب الناس، فكان بمحل الغرفة من مجلس السلطان شيوخ القبائل، والأشراف بنو القواطم، ونسباء الملوك، وأهل العلم، وبين يديه الصوفية والفقراء فيما انخفض بين يدي جلسته من المشور الخاص وهم لهذا العهد كثير عددهم / من المتسببة والمتجردين،

'217 /

وأرباب الخرق المسافرين، والأعجام الواردين، ويتلوهم التجار وقد جمع هذا العهد منهم المنين فيهم العدد من المشاركة والتوسيين، وغص المشهد الرحب بسائر الطبقات، وعيون الرعية قد ألبسوا أثواب الزينة، واختالوا في فاخر الكسوة، ثم كان الرسم من الشروع في ذكر الله، والإنصات أعشار القرآن وبالغ الوعظ، ثم اندفاع الأغاني وزفير اليراع الأجوف، وطاف على الناس النبهاء من وجوه الخدام والممالك الروقة [13] قد تمنطقوا فوق الأقبية الديباجية، وبرزوا في زي الانشمار، على رؤوسهم أفلاك الموائد الخشبية الفسيحة الأطوار، المتلاعبة بالأفكار، في مجال الاعتبار، بما تنتهي إليه أجرام الأشجار، ماثلة في حلل الرقوم البديعة، والنقوش الغربية، بعد تعميم الناس بالوضوء في الأواني الكريمة السنح [14]، المهامة الصقل، المهومة سحانها (١٦) مرأى الذهب البحت، قد أقلت جواربها المنشآت وأجواؤها الخرقة من أصناف الطعام ما شكت جوره مسارح البهيم وبيادر الدواجن وبنان الدهن وقناني المرى [15] وأوعية الخل ومخازن (١٧) العبير والتابل وكور النحل، قد تفتن فيها العلاج شيا وقلوا وتكبيبا وحشوا في مصران الحوايا وتحميمصا وتربيبا باللبوب والبزرد (١٨)، وحلوى [16] وجوارشات [17]، ودارت فوقها من قرص خبز الحواري [18] بدور لم يشنها المحاق، وطرف تتهاداها الرفاق، تعد ذلك حتى إذا أعيا العد وحير الفكر، وأوجب البهت بذى العلية المستاثرة بالدنو من الأريكة فثملوا من نخب ذلك المطعوم، ثم تلاهم التجار والغرباء تحفيا وسروا وإيثارا واعراقا في نسب المروة، ثم استتبع جميع الأصناف، ثم نفر (١٩) عن الزوايا والليات والمنعرجات والدهاليز والمراصد والأبواب، فعم البر، وشمل الرزق، ولم يكد المدى يبعد حتى أطل ركاب تال يحمل من موائد اللطف والفواكه اليابسة (٢٠) المزاج عجمها ونواها وأعالي / قشورها والكعك [19] البديع والتفاح الطر في أوعية وأطباق خشبية رومية، مما يطرف بها تجار "جنوة" وما يصاقبها من الجزائر الروميات، ملبسة بالورق الذهبية، مرصعة بالزجاج المرسوم فيه صور الحيوان والأشجار، عبرة للأبصار، قد تراكم بها الفائد الرفيع الذي قصر عنه قريع الطبرزدين [20]، محشو باللباب، وموحى إليه بقوى الأفايه الهندية، والهاضومات الطيبة. وعند انصرام الظلام والفراغ من الصلاة طلعت (٢١) مع الصباح هوداج الجفان الجوف أخذان التذهيب والتمويه، مشتملة على البحر من طعام الثرد [21] وغذاء الريق، فكان الحال في طعام هذا المدعى وأوانيه منقطعة عن المثل، مغربة في بعد الشاؤ.

/218

وتقدم السلطان بثقوب فهمه، ولطف حسه، وأصيل إدراكه، وصحة خياله، إلى اتخاذ آلة تخبر بمضي ساعات [22] الليل، فأنشئ ليلتئذ بإشارته مكان

غريب خشبي أجوف، في مثل القامة، صير منه شكل الاستدارة إلى ذي جهات اثنتي عشر، في أعلى كل جهة منها محراب، قد شمل الجميع الصبغ والتزيين، واستقل برأس الشكل شمعة موقدة، قسم جرمها أجزاء بانقسام ساعات الليل، وأخرج من عند كل خط يقسم جسدها، ويعين الساعة فيها سيب من الكتان يتصل برأس غلق المحراب الظاهر فيمنعه من الهوى والنزول، وفوق محذب المحراب خرت محكم يفضي إلى شكل سدئ يعترض مجراه قائم من الحديد مثبت في رأس الفلق (٢٢) الذي يسد المحراب، وخلفه كرة من النحاس بندقية (٢٣) الشكل، يمنعها ذلك القائم المعترض للمجرى من الإنحدار، وخلف الفلق شكل يهدي رقعة منظومة تعرف بمضي الجزء من الليل، فإذا استولت النار على الشمعة، وبلغت إلى حد الساعة، أحرقت السبب المتصل بما ذكر فانحدر الفلق، وزال المانع عن سقوط الكرة فهوت واستقرت في بعض الصحن /النحاسية المصونة، المغراة بالشهرة، وبرزت الرقعة فأوصلها القيم على ذاك المسمع فأنشدها.

219 /

أغرى التجريب بهذه الآلة، على ما تقتضيه طبيعة نارها وفتيلها (٢٤) والهواء المحصور في تجويفها، فصح عملها، وأطرد صرقتها، وخفي قصدها، وخف نقلها، فكانت أخرى حصياتها موقعة على نظم النداء بأذان الصبح، من غير إخلاف وعد، ولا إخلال بوقت، فجاعت طرازا على حلة الصنيع الفخم. ويأتي ذكر ما أنشد بجرائها من المنظوم عند ذكر الإنشاد - بحول الله - .

وعند انقضاء ذلك عظم لجب الذكر، وتجاوبت به الجهات، وأداه صدى (٢٥) البناء الحديثة، وساق في المهرة اللفيف، وحصل في النفوس الانفعال، فابتذرت حياها الخشوع والتصدع من خشية الله إلى أن غلبت المواجد، ثم كانت الإفاقة، وأغمامت عند ذلك السماء بدخان (٢٦) العنبر الشحري، فظللتهم غمامة، ثم سكب ماء الورد شأب غصون الأنس، حتى قطرت السبال، واستنقعت الأذيال، واندفع المزمزم كما تم الترتيب، وهو المخصوص بالمداعي الملكية، المتميز عهدئذ بمزية الإعراب وقراءة القريض (٢٧) المعروف بالحميني (٢٨)، موصلي أهل جلدته بكل مطرب من الغناء، وكلما مر بمعنى مثير للوجد لبته الصوفية والفقراء، بين واجد ومتواجد، يحدوهم مشيختهم فيحمى الوطيس، ويتدارك الرقص، ويفلب الوجد، ويعلو الصراخ، والمسمع يواصل القصائد المنظومة في مدح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والإشادة بميلاده، وذكر معجزاته، ثم التخص إلى مدح السلطان وذكر خلاله، وإطراء تحفيه بهذه الدعوة، جمع العد ليلتئذ ما يناهز ربع المئة مما يدل على عراقة هذا الصنع في العروبة، ومحل من اللسان، وكمون البلاغة بين أطلاله، منهم المجيد، والمتصف بما دون ذلك شأن أولي الصنائع ومعاطي/المدركات.

)/

وكلما مرت ساعة سقطت الحصاة في طنجير شهرتها، وتفتحت الطاق، وتتوالت الرقعة، إلى انقضاء الليل، كان هذا رسم الليلة الأولى ثم ليلة الأسبوع، فانشد ليلتئذ في الإخبار بالساعة مما نظمته لذلك من الشعر الراشح عليه مضمري تحزنا وتحسرا ويعدا عن التنزل للغرض الشعري، قولي :

في الساعة الأولى :

(رمل)

شَرَعْتُ شَرَعَ الرُّضَى وَافْتَرَضْتُ
نَظَمْتُ مِنْ سُبْحِ مَا نَقَضْتُ
سَاعَةَ الْأَنْسِ إِذَا سَرْتُ مَضْتُ
حُجْبَ الْوَهْمِ إِذَا مَا اعْتَرَضْتُ
خَاطِرَ الْهَمَّةِ مَهْمَا أَوْمَضْتُ
حِكْمَةَ اللَّهِ لِكَ الْعَزْ أَقْتَضْتُ
نُصْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى نَهَضْتُ
جَرَدْتُ كُلَّ حِجَابٍ وَنَضْتُ
ضَاعَفَ اللَّهُ لَهَا مَا أَفْرَضْتُ [23]
يَسِطُ الْأَمَالَ مَهْمَا نَقَبْتُ

سَاعَةٌ أَوْلَى مِنَ اللَّيْلِ انْقَضَتْ
نَقَضْتُ مِنْ سُبْحَةِ اللَّيْلِ [حِبَّةٌ] (٢٩)
وَمَضْتُ مِنْ بَعْدِ أَنْسٍ وَكَذَا
فَاجِلُ (٣٠) عَنْ نَفْسِكَ لَا تَحْفَلُ بِهَا
وَيَرُوقُ الْحَقُّ فَاصْرِفْ نَحْوَهَا
يَابْنَ نَصْرِيَا سَمِي الْمِصْطَفَى
فَإِذَا اسْتَنْهَضْتُ فِي مُعْتَرِكِ
وَهِيَ النَّفْسُ إِذَا الْحَقُّ اجْتَلَتْ
وَإِذَا تَقَرَّرْتُ قَرَضًا حَسَنًا
وَالرُّضَى لِلَّهِ وَالشُّكْرُ لَهُ

وفي الساعة الثانية :

(بسيط)

وَجَمْرَةَ الشُّوقِ مِنْ بَعْدِ الْوَقُوفِ رَمْتُ
مِنْ سَلَكِهَا وَهَوْتُ مِنْ بَعْدِهَا انْتَضَمْتُ
وَأَحْرَفَ مُحِيتِ مِنْ بَعْدِهَا رَمْتُ
قَيْدَ الزَّمَانِ تَرَقَّتْ نَفْسُهُ وَسَمْتُ
أَوْ تَتَّصِفُ بِوُجُودِ الْحَقِّ مَا انْعَدَمْتُ
عَمَّا بِهِ عَمِلْتُ فِيمَا بِهِ عَلِمْتُ
بَدَأَ لَهَا الشَّفَعُ وَتَرَأَ عِنْدَمَا حَكَمْتُ
وَسَلَّمَ اللَّهُ مِنْ غَوْلِ السُّرَى سَلِمْتُ
رُحْمَاكَ فِي أَنْفُسٍ عَنْ جَمْعِهَا قُسِمْتُ
وَاللَّهُ مَا وَجَدَتْ شَيْئًا وَلَا حَرِمْتُ

مَوْلَايَ ثَانِيَةً مِنْ لَيْلِكَ انْصَرَمْتُ
كَأَنَّهَا دِرَّةٌ فِي الْكَفِّ قَدْ سَقَطْتُ
شَأْنُ الزَّمَانِ افْتِرَاقٌ بَعْدَ مُجْتَمَعِ
فَمَنْ يَكُنْ قَامَ بِالْبَاقِي وَحَدُّ لَهُ
إِنْ تَنْصَرِفْ نَحْرَ عَيْنِ الْجَمْعِ مَا انْفَرَقْتُ
فَلِلشَّرِيعَةِ مِنْهَا الْعِلْمُ إِنْ سَأَلْتُ
وَالْحَقِيقَةَ مِنْهَا السَّرُّ إِنْ نَظَرْتُ
هَذَا الْكَمَالَ فَإِنْ تَلَمَّمْ بِسَاحَتِهِ
يَا مَنْ اتَّصَلَ (٣١) الْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
إِنْ لَمْ تَجِدْكَ وَلَمْ تَحْرَمْكَ فِي نَفْسِ

/221

وفي الساعة الثالثة :

(خفيف)

حَلَفَ اللَّيْلُ بِالثَّلَاثِ بِمِينَا
إِنَّكَ الْمُعْتَنِي بِمِيلَادِ مَنْ قَا
رَحْمَةُ اللَّهِ حُجَّةُ اللَّهِ نُورُ اللَّهِ
ظَهَرَتْ مِنْكَ فِيهِ أَسْرَارُ حُسْبٍ
زِدَتْ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الدَّهْرِ عَيْدَا
لَيْلَةٌ ضَمَّ ثَوْبَ أَمْنَةٍ فِي
لَمْ يَنْوَهُ بِهَا سِوَاكَ وَقَدْ مَرُّ
هَكَذَا يَذْخُرُ إِلَهُ الْمَزَايَا
فَارْتَقِبْ يَا مُحَمَّدُ الْحَمْدَ نَصْرًا
وَإِذَا مَا أَسْتَعْتَثَ بِاللَّهِ كَانَ

لَيْسَ يَخْشَى فِي مِثْلِهَا أَنْ يَمِينَا [24]
مَ لَدِينِ الْإِلَهِ وَالْحَقُّ فِيْنَا
لَهُ بَرَهَانُهُ الْحَقِيقُ الْمِينَا
جَمَعَتْ فِي الْكَمَالِ دُنْيَا وَدِينَا
ثَانِيَا يَا مُؤَمِّلَ الْمُسْلِمِينَا
جُنْحَهَا الطَّاهِرِ الرَّسُولِ الْأَمِينَا
زَمَانٌ وَعَاقِبَ الْحَيْنِ حِينَا [25]
هَكَذَا يَغْبِطُ الْجُدُودَ الْبَنِينَا
بَعْدَهَا ظَاهِرًا وَقَفَتْحَا مُبِينَا
لَهُ فِي مِثْلِهَا الْقَوِيُّ الْمُعِينَا

222 /

وفي الساعة الرابعة : (٣٢)

(طويل)

بِرَابِعَةِ السَّاعَاتِ (٣٢) جِئْتُ أُخْبِرُ
وَلَمْ لَا؟ وَقَدْ أَحْيَا بِهِ (٣١) اللَّهُ سُنَّةً
كَأَنَّ رَيْبَعًا كَانَ لِلنَّاسِ شَهْرُهُ
فَارْجَاؤُهُ مِنْ نُورِ وَجْهِكَ تَزْهِي
مُحَمَّدٌ قَدْ عَظُمْتَ دِينَ مُحَمَّدٍ
لَقَدْ شَدَّ أَرْزَ الْمَلِكِ مِنْكَ خَلِيفَةً
تَبَشَّرَ مِنْهُ الْعَارِفُونَ بِوَارِدِ
فَكُنْ وَاقِفًا بِاللَّهِ مُسْتَنْصِرًا بِهِ
يَقُلُّ جُمُوعَ الشَّرِكِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ

وَالْمَدْحُ فِي الْمَوْلَى الْهَمَامِ أَحْبَبُ
نُهَلُّ فِي أَعْيَادِهَا وَنُكَبِّرُ
رَيْبَعًا سَقَاهُ عَارِضٌ مِنْكَ مُمَطَّرُ
وَيَطْحَاؤُهُ مِنْ نُورِ جُودِكَ تَزْهَرُ
وَمِثْلُكَ مَنْ يَبْدِي الْجَمِيلِ وَيُضْمِرُ
لَهُ تَحْتَ سِتْرِ الْغَيْبِ نَصْرٌ مُؤَدِّرُ
قَرِيبَ الْمَدَى فِي اللَّهِ فِيمَا يَبْشُرُ
فَهَلْ تُمْ إِلَّا اللَّهُ يَكْفِي وَيَنْصُرُ
وَيُنْمِي مِنَ الدِّينِ الْقَلِيلِ فَيَكْفُرُ

وفي الساعة الخامسة :

(مجث)

مَوْلَايَ خَمْسٌ تَوَلَّتْ
وَأَذْمَعُ الشَّمْعَ حَرِيْبًا
سَارَتْ وَكَمْ مِنْ لُجُوعِ
وَالهَزْلُ مَسْرُوحٌ نَفْسِ

وَيَا الْمُنَى قَدْ تَجَلَّيْتُ
مِنَ الْفِرَاقِ اسْتَهْلَيْتُ
فِي الْجَوَانِحِ خَلَيْتُ
عَوَانِدَ الْجِدِّ مَلَيْتُ

تَعَشَّقَتْ بِظِلَالِ
حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ لَاحَتْ
بَدَا لَهَا الْحَقُّ حَقًّا
وَهَا لَهَا مِنْ نَفْسٍ
إِذَا الْقِيُودُ اعْتَرَتْهَا
أُزْفِعُ الْقَيْدُ عَنْهَا

حَارَتْ لَدَيْهَا وَضَأَتْ (٣٥)
أَنْوَارَهَا وَتَجَأَتْ
فَزَايَلَتْهُ وَزَلَّتْ
قَدْ أَقْبَلَتْ ثَمَّ وَوَلَّتْ
هَانَتْ وَخَسَّتْ وَذَلَّتْ
عَلَتْ وَغُرَّتْ وَجَأَتْ

وفي الساعة السادسة :

(مخلع البسيط)

مَوْلَايَ لَزَلْتِ فِي أَمَانِ
كَأَنَّهَا الْعَقْدُ رَابٍ مِنْهُ
مُنْتَهَبُ الدَّهْرِ كِلْ وَقَّتْ
وَيَقْتَضِي حَقُّهُ غَلَابًا
فَافْطِنْ لَهُ إِنَّهُ غَيُودُ
وَاسْمٌ عَنِ الْكَوْنِ تَبْقَى مِنْهُ
بِلَا اشْتِيَاقٍ وَلَا فِرَاقٍ
فَأَيُّ دَيَّرٍ بَغْيِرٍ غَيْرِ
وَأَيْنَ مَنْ يَكْشِفُ الْخَبَايَا (٣٦)
فَيُبْصِرُ الْوَيْثَرَ دُونَ شَفِيرِ

سَتْ تَقْضَتْ مِنَ الزَّمَانِ
سَقُوطُ سَتْ مِنَ الْجُمَانِ
قَطَافُهُ عَذْبَةٌ الْمَجَانِي
بِلَا تَوَارٍ وَلَا تَوَانِي
وَأَرْمِ إِلَيْهِ بِكِلِّ فَإِنْ
وَمِنْ أَدَى الْكَوْنِ فِي أَمَانِ
وَلَا زَمَانٍ وَلَا مَكَانِ
وَأَيُّ خَمْرٍ بِبِلَادِنَانِ
وَأَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ الْمَعَانِي
وَيُبْصِرُ الْفِرْدُ دُونَ ثَانِي

وفي الساعة السابعة :

(بسيط)

سَبْعُ مَضَتْ مِنْ زَمَانِ اللَّيْلِ وَأَسْفِي
كَمْ صُنْتُ جَوْهَرَهُ بِالْجَهْدِ فَاثْتَهَبْتُ
تَغَالِبُ الْحَقِّ مَنِي (.....)
ضِدَّانٍ مَا شُنْتُ مِنْ دَاعٍ إِلَى سَرْفِ
حَالٍ مَشْتَتَةٍ فَالْعَقْلُ فِي طَرْفِ
وَالْعَيْنُ فِي سِرٍّ مَنْ لَيْسَ تَسْرَحُ بِي
إِنَّا إِلَى اللَّهِ مِنْهَا أَنْفُسًا عَرَفْتُ
خَانَتْ مَوَاطِيقَ أَعْطَتْهَا مَوْكِدَةً

هَلْ لِي مِنَ الْعُمْرِ الْمَسْرُوقِ مِنْ خَلْفِ
وَكَيْفَ وَالْأَمْرُ حَقٌّ إِنْ نَظَرْتُ وَفِي
..... (٣٧) وَخَسَارِي، أَيْنَ مُنْصَرَفِي
فِي الْغَنَى هَذَا وَذَا دَاعٍ إِلَى شَرْفِ
وَالْجِسْمِ فِي طَرْفِ، وَالنَّفْسُ فِي طَرْفِ
وَالْقَلْبُ فِي ذِكْرٍ مَا فَاتَ فِي أَسْفِ
مَالَهَا ثُمَّ لَجْتُ بَعْدَ مُعْتَرَفِ
أَخْسَرُ (٣٨) قَرِيبَ الْعَهْدِ غَيْرِ وَفِي

والله إن لم يداركها وقد وحلت
ولم يجد بتلافيها على عجل

وفي الساعة الثامنة : (٢٩)

(سريع)

بلمحة أو بلفظ من لدنه خفي
ما أمرها صائر إلا إلى تلف

هذي ثمان قد قطعن الدجى
مرت وقد نال بها أمل (٤٠)
فجرى العزم الذي ما نبا
يرده الخوف ويدعو به
قد قطع البر فقال : الوحي (٤١)
والثدي بالباقي فحث الخطى
مولاي هذا نهج أهل الهوى
واسلك من السير به منهجا
ولتقرأ النسخة وأترك إلى
وكيف لا يحرز إرث العلى

وفي الساعة التاسعة :

(طويل)

في سيرها معتبر للحجا
ما شاء من أوطاره وأرتجى
والثحف الليل الذي قد سجي [26]
إذا أطاع الخوف داعي الرجا
واقتم البحر فصاح : الوجي (٤٢)
ومر بالفاني فما عرجا
فاسمع لمن قارب أو لججا
عن مادح جيل وعمن هجا
سر المعاني خطها المدمجا (٤٣)
من ورت الأنصار والخزجا (٤٤)

/225 /

أمولاي دمت الدهر منصور أعلام
لتعلم ركب الليل أين ركابه
خصصتك يا مولاي الملوك بخدمتي
لقد طاب من مثواك في البر مشهد
متى [ما] (٤٥) ترق العين فيه تسهلت [27]
أمولاي دم للحق تغل مناره
وكن واثقا بالله في كل جهة
فهما سللت السيف أمضاه حكمه
ولا تغتبر يوما بخادع زخرف
وكن نحو نود الحق تغشو فكل ما

بتاسعة الساعات عجلت إعلامي
فقد دخلت للغرب ملتق أجام
وإن كانت الأفلاك من بعض خدامي
غدا الحسنة فيه ذا فنون وأقسام
فمن أسد جام ومن عمد سام
وللملك تبد منه في الأفق السامي
يتم عليك الفضل أحسن إتمام
ومهما رميت السهم كان هو الرامي
فإن وجود النور أضعاف أعلام
سواه فحجب من ضلال وأهام

(كامل)

وإليه إن ذكرَ الكمال يُشارُ
 لله يُمضَى حكمها المقدارُ
 شمساً، وما غيرُ العلاء مَدارُ
 ليثاً وما غيرُ الظُّبَا أظفارُ
 حَزْبُ الدجى فكأنَّه أعشارُ
 تُزجى قِلاصُ أو تُزَمُّ عِشَارُ
 فَجَرُّ يَكُرُّ على الدجى ونهارُ
 أَرَجَّتْ بِحَضْرَتِهِ لها أزهارُ
 خَفِيَّتْ، وأمرُ تحسنته أسرارُ
 لله فَهوَ الواحِدُ القهارُ [28]

يا مَنْ بِهِ للملئة استبشارُ
 أمحمدُ المحمودُ دمٌ في عَضْمَةِ
 بدرأ وما غيرُ الخلافةِ هالئةُ
 غيثاً، وما غيرُ النوالِ سحابئةُ
 مرَّتْ من الساعاتِ عشرٌ فصلتُ
 طابتْ بِمولدِ خيرٍ من لُصريحه
 والليلُ قد ولَّى وحسبُ وراةُ
 ذبَلتْ به زهرُ النجومِ وطالمَا
 قَلَّقَ على شفقٍ يكرُّ بحكمةِ
 والكلُّ مؤتمِرٌ وما في ضمْنه

وفي الساعة الحادية عشر :

(خفيف)

لُدغَتْ مُهَجَّتِي فَهَلْ مِنْ راقِي
 كُنْتُ نَسِيَتْهُ بِيَوْمِ الفِرَاقِ
 خَلَقَ جِوْراً على النفوسِ الرِّقَاقِ
 وتولتْ رِكابها في استِيقاقِ
 ساقٍ شَمَلُ السرورِ أي مساقِ
 وجهه والحديثُ عذْبُ المساقِ
 حَضْرَةَ الجَمْعِ والحبيبِ الساقِي
 فاحمِ الجَنحِ مُسْتَطِرُّ الرِّواقِ
 عك هذا وذا نذيرُ أفترِاقِ
 قد سرى الطيبُ منه في الأفَاقِ
 ط وشكر، متى يكون التلاقي
 ويَزَمُ السرورُ بَعْدَ اثْتِيقاقِ
 في (...) (٤٨) بالتعظيمِ الباقِي
 فهو في الخلقِ مالُهُ مِنْ خِلاقِ

يانسيمَ الصُّبا على الأوداقِ
 فرقةُ الليلِ جَدَّدتْ لِي (٤٦) عهداً
 أن يَوْمَ الفِرَاقِ لَكُنْ سَطَا (٤٧) الـ
 قد تَقَضَّتْ عَشْرٌ إلى عَشْرٍ عَشْرٍ
 أي عَيْشٍ فِيهِ قَطَعْنَا وَأُنْسِ
 شاهدُ الحقِّ حاضرٌ ليس يَخْفَى
 قد خَلَعْنَا نَعَالَنَا وافْتَرَشْنَا
 سرتْ يا لَيْلُ كَيْفَ سارَ شَبَابِي
 ثمَّ جاءَ المشيبُ كالصَبْحِ إذْ جا
 صحبَ الله حيثُ سرَّتْ رِكاباً
 وترى يا مُودِعَ الصُّحبِ عن غِيبِ
 ويسعدُ الإمامُ تَدُنُو الأمانِي
 جَمَعَ الله شَمْلَهُ بَعْدَ طَوْلِ العُمُرِ
 مَنْ رأى أنْ للوجودِ دواماً

وعند هذه المقطوعة وقع الفضح، واهتزت النفوس وقد أطفها السهد،
وأهمها الفراق، وتمثلت لها بانقضاء النعيم العبرة، فتجاوب التأوه، ثم وقع
الإجهاش، ثم علا النحيب (١٩)، ثم نودي بالصلاة، فصلى السلطان - أعزه الله -
بوضوء عشائه، ثم أفيض الذكر، ثم كان الأكل، ثم الطيب، ثم الإذن في الإنصراف،
وأجمع الإخباريون وشيوخ الرحلة، وأهل الجولة، وأرباب النول و «من» شارك من
ذكر الأعمار في أن هذا الصنيع ما بين محله وطعامه، ومسموعه وألته، بكر الزمان
لم ينسج له على منوال، ولا سبقه إلى غاية، والبقاء لله الذي لا تتعاقب عليه
الحوادث، ولا يناله الاضمحلال، سبحانه تعالى وحده (٥٠).

هوامش الفصل التاسع

- (١) م : الأزرد، صحته ما أثبتنا.
- (٢) م : وقطعا.
- (٣) م : التحية، وهو تحريف.
- (٤) م : حلف، وهو تصحيف.
- (٥) م : بيته.
- (٦) م : شناء، وهو تحريف.
- (٧) م : الهوى، تصويبه ما أثبتنا.
- (٨) م : العزيرة، وهو تصحيف.
- (٩) م : أكتها، وهو تحريف لأن الوكية ج وكاء : وهو رباط القرية ونحوها.
- (١٠) م : الخزن، وهو تصحيف.
- (١١) م : المخوردة، وهو تصحيف صويناه بما أثبتنا.
- (١٢) م : الصخربة.
- (١٣) م : وواعية، تحريف صوابه ما أثبتنا.
- (١٤) م : النحل.
- (١٥) م : ومحبين، وهو تصحيف.
- (١٦) كذا في الأصل ولعلها سحناؤها.
- (١٧) م : مخارن.
- (١٨) م : البروز، صوابه ما أثبتنا.
- (١٩) م : تقر، وهو تصحيف.
- (٢٠) م : اليبسية، وهو تحريف.
- (٢١) م : ما طلعت، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٢٢) م : العلق.
- (٢٣) م : بذقية.
- (٢٤) م : قتلها، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (٢٥) م : صدا.
- (٢٦) م : بدخان.
- (٢٧) م : القريض، محيت نطق القاف والضاد.
- (٢٨) م : الحمي، صوابه ما أثبتنا، لأن الحميني نوع من اللحون بلغة أهل اليمن.
- (٢٩) زيادة يقتضيها الوزن والمعنى.
- (٣٠) م : فاجعل، وهو تحريف مخل بالمعنى والوزن.
- (٣١) م : التصل.
- (٣٢) وردت هذه المقطوعة في ديوان الصيب والجهام، ص ٥١١.
- (٣٣) م : الساعة، تصويبه من "د".

- (٣٤) د : بك.
- (٣٥) م : وصلت، محيت نقطة الضاد.
- (٣٦) م : الجبايا، وهو تصحيف.
- (٣٧) بياض بالأصل.
- (٣٨) بياض بالأصل.
- (٣٩) وردت هذه المقطوعة في ديوان الصيب والجهم، ص ٣٥٢.
- (٤٠) د ٣٥٢ : آمن.
- (٤١) د : الوجى.
- (٤٢) د : فقال النجا.
- (٤٣ - ٤٤) ساقطان من د ٣٥٢، وقد أثبتهما المحقق من مخطوطتنا هذه.
- (٤٥) زيادة يقتضيها الوزن.
- (٤٦) م : جدت بي، وسياق الوزن والمعنى يقتضي ما أثبتنا.
- (٤٧) م : اسطى، وسياق الوزن والمعنى يقتضي ما أثبتنا.
- (٤٨) بياض بالأصل.
- (٤٩) م : النجيب، صوابه ما أثبتنا.
- (٥٠) م : جده.

تعاليق الفصل التاسع

- [1] المشور : في الإصطلاح الأندلسي والمغربي يطلق على المكان الذي يجلس فيه السلطان فمن دونه من الحكام للحكم، ولا تزال مستعملة في المغرب.
- [2] اللين : ج لينة، بفتح اللام وكسر الباء، وكذلك بكسر اللام وتسكين الباء، تعني المضروب من الطين الذي يبني به، وهي مريعة. أنظر (المخصص ١/٣٠).
- [3] إشارة إلى قوله تعالى : 'يقلب الليل والنهار أن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار'، سورة ٢٤ (النور)، آية ٤٤.
- [4] لعله يقصد أرجوزته في فن السياسة التي نظمها بسلا، وعنوانها : تخصيص الرياسة بتلخيص السياسة، وقد تحدث فيها عن السياسة المدنية والأخلاقية، وهي من الآثار التي لم تصلنا. أنظر (عنان : لسان الدين ص ٢٧٤).
- [5] إشارة إلى الثورة التي قامت ضد الغني بالله في ذي الحجة ٧٦٣هـ أكتوبر ١٣٦٢م. أنظر (المتن لوحة ١٢٣).
- [6] ميازيب : ج ميزاب، وهي قناة يجري فيها الماء.
- الخصاص : ج خصصة : وهي باصطلاح الأندلسيين والمغاربة تعني نافورة. ولا زالت مستعملة إلى الآن في المغرب بنفس المفهوم.
- [7] الميضات : ج ميضاة، وهي مكان للوضوء، وهي لفظة عامية لازالت مستعملة إلى الآن في المغرب. (ابن عبد الله : نحو تفصيح العامية في الوطن العربي ص ١٧٩).
- [8] السلطان أبو الوليد : إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر (١٧ شوال ٦٧٧ - ٢٦ رجب ٧٢٥هـ/٣ مارس ١٢٧٩ - ٨ يوليو ١٣٢٥م)، أنظر ترجمته مفصلة في (اللمحة البدرية ص ٨٧ - ٩٠).
- [9] الصعدة : قناة طويلة مستقيمة.
- [10] سورة ٥٦ (الواقعة)، آية ٣٠.
- [11] حالي : طايب. - الحزن : الأرض الصلبة الخشنة، ومنه قول السكري :
وما روضه بالحزن قفر مجودة - يمج الندى ريحانها وصبيها
(معجم البلدان ٢/٢٥٤).
- [12] العمامة : من تأثر الأندلسيين بالمغاربة في الأزياء، وقد أشار ابن الخطيب إلى أنها كانت غير مستعملة من قبل، كما أشار المقرئ إلى أن هذا التقليد شاع في الأندلس وعلى الأخص في غربيها. أنظر (النفح ١/١٠٥).
- [13] الروقة : ج رائق، من الغلمان، الملاح الحسان، ومن الناس، خيارهم.
- [14] السنج : ج سانج وسنج، وهو الدر أو الحلي.
- [15] المرى : ما يؤتد به.
- [16] تحميمص : فعله حمص، أي قلى قليا خفيفا.
- تريبب : فعله ربب أو رب، أي طيب.

البزود : التوابل.

[17] جوارشات : ج جوارش، تهباً بالدقيق وماء الزهر والسكر. أنظر (بوزي ٨٥/١).

V. (- A. Huici Miranda, "La cocina hispano-magrebi durante la època almohade", R.I.E.E.I., V (1957), pp. 252-254).

[18] الحواري : لفظة مشرقية تقابلها اللفظة الأندلسية : 'درمك'، وهو خبز مصنوع من أجود أنواع الدقيق.

V. (- E. Carcia Sanchez, "La Alimentación en la Andalucía islámica", Andalucía islámica, II - III, (1983), p. 146).

[19] الكمك : يعتبر من الحلويات، وهو عجين رقيق محشو باللوز، ومسحوق السكر... أو بتمر وعسل.. أنظر (ورقات المنوني ص ٢٦٨).

[20] طبرزدن : لعلها طبرزد أو طبرزن، وهي لفظة فارسية تعني السكر عندما يذاب ويجمد تصنع به بعض أنواع الحلوى.

V. (- F. Steingass, A Comprehensive Persian - English Dictionary).

[21] الثرد : عجين رقيق يسقى بعد طزجه بمرق الدجاج أو الحمام...

[22] اخترعت الساعة الميكانيكية في فترة قريبة من عهد أبي عنان، فكان أول من زين بها قاعة الإحتفال بعيد المولد النبوي، وقد أشار الشاعر عبد المنان إليها في قصيدته المولدية التي أنشدها لأبي عنان سنة ١٣٥٦/٧٥٧م، ثم جرى التقليد بذلك في تلمسان والأندلس.. أنظر (بغية الرواد ٢/٤٠ - ٤١ - الجنوة ص ٦١ - وورقات المنوني ص ٢٦٩).

[23] إشارة إلى قوله تعالى : "وان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم". سورة ٦٤ (التغابن)، آية ١٧.

[24] يمين : يكذب.

[25] لم يكن الغني بالله أول من احتفل بعيد المولد النبوي، فقد سبقه المشاركة والعزفون بسبته، وكذلك ملوك المغرب، انظر تفضيل ذلك في (- وورقات المنوني ص ٢٦٥ - ٢٨٦).

- Salmi Ahmed, "Le genre des poèmes de nativité (Maulūdiyya-s) dans le Royaume de Grenada et au Maroc du XIIIe au XVIIe siècle", Hespèris XLIII, (1956), pp. 335-435).

[26] إشارة إلى قوله تعالى : "والليل إذا سجي". سورة ٩٢ (الضحى)، آية ٢.

[27] تضمين لعجز بيت امرئ القيس :

ورحنا يكاد يقصر الطرف دوننا "متى ما ترق العين فيه تسفل"

وفي رواية أخرى تسفل بدل تسفل. أنظر (الانباري : شرح القصائد السبع ص ٩٨).

[28] سورة ١٣ (الرعد)، آية ١٦.

الفصل العاشر

فصل يشتمل على ذكر ما أنشد في هاتين الوليمتين من المنظوم بين يدي
السلطان - أعزه الله - بفرناطة، على أن تكون خاتمة هذا الغرض من وسائلتي.

/228 /

فمن ذلك قصيدة من نظمي، أتيت بها سداداً من عوز، وشارطت السلطان /
لمحل الصد (١) والصدوف على تصارييف الخدمة، وهي (٢) :

(خفيف)

ما عَلَى الْقَلْبِ بَعْدَكُمْ مِنْ جُنَاحٍ أَنْ يَرَى طَائِراً يَغْيِرُ جُنَاحِ
وعلى الشوقِ أَنْ يَشِبُّ إِذَا هَسَبَ بِأَنْفَاسِكُمْ نَسِيمَ الصَّبَاحِ
جيرةَ الحيِّ والحديثِ شَجُونٌ [1] والليالي تَلِينُ بَعْدَ جَمَاحِ (٣)
أَتَرُونَ السَّلْوَ خَامِرَ قَلْبِي بَعْدَكُمْ؟ لا، وفالِقِ الإصْبَاحِ
ولو أَنِّي أُعْطِيَ اقْتِرَاحِي عَلَى الأَيِّمِ ما كَانَ بَعْدَكُمْ باقْتِرَاحِ
ضايقتني فيكم صرُوفُ الليالي واستدارت علي دُورُ الوشَاحِ (٤)
وسقتني كأسَ الفراقِ دهاقاً في اغْتِبَاقِ مواصِلِ باصْطِباحِ
واستباحَتِ مِنْ جِدَّتِي وفتائِي حرماً لَمْ أَخْلُهْ بِالْمُسْتَبَاحِ
قصفت صَعْدَةَ انتصاري وفلَّتْ غَرَبَ عَزْمِي المُعَدِّ يَوْمَ كِفَاحِي
لَمْ تَدْعُ لي مِنَ السَّلَاحِ سِوَى مَغْفِرِ فَرَشِي، أَهْوَنَ بِهِ مِنْ سِلَاحِ
عاجلتني (٥) به وفي الوقتِ فَضْلُ لا هَتَزَانِي إِلى الهَوَى وارْتِباحِ
فَكَأَنَّ الشَّبَابَ طَيْفُ خِيَالِ أَوْ وَمِيضُ خَبَا عَقِيْبِ التَّمَاحِ
ليْلِ أَنَسِ دَجَاءِ، وَأَقْصِرُ بِلَيْلِ جَاذِبَتْ بِرُزْدِهِ يَمِينُ صَبَاحِ
صَاحِ وَالوَجْدُ مَشْرَبٌ وَالوَرَى صَنْفِ مِنْ مُنْتَشِ وَأَخْرَ صَاحِي
يَا تُرَى وَالنَّفُوسُ أُسْرَى الأَمَانِي ما لَهَا عَن وِثَاقِهَا مِنْ سَرَاحِ
هَلْ يَبَاحُ السُّرُودُ بَعْدَ ذِيادِ [2] أَوْ يُتَاحُ اللِّقَاءُ بَعْدَ انْتِزَاحِ
وَإِذَا أَعْوَزَ الجُسُومَ التُّبْلَاقِي نَابَ عَنِهَا تَعَارِفُ الأرواحِ (٦) [3]
جَادَ عَهْدُ الهَوَى مِنَ السُّحْبِ هَامِ مُسْتَهْلُ الوَمِيضِ ضَافِي الجِنَاحِ
كَلَّمَا أَخْضَلَ الرِّبُوعَ بِكُءِ ضَحَكْتُ فَوْقَها ثُغُورُ الأَقْباحِ
عَادَتِي مِنْ تَذَكُّرِ العَهْدِ عَيْدِ كانَ مِنِّي لِلعَيْنِ عَيْدُ الأَضَاحِ
سُفِحَتْ فِيهِ لِلدَمُوعِ دَمَاءُ فَهِيَ فَوْقَ الخُدُودِ ذَاتُ انْفِسَاحِ (٧)

/229 /

وركاباً سرفواً وقد شملَ اللَّيْلُ
وكانَ الظلامَ عسْكَرُ زَنْجٍ
وَنَجْمِ الدَّجَى نَصُولِ الرِّمَاحِ
حَمَلَتْ مِنْهُمْ ظَهْرَ المِطَايَا
أَي جِدِّ بَحْتِ، وَعَزْمِ صِرَاحِ
سَتَرُوا الوَجْدَ وَهُوَ نَارٌ وَكَانَ السُّرُورُ
خَلْفُونِي مِنْ بَعْدِهِمْ نَاكِسٍ (٨) الطَّرِيقِ
فَ ثَقِيلِ الخَطِيئِ مَهِيضِ الجَنَاحِ
وَحَدَوَهَا مِثْلَ القَسِيِّ ضَمُوراً
قَدْ بَرَّتْ مِنْهُمْ سَهَامُ قِدَاحِ
وَطَوَّأَ طَوْرَ بَاعِثِ (٩) الشَّوْقِ وَالوَجْدِ
إِلَى الأَبْطَحِيِّ غَيْرِ البِطَاحِ
مُصْطَفَى اللّهِ مِنْ ظَهْرِ النَّبِيِّينَ
هُدَاةَ الأَنْبِيَاءِ سَبِيلَ الفِلاحِ
حُجَّةَ اللّهِ، حِكْمَةَ اللّهِ، سِرِّ (١٠) اللّهِ
فِي كَلِّ غَايَةِ وَافْتِتَاحِ
حَاشِرِ الخَلْقِ عَاقِبِ الرُّسُلِ
وَالْمُنْتَسِبِ بِاللّهِ بَعْدَهُمْ
وَالْمَاحِي (١١) [٤] صَاحِبِ المَعْجَزَاتِ [5] لا يَتَمَارَى
أَلْبَعْلُ فِي أَيِّهَا [الحِسانِ] (١٢) الصِّحَاحِ
مَنْ جَمَادٍ يُقَرُّ أَوْ قَمَرٍ يَنْشَقُّ
وَالْمَاءُ مِنْ بَنَانِ الرِّيحِ
دَعْوَةُ الأَنْبِيَاءِ مُنْتَظَرُ الكَهَّانِ
إِنْ دَعَوَى البَشِيرِ بِاسْتِفْتِاحِ [6]
مَظْهَرِ الوَحْيِ مَطَّلِعِ الحَقِّ مَعْنَى
أَلْبَعْلُ فِي أَيِّهَا [الحِسانِ] (١٣) الفِئْتِاحِ
أَي غِيثٍ مِنْ رَحْمَةِ اللّهِ هَامِ
وَسِرَاحٍ يَهْدِيهِ وَضُحَاحِ
مَا الَّذِي يَشْرَحُ أَمْرُؤُ فِي رَسولِ
عَاجِلِ اللّهِ صَدْرُهُ بِأَنْشِرَاحِ [7]
شَقَهُ الرُّوحُ ثُمَّ طَهَّرَ مِنْهُ
السَّقْلَبُ مِنْ بَعْدِ البَرُودِ القِرَاحِ
مَدَحَتِكَ الأَيَاتِ يَا خَيْرَ (١٤) الرُّسُلِ
فَمَنْ لِي مِنْ بَعْدِهَا بِامْتِدَاحِ
وَلِعَجَزِ النِّفوسِ عَنِ دَرْكِ الحَقِّ
إِيْقَافِهَا وَقَوْفِ افْتِضَاحِ
مِثْلُ اللّهِ نَوْرُهُ فِي المِثْأَنِي
بِمِثَالِ (١٥) المِشْكَاةِ وَالمِصْبَاحِ [8]
فَازِلِ خَجَلْتِي بِأَغْضَائِكَ المُبْدِي
ذولِ (١٦)، وَاسْتَرْ بِهِ عَوَارِ افْتِضَاحِ
صَلَوَاتِ الإِلهِ يَا نَكْتَةَ الكَوْ
نِ عَلَى مَجْدِكَ اللُّبَابِ الصُّرَاحِ
عَدَدِ القَطْرِ وَالرِّمَالِ وَمَاعَا
قَبِ دَهْرٍ غُدُوهُ بِرَوَاحِ
وَجَزَاكَ الإِلهُ أَفْضَلَ مَا يُجْزِي
هُدَاةَ (١٧) الأئِمَّةِ النَّصَاحِ
أَسْفَى كَمْ أَرَى طَرِيدَ ذُنُوبِ
أَوْ بَقْتَنِي فَلَيْسَ لِي مِنْ بَرَّاحِ (١٨)
قَدْ عَزَّتْنِي الخَطُوبُ غَزَوَ الأَعْيَادِي
وَبَرَّتْنِي الهَمُومُ بِرِّي قِدَاحِ
سَبَقَ الحَكْمَ وَاسْتَقْلَ وَهَلْ يُفْ
نِي قِضَاءً قَدْ خَطَّ فِي الأَلْوَاحِ
لا لَدُنِّي خَاصَّتْ، لا لِصَلاحِ [9]
خَاسِرَتِ صَفَقَتِي وَخَابَتِ قِدَاحِي
فَاطِعاً فِي الفُرُودِ بَرْهَةً عَمْرِي
طَمَعَ الشَّيْبُ بِاللِّجَامِ المُحَلِّي
حِينَ أُجْرِيَتْ (١٩) أَنْ يَرُدُّ جَمَاحِي
فَأَبَتِ نَفْسِي اللُّجُوجَ وَجَدَّتْ
فِي سَمَوِ إِلَى الهَوَى وَطَمَاحِ

/230

/2:

يا طيب الذنوب تدبيرك النا
يا مجلي العمى، وكافي الدواهي
سُدُّ بابُ القبولِ دُوني ومالي
خصُّك اللهُ بِالْكَمَالِ وَزِنْدُ السِّـ
قَبْلَ أَنْ يَوْجِدَ الْوَجُودَ وَأَنْ يُتَّـ
وَأَضَاعَتْ مِنْ نَوْرِ مِيْلادِكَ الْأَرْضُ
فَسَرَى الْخِصْبُ فِي الْجِسْمِ الْهَزَالِي
وَلَقَدْ رُعِيَتْ لَدَيْهِ حَقُوقُ
بِمَعَالِي مُحَمَّدِ بْنِ الْحَجَّـ
نَاصِرِ الْحَقِّ، مُرْسِلِ النَّقَمِ سُخْباً
وَمُزِيرِ الْجِيَادِ أَرْضِ الْأَعَادِي
يَتَلَاعَبُنَ بِالظُّلَالِ عَرَابِياً
يا سراجِ النّادي وَحَتْفِ الْأَعَادِي
جَمَعَ اللهُ مِنْ حُلَى آلِ عَبَّـ
بَيِّنَ رَأْيٍ مُوقِّقٍ وَأَعْتِزَّامِ
وَحَفَّضَتْ الْجَنَاحِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى
أَنْتَ مُصْبَاحُهَا وَنَوْرُ دُجَاهِهَا
مَحْصَنَ اللهُ مِنْكَ يَا قُوْتَةَ الْمُلُـ
بِخَطُوبِ أَرْتِ حَدِيثَ سُلَيْمِ
بِيْدِي فَاقْدِ الْحِجَا هَلْهَلَّ الدَيْسِـ
نَالَ مِنْهَا عُقْبَى مُسَيِّمَةَ الْكُذِّ
ثُمَّ رَدَّ الْأَمْوَدَ رِداً جَمِيلاً
فَاجْزِهِ (٢٠) فِي الْوَدَى الْجَمِيلِ وَعَامِلِ
وَاشْتَرِ الْحَمْدَ بِالْمَوَاهِبِ وَاعْقِدْ
بِرِكَاتِ السَّمَاءِ تَبْتَدِرُ الْأَرْضُ
وَتَهْنَأُ بِهِ بِنَاءِ سَعِيداً [14]
وَتَمْتَنِعُ مِنْهُ بِهَالَةِ مُلْكِ
مَشْهُورِ الرَّأْيِ، مَجْمَعِ الْحَفْلِ، مَثْوَى
وَمَقَامِ السَّلَامِ فِي مُدَّةِ السُّلْـ
مُلْتَقَى حِكْمَةِ وَمَلْعَبِ إِلَهَا
أَيْنَ كِسْرَى وَأَيْنَ إِيْوَانَ كِسْرَى

جِعُ فِي عُلْتِي ضَمِينُ النِّجَاحِ
وَمُدَاوِي الْمَرْضَى وَأَسِي الْجِرَاحِ
يا غِيَاثِي سِوَاكَ مِنْ مَفْتَاحِ
كُونَ لَمْ يَقْتَرِنَ بِكَفِّ اقْتِدَاحِ
حَفَّ بِالنَّوْرِ ظَلْمَةَ الْأَشْبَاحِ
ضُ وَهَزَّتْ لَهُ اهْتِزَازَ ارْتِيَاكِ
وَجَزَى الرَّسْلُ فِي الضَّرْوِعِ الشُّحَاحِ
أَقْطَعْتَهَا الْعَدَى جَنَابِ اطِّرَاحِ
جَاج، لَيْثَ الْعَدَى وَغِيْثَ السَّمَّاحِ
بَيْنَ سُمْرِ الْقَنَا، وَيِيْضِ الصَّفَاحِ
وَهِيَ مُخْتَالَةٌ لَفَسْرَطِ الْمِرَاحِ
غَدِيَتْ فِي الْفَلَا لِيَانَ اللَّقَاحِ
وَعِمَادِ الْمُلْكِ الْكَرِيمِ الْمَنَاحِي
سَ لِعَلْيَاكِ فِي سَبِيلِ امْتِدَاحِ
مَسْتَعِينِ وَصَارِمِ سَفَاحِ [10]
لَمْ تَدْعُ فَوْقَ ظَهْرِهَا مِنْ جُنَاحِ [11]
دَافِعَ اللهُ عَنْكَ مِنْ مُصْبَاحِ
كَ وَيَنْبِوَعُ الْعَدْلَ وَالْإِصْلَاحِ
نَ، وَجَاعَتْ بِالْحَادِثِ الْمُجْتَاحِ
نَ، أُخِي جِرْأَةَ وَرَبِّ اجْتِرَاحِ [12]
ابِ، إِذْ عَانَدَ الْهَدَى وَسَجَاحِ [13]
لَكَ مِنْ بَعْدِ فَرْقَةِ وَاَنْتِزَاحِ
مِنْهُ كَنْزُ الْغِنَى وَمَثْوَى الرَّبَّاحِ
عَقْدَهَا فِي مَخْطُئَةِ الْأَرْبَاحِ
ضَ إِذَا اسْتَوْدَعْتَ بُذُورَ السَّمَّاحِ
جَاءَ لِلْمَعْلُومَاتِ وَفَنَّقِ اقْتِرَاحِ
أَطْلَعْتَ مِنْكَ أَيُّ بَدْرِ لِيَاكِ [15]
كَلُّ زَمْرُوسَيْدٍ (٢١) جَحْجَاحِ [16]
مَ وَمَثْوَى (٢٢) الْأَسْوَدِ يَوْمَ الْكِفَاحِ
مَ وَمَغْنَى السَّرْوِدِ وَالْأَفْرَاحِ
لَا يِقَاسُ الْخِصْمُ بِالضَّخْمِ ضَاحِ [17]

أَيْنَ نُورِ الْإِلَهِ مِنْ عُنْصُرِ النَّارِ
بَيْنَهُ كَانَ فَخْرَهَا لَكَ مَذْخُورِ
رَأَى كَرْفِيرَ الرِّيَاضِ فِي الْأَنْوَاجِ
حِينَ طَابَ الزَّمَانُ وَاعْتَدَلَ الْفَضْلُ
وَإِسْتَجَدَّتْ وَيَادَرَتْ بِإِفْتِخَاحِ (٢٣)
هَآكُهَا قَدْ تَتَوَجَّعُ بِالْمَعَانِي
حِينَ غَاضَ الشَّبَابُ وَارْتَجَعَ الْفَكَسْرُ
وَضَاقَ الْخَطُوبُ الْعَرِيضُ السَّاحِجِ
جَهْدُ قَلْبٍ لَفَقْتُ بَعْدَ جِهَادِ
وَمَعَانِي الْبَيَانِ هُنَّ عَذَارِي
مَا لِشَيْخِ سِوَى الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ
وَأَزْوَاجِ الْبَابِ الَّذِي يَجْبِرُ الْكَسْرَ
وَعَلَى ذَلِكَ فَهِيَ سَاحِرَةٌ الْأَخْضَادِ
دَاقَ تُزْرِي بِكُلِّ خُودٍ رِدَاحِ [18]
تَنْفُثُ (٢٥) السَّحْرَ فِي الْعَيُونِ (٢٦) وَتُبْدِي
دُمْتُ فِي عِزَّةٍ وَرَفِيعَةٍ مَلِكِ (٢٧)
مَا تَوَلَّتْ دُهُمُ الدَّجِنَةِ عَدْوًا
وَجَرَتْ خَلْفَهُنَّ شُهْبُ الصَّبَاحِ

ومن ذلك قصيدة (٢٨) ورد بها من "المرية" قاضيها شيخنا أبو البركات بن الحاج [19]، اعتذر عنها فأطال الاعتذار بما دل على تمييزه، والله يصرفنا وإياه إليه، وهي :

(كامل)

اللَّهُ أَكْبَرُ لَاحَتْ الْأَنْوَارُ
وَقَرَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ بِلَيْلَةٍ
لَمْ لَا وَهَذَا : لَيْلَةُ الْيَوْمِ الَّذِي
يَوْمٌ بِهِ وُلِدَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى
وَاسْتَبْشَرَ الْأَبْرَارُ مِنْهَا بِالنَّبِيِّ
قَصَدُوا (٢٩) بِرُ الْمُجْتَبَى الْهَادِي الَّذِي
الْمُنْتَقَى مِنْ مَحْتَدٍ مَقْدَارِهِ
جَآءَتْ بِهِ الْأَيَّامُ تُحْفَةً قَادِمِ

ومنها بعد كثير يرجى عفو الله فيه :

فَبِحَارِ أحوالِ النَّبِيِّ زَوَآخِرُ
فَبِرُوزِهَا عَلِمَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالِ
فَلذَآكِ قَامَ بِبِرْهَا (٣٠) الْمَلِكُ الَّذِي
مَلِكُ الزَّمَانِ الْمُرْتَضَى مِنْ فِتْيَانَةِ
فَاسْتَسْقَى مِنْهَا فَالْبِحَارُ بِحَارُ
إِيمَانُ بَادَ مَا عَلَيْهِ غِبَارُ
بِسَعْوِدِهِ قَدْ أَلْجَمَ الْكُفَّارِ
مَلَأَتْ بِذِكْرِ عِلَاهُمْ الْأَسْفَارُ

أَكْرَمَ بِهِمْ قَوْمًا بِصِدْقِهِمْ الَّذِي
الصَّخْبَةُ الْأَخْيَارُ أَعْلَامُ الْهَدَى
قَوْمٌ مَفَاخِرُهُمْ جَدِيدٌ ذَكَرُهَا
مَلِكٌ أَقَامَ مِنَ الْهَدَايَةِ مَعْلَمًا
وَأَنَالَ كُلَّ الْخَلْقِ أَقْصَى مَا أُبْتَفُوا
مَلِكٌ قَدْ انْفَرَدَتْ مَأْثِرُهُ بِمَا
وَلَهُ بَعُودَةٌ مَلِكُهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ
أَيُّ تَدَلُّكَ أَنَهَا أُخْتِيرَتْ لَهُ
فَمَقَامُهُ بَيْنَ الْمُلُوكِ مُقَدِّمٌ
أُبَشِرْ (٣١) أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ مُحَمَّدًا
بِسَعَادَةِ مَوْصُولَةٍ تَقْتَضِي (٣٢) بِهَا
قَالَهُ جَلُّ جَلَالِهِ جَارٌ لِمَنْ

ومن ذلك قصيدة الفقيه قاضي الحضرة كان، صاحبنا المغرب في البحور

(٣٣)، أبي جعفر بن جزي [20] :

(كامل)

لَوْلَا ادِّكَارِي مَعْهَدَ الْأَحْبَابِ مَا
بَعْدَ الْمَزَارِ فَهَلْ يَعُودُ لِقُرْبِكُمْ
قَدْ كَانَ فِي طَيْفِ الْخِيَالِ تَعَلُّلٌ
زَادَ الضَّنَى مَذَّ بَانَ مِنْ أَحْبَبِيَّتِهِ
أَخْبِرْ بِمُحَمَّرِ الْمَدَامِعِ مَالِكِي
لَوْ أَنَّ أَيَّامَ الْوَصَالِ رَجَعْنَ لِي
مِنْ بَعْدِ وَخَطِ الشَّيْبِ مَالِي وَالْهَوَى
أَمَّا الشُّبَابُ فَكَانَ أَدْنَمَ سَابِقًا
لَمْ أَدْرِ حُكْمَ الْغَبْنِ حَتَّى أُتْبِعْتُ
خَطُ اللَّيَالِي أَيْضُ فِي أَسْوَدٍ
قَالُوا : الْخَضَابُ يُحِيلُهُ، كَلَاءٌ، وَهَلْ
الشَّيْبُ أَوْعَظُ وَأَعْظُ لَكُنْهُ
وَأَنْسَتْ نَارًا مِنْهُ أَسْتَهْدِي بِهَا
هَلَا أَنْثَيْتِ عَنِ الْهَوَى وَحَدِيثَهُ

كَانَ دَمْعِي دَائِمَ التَّسْكَابِ
مَا بِي يَغْصُ مِنَ الْبِعَادِ بِصَابِ
لَكِنْ نَوْمِي عَنِ جَفُونِي نَابِي (٣٤)
< تَرَاهُ أَوْصَافِي إِلَى أَوْصَابِ
تَرَى مَالِكًا يَرُوي عَنِ ابْنِ شَهَابٍ [21]
لَارْحَتُ دَهْرِي مِنْ طَوِيلِ عِتَابِ
أَسْفَا تُكْنَى (٣٥) بِي أُوْبَةَ الْمُتَابِئِ
وَالآنَ هَذَا الشَّيْبُ أَشْهَبُ كَابِي
مَرُّ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ بِغَرَابِ
عَكْسًا بِهِ نَسَخْتُ عَهْدَ شَبَابِي (٣٦)
تَخْفَى النُّجُومُ عَنِ الْوَدَى بِخَضَابِ
مَا يَرْعَوِي إِلَّا أَوْلُو الْأَبْسَابِ
وَرَأَيْتُهُ يَسْمُو سَمُو حَبَابِ
كَمْ ذَا التُّصَابِي (٣٧)، لَاتِ حِينَ تَصَابِ

ما إن أراك مزايلاً زلاً ولا
يا زائري أرجاء طيبة [23] فزتم
دار النبي ومهبط الوحي الذي
مغنى الأحبة فالتموا ما شئتم
متوقدات قلوبنا في ركبكم
فدموعنا (٣٩) من بعدكم ذاك الذي
قد أشرقت بكم الفلا (٤١) وتعطرت
يا شاغل الأيام هل من مسعد
ألمي على طول الزمان حولها
سعدى إذا عرست في عرصاتها
إن قيل ما يئني العنان عن السرى
فقصيت في الترحال حباً صادقاً
هلاً سرى بي للسعادة همة
(و) عسى اللقاء بتوبة مقبولة
إن ضقت ذرعاً بالذنوب فإنني
هو صفوة الله الأمين لوحيه
من معدن الشرف الذي تربانه [26] (٤٢)
من عهد أدام لم يزل متنقلاً
إيان كسرى ارتج عند ظهوره

/237

ومنها بعد استكثاره من المعجزات :

حللاً بطة (٣٨) زينب [22] ودياب
بيلوغ أمال ونيل طلاب
يهدي بنود سنة وكتاب
من در حصباء ومسك تراب
لمع الأسنان في رؤوس حراب
يفشاكم من كل ما (٤٠) وسحاب
من كل قفر موحش ويساب [24]
يهدي "لطيفة" عزمتي وركابي
فحولها زلقى وحسن ماب
وإذا ثوى بي بينهن ثوابي
لم ألف عذراً وأقيا بجواب
وقعدت صحبة صبري الكذاب
غرّت من الدنيا بلمح سراب
يمحى بها ذنبي العظيم وعابي [25]
أرجو الشفاعة منه يوم حسابي
والمصطفى من أظهر الأنساب
قد قدست قسمت عن الأتراب
في أظهر الأرحام والأصلاب
أي ارتجاج مؤذن بتباب

وأقول ما إن تنقضي بحساب
فعل الكريم المخبت (٤٣) [27] الأبواب
أغربت فيها أيما إغراب
رحبت طولك أيما إرحاب
أوصافه فاتت مدى الإطناب
وكذا المحاسن جمّة الأسلاب
أي منازل وقباب (٤٤)
وهو البديع وكل قلب صاب
والشمس تخفي نور كل شهاب
بالفن في الإعجاز والإعجاب
وما أثر تبقى على الأحقاب

ويقال ألف عد في آياته
وأفك مولده فقامت بحقه
ولقيت وافده بكل كرامة
فيه وما زلت الكريم المرتجى
وأقمت ليلته بأهبي مصنع
سلبت محاسنه القلوب بأسرها
فيه القباب الشامخات وإنها
وهو الرفيع وكل طرف شاخص
وهو الذي عنه القصور تقاصرت
شيدتهن مصانعا وصنائعا
لحمّد خير الملوك مفاخر

وتهابُ سطوتَه أسودُ الغابِ
فتخورُ ناكحةً على الأعقابِ
من كلِّ أصلٍ طاهرٍ ونصابِ
طول الزمانِ وغالبِ الغلابِ
من مثلهم للحربِ والمحرابِ
شُغلينِ شغلُ ندى وشغلُ ضرابِ
بسيوفهم وسيوفهم من بابِ
بعناية موصولة الأسبابِ (٤٦)
لجنابك الأعلى أعزُّ جنابِ
قد طالما عضلتُ عن الخطابِ
فتح الإله < و > مُفتح الأبوابِ
في النفسِ والسلطانِ والأعقابِ

تحكي أنامله الغمام إذا همي
تصل (٤٥) الخطوبُ إلى ذكاء ذكائه
شيمٌ جرى فيها على أعراقه
من آل نصرٍ ناصرٍ دينِ الهدى
من مثلهم للجودِ يهمي جوده
ما بعد حقَّ الله عندهم سوى
كم أصلحوا من فاسدكم أصلحوا
أنا غرسُ نعمتك الذي أنبتته
لي خدمةً ومحبةً وتشجيعُ
وعقائلٍ في مدحِ والدك الرضى
بك ناملُ النصرَ العزيزَ وترتجي
أولاك ربك كلُّ ما أملتته

ومن ذلك قصيدة الفقيه الرئيس الحسيب، جامع أشتات الفضائل، أبي زيد
عبد الرحمان بن أبي بكر بن خلدون، القادم على الباب النصرى [28]، نازعا عن
خطة الإنشاء بباب السلطان ملك المغرب، حيننا إلى بلد سلفه أفريقية، متلقى
بالترحب الذي تذخره الملوك والفضلاء لمثله (٤٧) :

(بسيط)

بواكف الدمع يرويها ويظميني
تحملوا القلب في آثارهم دوني
فيهم وأسألُ ربعا (٤٩) لا يناجيني
وكيف والفكر يُدنيه ويقصيني
ما زال جفني (٥٠) عليها غير مأمونٍ
فالدمع وقف على أطلاله الجون (٥١)
لو أن قلبي إلى السلوان يدعوني
منكم وهل نسمه عنكم تحييني
والنسيم عليلاً لا يداويني
حسناً سوى جنة الفردوس والعين [29]
إلا اثنتيتُ كأن الراح يئني (٥٢)
شوقاً ولولاكم ما كان يصيبي
حتى لأحسبه قرباً يناجيني

حي المعاهد كانت قبل تحييني
إن الألى (٤٨) نزحت داري ودارهم
وقفت أنشد صبراً ضاع بعدهم
أمثلُ الربيع من شوقٍ فالثمة
ينهب الوجد مني كل لؤلؤة
سقت جفوني مغاني الربيع بعدهم
قد كان للقلب عن داعي الهوى شغلُ
أحبابنا هل لعهد الوصل مذكرُ
مالي والطييف لا يعتاد زائرهُ
يا أهل نجد وما نجد وساكنها
أعندكم أنني ما مر ذكركم
أصبو إلى البرق من تلقاء (٥٣) أرضكم
يا نازحاً والمنى تُدنيه من خلدي

أَسْلَى هَوَاكَ عَنْ سَوَاكَ وَمَا
 تَرَى اللَّيَالِي أُنْسَتَكَ أَدْكَارِي يَا
 يَا حَادِي الظُّعُنِ تَهْوِي فِي أَعْنَتِهَا
 دَعْمَا وَظَلَّتْهَا لَا تَهْدِي ضَلَّتْهَا
 لَهْفِي لِنَفْسِي وَمَا لَهْفِي بِمَغْنِيَةِ
 تَسْعَى إِلَي زُخْرَفِ الدُّنْيَا عَلَى عَجَلٍ
 أَبْعَدُ مَرَّ الثَّلَاثِينَ الَّتِي ذَهَبَتْ
 أَضَعْتُ مِنْهَا نَفِيساً وَمَا وَرَدْتُ بِهِ
 وَاحْسِرْتِي (٥٩) مَنْ أَمَانَ كُلَّهَا خُدْعُ
 شَكْوِي إِلَى اللَّهِ مِنْ نَفْسٍ تُحْمَلُنِي
 حَسْبِي اعْتَصَامِي بِحُبِّي فِي النَّبِيِّ فَمَنْ
 نَوَّرَ الْهُدَى مَصْطَفَى الْأَكْوَانِ غَايَتِهَا
 نُشْدَةَ الْكُونَ سِرَّ الْحَقِّ مَظْهَرِهِ
 الْمُجْتَبَى لَهْدَى الْأَنَامِ بِهِ قَدْ مَا (٦٢)
 خَرْتُ لِمَوْلَدِهِ الْأَوْثَانَ خَاشِعَةً
 وَضَاءَ بِالشَّامِ مِنْ لَأَلَاءِ غُرْتِهِ
 هَذَا وَكَمْ آيَةٌ جَاءَتْ بِبِعْثَتِهِ
 يَا سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُقْتَدَى بِهِمْ
 مَنْ لِي بِهَا عَزْمَةٌ تَسْطُو عَلَى كَسَلِي
 أَرْجُو ابْنَ نَصْرٍ لِنَصْرِي كُلَّمَا امْتَنَعْتُ

/240

سَوَاكَ يَوْمًا بِحَالٍ عَنْكَ يُنْسِينِي (٥٤)
 مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَكَرَهُ الْأَيَّامُ تُنْسِينِي (٥٥)
 مَفْتُونَةٌ بَيْنَ تَرْجِيمٍ وَتَرْنِينَ (٥٦)
 فَنَفْحَةُ الدَّارِ تَهْدِيهَا وَتَهْدِينِي
 أُطِيعُهَا فِي أَمَانِيهَا وَتَعْصِينِي
 وَتَرْجِيءُ السَّعْيِ فِي الْأُخْرَى إِلَى حِينٍ (٥٧)
 أُولَى (٥٨) لِلشُّبَابِ بِإِحْسَانِي وَتَحْسِينِي
 إِلَّا سَرَابٌ غَرُورٌ لَا يَرُودُنِي
 تَرِيشٌ عَنِّي (٦٠) وَمِرُّ الدَّهْرِ بِيْرِينِي
 مَتْنِي الْغُرُورِ وَإِنْ أَقْصَرْتُ تُغْرِينِي
 يَذْخَرُهُ (٦١) يَظْفَرُ بِأَجْرٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ
 حُكْمَ الرِّسَالَةِ فِي بَعْثِ وَتَكْوِينِ
 بَشَرِي النَّبِيِّينَ فِي رَمَزٍ وَتَغْيِينِ
 وَأَدَامِ بَيْنَ هَذَا (٦٣) وَالْمَاءِ وَالطَّيْنِ
 وَانْقَضَتْ عَلَى الشُّبِّ رَجْمًا لِلشَّيَاطِينِ (٦٤)
 قَصُورٌ بَصْرِي بِإِيضَاحٍ وَتَبْيِينِ
 وَمُعْجَزَاتٍ جَلِيَّاتِ الْبِرَاهِمِينَ
 وَشَافِعِ الْخَلْقِ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالْدِينِ
 وَمَنْ حَمَاهُ وَإِنْ أَقْصَيْتُ تُدْنِينِي
 مَوْلَى الْمُلُوكِ وَسُلْطَانَ السُّلْطَانِينَ

مَحْمَدُ بْنُ الْحَجَّاجِ ثَامِنٌ أَمْرٌ
 سَمَحَ الْخَلِيفَةُ (٦٥) مَيْمُونُ النَّقِيبَةُ قَدْ
 الْجُودُ نُونٌ نَدَاهُ غَيْرُ مَطْرِدٍ
 وَافَتْ خَلَافَتُكَ الْغُرَاءَ - لَا عُدْمَتْ -
 دَجَتْ سَعُودُكَ لَيْلَ الْخَطْبِ حِينَ دَجَا
 أَقَمْتَ لِلْمَلِكِ مَا يَعْتَادُ مِنْ شَرَفٍ
 فَأَلْمَلْتُكَ مِنْبَسَطُ وَالْدِينُ مَغْتَبَطُ
 لِلَّهِ لَيْلَتُكَ الْغُرَاءُ إِنْ لَهَا
 أَحْيَيْتُ مَجْتَهَدًا دِينَ النَّبِيِّ بِهَا
 كَفَاكَ فَخْرًا وَمَجْدًا أَنْ حُبَّهُمْ
 يَا مَصْنَعًا [30] شَيْدَتْ مِنْهُ السَّعُودُ حَمِي

/241

صرحُ يحارُ لديهِ الطرفُ مفتتناً
 بعداً لإيوانِ كسرى إن مشورك السامى
 ودع دمشق ومغناها فقصرك ذا
 يا دولة النصر والتأييد ألحفها
 أعدت أيامها الأولى بأندلس
 من مبلغ جيرة بالغور [33] قد جهلوا
 أني أويت من العليا إلى حرم
 وأنني ظاعناً لم ألق بعدهم
 لا كالتى أخفرت عهدى ليالى إذ
 سقياً ورغياً لأيامى التى ظفرت
 ارتاد منها ملياً لا يماطلنى
 وهاك غر قواف طيها حكم
 تلوح إن جليت دراً، وإن تليت
 عانيت منها بجهدى كل شاردة
 يمانع الفكر عنها ما تقسمه
 لكن بسعدك ذلت لي شواردها
 بقيت أمرك (٧٦) في أمن وفي دعة

فيما يروقك من شكل وتلوين
 أشهى إلى القلب من تلك الأواوين [31]
 رأي ابن نصر بتأييد وتمكين (٧١)
 تزري جمالاً على أيام هارون (٧٢)
 ودّي وضاع حماهم إذ أضاعوني
 كانت مغانيه بالبشرى تحييني
 دهرأ أشاكي ولا خصماً يشاكي
 قلبي يقلب بين الخوف والهون (٧٤)
 يداي منها بحظ غير مغبون
 وعدأ وأرجو كريماً لا يعنيني
 مثل الأزهري في طي الرياحين
 تثني عليك بأنفاس البساتين
 لولا سعودك ما كانت تواتيني
 من كل حزن بطي الصدر مكنون
 فرضت منها بتحبير وتزيين
 ودام ملكك في نصر وتمكين

42 /

ومن ذلك قصيدة الشيخ الفقيه، قاضي الحضرة الحبيب، الحسن السميت
 (٧٧) أبي الحسن بن الحسن [34] بعد اعتذار ومطالبة شهدا بصحة تمييزه :

(طويل)

ولا تعذلاني إنني غير آيب (٧٨)
 لنقضى في أطلالها بعض واجب
 بتلك المساعي أو بتلك المذاهب
 هواها وإن طال المدى غير ذاهب
 على إثر منهل من الغيث ساكب
 إذا رقلت قصاده في المواهب
 ودأى إلى فهم من الفكر صائب
 وأبدي لداعي الفوز وجه مراقب
 قيام إمام للرشاد مصاحب
 وأكرم بهم من أسرة وأقارب

دعاني وإجراء الدموع السواكب
 ووجأ على [الشرقي من] (٧٨) رامة [35]
 وإني لأهوى وأهيم على النوى
 فلك عيناً من رأها معاهداً
 كأن شذاها عندما هبت الصبا
 ثناء أمير المسلمين محمد
 فما شئت من علم وحلم وحكمة
 جرى في رضى الرحمان ملء عنانه
 وقام بميلاد الرسول سميئاً
 توارث حب المصطفى عن رجاله

حُماة النبي الهاشمي الذي لهم
 محمد المبعوث للخلق رحمة
 فلولاه كان الناس بجهلهم
 فأرشد حيراناً وأمن خائفاً
 وبين دين الله حتى علا اسمه
 وأمسى حمى الإسلام كهفياً لوارد
 هو المنتقى المختار من صلب آدم
 فإن عد فضل أحموا (٨١) كل قائل
 والله من ميلاده أي ليلة
 أضاعت قصور الشام فينا وأخمدت
 تعالت فما يستطيعها وصف وأصف
 ولولا عوادي الدهر سرنا لقبه
 وحضنا عباب البحر شوقاً وأصبحت

/243

ومنها

بنظرته المجد الرفيع المناصب
 نعم الوري منها كرام الرغائب
 حيارى جميعاً نهب أيدي النوائب
 وأنذر إنذار المثيب المعاقب
 علي كل دين واقتضى كل واجب
 وأمناً لمرتاع ومأوى لهارب
 وأصحابه الأعلون خير الأصحاب (٨٠)
 وإن عد فخر أعجزوا كل حاسب
 مدى الدهر قد فازت بأسنى المراتب
 بفارس نار للظنون الكواذب
 ولا نظم ذي نظم ولا كتب كاتب
 وبدل بالقرطاس وخذ الركائب
 مكان الجواري سابقات النجائب

أمولاي ما أعلى مقاصدك التي
 عفوت عن الجاني وأحسن للذي
 وطهرت (٨٢) دار الملك من دنس العدى
 وأظهرت مغناه بذاتك للورى
 فمن مصنع أحكمته عن وراثته (٨٤)
 عليه من الحسن الذي جل قدره
 تدفق بحر الجود فيه فكأله
 توخيت للشورى به أي مصنع
 ومن فتية للمعلوات جلبتها
 لها من حلاك الغر فيض مناقب
 أشار عليها حسن نيتك التي
 وغير نكير أن يعود لأصله
 فانت الإمام العادل الملك الرضي (٨٥)
 هم كسروا كسرى وفضوا جموعه
 فهم عزوا (٨٦) دين الحق أول أمره
 سينصرك الرحمان نصراً مؤزراً

/244

مذاهبها في الجود خير مذاهب
 أساء ولم تقطع رجاء لراغب
 بماء (٨٣) تقى ما شابه شوب شائب
 فأحلتته أغنى مراقبي المراتب
 من الملك لم تعلق به يد غاصب
 عن الشرح أنهى مغريات الغرائب
 يراجع بالسراء كل مخاطب
 يفيد عباد الله حفظ الجوانب
 وانت رعاك الله أشرف جالب
 وفاء وإغضاء وطيب مناسب
 بها نلت ما قد نلت من مطالب
 بسعيك فضل أو يرى غير ذاهب
 سليل الملوك الأكرمين الأطايب
 وهم حاربوا في الله كل محارب
 فكنت له من بعدهم خير عاصب
 وتبلغ في الأعداء كل المارب

وَتَفْتَحُ مِنْ أَقْطَارِ رِوْمَةَ عَنُوءَ
تَجُوسُ خِلَالَ الدَّوْرِ مِنْهَا بَعْسُكِرِ
لَهُ مِنْ صَلِيلِ الْهِنْدِ رَعْدٌ وَيَارِقُ
هَنِيئاً لَهَا الْبُشْرَى بِأَسْعُدِكَ الَّتِي
فَجِيثُكَ مَنْصُورٌ وَأَمْرُكَ غَالِبٌ
وَهَاكَ مِنَ الْمَمْلُوكِ عَبْدُكَ خَالِصاً
بَقِيَتْ لِدِينِ اللَّهِ تَحْمِي دِمَائِهِ

مَعَاقِلَ قَدْ حَازَتْ عِظَامَ الْمَكَاسِبِ
يَمُرُّ إِلَى الْهَيْجَاءِ مَرُّ السَّحَابِ
كَشَائِمَةَ (٨٧) مِنْ لَمَعِ بِيضِ الْقَوَاضِبِ
جَلَا نَوْرُهَا الْوَضَاحَ لَيْلَ النَّوَائِبِ
وَرَأَيْكَ مَعْضُودٌ بِحُسْنِ الْعَوَاقِبِ
حَدِيقَةَ فِكْرٍ صَوْبُهَا غَيْرُ نَاضِبِ (٨٨)
وَحَفَّتْ بِكَ السَّرَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

ومن ذلك قصيدة الشيخ الفقيه الكاتب (٨٩) البلغ القاضي، الشاعر المفلح،
أبي إسحاق بن الحاج [36]، وحكم الأصحاب ليلتذ بتراجع طبعه، وأنا أقول : هو
الحميم وإن صدع مدعاه.

(مقارب)

رَعِيَ اللَّهُ نَجْدًا، وَحِيَا الْخِيَامَا
وَدَوَى بِعَيْنَيْنِ مِنْ دَمَعِ عَيْنِي
وَقَدَسَ دُونَ الْحَمِي أَرْبَعَا
وَبِالْأَجْرِعِ الْفَرْدِ مِنْ حَاجِرِ [37]
وَقَفْتُ عَلَيْهَا أَنَا وَالنُّسِيمُ
كَأَنَّ الْوَاوِحِظَ أَعْدَاؤُنَا (٩٠)
وَدُونَ الْغَضَا جِيْرَةً خَلَّتْهُمْ
وَعِيدٌ لَدَى الْحَيِّ عَارِضُنَا
وَرَأَى الْكَلَامَ فَيَالَيْتَ لَوْ
أَزَاهَرُ حُسْنُ بَرُوضِ الصَّبَا
وَفَاتِنَةُ إِنْ تَشَأْ يَوْمَ طَعْنِ (٩١)
مَنْ السَّالِبَاتِ عَقُولَ الرَّجَالِ
إِذَا مَا أَرَادَتْ بِنَا نَشْوَءُ
وَقَالُوا حَكَى الْخَصِرُ مِنْهَا فَوَادِي
وَمِمَّا أَثَارَ لِي الرَّجْدُ بِرُقٍ
وَنَفْحَةُ رِيحِ أَيْتَ مِنْ زَوْدِ [38]
إِلَى اللَّهِ أَشْكَو وَإِنَّ الْعَذَابَ

وَإِنْ هِيَ هَاجَتْ لِقَلْبِي غَرَامَا
وَصَوَّبَ السَّحَابِ دَارِي أَمَامَا
حَمَتَ مَقْلَتِي أَنْ تَذُوقَ الْمَنَامَا
مَنَازِلُ هَامَتَ بِمَنْ فِيهِ هَامَا
سَقِيمِينَ هَذَا وَإِذَا قَدْ تَرَامِي
فَكُلُّ الثَّلَاثَةِ تُبْدِي سَقَامَا
يُشْبِهُونَهُ بِفَوَادِي (٩١) ضَرَامَا
وَمَا عَرَفَ اللَّئِيمُ إِلَّا اللَّئَامَا
جَعَلْنَ مَكَانَ الْعُقُودِ الْكَلَامَا
فَتَقَنَّ الْهُوَادِجَ عَنْهَا كَمَامَا
رَمَتْ كُلُّ رَمَحٍ وَهَزَّتْ قَوَامَا
عَلَى سُرْعَةِ الْحَبِّ مَاتُوا كَرَامَا
سَقَتْنَا شَمَائِلَهَا لَا الْمَدَامَا
صَدَقْتُمْ وَلَكِنْ حَكَاهُ انْعَدَامَا
ظَنَّنَاهُ بَيْنَ الثَّنَائِيَا ابْتِسَامَا
بَهَبَّتْهَا الرُّكْبُ مَاتُوا هِيَامَا
عَذَابُ التَّفْرِقِ مَاتُوا كِرَامَا

وكالقلب مئني بذني (١٧) البان طارت
 وقد هيجتني وهيجتها
 وقد تعب الغصن ما بيننا
 وعرس بالجفن ركب السهاد
 وما الدمع عذب ولكنك
 وحق الهوى والزمان الذي
 لقد بلل الدمع إلا غليلي
 وقد عيل صبري ويارب صبري
 بنفسي حبيب أطال انتزاحي
 هو الحب جرينا هـ ازالاً
 ويا عاذل الصحب كن راحماً
 عجت لبرق من الشوق ما إن
 وسحب من الدمع قد أنبتت
 لحي^(١٧) الله مثلي أيرضى الهوى
 وقد حال حال الحبيب الذي
 وأبهر ليل الشيباب الذي
 وقد بين الصبح صبح المشيب
 وكم حبة لي قد أصبحت
 فأهأ علي الخيف أهأ وأهأ
 وما في مني من منى أيقظت (١٨)
 وكم لي في مكة من عهد
 ألهفي وقد بان عني الحطيم
 كائني لم أصحب الركب وهنا
 بعوج ضامر مثل القسيبي
 وفتيان صدق إذا ما سروراً
 تراهم سكارى كأن الصبا
 ودائمة السير أزمي بها
 ومن أجل قصدي لبنت حرام
 ومن هاجت الشوق بالمنحني
 وشامت على بارق [40] بارقاً
 وحيث العقيق [41] وقد صغته

/24

مطوقة قد رعت لي نماما (١٣)
 فأبكي حميماً وتبكي حماماً
 فيهفوا وراء وتهفو أماماً
 فما سار لكن أطال المقاماً
 على موريد الدمع والى ازدحاماً
 هو القصد للصب لو كان داماً (١٤)
 وأنشئ التفريق إلا الهياماً
 جعلت له مسك ليلى ختاماً
 وأسهرني طول ليلى ونماماً
 بي الدهر قل لي : هواني على ما ؟
 وإلا فأبدل (١٥) لي الميم لأمأ
 يغب وميضاً إذا القلب شاماً
 بجنبي قتاداً ورأسي ثغاماً [39] (١٦)
 وما صنع الوجد عاماً فعاماً
 محبته الدهر كانت لزاماً
 عهدت به للتصابي اكتتاماً
 لغير امرئ عن هواه تعامياً
 تحج خصيماً بها ما استقاماً
 وطيب النعيم بعرف النعاماً
 عيون الزمان وكانت نياماً
 نشدت بها زمزماً والمقاماً
 فلا كان جمعي لدنيا حطاماً
 مطيلاً لطيب النسيم انتساماً
 تسرد للبيد مناً سهاماً
 أثاروا أدكاراً (١٧) وخلوا زماماً
 أدارت عليهم مداماً مداماً
 أمام الحداة عراقاً وشاماً
 خلعت المنام عليها حراماً
 ففي مثله من ضلوعي أقاماً
 سل الخد مني وحلي (١٠٠) الحزاماً
 من الدمع والى عليه انسجاماً

/2

ولاحت قبا [42] والنخيل التي
 كمثل العرائس حلينتها
 ويان البقيع [43] الذي كان وارى
 ولاحت بدور تسمى وجوها
 وجئت لأدخل باب السلام
 ووذت النبي الكريم الذي
 أجل النبيين والرسول طراً
 «فلمتته من بهاليل هاشم
 لمولده قد أضاء الدجى
 وفي أول الأمر يذري اللبيب
 كان الشراري فها م العدى
 وماء البحيرة للفرس غاض
 كأن الذي غاض من مائهم
 والأفئارهم أنتقلت
 وقد عوضوا الماء بالدمع كي
 وراموا انطفاء لنار الشجون
 لطيفه سر الجمال الذي
 ولوله ما كان هذا الوجود
 ولا ارتسمت في طروس العقول
 له القمر انشق في مكة
 ولكن هذا عراه نضمام
 ولما دعا الله جادت سحاب
 وأحفها في ملاء النسيم
 وقد قتل المحل سيف البردق
 كتبع أنامله قدمت
 وفي الشام قد ظللت الغمام
 سرت بين شمسين كلتاها
 ولكن ذات النبي الشريف
 وقتل في الناس عد الطعام
 وحن له الجذع من فرقة
 ولو أودق الجذع من فرحة

يطيل النسيم لهن أنتشاما (١.١)
 بدمعي نثاراً وشعري نظاماً
 من الطيبين عظاماً عظاماً
 بأفق سماء تسمى خياماً
 فأسمعت قياً : سلاماً سلاماً
 بروضته قد جمدت (١.٢) احتشاما
 وخيرهم أمة وانتشاما
 وزهرة أزهق قدماً هماماً
 وإيوان كسرى أراه انهزاماً
 بقاء لدولته وأنصراماً
 برتتها السيف فلم تبق هاما
 وأطفئت النار دامت نوماً
 بتابعه هيكل النار عاماً
 لأضلعهم حسرة واغتماماً
 يزيل الأوام فزاد الأواماً [44]
 فما زادهما الدمع إلا احتداماً
 بيهجته الكون راق ابتساماً
 ولا انقسم الحسن فيه انقساماً
 حروف الحقائق منه ارتساماً
 كقلب العدو الذي فيه لأمأ
 وما انضم قلب العدو انضماماً
 يودق تخلل (١.٤) منها ركاماً
 جوارى مزن تبارت سجاماً
 ووالت عليه الغواصي اقتحاماً
 إلى العدد الجم منها جماماً
 فيا شرف الله تلك الشاماً (١.٥)
 بنور وهذي يسر الأنماماً
 من الشمس أجلى وأعلى مقاماً
 وكثر باللمس منه الطعاماً
 (.....) (١.٦) اما
 لأودق لماً رآه التزاماً

/249 /

/250 /

ولكنه في جنان الخلود
ويالك من عاقب حاشر
لأنصاره الفخر جد التحاقاً
هم ما هم والقنا شرع
هم ما هم والشري ظامي
ولله سعد [45] ومن عاده
وقد قال : قوموا لسيديكم
ولله قيس [46] الكرام ابنه
هم المنتجون لخير الملوك
باندلس (١١٠) أتلو دولة
بنو نصر الناصرون الألي
ووالوا ببيض الطبا والعوالي
هم القوم أفضلهم يوسف
ومن بعده خير أملاكهم
أجل السلاطين شرقاً وغرباً
إذا ما شكت خيلته غلته
نوال كما باكرت ديممة
ويأس كما لفحت جمرة
وحلم لو الخمر شيبت به
همام كريم أنال النهى
وخاصم بالسيف في حقه
ولم تر عيني كمثل السيوف
وقد غاب في الغرب مثل النجوم
وصير غرناطة الملك نوراً
هو النجم لكن له الدر من
هو البدر لكن له الأفق من
بساط شريف تود النجوم
يلام على الجود لكنه
عجبت لكف له وهو نار
إمام حمى الدين من بعد أن
وعاد به مؤيد المصطفى

/251

سيورق حتى يعود إلى ما
يطيل (١٠٧) بحبل الإله اعتصاماً
بزهر النجوم وجبل التحاماً
بحيث الصام يدع (١٠٨) الحماماً
إذا الأرض بالحل عادت قتاماً
رسول الإله وأبدي اختراماً
فلا شخص في القوم إلا وقاما
أمير سماً (١٠٩) همة واهتماماً
ضخاماً تفوق الملوك الضخاماً
لأركانها السعد والى استلاماً
من الكافرين أطالوا انتقاماً
ضراباً فرادى وطعنا تواماً
إمام صعود السعود استداماً
محمد الصعب فيهم مراماً
وأصدقهم في الحروب التزاماً
أراق المياه وسل الحساماً
فوشت أباطحها (١١١) والأكاماً
من القاضيات تزيد (١١٢) اضطراماً
كما أسكرت بالكؤوس (١١٣) الندامى
وجهز للحرب جيشاً لها
فيا فوزة عند ذاك احتكاماً
مخاصمة إن أردت خصاماً
ولكنه عاد بذراً تماماً
وكانت بجور وظلم ظلاماً
كلام يفوق العقود انتظاماً
بساط (١١٤) يسامي وما إن يسامى
حلولاً به ماثلاث قياماً
ملام يفيدك أن لا يلاماً
لدى حربه كيف أبقت ضراماً
رأى من عداة الطفاهة اهتظاماً
يقام وحق له أن يقاماً

سَمَاءَ مَنْ أَحْتَلَاهَا لَنْ يُضَامَا
 بِهِ وَالْوَجْوهُ تَبَدَّتْ وَسَامَا
 عَنِ الْقَمَرِ التَّمَّ هَابَ الْإِمَامَا
 مَعَ الشُّبُلِ لَيْثٌ عَنِ الشُّبُلِ حَامَا
 وَمَا اللَّيْثُ إِلَّا إِمَامٌ تَسَامِي
 لَشَمَلَهَا الْمَلِكُ أَبْدَى التَّنَامَا
 بِدُخْنَةِ (١١٥) عَنَبْرَهُ قَدْ أَغَامَا
 وَتَكَ الَّتِي قَرُبَهَا لَنْ يُرَامَا
 أَقَامَ الْحَرُوبُ لِمَنْ كَانَ قَامَا
 جِيوشًا كَمَوْجِ الْبِحَارِ التَّطَامَا
 وَسَامَتَهُمُ بِالسُّيُوفِ أَنْهَزَامَا
 وَمَنْ يَخْفِرُ الْعَهْدَ يَلْقَى أَثَامَا
 لِمَنْ أَنْجَبَا السُّعْدُ وَالنُّصْرُ دَامَا
 بِمَدْحِ الرَّسُولِ وَتَزْهَى اخْتِنَامَا
 خَمِيلَةَ زَهْرٍ أَطَلَّتْ نَدَامَا
 فَإِنِّي اغْتَنَمْتُ الْأَجُورَ اغْتِنَامَا
 تُنِيلُكَ فِي الرَّوْمِ مَا السُّيْفُ رَامَا
 صَلَاةٌ تَدُومُ وَوَالِي السُّلَامَا

أَعَدُّ لَهُ مَشُورًا خَلْتُهُ
 تَنْوِبُ الشَّمُوعُ مَنَابَ النُّجُومِ
 كَمَا نَابَ وَجْهَ الْإِمَامِ بْنِ نُصْرٍ
 وَقُلْتُ هُوَ الْغَابُ قَدْ حَلَّهُ
 وَمَا الشُّبُلُ إِلَّا أَمِيرٌ نَجِيبُ
 وَفَرْعٌ كَرِيمٌ وَأَصْلٌ زَكِي
 وَيَالِكَ مَنْ مَشُورٌ أَفْقُهُ
 بِهِ قِبَةَ النُّصْرِ مَشْهُودَةٌ
 تَطْلُعُ إِمَامٌ شَجَاعٌ
 وَأَنْهَدَ مِنْهَا الْأَهْلَ الْخِلَافُ
 فَسُرْعَانَ مَا فَرَقْتِ شَمْلَهُمْ
 وَقَدْ أَخْفَرُوا عَهْدَ خَيْرِ الْمُلُوكِ
 وَمَنْ عَهْدَ سَعْدٍ وَنُصْرٍ مَعَا
 أَمْوَالِي خَذَهَا تَرُوقُ أَفْتِنَا
 مِنَ الْعَاطِرَاتِ الشُّذَا خَلَّتْهَا
 وَمَنْ يَفْتَنِمُ بِالْمَدِيحِ الْعَطَايَا
 بَقِيَتْ مَدَى الدَّهْرِ فِي دَوْلَةٍ
 وَصَلَّى إِلَهَهُ عَلَى الْمُصْطَفَى

ومن ذلك قصيدة لكاتب الدولة المتوسل بملازمة ركابها / في الكرة، الفقيه،
 المثل في الإدراك والمشاركة أبي عبد الله بن زمرك [47] فاقطع إجادته جانب
 النسب، ولم يقنع منه باليسير والإجادة في الأغراض شأنه :

(طويل)

ونسيم الجوى والسقم منها تعلمًا (١١٦)
 فأنجد في شعب الغرام وأثهما
 وقفت علي آثارها متوسمًا
 ولم أعرف الأطلال إلا توهمًا
 صرفت له وجه الوفاء تكرمًا
 إذا البارق النجدي وهنأ تبسمًا
 أشار بتذكار العهد فأنهما
 فما خير سحِبٍ قلما تنقع الظمًا

تأمل أطلال الهوى قتالما
 أخوزفرة هاجت له الوجد ذكرة^(١١٧)
 ولما عطفت الصحب والركب والهوى
 فلم أشهد السكان إلا تذكرة
 ومالي وللرسنم الجميل وإنما
 لي الله لأنفك أبكي مسهداً
 ويالك من برقي خفوق كأضاعي
 ويرجى سحاب الدمع لا در صويها

وتبدي إذا تبكي السحابُ تبسُّماً
 إذا اعترضتْ شكوىً تثني بعبرة (١١٨)
 وأن مال بي نحو السلو تعلق
 لوذعت قلبي يوم ودعت إلفه
 وأبلى شبابي طول عهدي وإنني
 سقى العهد في ظل الشباب وجاده
 ليال بها ليل الشبيبة لم ينر
 ولم أر مثل الشيب نوراً وأنه
 تبسّم منه في المفارق بارق
 فيا شعرات قد نصفن بمفرقي
 مضى ما مضى من ريق العيش في الصبا
 ولم أصل من بعد الشباب بطائل
 ألا في ضمان الله سعبي وكم أرى
 ويلهمني فرط اشتياقي إلى الحمى
 وما كلني بالحي حيث حملوا
 ولكنني أهوى الحجاز وما به
 سقاها الحيا من أربع ومعاهد
 بطيب رسول الله طابت ربوعها
 نبي الهدى كافي الردى سابق المدى
 أبو القايم الماحي الذي بحياته
 وحجته الكبرى وبزهاؤه الذي
 تنقل نوراً في الحياة مشاهداً
 إلى أن بدا سراً من الله ظاهراً
 قد اعترفت توراة موسى بفضله
 فيا مظهر الأسرار، يا نكتة الهدى
 عليك سلام الله ما قمر بدا
 وياليتني فازت يداي بزوردة
 ومازلت أغري باللقاء مطالبسي
 وكيف وأنى لي وذنبسي مبعدي
 وركب سرواً والليل في لجة الدجى
 وقد رعشت في سحبها فتخالها

/254

/255

وإني لا أدري من أعارك مبسماً
 فيا من رأى رب البلاغة معجماً
 أبت سورة الأشواق إلا تحكماً
 ووالله ما أدري من القلب منهما
 أجد هوى ما كان عهدي أقدماً
 من الدمع ما يزوي صدها وما (١١٩)
 وياليت ذاك الليل لو قام مظلماً
 يسوم محياً العيش أو يتجهماً
 فقطب وجه الأنس لما تبسماً
 نصلت خصاباً أم تنصلت أسهما
 وياليت ما أبقى أسى وتندما
 ولم أحتقب إلا مشيباً ومائماً
 أقضني زمانني في عسى ولعل ما
 ولو ساعد المقدار لم أبرح الحمى
 ولا شغفي بالربيع والدار أينما
 ومن حل أكناف الحجاز وخيما
 قلله ما أذكى وأزكى وأكرما
 فسل إن أردت الركب عما تنسماً
 إذا أسبق الرسل الكرام تقدماً
 إله الوردى في محكم الذكر أقسماً
 به كمل الدين الحنيف وتُماً
 يفوق بهاء أو يروق ترسماً
 تجسد من نور الهدى وتجسماً
 وصدقه إنجيل عيسى بن مريما
 ويا حجة الله الأخيرة المقدماً
 وما شمائل هبت وما مطرهما
 أحط بها رحلي لديك مخيماً
 وألهي حثيث العزم أن يتلوها
 يقل شبا عزمي إذا العزم صمماً
 وقد خلصت منه الكواكب عوما
 حماماً على نهر المجرة حوما

يؤمّون قبراً ضمّ أكرمَ مُرسِل
فما وردوا (١٢٠) شربَ القبولِ مصرداً
لئن بلغوا دوني وخلفت إنسه
فرحماك يا مولاي رحماك أنتي
وإن لم أكن أهلاً لما أنا أمل
بحقك لا تقطع رجائي فإنتي
ولم أذخر في العمر زاداً من التقى
رجعت إلى الشكوى عن الفوز بالمنى
فيا كاشف البلوى ويا موضح الهدى
دعوت إلى دار السلام مبلفاً
لك المعجزات المعجزات حقيقة
ومثل اعتراف الجذع والضرب والحصى
وإن الذي من أجله خلق الحيا
وأنت لهذا الكون علّة كونه
ولولاك للأفلاك لم تجل نيراً
وكم حيوان ناطق لك شاهد
وكم دعوة لله أخلصت وجهها
وفي ليلة الميلاد^(١٢١) لاحت شواهد
وغاض لها الوادي وسبحت الحصى
فيا حسنها من ليلة أطلع الهدى
أشاد أمير المسلمين محمد
وقام بحق الله فيها ولم يدع
وفاتح مبناه السعيد تيمناً بها
أجل بني نصر سناء وهمّة
وأنداهم كفا وأشمخهم على
رسا حلمه طوداً وجاد غمامة
وأحيا رسوم الحق بعد عفائها
وجدد عهداً قد محت رسمه العدى
وكم كفرت نعماه لازال رقدماً
حريص على التقوى خفيف إلى الهدى
فيا ابن العلى والحلم والبأس والندى

به شرف الله الوجود وكرماً
ولا زجروا طير السعادة أشاماً
طبيب من الأقدار داوى وأسقما
مددت يدي فامنن علي تكرماً
فإنتك أهل أن تجود وترحماً
جعلت إلى المأمول حيك سلماً
وحسبي بحبي فيك زاداً ومغتما
ومن لم يجد إلا صعيداً تيمماً
ومولى الرخمي ويا مذهب العمى
فصلى عليك الله دأباً وسلماً
كمثل انشقاق البدر في أفق السما
ونقع بنان منك قد نقع الظمما
خليق بأن تندى يداه وتسجما
فلا غرو أن تلقى مطيعاً مسلماً
ولا قلدت نحر المجرة أنجما
وكم من جماد في يدك تكلمما
فما عرفت غير القبول ميمماً
من الحق لا تخفى على من توسما
قصود بيصرى أفقها كان أظلمما
بافاقها البدر المنير المتئمما
بها فاستعان الجود فيها وحكماً
بها هضبة للبر إلا تسنمما
ونحا القصد السديد ويممما
وأعلامهم في هضبة الملك معلماً
وأمنحهم وقدأ وأمنعهم حمى
ولاح لنا بدرأ وأقدم ضيغما
وأسرج في ذات الإله وأجمما
وألحف سلماً أنفس الخلق مسلماً (١٢٢)
فانعم بالغفران لازال منعمما
أبر من استرحمته فترحمما
ومن فاق أفاق النجوم إذا أنتمى

طلعت بأفوق الملك آية رحمة
وتنصر مظلوماً وتقهر ظالماً
فأمنت حتى الغصن من نفحة الصبا
فإن رعشت زهر النجوم فخيبة
لك الخير لا تعد الذي أنت أهله
ولله عيناً من رأى أي مصنع
يذكر دار الخلد منه أولي النهي
به يعمر الأنداء كل مفوه
قد اعتمرت منه المحاسن روضة
أمولاي خذها في امتداحك عادة
تجيش بصدري للبلاغة أبحر
وما أنا إلا صارم قد صقلت
وما أنا إلا طائر حل جنة
مطوق طوق من ندادك تهدلت
فهتت مبنك السعيد ممتعاً
وكافأ برأ قد أقمت شعاره
ودمت تحلي عاطلاً بحلى العظمى

/251

لتجلو ما قد كان بالظلم أظلمما
وتؤوي (١٢٣) مذعوراً وترحم مجرماً
وأزهبت حتى النجم في كبد السما
وإن مال غصن البان شكرك يمما
فمثلك من والى وأولى وتمما
أعد لهذا القصر برأ وأحكما
سنى أدهش الأفكار إلا توهماً
ويشدو (١٢٥) به حادي الركاب مزمماً
يطيب بها عرف المديح تنسماً
تجرز ذيل الفخر وشيا مننماً
فتقدف در الحمد رطباً منظمماً
بنعمك يمضي حيث شئت مصمماً
بيابك أذكت أنفه فتنعماً
غصون المنى من فوقه فترنماً (١٢٦)

ومن ذلك قصيدة الفقيه القاضي، الخير الأوبة والمنشأة، القديم الشهرة
بالإجادة، أبي بكر بن أبي علي القرشي [48]، قصيدة حسنة، كفة الإجادة فيها
راجحة :

(بسيط)

يُحْيِي الْوَدَى بِرَسُولِ اللَّهِ مَوْلِدَهُ
تَعَوَّدُ فِيهَا لَنَا الْبُشْرَى بِمَقْدَمِهِ
لَهُ فِي كُلِّ عَامٍ مِنْهُ مُرْتَقِبٌ
أَهْلًا بِشَهْرِ رَبِيعٍ مَا اسْتَدَارَ لَنَا
وَارْتَجَّ إِيْوَانَ كَسْرَى فِيهِ وَانْكَسَرَتْ
وَنَارُ فَارِسٍ لَمْ تَوْقِدْ وَكَانَ لَهَا
وَالنَّهْرُ لَمْ يَنْسَكِبْ وَالشَّهْبُ قَدْ رَصَدَتْ
دَلَائِلُ الصَّدْقِ قَبْلَ الْبِعْثِ قَدْ ظَهَرَتْ
أَنْتَ عَلَى نَحْوِ مَا جَاءَتْ بِهِ كَتَبُ

وَالزَّمَانَ مَوَاقِيْتُ تَجِدُّهُ
كَمَا يَعُودُ عَقِيبَ اللَّيْلِ فِرْقِدُهُ (١٢٧)
نَظْلُ فِي أَفْقِ الْخَيْرَاتِ نَرِصُدُهُ
فَفِيهِ أَنْجَزُ لِلْإِسْلَامِ مَوْعِدُهُ
أَرْجَاؤُهُ وَهُوَ وَانْهَدُ مَصْعَدُهُ
مَذُ الْفِ عَامٍ يَشِبُّ الْجَزْلُ مَوْقِدُهُ
مَقَاعِدُ السَّمْعِ لِلشَّيْطَانِ تَطْرِدُهُ
تَهْدِي بِأَنْوَارِهَا الْأَعْمَى وَتُرْشِدُهُ
فَارْتَابَ فِي الْمِصْطَفَى مَنْ كَانَ يَحْسُدُهُ

وَأَنْكَرَ الْحَقَّ إِبْطَالاً لَهُ وَغَدَا
 وَحَسْبُنَا قَمَرٌ فِي الْأَفْقِ شَقٌّ لَهُ
 وَأَنْ تَفْجُرَ مَاءٌ مِنْ أَنْمَالِهِ
 وَأَنْ كَفَى الصَّاعُ أَلْفًا بَعْدَمَا غَرْنَا [49]
 وَأَنْ تَبَادِرَ مِنْ بَرِّهِ حَجَرٌ
 وَحَنْ شَوْقًا إِلَيْهِ الْجَدْعُ حِينَ نَأَى
 وَالرِّينُ فِي الْخَدِّ سَالَتْ وَهِيَ تُبَيِّنُهَا
 وَلَمْ يَدْعُ لِعَيْي تَفْلَهُ أَلْمَأُ
 مَاذَا أَعَدُّ (١٢٨) مِنْ آيَاتِهِ وَمَتَى
 كَمْ مُعْجَزَاتٍ لَهُ بِالصِّدْقِ قَدْ شَهِدَتْ
 وَالذِّكْرُ آيَاتُهُ الْعَظْمَى الَّتِي بَقِيَتْ
 آيَاتُهُ نَزَلَتْ بِالْمَدْحِ فِيهِ فَمَا
 لَوْ نَظَّمُ اللَّفْظُ فِي أَمْدَاحِهِ دُرًّا
 مُحَمَّدٌ هُوَ حَقٌّ مِنْ خِصَائِنِصِهِ
 بَشَرِي الْمَسِيحِ سَرَى مِنْ آدَامِ غُرْرًا
 مَعْنَى الْوُجُودِ إِمَامُ الرِّسْلِ خَاتِمُهَا
 فِي ذِمَّةِ اللَّهِ أَوْ رَاحَ بِهِ شَغْفَتُ
 وَصِفْوَةٌ حُبُّهُمْ فِيهِ شِعَارُهُمْ
 نَعْمَ الْإِمَامُ لَهُ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ
 يَرْضَى الرِّسُولُ بِأَفْعَالٍ لَهُ كَرُمَتْ
 أَقَامَ فِي اللَّيْلَةِ (١٢٩) الْغُرَاءَ مَوْلِدَهُ
 يُهْدِي الصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَالسَّلَامَ إِلَى
 وَيَمْلَأُ الصُّحُفَ مِنْ نُورٍ تَأَلَّقَ فِي
 وَمَصْنَعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِ هَمَّتِهِ
 تَبَأَى بِهِ فِي بَقَاعِ الْمَلِكِ أَنْدَلُسَ
 صَاغَتْ بِدَائِعِهِ أَيْدٍ وَأَفْنِدَةً
 فَصَحَّ لِلأَذْنِ مِنْهُ مَا يَقْرَظُهَا
 وَزَادَهُ شَرْفًا أَنْ حَلَّهُ مَلِكُ
 كَأَنَّمَا الْقَدْرُ الْمُحْتَوَمُ وَأَفْقَهُ
 تَوَارَثَ الْمَلِكُ عَنْ أَبَائِهِ وَحَمَى
 حَاطَ الرُّعِيَّةَ مِنْهُ مَشْفِقٌ حَدَبُ

يُخْفِيهِ لَوْ أَنَّهُ يَخْفَى وَيَجْحَدُهُ
 شَقًّا تَبْيِينٌ لِلأَبْصَارِ مَشْهَدُهُ
 سَقَى بِهِ الْجَيْشَ حَتَّى عَمَّ مَوْرِدُهُ
 وَذَلِكَ فَضْلٌ عَمِيمٌ جَلُّ مَعْهَدُهُ
 صَلْدٌ فَأَقْصَحَ بِالتَّسْلِيمِ جَلْمَدُهُ
 وَضِجٌ مِنْهُ عَمِيدُ الْقَلْبِ مَكْمَدُهُ
 بِكْفِهِ حَيْثُ كَانَتْ بِوَرَكْتِ يَدِهِ
 إِذْ جَاءَ وَهُوَ عَلِيلُ الطَّرْفِ أَرْمَدُهُ
 يَتَمُّ حَضْرُ الْحَصَى أَوْ مِنْ يُعَدِّدُهُ
 رَوَى عَجَائِبَهَا مِنْ صِحِّ مَسْنَدُهُ
 تَتَلَوَّهُ أُمَّتُهُ غَضًّا وَتَسْرُدُهُ
 يَقُولُ بَعْدُ حَسِيرُ الذَّهْنِ أْبَلَدُهُ
 فَالْوَحْيُ أَعْلَالُهَا بِمَا يُنْخُدُهُ
 مِنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ يَحْمَدُهُ
 فِي كُلِّ وَقْتٍ بِهِ يَمْتَأَزُ أَمْجَدُهُ
 خَيْرُ الأَنَامِ شَفِيعُ الْكُلِّ سَيِّدُهُ
 فَصَارَ فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ مَلْحَدُهُ
 مِنْهُمْ خَلِيفَةُ هَذَا الْعَصْرِ أَوْحَدُهُ
 سَبَقَ بِخِصْلِ مَدَى الْعُلِيَاءِ يُفْرِدُهُ
 فِيهَا الْمَقَاصِدُ أَدْنَاهَا تُهَجِّدُهُ
 يَقْطِعُ اللَّيْلَ فِي ذِكْرِ يَرُدُّدُهُ
 أَنْ فَرَّعَ نَاطِرَ الظُّلْمَاءِ إِثْمَدُهُ
 نَادِي (١٣٠) مَلَائِكَةَ الرَّحْمَانِ تَشْهَدُهُ
 إِلا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى يَشِيدُهُ
 فَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا الأَبْصَارُ تَعْهَدُهُ
 تَأْتَقَّتْ فِيهِ حَتَّى تَمَّ مَقْصِدُهُ
 وَوَلَّاحَ لِلطَّرْفِ مِنْهُ مَا يَقْيِيدُهُ
 يُرْبِي عَلَيَّ يَوْمِهِ فِي سَعْدِهِ غَدُهُ
 فِيمَا يَحِلُّ مِنَ الدُّنْيَا وَيَعْقُدُهُ
 حِمَاهُمْ وَقَضَتْ بِالثَّارِ أَسْعَدُهُ
 شَهْمٌ هَمَامٌ كَرِيمٌ طَابَ مَحْتَدُهُ

59 /

260 /

غَيْثٌ لِيَبْذُلَ التُّنْدَى مَبْسُوطَةً يَدَهُ
 عَدْلٌ تَخِيرُهُ (١٣١) فِي المُلْتَمِئِينَ لَنَا
 مِنْ أَسْرَةٍ حَبِئَهُمْ دِينَ وَبَعْضُهُمْ
 أَنْصَارُ دِينَ الْهَدَى مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ
 مِنْ كَابِنٍ نَصَرَ تَوْلَى اللَّهَ نُصْرَتَهُ
 نَجَلُ الشَّهِيدِ الَّذِي أَدْنَاهُ يَوْمَ قَضَى
 لَهُ مَنَاقِبَ أُعِيَتْ كُلُّ ذِي لِسَانٍ [52]
 تَأَلَّفَتْ فِيهِ مِنْ أَسْلَافِهِ فَعَدَا
 فَمِنْ صِلَاحٍ وَمِنْ عِلْمٍ وَمِنْ وَدَعٍ
 وَمِنْ خِلَالِ زَكَايَاتٍ يَنَالُ بِهَا
 دَامَتْ لَهُ بِهَجَّةِ الأَيَّامِ فِي نَعْمٍ

/261

لَيْسَتْ لِيَوْمِ الوغَى رَحْبٌ مَقْلُدَةٌ
 بِحُسْنِ سِيرَتِهِ مِنْ نَحْنٍ نَعْبُدُهُ
 يَكْبُ صَاحِبُهُ فِي النَّارِ تَوَقُّدُهُ
 إِلا سَمَا فَوْقَ أَفْقِ النُّجْمِ سَوَّدَدُهُ
 وَمُرَّقَتْ بِسَيُوفِ الْقَهْرِ حُسْدُهُ
 إِلَى الإلهِ مُصَلَّاهُ وَمَسْجِدُهُ
 فَيَنْتَنِي عَنْ مَدَاهَا وَهِيَ تُجْهِدُهُ
 يُحْيِي بِهَا مَنْ، مَضَى مِنْهُمْ وَيُوجِدُهُ
 وَمَنْ سَمَّاحٍ وَمَنْ بَأْسٍ يُؤَيِّدُهُ
 مِنْ رَبِّهِ كُلِّ مَا يَرْجُو وَيَقْصِدُهُ
 لا يَقْطَعُ اللَّهُ عَنْهُ مَا يَعُودُهُ

ومن ذلك قصيدة الفقيه العدل الخير، معلم ولد السلطان، أبي عبد الله
 الشريشي [53]، تورط منها في شعب التاء المنصوبة، طوع افتراء دعا به فلا
 تسل عن منجاته (١٣٢) [54]:

(وافر)

أَلَا بُئِيَ الهوى يا نفسُ بئياً
 وَجَدِّي وَيُبْكُ إِنْ الأَمْرَ جَدُّ
 وَخَلِّي عَنْكَ نَهْجَ أُولِي التَّصَابِي
 وَحَسْبِي مَا أَتَانِي مِنْ نَذِيرٍ (١٣٣)
 أَبْعَدَ الشَّيْبِ يا مَغْرُورٍ تَلْهُو
 أَتْلَهُو وَالْمَنِيَّةُ لَسْتَ تَدْرِي
 أَمَا وَاللَّهِ مَا عَقِلُ سَلِيمٍ
 فَهَلْأَ كُنْتَ ذَا عَمَلٍ وَعِلْمٍ
 وَهَلْأَ كَانَ هَمُّكَ جَمْعَ نَفْسٍ
 نَقَّضْتَ عَهْدَهَا وَنَسِيتَ جَهْلًا
 حُجِبَتْ عَنْ أَوْجْهَها بِحَضِيضِ أَرْضٍ
 هَبَطَتْ لَهَا تَعْبُرُهَا فَلَمَّا
 وَأَثَرَتْ الدنْيَا وَتَرَكَتِ الأُخْرَى
 أَلَا رَاجِعْتُ مَوْلَى ذَا قَبُولٍ

/262

وَإِنْ فَتَّ الحِشَا وَالقَلْبَ فَتًّا
 فَهَزَلْتُكَ بَعْدَ بالأَعْضَاءِ فَتًّا [55]
 وَخَافِي أَنْ أَرَى شَيْخاً تَفْتَى [56]
 يَخُوفُنِي المَنُونُ وَليْسَ تَفْتَا
 أَمَا إِنْ وَالْمُهَيِّمِنِ مَا عَقَلْتَا
 مَتَى تَأْتِي وَمَا إِنْ بَعْدُ فَتَا
 لِيَرْكَبَ مَا مِنَ البَلْوَى رَكْبَتَا
 تَفْوزُ إِذَا عَمَلْتَ بِمَا عَلِمْتَا
 قَدْ افْتَرَقْتَ لِأَيَّامِ جَمَعْتَا
 مَعَاهِدَهَا وَكُنْتَ بِهَا أَنْسَتَا
 نَصَبْتَ هَوَى بِهَا نَصْبًا وَجَبْتَا
 فَتَنَّتْ بِزُخْرَفِ فِيهَا عَمَوْتَا
 فَسُحْقًا إِذْ جَمَعْتَ بِهِنَّ سُحْتَا [57]
 وَإِقْبَالَ عَلَيْكَ مَتَى قَدِمْتَا

على ما قدمت يُمناك قدما
ولم تر غير ما ترجوه من ذي
هو الهادي الرسول المرتجى في
وكم لعلائه من معجزات
ستلّفها (١٧٤) إذا عدت ألفاً

ومنها وهي طويلة :

ولولا معشر من آل نصير
هم نصروا الرسول واثروه
فقد كتبت مفاخرهم قديما
وهل كسيل مجدهم المفدى
هو الملك الأغر فلأمليك
هو البحر الخضم لعتفيه
إذا بخل الحيا فنداه يُغني
هو الوهاب للآلاف حمداً
إذا ما زلت الأقدام يوماً
وان رقع البغاة لواء غدر
فان جمعوا فلتكسير لا لس
لقد أحيا البلاد ومن عليها

ومنها ولا حول ولا قوة إلا بالله :

جلال ليس مقصوداً بالأ
فماذا أن يقال القول فيه
بقيت مبلغاً ما تشتهه
ولازلت ملوك الأرض تحذو
ومن عاداك أو ناوك يوماً

من الأوزار واستوحيت مقنتا
كمال مطلق مهتما اعتبرت
بلوغ سؤال والآمال شتى
إذا ما رمت تحصرها عجزتا
ولا مثل القرآن إذا عدتتا

تداركه الإله بهم لفتنا
وأوه فسل، أما جهلتنا
كما كتبتوا العدى في الدهر كبتنا
محمد بن يوسف إن خبرتنا
يضاهيه حياً وندى ونعتنا
فقات ماؤه مهما وردتنا
ويغني القرن بالصمصام صلنا [58]
ولفر الجياد الجرد كمتنا
بمازن معرك فيريك تبتنا
فتخضه علاه كما شهدتنا
لامة جمعهم تلفيه بتنا
به وأعاد للعباء دستنا [59]

كمال ليس مقصوداً بحتى
ولو أملتته أحداً وسبتنا
على الأيام من أمل ودمتنا
إليك ركابها فتنازل بختنا
تفت فؤاده الأيام فتتنا

ومن ذلك قصيدة للشيخ الفقيه الفاضل، صاحب أشغال الطعام ببابه، أبي القاسم بن قطبة [60]، وقد كان طال بالشعر عهده في هذه الأغراض، فبان عذره:

(كامل)

يا لَيْتَ لي نَفْساً تَعَارُ سِوَاهَا
وَالشَّيْبُ أَقْبَلَ نَاصِحاً يَنْهَاهَا
عِمَاءٌ لَا تَهْدِي سَبِيلَ هُدَاهَا
بِالسُّوءِ لَا يُعْدِي عَلَيَّ عَنَوَاهَا
وَالقَلْبُ أَجْهَدُ فِي طِلَابِ رِضَاهَا
وَالنُّوْمُ أَلْفِي فِي لِحَاقِ مُنَاهَا
إِنِّي أَطِيقُ لِشَقَوَاتِي بَلَوَاهَا
كَيْمَا أُوَافِقُ رَأْيَهَا وَهَوَاهَا
وَأُبْتُ فِي عَرَصَاتِهَا شِكْوَاهَا
تَجْلُو عَنِ النَفْسِ الغِدَاةَ صِدَاهَا
خَيْرَ البَرِيَّةِ كَيْ أَقِيمَ صِفَاهَا
لُتِمَّتْ شِفَاهُ المَذْنُبِينَ نَوَاهَا
إِلَّا رِضَاكَ إِذَا لَقِيْتُ اللّهَ
وَيُرِيدُ عَفْوَ مَنْ لَدُنْكَ وَجَاهَا
وَالقَلْبُ مِنْهُ طَائِرٌ قَدْ تَاهَا
تُحْيِي القُلُوبَ قَبُولَهَا وَصَبَاهَا
مَازَلْتُ صَبَاً وَهَلَا بِهَوَاهَا
وَبِأَضْلَعِي نَارَ تَشْبِ لظَاهَا
فَلْيَهْنَهَا فَازَتْ وَخَابَ سِوَاهَا
فَاللّهُ يَشْكُرُ سَعِيهَا وَخَطَاهَا
قَبْلَ - قَدَيْتُكَ - وَهَدَاهَا وَرِيَاهَا
خَذْ مَهْجَتِي وَعَسَاكَ أَنْ تَرْضَاهَا
كَلَا وَلَا دَعْدُ وَلَا لُبْنَاهَا
مَنْ فَتَنَةَ عِمَمِ الأَنْبَاءِ أَذَاهَا
أَهَا لَهَا حَتَّى المَمَاتِ وَأَهَا
وَأَنْتَجَلَتْ بِيضَ الألفِ قَنَاهَا (١٢٧)

نَفْسٌ تُطِيعُ مَدَى الزَّمَانِ هَوَاهَا
كَمْ ذَا التَّشَاغُلِ وَالزَّمَانُ قَدْ انْقَضَى
تُمْسِي وَتُصْبِحُ فِي الضَّلَالِ كَأَنَّهَا
تَعْساً لَهَا خَدَاعَةٌ (١٢٥) أُمَارَةٌ
الجِسْمُ أَتَعَبُ فِي مَنَالِ مِرَادِهَا
وَالفِكْرُ أَعْمَلُ فِي اجْتِلَابِ رِضَاهَا
مَا بِأَلْهَا رَضِيَتْ سَفَاهَةٌ رَأْيَهَا
دَعْنِي أَعْلَلُ بِالتَّصْبُرِ مَهْجَتِي
حَتَّى أَحْتُ إِلَى البَقِيْعِ رِكَائِبِي
وَأَجِيلُ فِي تِلْكَ المَعَالِمِ نَظْرَةٌ
وَأَحْطُ رَحْطِي عِنْدَ قَبْرِ مُحَمَّدٍ
قَبْرِ إِذَا لُتِمَّ العِصَاةُ تُرَابُهُ
مَالِي إِلَى دَارِ الخِلُودِ وَسَيْطَةٌ
عَبْدٌ يَرُومُ نَجَاتَهُ مَنْ ذُنُوبُهُ
بِالمَغْرِبِ الأَقْصَى تَوْتُ أَوْطَانُهُ
شَوْقاً إِلَى تِلْكَ المَعَالِمِ إِنِّهَا
مَنْ كَانَ يَهْوَى الغَانِيَاتِ فَاثْنِي
تَحْكِي البِحَارُ الطَّمَّ فَيُضِرُّ مَدَامِعِي
سَبَقَتْ رِجَالُ للزِّيَارَةِ قَبْرَهُ
وَتَحْمَلَتْ لَا تَنْتَنِي عَزْمَاتُهَا
يَا رَاكِبَ الوَجْنَاءِ يَبْغِي طَيْبَةً
وَاقْرَأَ السَّلَامَ وَإِنْ أَرَدْتُ مَثْوِيَةً
تِلْكَ المَعَاهِدُ لَا مَعَاهِدُ زَيْنَبُ
لَكِنْ مَعَاهِدُ تَوْبَةٍ تَتَخَلَّصُ (١٢٦)
مَنْ فَتَنَةَ الدُّنْيَا وَمَنْ تَبِعَاتِهَا
عَرَفَتْ بِمَوْلَدِهِ السِّيُوفُ مَضَاهَا
وَتِيَامَنُ الدِّينُ الحَنِيفُ وَخُبِرَتْ

/264

/265

وارتج من دُعر به إيوائها
 وخبّت به نيران فارس وانقضت
 سبقت بياسين عناية ربه
 سبحان من رحم العباد بأحمد
 وتدارك الدنيا بملك (١٢٧)
 ملك إذا هز القناة بكفه
 وجه يريك البذر ليللة تمه
 وسخاء كف لو تجود كجوده
 من آل نصر خير أملاك الوردى
 قوم إذا نادى الصريخ بأرضهم
 خيل عليها كل أروع باسل
 تغزى لأولاد الوجيه ولاحق
 من أجرد ومشدب عبل الشوى
 ترنو بطرف في السماء مجالة (١٢٨)
 يا أيها الملك الذي قد عاودت
 إنني جلت لدى بساطك عادة
 فامنن عليها بالقبول فإنها

ووهت معالم عزها وعلاها
 دنياهم حقاً وحان رداها
 شهدت قوايحها وأخر طاهها [61]
 وشفى النفوس بهديه وهداها
 من بعدما عبثت أكف عداها
 كانت صدور عاداته مأواها
 وتعار منه الشمس نور سناها
 غر السحاب لفجرت أمواها
 سادوا البرية كهلها وفتاهها
 طارت خيولهم وخف وناها [62]
 يلقي المنية كل من يلقاها
 لا تشتكي طول السباق وجاهها [63م
 ومطهم سلب الطيور قواها [64]
 وتصيح (١٢٩) أذنا حيثما ولأها
 بزمانه الدنيا زمان صباها
 قد طيب الأفواه طيب شذاها (١٤٠)
 بكر تغار إذا تغار سواها

6 /

ومن ذلك قصيدة للشيخ الأديب الشهير، أبي عبد الله محمد بن حسان
 [65]، قصيدة معشوية، شأن من أخلقت ولادة النظم رحم إجادته :

(طويل)

دعوها تسل فوق الخدود دموعها
 ولا تمنعوها من نواسم حاجر
 وفاح لها من مثبت الشيح مندل
 تراعت لها أعلام مكة فاغتدت
 لمطلع نور الوحي في البيد ترتمي
 لوت نحوها الأغناق تعتنق في السرى
 وألقي بها الروح الأمين سفارة
 تحن إلى أرض الحجاز صباية

إذا البرق من نجد أثار نزوعها
 فإن نسيم الريح يبرى وأوعها
 فهامت به نشوى تجر نسوعها [66]
 وقد أنست أطلالها وربوعها
 تحث خطى شوق أجر ضلوعها
 إذا سدف بالزهر جبت هزيعها
 وخص من الأرسال (١٤١) طراً ربيعها
 وإن سلوة رامت فلن تستطيعها

267 /

فكيف بمُنْضِها (١٤٢) وقد ظلّ نازحاً
 إذا أطربَ الحادي بذكرِ حبيبها
 ترنحُ فوقَ الكورِ والرَّحْلُ يَنْتَنِي
 ونو الحبِّ لا تخفي سريرةَ حبه
 عليه عدولٌ لم يُجرحْ شهيدُها
 فيا سابقَ الوجناء واجه بها الصبأ
 وجدتُ بها وهناً نسيمَ أحبتي
 وكنتُ جريئاً (١٤٦) النفس قبلَ هبوبها
 فباليتني أنضي المطي ليئرب
 أعفرُ شيبى بالثرى (١٤٧) وهو مسكّة
 لقد شرفَ الله الشهرورَ كرامةً
 فيا ليلةَ أربى على الصبحِ نورها
 ومن أجلها الكرسي والعرشُ أبدعا
 بها أطلعَ الرحمان نورَ هداية
 وملة من أنجى الخلائق من ردى
 له معجزاتٌ دونها الشهبُ كثرةً

أخا مقلّة أنأى الفراق هجوعها
 وشاقت أغانيه القلوبَ وروعها
 وكاد الهوى أسرارَه أن يُذيعها
 له كبدٌ فث (١٤٤) الغرامُ صدوعها
 ضنى وأسى والعينُ تجرى نجيعها
 لتتشقّ (١٤٥) مكن أزهارها
 بسهدي أغرتنى فبت مطيعها
 فلما أنبرت بالخيْفِ بت جزوعها
 أشاهد من شمس أنارت طلوعها
 وألثم لثم المستهام بقيعها
 وخص بميلاد الرسول ربيعها
 محاسنها يجلو الجمال بديعها
 وواصلت الأرواح طراً خشوعها
 شريعة دين ما ألدّ شروعا
 وفي الحشر من نارٍ فكان شفيعها
 يضيف نطاق القول عن أن يشيعها

ومنها بعد المعجزات :

باندلس أحيا الخليفة رسمها
 محمدُ الزكي الخلال ابنُ يوسف
 فقد سجت (١٤٨) منه البلادُ بمازن
 وعاد إلى الدنيا الشبابُ بملكه
 تقول ملوك الأرض طراً بفضله
 وأوفد من أمصاره كل ماجد
 وجاء بها غراء باهرة السنأ
 وأوضح نهج الدين منها فطابقت
 وشيد للعزم المقيم مبانيها
 فقبتّها تحكي المحيط استدارةً
 بدائع رقم كالمجرة جمعت
 وقد أشبهت السواري معاصماً (١٥١)
 وفتح نور الروض في جنباتها

كما لالات زهر النجوم لموعها
 يحوط ثغورا بالقنأ لن يضيعها
 فما تستطيع الأحداث (١٤٩) منيعها
 وكان بها خبل (١٥٠) فداوى صريعها
 وتلقي له الإقليد تبدي خضوعها
 حيث الخطا للمكرمات سريعها
 جلا الحسن منها خوذها وسموعها
 أصول المساعي الصالحات فروعها
 وأطلع فيها كالشموس شموعها
 علي عمد التقوى أقام ربيعها
 كواكبها بالوشى زان جميعها
 لبيض إذا استذنت إليها ضجيعها
 إذا ما سقته الواكفات دموعها

وَزَحْرَفَتِ الْأَصْبَاغُ مِنْهَا صَنِيعَهَا
يُنَافِسُ بِالْدُنْيَا أَنْ يَبِيعَهَا
يُجِيبُ إِذَا تَدَعَوْا إِلَيْكَ سَمِيعَهَا

وَقَدْ نَشَرَ الطَّائِوسُ فِيهَا جَنَاحَهُ
فَهَيَّيْتُ يَا تَاجَ الْمُلُوكِ ذَخِيرَةً
فَوَافَتْكَ بِالْفَتْحِ الْقَرِيبِ عَجَائِبُ

9 /

ومن ذلك قصيدة للفقير المثبت لهذا العهد ببيت الكتاب، أبي جعفر بن عبد الملك [67]، طارد فيها المعاني طردا أقصرت عنه خيل الألفاظ الدالة على معظم خلل الدال، ولم يحصل الغرض من المدلول، وأولها حسن :

(كامل)

وَشَفَاءُ قَلْبِي مِنْ هَوَاكَ سَقَامُ
أَشْكُو إِذَا هَجَرْتَنِي (١٥٢) الْأَسْقَامُ
فَهَوَانُ نَفْسِي فِي الْهَوَى إِكْرَامُ
لِلصَّبِّ بَعْدَ جِرَاحِهِ إِقْدَامُ
لذَاتُهُ فِي لَيْلَةٍ أَحْسَامُ
لضِيَائِهِ فِي مَفْرَقِي أَعْلَامُ
لَمْ يَنْتَقِلْ لِلْقَلْبِ مِنْهُ ظَلَامُ
هِيَ فِي الْفَوَازِ الْمُسْتَهَامُ سَهَامُ
وَكِذَاكَ أَيَّامُ الشَّبَابِ مِنْهَا
إِتْلَافُ جَوْهَرِهِ أَسَى وَغْرَامُ
فَبِنَقْصِهِ قَدْ زَادَتِ الْأَثْمَامُ
بَيْنَ الْجَوَانِحِ مَذْعَلَتُ مَقَامُ
يَكُ فِي الْوَدَى نَقْضٌ وَلَا إِبْرَامُ
غَسَقُ بِنَهْرِ مَجْرَةٍ أَكْمَامُ
كَافُورِ صَبْحِ فُضٍّ عَنْهُ خْتَامُ
سُرْدُ [69] وَلَا كَانَ السُّرُودُ يُدَامُ
وَلَهُ مِنَ الْجُودِ الْعَمِيمِ غَمَامُ
حَكْمٌ تَدُورُ عَلَيْهِ وَالْأَحْكَامُ
وَلَهُ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ تَمَامُ
غَطِي عَلَى أَفَاقِهَا الْإِظْلَامُ
ضَلَّتْ (١٥٤) سَبِيلَ نَجَاتِهَا الْأَحْلَامُ
أَنْ لَا يُرَى أَبَدًا لَهُ إِتْمَامُ
يُخْفَى عَنِ الْأَعْدَاءِ حَامٌ جَمَامُ
أَكْبَادُهُ عِنْدَ الْفِرَاقِ هَيَامُ

نَارُ الصَّبَابَةِ إِنْ رَضِيَتْ سَلَامُ
لَا أَشْتَكِي سَقْمًا بِهِجْرَكَ إِنَّمَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ هَجْرِي وَيَعْدِي عَنْ قَلْبِي
وَلَطَمًا صَالَ الزَّمَانَ وَإِنَّمَا
أَبْلَى الْجَدِيدَانَ [68] الشَّبَابُ كَانَّمَا
وَمَا دَجَاهُ صَبْحُ شَيْبٍ قَدْ بَدَتْ
يَا لَيْتَ لَيْلِ (١٥٢) شَبِيبَتِي لِمَا انْقَضَى
شِعْرَاتُ فُودٍ قَدْ نَصَعْنَ وَإِنَّمَا
وَلَى الشَّبَابِ كَانَّهُ طَيْفُ الْكَرَى
وَاهَا لَعَصْرُ شَبِيبَةٍ فِي الْقَلْبِ مِنْ
أَسْفَى عَلَى نَقْصَانِ عُمُرِ ذَاهِبِ
مَنْ مَنَقَذَى إِلَّا شَفَاعَةٌ مِنْ لَهْ
الْعَاقِبِ الْمَاجِي الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ
لَوْلَاهُ مَا فَتَقَتْ بَزْهَرِ الزَّهْرِ فِي
لَوْلَاهُ مَا غَطَى عَلَى مَسْكَ الدُّجَى
لَوْلَاهُ مَا رَفَعَتْ بَجَنَاتُ الْعُلَى
بِحِرْلِهِ مِنْ كَلِّ لَفْظِ جَوْهَرِ
قُطْبُ لِفِرِّعَالِهِ وَمَقَالِهِ
بَدْرُ لَهُ الْمَجْدُ الْمَوْكَلُ مَطْلَعُ
شَمْسِ الْوُجُودِ وَمَنْ أَتَى وَالْأَرْضُ قَدْ
فَمَحَا ظِلَامَ الْغَيِّ نَوْرَ هُدَاهُ إِذْ
مَنْ أَيُّهُ كَالشَّهْبِ أَقْسَمَ حَصْرُهَا
نَطَقَتْ ذِرَاعُ وَاشْتَكَى جَمَلٌ وَكِي
وَالجِدْعُ حَنْ حَنِينٍ ضَبٌّ قَدْ كَوَى

70 /

لتذلل الأمل الشُرودِ زمامُ
ومن العزائم صارم صمصامُ
حكّم لها بذكائه أحكامُ
يبري ضنى من داؤة (١٥٥) الإعدامُ
مُزني الجدا ما دامت الأيامُ
فقد استعار الباسل الضرغامُ
من خوف أنكال [70] العقابِ ضرامُ
شمس وروض عاطر وحسامُ
شيم تحار بوصفها الأوهامُ
لم يلف مثلك في الملوك همامُ
في جيدها لولاك منه نظامُ
لمهند النصر العزيز قوامُ
نعم على كل الأنام تدامُ

ملك براحة عزه ومضائمه
وله من الآراء جند غالبُ
يجري به للنصر من تجريبه
يذني المنى يقصي العنا يسدي الغنى
محيي الهدى منقى العدى مولى الندى
فإن استعار الروض منه شمائلها
يحيي ببرد العفوم من في قلبه
فبهاؤه وثناؤه ومضاؤه
يا أيها المولى الذي لكماله
هذا صنيعك ماله مثل كما
يا فخر أندلس بحلي لم يكن
العدل والإحسان ينشأ منهما
دامت سعودك في الصعود فإنها

/27

ومن ذلك قصيدة للفقير النابغ في فن الشعر لهذا العهد المكثّر منه، أبي بكر بن أبي القاسم بن قطبة [71]، ولم يقصر عن الإجابة :

(كامل)

وتسيل في العرصات فيض الأدمع
وأفاض مدمعها لذكر الأجرع
قد بان من يهواه غير مودع
أضلاعهن فلا تسل عن أضلعي (١٥٧)
شوق المتيم غير شوق المدعي
فتنقست شوقاً لتلك الأربيع
ضوء الصباح هدى الورى للمهيع [73]
لكن مؤاكله قريب المصريح
مما يراد به بقلب موجع
عجب لمستمع هناك ومن يعي
خرس البليغ وحار الألمعي [74] (١٥٨)
أضحى عليه الحزن غير مضيع

دعها تحن إلى أبارق [72] لعلع
فالشوق أنضاهما لأطلال الحمى (١٥٦)
بالله قل لي كيف حال متيم
هن المطايا مذ طوين على الأسى
نزعت على شحط المزار لطيبة
وحدا بها الحادي لذكر محمد
ذي المعجزات الباهرات كأنها
السّم أطمعته فما أن ضره
وشكا البعير إليه ما قد ناله
ولرده في الحرب عين قتادة
وكفاك بالقرآن أعظم آية
لنفي على تضبيع عمر قد مضى

/27

ركبتُ به نفسي ذنوباً ضَعُفَتُ
يا سيِّدَ الثَّقَلَيْنِ مالِي مَطْمَعٌ
وَاسْأَلُ إِلَهَكَ (١٥٩) لِي بِحَقِّكَ رَحْمَةً
حاشا (١٦٠) وكلاً أَنْ تَضِيْعَ وَسائِلِي
أَكْرَمَ بِمَوْلِدِهِ وَمَبْعَثِهِ الَّذِي
صُدِّعَتْ بِهِ ظَلَمَ الْخَطُوبِ فَأَشْرَقَتْ
فَعَلَيْهِ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ تَحِيَّةٌ
وَجَزَى الْإِمَامَ مُحَمَّدًا عَنْ دِينِهِ
مَلِكٌ إِذَا تَلَّيْتَ مَائِرَ مَجْدِهِ
مَتَفَضَّلُ سَهْلِ الْخَلَائِقِ مَا جَدَّ
غِيثُ الْعَفَاةِ إِذَا السَّنُونُ تَتَابَعَتْ
لَيْثُ اللَّقَاءِ إِذَا الرِّمَاحُ تَشَاجَرَتْ
قَسَمًا لَقَدْ أُعْطَاهُ كُلُّ فَضِيلَةٍ
فَإِذَا يَفَاخِرُ فِي الْعُلَى مَلِكٌ فَقَدْ
وَإِذَا يَلَاقِي فِي الْوَعَى أَسَدَ الشَّرَى
أَمَّا سَعُودُكَ يَا أَجَلَ خَلِيفَةِ
أَمَّا الْمَكَارِمُ فَهِيَ أَصْعَبُ مَطْلَبًا
يَا رَاكِبًا يَصِلُ السَّرَى فِي لَيْلَةٍ
إِنْ كُنْتَ تَرْغَبُ فِي الْغَنَى أَوْ فِي الْعُلَى
وَأَنْزَلَ بِبَابِ مُحَمَّدٍ فَمُحَمَّدُ
مَوْلَايَ دُونَكَ مَا أَقْبُولُ وَإِنْ لِي
أَمْنَتُهَا مِنْ حَكْمِ دَهْرِ ظَالِمٍ
وَأَعْدَتُهَا لِلْأَهْلِ وَالْوَطَنِ الَّذِي
عَهْدِي بِهِ مِنْ بَعْدِ بَيْنِكَ مَظْلَمًا
وَالْبِرْقُ خُفَاقٌ عَلَيْكَ فَوَادُهُ
أَسْتَغْفِرُ الرَّحْمَانَ جَلُّ جَلَالُهُ
وَكَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ - سُبْحَانَهُ -
أَمُحَمَّدٌ وَنَدَى يَدَيْكَ لِسَائِلِ
أَعْطَاكَ رَبُّكَ كُلَّ مَا أَمَلْتَهُ

جبالاً لِحلمي كَانَ غَيْرُ مُضْغَضَمٍ
فِي غَيْرِ فَضْلِكَ فَلْتَصَدَّقْ فِي مَطْمَعِي
وَاشْفَعْ تُشْفَعُ يَا أَجَلَ مُشْفَعٍ
وَيَخِيبُ فِي آلِ الرَّسُولِ تَشْيُوعِي
أَوَى بِهِ لِلْأَمْنِ كُلِّ مَزْدُوعٍ
هِيَهَاتَ لَوْلَا نَوْرُهُ لَمْ تَصْنُدِعْ
يَحْيَا النَّسِيمُ بِعَرَفِهَا الْمَتَضَوِّعِ (١٦١)
عِزًّا يَنْبِيفًا عَلَى النَّجُومِ الطَّلَعِ
أَزْدِي بِكَسْرِي فِي الْمُلُوكِ وَتَبْعِ
حَبْلِ الرَّجَاءِ بِبَابِهِ لَمْ يَقْطَعْ
وَرَبُّوهُ بِهِ لِلْعَيْشِ أَعَذِبَ مَشْرِعِ
شَقَّتْ بِهِ الْأَجْسَامُ تَحْتَ الْأَذْرُعِ
مَا لِلرُّورِيِّ عَنْ جَوْهَارٍ مَنْ مَدْفَعِ
سَبَقَ الْمُلُوكَ بِقَدْرِهِ الْمَتَرَفِعِ
مَا إِنْ لَهَا فِي عَوْدِهِ مِنْ مَطْمَعِ
فَنَجُومُهَا طَلَعَتْ بِأَسْعَدِ مَطْلَعِ
لَوْلَا يَمِينُكَ بِأَبْهَائِهِ لَمْ يَقْطَعْ
لَيْلًا وَتَرَفُلُ فِي رِءَاءِ أَسْفَعِ [75]
يَمُّ حَمِي هَذَا الْإِمَامِ الْأَرْوَعِ
مَلِكٌ إِذَا مَنَعَ الْحَيَا لَمْ يَمْنَعِ
نَفْسًا بِذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ تَقْنَعِ
وَأَجْرَتُهَا مِنْ جَوْرِهِ الْمَتَوَقِّعِ
جَدَّدَتْ [فِيهِ] (١٦٢) كُلُّ رَيْعٍ يَلْقَعِ
مُسْتَوْحِشِ الْعَرِصَاتِ قَفَرُ الْأَرْبَعِ
وَالسُّحْبُ تَبْكِي بِالْدمُوعِ الْهَمْعِ
كَمْ خَلَتْ ذَلِكَ شَقَّةً لَمْ تَقْطَعْ
مَا غَيْرَ سَاحَةِ بَابِهِ مِنْ مَفْرَعِ
بَحْرٍ لَذِيذُ الْوَرْدِ عَذَبُ الْمَشْرِعِ
وَحَبَاكَ مِنْ رُتْبِ الْعُلَا بِالْأَرْفَعِ

ومن ذلك قصيدة للطالب النبيل من كتاب بيت / الانشاء، أبي القاسم بن

حميد [76]، قصيدة، لم تفارق السداد، وهي : (١٦٢) :

يحكي انسكاب الدمع من أجفاني
نار الصبابة والهوى بجنابي
فسرى الجوى بجوانح الهيمان
وفصمت عن قلبي عرى السلوان
ما شئت من ماء ومن نيران
وثويت في (١٦٦) ذاك الحمى بمكان
وجررت في واديه فضل عنان
وأفضض هناك خواتم الكتمان
على صدق المحبة واضح البرهان
عن ذي اغتراب نازح الأوطان
شمس النهار وخص بالقرآن
منها عساكر جيشه الظمان
أودى بهم صرف الزمان الجاني
في كفه العظمى بغير لسان
والبدر شقق ولاح رأي عيان
أبدي دليل الحق والإيمان
ومحت رسوم الغي والبهتان
تعنوا لوجوه بجاهه الرباني
ونفوز منة بجنة الرضوان
وبفضله يستشفع الثقلان
ظفر الورى (١٧١) فيها بنيل أمان
عنا ظلام الشرك والعدوان
اثارها بسوايغ الإحسان
يجني بها أبداً رضى الرحمان
فقدنا محلي ذلك الميदान
لو كان جود الويل كل (١٧٤) زمان
والبحر في فيض الندى سيان
بدر بدأ ما عيب بالثقصان

جاد الغمام بصوبه الهتان
وحكت بروق أبرقت بجلاله
وسرت على البطحاء أنفاس الصبا
مه يا نسيم قد أذبت حشاشتي
وأرقت من جفني ومجت (١٦٥) بأضلعي
يا صاح إن جئت الخيام بيئرب
وسريت في تلك الأجارع والرعى
فانشر لواء محبتي بفنائيه
واشرح قضايا الهوى وأقم
وافتح بأربعة التحية مسكة (١٦٧)
والثم بطيبة من حبست له
وجرت بأئمله مياه (١٦٨) فارتوت
وأعاد عين قتادة وشفى الألى
والجدع حن له وسبحت الحصى
والضب كلمه كلاماً بيناً
لله منه نبي صدق مرسل
رفعت منار الرشيد آية هديه
ذاك النبى محمد ذاك الذى
ذاك الذى نرجو شفاعته غدا
من أجله حق السجود لآدم
أكرم بمولده وليلتبه التسي
طلعت بها شمس النبوة وأنجلي (١٧٢)
أحيا أمير المسلمين محمد
وأقام فيها للعباد مراسما (١٧٣)
وجرى بميدان السماح مع الصبا
والويل جاد فكاد يحكي جوده
سله تنل مل شئت إن يمينه (١٧٥)
هو للعدى كأس الردى ولذى والهدى

قِي صَوَارِمٍ، يُرْدِي (١٧٧) بِنَجْمِ سِنَانٍ
مُتَنَفِّسٍ عَنِ نَفْحَةِ البُسْتَانِ
مُسْتَمْتِعٍ (١٧٩) الأَبْصَارِ وَالْأَذَانِ
فُتِحَتْ (١٨٠) كَمَاثِمُهَا بَغْرٌ مَعَانٍ
تُهْدِيكَ أَنْوَاراً عَلَى أَفْنَانٍ
وَأَنْعَمَ بِمَلِكٍ ثَابِتٍ الأَرْكَانِ
عَطْفَ النَّسِيمِ مَعَاظِفَ الأَغْصَانِ

يَهْمِي بِسُحْبِ كِتَابِي، يَقْنِي (١٧٦) بِيَبْرٍ
فَاحِ النَّدَى بِمَدِيحِهِ (١٧٨) فَكَأَنَّكَ
فِي حُسْنِ طَلْعَتِهِ وَقَصَلِ خَطَايِهِ
وَالَيْكَ مَنْ رَوَّضَ الكَلَامَ حَدِيقَةً
جَاءَتْ تَرِيكَ الدَّرُّ فِي الأَسْلَاقِ أَوْ
فَاصْعُدْ وَسُدْ وَاسْعُدْ وَجُدْ وَاهْتَأْ وَدَمْ
لَا زِلْتَ تَرْقِي فِي مِرَاقِي العَزْمِ مَا

ومن ذلك قصيدة للشيخ الفقيه، القديم الطلب، الكبير الشهرة بالأدب، أبي
جعفر بن خاتمة [77]، قصيدة متقاصرة عن النمط المعهود منه، يستريب منها
نسب إجادته، صدرت عنه وهو بحال مرض ماعي [78]، فبان عذره، وهي :

(كامل)

عَمَّتْهُمَا الأَفْرَاحُ وَالسَّرَاءُ
أَرْضٌ تَلْقَاكَ أَمْ تَقُولُ سَمَاءُ
تَعْنُو لِفِرَّةٍ مُلْكِهِ الخَافَاءُ
مَنْ شَهَبَهُ الوِزْرَاءُ وَالْعَلَمَاءُ
وَالْكَلِّ إِشْرَاقٌ لَهُ وَضِيَاءُ
وَالْحُسْنُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَكْفَاءُ
دَارَتْ بِهَا الأَوْقَافُ وَالْأَنْوَاءُ
رَهَيْتَ بِهِ الخَضْرَاءُ وَالغَبْرَاءُ
ضَاقَتْ بِأَهْلِ المَوْقِفِ الأَرْجَاءُ
وَأَجَلٌ مَنْ طَلَعَتْ عَلَيْهِ ذِكَاةُ
لِلْمُصْطَفَى عَنْهَا سَنَى وَسَنَاءُ
مَلِكٍ لَسُنَّتْ بِهِ إِحْيَاءُ
وَلِهَمْ ثَنَاءٌ (١٨٣) عِنْدَنَا وَدَعَاءُ
وَيَسُرُّ مِنْهُ المُسْلِمِينَ ثَنَاءُ
بِتَلَاوَةٍ فِيهَا هُدَى وَشَفَاءُ
تَطْبُوِي سَمَاءً دُونَهُ فَسَمَاءُ
وَتَدْفِقَتْ بِدَعَائِهِ الأَنْوَاءُ
قَدْ سَبَّحَتْ فِي كَفِّهِ الحَصْبَاءُ

مَبْنَى أَغْرَ وَبَلِيَّةٌ غَرَاءُ
مَا إِنْ يَكَادُ يَحْسُ مِنْ نَوْرِيهَا
وَخَلِيفَةٌ قَدْ تَوَجَّهَتْ مَهَابَةً
دَارَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ بِدَرْ طَالِعُ
فَكَانَتْ فِي أَفْقِهَا شَمْسُ الضَّحَى
شَهِدَتْ ذِكَاةً بِأَنَّهُ مَصْبَاحُهَا
يَا بَلِيَّةُ مَا (١٨٢) مَثَلُهَا مِنْ لَيْلَةٍ
حَيًّا مَحْيَا صَبَحَها عَن وَجْهِ مَنْ
عَن وَجْهِ أَفْضَلِ مُرْسَلٍ يُرْجَى إِذَا
أَحْظَى الأَنْبِيَاءُ الكِرَامِ مَكَانَةً
أَسْعَدَ بَلِيلَةَ مَوْلِدِ عَمِ الوَرَى
أَحْيَا بِهَا لَيْلَ التَّمَامِ تَبْرُكَا
فَعَلَى الرِّسُولِ بِهَا صَلَاةٌ ضَوْعَفَتْ
سَيِّسْرُهُ مَبْنَى بِنَاءِ عَلَى تَقَى
يَا خَيْرَ مَبْعُوثٍ لَخَيْرِ أُمَّةٍ
وَعَن أَرْتَقَى مَثَنَ البُرَاقِ إِلَى العَلَى
وَمَنْ أَسْتَجَارَ العَجْمُ مِنْهُ بِذِمَّةٍ
وَتَفَجَّرَتْ بِالعَذْبِ أَنْمَلُهُ كَمَا

وَمِنَ الْمَلَاذِ (١٨٤) بجاهاه وِجنايَه
 قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِكَ أَنْتَأُوا دَاراً فَهُمْ
 مِنْ نُونِهِمْ بَحْرٌ تَأْجُجُ مَأْوُهُ
 يَتَوَسَّلُونَ بِجَاهِكَ الْأَسْنَى عَسَى
 فِي أَمْنِ رَوْعِهِمْ وَكَبَيْتِ عَدُوَّهُمْ
 وَعَلَا بِنَصْرِ مَلَكُهُمْ فَمَنْ اعْتَلَى (١٨٦)
 حَتَّى تَذُلُّ لَهُ الْمُلُوكُ ضِرَاعَهُ
 وَيُطِيعُهُ شَرْقُ الْبِلَادِ وَغَرْبُهَا
 هَذَا، ضِرَاعَتُنَا إِلَيْكَ وَمَنْكَ يَا
 وَعَلَيْكَ يَا خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ تَجِيئةً

مَهْمَا عَرَا أَرْزَمُ وَأَعْضَلُ دَاءُ
 بِجَزِيرَةٍ بَيْنَ الْعَدَى غُرَبَاءُ
 نَاراً وَخَلْفًا ظَهَرَهُمْ أَعْدَاءُ
 الْأَيَّخِيبَ لَهُمْ لَدَيْكَ رَجَاءُ
 فَقَدْ اسْتَطَالَ وَطَالَ مِنْهُ عِدَاءُ
 بِكَ (١٨٥) نَصْرُهُ قَدْ شَيْدَ مِنْهُ عِلَاءُ
 وَيُعَزُّ لِلْإِسْلَامِ مِنْهُ لِسَوَاءُ
 وَتَمِيلُ نَحْوَ مَقَامِهِ الْأَهْوَاءُ
 مَوْلَى الْمُوَالِي الْفَضْلُ وَالْآلَاءُ
 كَالرُّوْحِ وَشَتَّ صَفْحَهُ الْأَنْدَاءُ

ومن ذلك قصيدة للفقير الطيب أبي عبد الله بن سودة [79]، فيها السمين

/278

وغيره :

(كامل)

شَطُّ الْمَزَارُ فَمَا عَسَاهُ يَقُولُ
 تَنَّتَا (١٥٧) عَنْ مَاءِ الْعَقِيقِ جَفُونُهُ
 وَإِذَا تَذَكَّرَ بِاللُّوَا [80] أَحْبَابُهُ
 يَهْوَى التَّوَاصِلَ وَالزَّمَانَ يَصُدُّهُ
 سُرْعَانَ جَفْنَ مَا تَأَلَّقَ بَارِقُ
 أَوْ كَلَّمَا خَفِقَ النَّسِيمُ تَخَالَهُ
 وَإِذَا جَرَى ذُكْرُ الْحِجَازِ أَعَادَهُ
 هُنَّ الْمَعَاهِدُ مَا فَوَّادِي ذَاهِلُ
 أَشْدُو بِذِكْرَاهَا إِذَا نَفَحَتْ مَبَا
 وَيَهْزُنِي طَيْبُ الْحَدِيثِ فَاثْنَتْنِي
 إِلَيْهِ وَبَيْنَ جَوَانِحِي مِنْ شَوْقِهَا
 مَالِي إِذَا ذُكِرَ الْحَمَى سَقَى الْحَمَى
 قَصْرَتْ لَدَيْهِ مِوَاقِفِي وَطَالَمَا
 وَإِذَا تَرَنَّمُ بِالسُّرَى حَادِي السُّرَى
 أَنَايَ بِجِسْمِي وَالْخَلِيطُ يَضِينِي
 وَلَقَدْ أَقَمْتُ عَلَى الرَّسُومِ كَأَنَّي
 اسْتَبْتَهُمُ الْأَطْعَانَ عَنْ رِكْبَاتِهَا

صَبٌّ يَهْيِجُ شَوْقَهُ التَّعْلِيلُ
 وَتَكَادُ عَنْ نَوْبِ (١٥٨) الْقُلُوبِ تَسِيلُ
 عَزَّ اللَّقَاءُ وَأَعْوَزَ التَّامِيلُ
 وَكَذَا الزَّمَانَ مَبْعُدُ وَمَطْوَلُ
 إِلَّا وَأَتَهُمْ دَمْعُهُ الْمَطْوَلُ
 دَارَتْ عَلَيْهِ مِنْ صَبَاهُ شَمْوَلُ
 طَرَبٌ يَرَا جِعُ شَجْوَهُ فِيمِيلُ
 عَنْهَا وَلَا الصَّبْرُ الْجَمِيلُ جَمِيلُ
 وَأَسْلَسُ الْعِبْرَاتِ وَهِيَ هَمُولُ
 طَرِباً وَمَا عَصَفَتْ هُنَاكَ قَبُولُ
 خَيْرٌ يَعَادُ حَدِيثُهُ فَيْطْوَلُ
 مِنْ أَدْمَعِي وَغَرَامِي التَّخْيِيلُ
 طَابَتْ عَلَيْهِ صَبَابَةُ وَغَلِيلُ
 أَلْوَى صَبْرِي لِلرَّحِيلِ رَحِيلُ
 أَنَايَ وَقَلْبِي فِي السُّرَى مَحْمُولُ
 طَلَلْتُ تَقَادِمَ رَسْمُهُ الْمَسْئُولُ
 وَأَسْأَلُ الْعَرَصَاتِ وَهِيَ طَلْوَلُ

هات الحديث عن الذين سرت بهم يسرون في جوف الظلام كأنهم تهوي بهم شعث المطي كأنهم أنضاهم طول السرى فكانما وصلوا الذميل [٨١] ويمموا من طيبة طابت به للقاصدين موارد (١٩٠) من لي بذاك القبر أرسل نظرة كم ذا أعلل بالحاق ودونه أهأ لعمر ما سلكت رشاده وجماح نفس ما حصرت عنانها ما زلت أنهاها وأعلم أنها أودي الشباب وخصم عقلي يدعي ترعى نواصله البياض (١٩١) وإنما ما ضرني وقد اشتملت وقاره كيف الخلاص وقد أضعت أمانة حمد السرى منذ الصباح [83] عصابة يا راكياً يصل الذميل وقصده بلغ تحية من عرته ذنوبه يهوى على حط المزار وقربه العاقب الماحي الشفيغ ومن به خير البرية من ذوابة هاشم لولاه ما هدي الأنام وما درت (١٩٢) لولا هداه وفضل أمته لَمَا لولا حقيقته ومعنى ذاته في الملك والملكوت منه مرشد شهدت به الأخبار والأرسال كم آية قطعته له بالحق مسا كالشمس أطلعها فعاتت بعدما والبدر شق له ولاح شهادة والجذع حن له وسبحت الحمى والصاع يطعمه المنيح فيفتوا

9 /

نحو الحجاز ركائب وحمول أسرار حق في القلوب تجول من رقه لحورفها تشكيل في الحس من أجسامهم تخيل قبرا (به) (١٨١) للمذنبين قبول وعلا به في جانبيه نزول فيه وأشرح لوعه وأقول عرض الفلاة ومقصدمطول إلا وأسرع للهوى تخيل إلا وترقب غفلة فتجول عن عادة التسوية ليس تنزل أن المشيب على الفناء دليل في القلب من تلك النصول نصول أن شيئا للنشاط يسأل (١٩٢) والقلب عن خطراته مسؤل ظعنوا فكان لهم بيئرب رسول ذلك الضريح وسعيه المقبول عن أن يتاح له هناك حلول قرب الرسول وما إليه سبيل يرجى الأمان ويبلغ المأمول معنى الإله وسنره المعقول سبل الرشاد الأئمل وعقول رفع الضلال ونزل التنزيل ما لاح حق وأنجلي مدلول في الأرض منه وفي السماء رسول والفرقان والتوراة والإنجيل خفي الدليل وأحوج التأويل قد حان منها للمغيب أقول والماء أضحى من يديه يسيل في كفه وجنا عليه نخيل كلاً وقد أضحى لهم مآكول

0 /

يا خيرَ مَنْ علقَ المُسيءُ بحباله
مالي سواك وإن أسأت جنائفة
إن لم تكن لي في معادي شافعاً
أسرى بك الرحمان في ملكوته
في حيث لا فلك ولا ملك ولا
ورعيت من مكنون سر الله ما
آيات حق لا يقوم ببعضها
الجيش جيش يترابي (١٩٤) وجهه
والتمر يجعل في بنائك قبضة
ماذا عسى أحصي وقد عجزت اللسان
لم يبد يوم مثل مولده النبي
شهر أجز الله منه ليلة
واهنر من إيوان كسرى شامخ
يا ليلة حمد السرى بصاحبها
أحيا أمير المسلمين لشأنها
وأقام فيها للعباد مراسماً
بثنا وبالقصورة العلياً لنا
للسعد فيها والسماحة منزل
إيه أبا عبد الإله جنيت (١٩٥) من
الدين والدنيا بكفك جمعاً
التجم أنت فهل لفضلك دافع
فحماك من جور الزمان ملاذة
تحدى بمدحك في الفلاة ركائب
أحرزت للعلياء سباقها
وسما بعزمك في السماء مراتباً
شرف يباهي الشمس في أفاقها
من آل نصر سادة شرعوا الندى
بددت (١٩٦) شمالاً للعدى مزقتة
فاخذ لإحياء المعالي وارق في
وانعم بليتك التي لنبيها (١٩٧)
لازلت ترعاها وتحفظ للعلى

/281

/282

وضفا عليه من رضاه قبول
الحلم أوسع والعطاء جزيل
من عترتي من ذا سواك يقبل
والليل ستر ظلته مسدول
بشر يباح له هناك وصول
لم يوت جبريل وميكائيل
شرح المقال فما عسى التطويل
فيعود عنك وحزبه مفلول
منه فيكفي الجيش وهو قليل
ن وأعجم الإجمال والتفضيل
يزهى الزمان بفضله ويصول
وغدا لها بالمصطفى تفضيل
وهنا له من رأسه الإكليل
قوم هدوا وشقى بها مخدول
قدراً يطول به الورد ويصول
ترضى الإله وفعله مقبول
شرف ينال ونائل مبذول
والعدل ربع والنجاح كفي
خير بها ما الكل منك ينيل
والعدل ظل في دراك ظليل
والغيث أنت فما سواك بديل
ويداك من فيض النوال سيول
 ويفوز بالنعمة لديك نزول
وأسلت ماء القطر وهو محيل
نسب تفوت به الملوك أصيل
ومناسب رست على وأصول
وعلا بهم للمعلوات قبيل
وجمعت شمالاً بالهدى مشمول
عز له فوق النجوم حلول
في الأرض شأن لا يزال جليل
ما انشق صبح واستمر أصيل

ومن ذلك قصيدة للأديب أبي جعفر أحمد بن زرقولة [84] من أهل "الرية" لا بأس بكثير منها :

(كامل)

283 /

فَقَدَا صَحِيحُ الْقَلْبِ مِنْهُ عَلِيلاً
أَرْجَأُ يَجْرُ عَلَى الْفُصُوفِ ذِيولاً
هَاجَ الصَّبَابَةُ وَاسْتَجَدَّ نَحولاً
أَلْقَتْ بِهَا عِنْدِي الْقَبُولُ قَبولاً
وَأَدَارَتْ الْأَشْوَاقَ فِيهِ شَمولاً
أَضْحَتْ عَلَى صَدَقِ الْغَرَامِ دليلاً
لَا تَسْتَطِيعُ مِنَ النُّحُولِ رَحيلاً
عَيْنُكَ مِنَ الشُّوقِ اللَّطِيفِ ثَقيلاً
مَتَلِّي فَكُلُّ صَبْرِهِ قَدْ عِيلاً
كَبِدِي حَدِيثاً مُسْنَداً مَوْصولاً
أَصْبَحْتُ مِنْهُ مَائِماً مَثْبولاً
وَهَدَى إِلَى السِّدِّينِ الْحَنِيفِ سَبيلاً
فَبَدَا الْهُدَى وَغَدَا الضُّلَّالُ ضَميلاً
مِنْ خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ جِيلاً جِيلاً
أَضْحَى بِهِ شِعْلُ الْهُدَى مَشْمولاً
وَنَدَى وَأَشْرَفُهُمْ وَأَقْوَمُ قِيلاً
طَوْلَ الزَّمَانِ وَلَا يَزَالُ أُصِيلاً
مَا زَالَ رَوْضُ عِلَانِهَا مَطْلولاً
بَشْرٌ سِوَاهُ أَعَزُّ مِنْهُ رَسولاً
شَرَفَ أُنَافَ عَلَى الْكَوَاكِبِ طولاً
فَوْقَ الْبُرَاقِ مَرَاْفَقاً جَبْريلاً
تَحْتَاجُ فِي صَدَقِ النَّهَارِ دليلاً
فِي كَفِّهِ وَالْمَاءُ عَادَ سِيولاً
وَأَشَارَ نَحْوَ يَمِينِهِ تَقْعِيلاً
مُسْتَعْظِفاً وَأَتَى إِلَيْهِ دَخيلاً
وَقْتاً دَعَاءَ بِالنَّجَاحِ كَفِيلاً
مُسْتَنْجِباً لِمَا طَفَى لِيَزولاً

184 /

نُفْسُ الصَّبَا حَيَا الرِّيَاضِ بليلاً
وَسَرَى عَلَى بَانَاتِ أَدْوَاحِ الْحَمَى
أَهْدَى شَذَاً مِنْ طَيِّبِ طَيِّبَةٍ عَاطِرَاً
نَفَحَتْ لِقَلْبِي مِنْهُ أَيَّةُ نَفْحَةٍ
هَاجَتْ بِقَلْبِي لِلْغَرَامِ بِلَابِلَاً
يَا صَاحِبِي وَالصَّبَابَةَ لَوْعَةً
رَفَقَاً بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ فَإِنَّهَا
قَدْ شَفَّهَهَا وَجَدَّ بِهَا حَمَلَتْ بِهِ
وَتَحَكَّمَتْ فِي رَوْعِهَا أَيْدِي النَّوَى
هَلْ تُسْنَدَانِ حَدِيثٌ وَجَدِي عَنْ جَوَى
لِي فِي رَسُولِ اللَّهِ حَبٌّ صَادِقٌ
لَمْ لَا ؟ وَقَدْ عَمَّ الْوُجُودَ بِجُودِهِ
وَجَلَا مُحِيَاً الْحَقَّ أَبْلَجَ وَاضِحَاً
هُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ الْكَرِيمِ الْمُجْتَبَى
هُوَ سَيِّدُ الْأَرْسَالِ أَكْرَمِ مَرْسَلِ
أَعْلَى الْوَرَى قَدْرَاً وَأَطْوَلُهُمْ يَدَاً
مَا شَنَّتْ مِنْ شَرَفٍ أُصِيلَ لَمْ يَزَلْ
فَرَعُ زَكَا فِي بُوْحَةِ الْحَسَبِ الَّتِي
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَرْسَلٍ لَمْ يَنْتَعِثْ
نَطَقَ الْكِتَابُ بِحَمْدِهِ نَاهِيكَ مَنْ
وَسَرَى إِلَى السَّبْعِ أَسْمَاوَاتِ الْعُلَى
وَكَمْ (١١١) لَهُ مِنْ آيَةِ كَالشَّمْسِ لَا
فَالْبَدْرُ شُوقٌ وَسَبَّحَتِ الْحَمَى
وَالضَّبُّ سَلَّمَ مَقْرِيَاً بِلِسَانِهِ
وَكَذَا الْبَعِيرُ شَكَا إِلَيْهِ بِحَالِهِ
وَدَعَا وَقَدْ بَخَلَ الْغَمَامُ بُوَيْلِهِ
فَانْهَلُ مِنْسَجَمُ الْحَيَا حَتَّى دَعَا

وكفى بيوم الغار معجزةً بدت
 لما دعا الأشجار فابتدرت لطا
 وامتد ظل حمام مكة فوقه
 والعنكبوت عليه حاك ينسجه
 فيه بدا شرف الوجود وأمله
 هذا ربيع في الشهور مقامه
 شهر عظيم القدر جل مكانه
 شهر تطلع فيه نور المصطفى
 لما ألم بنا أعاد زماننا
 يا سيد الأرسال يا من قد هدى
 بك أستجير من العذاب فلم أكن
 أنت المشفق في الوردى فلعلي
 صلى الله عليك ما حيا الحيا
 ثم الرضى عن صحبتك الغر الذي
 بذلوا الندى فمتى أتاهم سائل
 وحموا حمى التقوى فكانوا ثونه
 وعن الذين (٢٠٢) تبادروا للنصر في
 نصرنا الرسول وأزوه (....) (٢٠٣)
 ونموا ملوكاً من بني نصر بهم
 ونهجو سبيل المكرمات وخلفوا
 وأتى سليل فخرهم من بعدهم
 ملك كبير عادل في ملكه
 نيطت به الأمال أما لم يكن
 بشري لأندلس به فحياته
 قسماً به وما بما حوى من سؤدد
 ما إن سمعت ولا رأيت بمثله
 ملك الخلافة مستحقاً ملكها
 بحر الندى فالبحر (٢٠٤) مد بسية
 لئب الشرى ما اللئب شد مغاضباً
 متكفلاً بدم الكماسة بسالة
 بث الإله بخاطري حباً له

/28/

/2/

لنوي النهى لا تقبل التأويل
 عة أمره من حينه تبجيراً
 ظلاً حكى ظل الغمام ظليلاً
 برداً وأضفى ستره المسدولاً
 وبه غدا ربح الهدى مأهولاً
 أعلى مقام قد حوى التفضيلاً
 أضفى به وجه الزمان جميلاً
 قمرأ منيراً لا يخاف أفولاً
 عيداً أنال منى وبلغ سولاً
 نهج الرشاد وبلغ التنزيلاً
 أخشى حبك في الحساب ذهبولاً
 أن ألقى بحبي فيك منك قبولاً
 روضاً فأصبح يانغاً مطلولاً
 من تشكوا وتبتلوا تبتيلاً
 ألقاه قبل سؤالهم مبذولاً
 أبد الزمان مهتداً مسلولاً
 بدر فجازوا الأجر فيه جزيلاً
 مجدداً عظيماً لا يزال أثيلاً
 أضفى نجاد المكرمات طويلاً
 صيتاً كريماً لم يزل منقولا
 يحيي رسوماً للعلی وطلولاً
 حاز المكارم والعلی تفضيلاً
 ليخيب للراجي له تأميلاً
 ستر عليها دائماً مسدولاً
 أضفى على شرف النجار دليلاً
 ملكاً كبيراً في الملوك مثيلاً
 وغدا به سيف العدى مقلولاً
 ينسبك دجلة عذبه والنيل
 يلج العرين على العدى والغيا
 سيان يلقى لئبها والفيل
 متوارثاً ساويت فيه جميلاً

وَإِذَا قَطَعَتْ مَهَامِبَهَا وَمَقَاوِيزَهَا
فَإِذَا بَلَغَتْ مُنَايَ مِنْ تَقْبِيلِهِ
وَسَأَلَتْ مِنْهُ أَنْ يَمَنْ بِمَطْلَبِ
اللَّهِ يَا مَوْلَايَ يَبْقِي سَعْدَكُمْ
ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
وَعَلَى صَحَابَتِهِ الْكِرَامِ وَالْه

أَرْجُو الْوَصُولَ لِكَفِّهِ تَقْبِيلًا
قَبْلَتَهُ تَكْبِيرًا أَوْ تَهْلِيلًا
أَحْظِي بِهِ وَأُنَالُ مِنْهُ السُّؤْلًا
وَيُنِيلُكُمْ مَا عَشْتُمْ الْمَأْمُولًا
مَنْ أَوْضَحَ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلًا
أَهْدَى الْوَدَى لِلْمَعْلُوتِ سَبِيلًا

ومن ذلك قصيدة للفقير الأديب عزيز بن يشث [85] عين قصدها إبراره (٢٠٥):

(كامل)

الْقَلْبُ يَعْشِقُ وَالْمَدَامُغُ تَنْطِقُ
إِنْ كُنْتُ أَكْتُمُ مَا أَكُنُ (٢٠٧) مِنَ الْجَوَى
وَتَذَلِّي عِنْدَ الْقَاءِ وَتَمْلُقِي
فَلِكُمْ سَتَرْتُ عَنِ الْوُجُودِ مَحَبَّتِي
وَلِكُمْ أَمُوهُ بِالطَّلُولِ وَبِالْكُنْيِ
ظَهَرَ الْحَبِيبُ فَلَسْتُ أَبْصُرُ غَيْرَهُ
مَا فِي الْوُجُودِ تَكْثُرُ لِكُثْرِ
فَمَتَى نَظَرْتُ فَأَنْتَ مَوْضِعُ نَظَرَتِي
يَا سَائِلِي عَنْ كُنْهِ بَعْضِ صِفَاتِهِ (٢٠٩)
فَاسْأَلْكَ مَقَامَاتِ أَرْجَالِ مُحَقِّقًا (٢١١)
مَزَّقَ حِجَابَ الْوَقْمِ لَا تَحْفَلُ بِهِ
وَإِخْلَصَ إِذَا شِئْتَ الْوُصُولَ وَلَا تَنْسَلُ
إِنَّ التَّجَلِّيَ فِي التَّخْلِيِ فَاقْتَصِدْ (٢١٢)
وَلْتَقْتَبِسْ نَارَ الْكَلِيمِ وَلَا تَخَفْ
وَمَتَى تَجَلَّى فِيكَ سِرُّ جَمَالِهِ
دَعْ رَتْبَةَ التَّقْلِيدِ عَنكَ وَلَا تَتَّه (٢١٥)
وَأَقْطَعْ حِبَالَ عَوَائِقِ وَعِلَانِقِ (٢١٧)
جَرِّدْ حَسَامَ النَّفْسِ عَنِ جَفْنِ الْهَوَى
فَإِذَا فَهَمْتَ السِّرَّ مِنْكَ فَلَا تَبْحْ
بِالنُّوقِ (٢١٨) لَا بِالْعِلْمِ يُدْرِكُ عَلْمَنَا (٢١٩)
وَبِمَا أَتَى عَنِ خَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ النَّوْرِ
خَيْرِ الْوَدَى وَابْنِ (٢٢٠) الذُّبَيْحِينَ الَّذِي
مَنْ أَخْبَرَ الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَ يَبْعَثُهُ

287 /

بِرَحِّ الْخَفَاءِ [86] فَكُلُّ عَضْوٍ مَنطِقُ (٢٠٦)
فَشُحُوبُ لَوْحِي فِي الْفِرَامِ مُصَدِّقُ
إِنَّ الْمُحِبَّ إِذَا دَنَا يَتَمَلَّقُ
وَالدَّمْعُ يَفْضُحُ مَا يَسِرُّ الْمَنطِقُ
وَأَخْوَضَ بَحْرَ الْكُتْمِ وَهُوَ الْأَلْيَقُ
فَبِكُلِّ مَرْئِي أَرَى يَتَحَقَّقُ
إِنَّ الْمُكْتَبِرَ بِالْأَبَاطِلِ (٢٠٨) يَعْلَقُ
وَمَتَى نَطَقْتُ فَمَا بَغْيِيْرَكَ أَنْطَقُ
كُلُّ الْبَيَانِ (٢١٠) وَكُلُّ عَنَهُ الْمَنطِقُ
إِنَّ الْمُحَقِّقَ شَأْوُهُ لَا يَلْحَقُ
فَالْوَقْمُ يَسْتَرُّ مَا الْعَقُولُ تَحَقَّقُ
فَالْعَجْزُ عَنْ طَلَبِ الْمَعَارِفِ مُوَبِّقُ
ذَلِكَ الْجَنَابِ فَبَابُهُ لَا يُفْلَقُ
وَالغِ السُّؤْيِ (٢١٢) إِنْ كُنْتُ مِنْهَا (٢١٤) تَفْرُقُ
وَصَعَقْتُ خَوْفًا فَالْمَلَكُومُ يَصْعَقُ
تَلَفُ (٢١٦) الَّذِي قِيدَتْ وَهُوَ الْمَطْلُوقُ
إِنَّ الْعَوَائِقَ بِالْمَكَارِهِ تَطْرُقُ
إِنَّ الْعَوَائِدَ بِالتَّجْرِدِ تُخْرِقُ
فَالسَّيْفُ مِنْ بَثِّ الْحَقَائِقِ أَصْنَدُوقُ
سِرٌّ بِمَكْنُونِ الْكِتَابِ مُصَدِّقُ
سِرُّ الْوُجُودِ وَغَيْبُهَا الْمُتَدَفِّقُ
أَنْوَارُهُ فِي هَدْيِنَا (٢٢١) تَتَأَلَّقُ
وَلِسْرِهِ نَص (٢٢٢) الْكِتَابِ يُصَدِّقُ

88 /

رُبِعَتْ لَهُ الْحَبُّبُ الَّتِي لَمْ تَرْتَفِعْ
وَدَقَى مَقَاماً قَصُرَتْ عَنْ كَثْفِهِ
وِطْيَاءِ الْبِسَاطِ تَذَلُّلاً وَجَرَى إِلَيَّ
إِنْسَانٌ عَيْنِ الْكَوْنِ مُنْبِيعُ (٢٢٤) سِرِّهِ
سِرُّ الْوُجُودِ وَنُكْتَةُ الدَّفْنِ الَّذِي
مَنْ جَاعِبًا لِآيَاتِ يَسْطَعُ نَوْدَهَا
يَا سَيِّدَ الْأَرْسَالِ غَيْرَ مَدَافِعِ
بِالْفَقْرِ جُنَّتْكَ مَوْتَلِي لَا بِالْفَنَى
فَاجْبِرْ كَسِيرَ جِرَائِرِ وَجِرَائِمِ
أَرْجُوكَ يَا غَوْثَ الْأَنَامِ فَلَا تَدْعُ
حَاشَاكَ تَطَرُّدُ مَنْ أَتَاكَ مَوْمِلًا
وَمَحِبَّتِي تَقْضِي بِأَنَّكَ مُنْقَبِدِي
إِنْ كَانَ تَبْطِينِي (٢٢٥) الْقَضَاءُ بِمَغْرِبِ (٢٢٦)
وَلَنْ تَكُونِي شَخْصِي بِأَقْصَى مَغْرِبِ
فَعَلَيْكَ يَا أَسْنِي الْوُجُودِ تَحِيَّةُ
وَعَلَى صَحَابَتِكَ الَّذِينَ تَأْتَقُوا
وَعَلَى الْأَكْسَى أَوْوَكُ فِي أَوْطَانِهِمْ
أَعْظَمُ بِأَنْصَارِ النَّبِيِّ وَحَزْبِهِ
مَنْ مِثْلُ سَعْدِ أَوْ كَقَيْسِ نَجْلُهُ (٢٢٧)
أَكْرَمُ بِهِمْ وَيَمْنُ أَتَى مِنْ سِرِّهِمْ
مَنْ مِثْلُ نَصْرٍ أَوْ بَنِيهِ مَلُوكَنَا
بِمُحَمَّدِ نَجَلِ الْخَلِيفَةِ يَوْسُفِ
مَوْلَى الْمُلُوكِ وَتَأَجَّرَ مَفْرِقِ عَزْمِهِمْ
مَلِكٍ يَرَى أَنَّ التَّقَدُّمَ مَغْنَمُ (٢٢٨)
تَرَوِي أَحَادِيثَ الْوَعْيِ عَنِ بَأْسِهِ
مَلِكِ السِّيَاسَةِ (٢٢٩) وَالْمَكَارِمِ وَالنُّهَى
نَوَ الْعَزَّةَ الْقَعْسَاءَ وَالْبِئْسَ الَّذِي
مَلَأَتْ قُلُوبَ عِدَائِهِ مِنْهُ مَهَابَةٌ
مَوْلَايَ يَا أَسْمَى الْمُلُوكِ وَمَنْ غَدَتْ
لَا تَقْطَعُوا عَنِّي الَّذِي عَوَّدْتُمْ
لَا تَحْرَمُونِي مَطْلَبِي (٢٣٠) فَمَحِبَّتِي
فَانْعَمْ بَرْدِي فِي بَسَاطِكَ كَاتِبًا

/289

إِلَّا إِلَيْهِ فَكُلُّ سَثَرٍ يَخْرُقُ
رُتَبُ الْوُجُودِ وَكَمَّ عَنْهُ السَّبَبُ
أَمَدُ تَنَاهَى مَا إِلَيْهِ يُسَبِّقُ (٢٣١)
قُطْبُ الْكَمَالِ (٢٣٢) وَغَيْثُهُ الْمُتَدَفِّقُ
كُلُّ الْوُجُودِ بِجُودِهِ يَتَعَلَّقُ
وَالذِّكْرُ فَهِيَ عَنِ الْهَوَى لَا تَنْطَلِقُ [87]
وَأَجْلُهُمْ سَبَقًا وَإِنْ هُمْ أَعْنَقُ
فَالذِّلُّ وَالْإِنْفَاقُ (٢٣٣) عِنْدَكَ يَنْفَقُ
فَالْقَلْبُ مِنْ عَظَمِ الْخَطَايَا يَقْلَقُ
بَابُ الرِّضَى يُونِي يَسُدُّ وَيُفْلَقُ
فَلَأَنْتَ (٢٣٤) مِنِّي أَحْسَنُ وَأَرْفَقُ
مَعَا أَخَافُ فَمَا بَغْيِكَ أَعْلَقُ (٢٣٥)
فَعِنَانُ عَزْمِي نَحْوُ مَجْدِكَ مَطْلَقُ
فَتَشْوِقُ (٢٣٦) مِنِّي إِلَيْكَ يَشْرُقُ
مَنْ طَيِّبَ نَفْحَتِهَا الْبَسِيطَةُ تَعْبَقُ
رُتَبُ الْكَمَالِ وَمِثْلُهُمْ يَتَأْتَقُ
نَالُوا بِذَلِكَ رُتْبَةً لَا تُلْحَقُ
وَبِمَنْ أَتَى بِعِبَادَةِ (٢٣٧) يَتَعَلَّقُ
عَزْفُ السِّيَادَةِ مِنْ حِمَاهِمُ يَنْشَقُ
عَزْ النَّظِيرِ فَمَجْدُهُمْ لَا يَلْحَقُ
كُلُّ الْمُلُوكِ لِعَزْمِهِمْ يَتَمَلَّقُ
عَزُّ الْهُدَى فَحِمَاهُ مَا إِنْ يَطْرُقُ
وَأَجَلٌ مِنْ تُحَدِي إِلَيْهِ الْأَيْتَقُ
مَهْمَا تَعَرَّضَ مُوَكَّبٌ أَوْ فَيْلَقُ
فَالسَّيْفُ يُسَنِّدُ وَالْعَوَالِي تَطْلُقُ
فَعِدَاتُهُ مِنْهُ تَقْصُرُ وَتَشْرُقُ
مَنْ حَوَّلَ صَارِمَهُ الْأَعَادِي تَفْرُقُ (٢٣٨)
فَمَقْرَبٌ مِنْ خَوَافِهِ وَمَشْنَرُقُ
عَيْنُ الزَّمَانِ إِلَى سَنَاءِهِ تُحَدِّقُ
فَالعَبْدُ مِنْ قَطْعِ الْعَوَائِدِ مَشْفِقُ (٢٣٩)
تَقْضِي لِسَعْفِي أَنَّهُ لَا يُخْفَقُ
وَأَعْدُ لَمَا قَدْ كُنْتُ فَهُوَ الْأَيْقُقُ

وَاسْلَمَ (٢٤٤) أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ لِأُمَّةٍ
وَاهِنًا بِهَا لَيْلَةُ نَبِيِّئَةٍ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَبَا
أَفْوَاهُهُمْ مَا إِنْ بَغِيْرَكَ تَنْطَلِقُ
جَاءَتْ بِأَكْرَمٍ مِنْ بِهِ يُتَعَلَّقُ
وَاهْتَزَّ غُصْنٌ فِي الْحَدِيقَةِ مَوْدِقُ

وإلى ذلك كثير، كالأديب أبي عبد الله بن الجنان [88]، مجيد ولم تحضرني الآن قصيدته، والفقير الأديب أبي الحسن السكاك [89]، من أهل الإكثار فيه، وابنه، والفقير الكاتب أبي يحيى القطان [90]، والفقير الأديب أبي عبد الله بن بهجونة.

هذا ما أنشد من الشعر ليلتئذ، قد أتينا بما حضر منه من غير انتقاء ولا اختيار، ولعل الحسنة تشفع السيئة، والإجادة تبين بظدها، وللإكثار حظ في تفخيم الدعوة والإشادة بتوسع الوليمة، ونحن نستغفر الله من زلل القول والعمل، ونتوب إليه، إنه هو التواب الرحيم.

وقد آن لنا أن نختم هذا السفر ونقتصر عليه إلى أن يسني الله الوجهة الحجازية فنستأنف تقييدا آخر متصلا به في ذكر ما نحل به من الأقطار، ونتلقاه من الأخبار، إن شاء الله.

تم السفر الثالث وبتمامه تم جميع الديوان، والحمد لله الذي هدانا للإيمان وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وذريته الطيبين الأكرمين أجمعين وسلم تسليما إلى يوم الدين.

هوامش الفصل العاشر

- (١) م : السد، تحريف صَوْنَاهُ بما أثبت.
- (٢) ثبتت القصيدة في ديوان "الصيِّب والجَهم" من ٣٨٩ - ٣٩٥، الاحاطة، مخ. الاسكوريال ٤٣٨/١ - ٤٤٠، ط. القاهرة ٤/٤٦٩ - ٤٧٢. وفي النسخ ٦/٥٠٩ - ٥١٠. وازهار الرياض ١/٢٣٧ - ٢٣٨.
- (٣) المراجع : الجماح.
- (٤) م : الوساح، تصويبه من المراجع المذكورة.
- (٥) م : حاجلتني وهو تحريف صححناه من المراجع المذكورة، وفي د ٣٨ : عالجتني.
- (٦) إلى هنا ينتهي ما ورد في ن، الأزهار.
- (٧) د. ٣٩٠ : انسياح.
- (٨) م ك ناكص، تصويبه مما ذكر.
- (٩) م : الوجد، وسياق المعنى يقتضي ما أثبتنا من المراجع.
- (١٠) د. ٣٩٠ : لاعج.
- (١١) د ح س : الكون.
- (١٢) المراجع : نور.
- (١٣) من المراجع المذكورة.
- (١٤) المراجع : يا خاتم.
- (١٥) م بمثل، والوزن يقتضي ما أثبتناه مما ذكر.
- (١٦) د ٢٩١ : المامول.
- (١٧) د : كرام.
- (١٨) د، ح س : سراح.
- (١٩) ح س : ابديت.
- (٢٠) د ٣٩٤، ح : فأجره.
- (٢١) م : وسيدي، تصويبه من المرجعين.
- (٢٢) المرجعان : وغاب.
- (٢٣) د ٤٩٥ : وأين.
- (٢٤) م : وضاق الخطر العريض الساح، والسياق يقتضي ما أثبت من د، ح س. ما بين المعقوفتين زيادة من د، ح س.
- (٢٥) م : تنفت.
- (٢٦) د، ح س : الجفون.
- (٢٧) د، ح س : قدر.
- (٢٨) م : قصيد.
- (٢٩) م : قصد، والأنسب للوزن والمعنى ما أثبتناه.
- (٣٠) م : فلذلك قام برها، وهو تحريف مخل بالوزن.

- (٣١) م : بشر، وهو تحريف.
- (٣٢) كذا في الأصل، والأنسب للوزن قراحتها تقضي.
- (٣٣) م : التيقور : ولا معنى لها، تصحيحه من نسخة الملكية.
- (٣٤) م : جفون ناب، صوايه ما أثبتنا.
- (٣٥) م : تنى، وهو تصحيف.
- (٣٦) م : شاب، وهو تحريف.
- (٣٥) م : التصاب.
- (٣٨) م : خلا بخله، سياق المعنى يقتضي ما أثبتناه، أنظر التعليق.
- (٣٩) م : دموعنا، وقد زدنا الفاء ليستقيم الوزن.
- (٤٥) م : الفلاء، والصواب ما أثبتنا.
- (٤١) ما = ماء، اسقط الشاعر الهمزة للضرورة الشعرية.
- (٤٢) م : ترتبت، ولعلها ما أثبتناه.
- (٤٣) م : المحبه، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (٤٤) هذا الشطر مكسور.
- (٤٥) غير واضحة في الأصل ولعلها ما أثبتنا.
- (٤٦) م : موصلة، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
- (٤٧) وردت جل أبيات القصيدة في الاحاطة مخ الاسكوريال ٢٥٣/١ - ٢٥٤، وفي ط. القاهرة ٥١٤/٣ - ٥١٦، وفي التعريف لابن خلدون ص ٨٥ - ٨٨، وفي جنوة الاقتباس ٤١٠/٢، والنفح ١٨٩/٦ - ١٩١.
- (٤٨) م : درت، تصويبه من المراجع.
- (٤٩) المراجع : رسما.
- (٥٠) التعريف ص ٨٦، ن ١٨٩/٦ : قلبي.
- (٥١) البيت زيادة مما ذكر.
- (٥٢) ح س، التعريف ص ٨٦، ن ١٨٩/٦ : تثنييني.
- (٥٣) المراجع : أنحاء.
- (٥٤) المراجع ك يسلييني.
- (٥٥) التعريف : تكن، والبيت ساقط في الأصل ووارد في المراجع المذكورة. ما بين (٥٦ - ٥٧) ساقط من المراجع.
- (٥٨) م : أوالي، وهو تحريف مخل بالوزن.
- (٥٩) ح س : واحسرتا.
- (٦٠) ح س : غني، وما بين (٥٨ - ٦٠) ساقط في التعريف ومثبت في المراجع الباقية.
- (٦١) م : يدخره.
- (٦٢) هذا الشطر مكسور، ويستقيم الوزن يمكن قراحه قدما به.
- (٦٣) كتبت في الطرة.
- (٦٤) هذا الشطر مكسور.

- (٦٥) م : الخليفة، صوابه ما أثبتنا.
 ما بين (٦١ - ٦٦) الأبيات ساقطة من المراجع.
 ما بين (٦٧ - ٦٨) ساقط من المراجع المذكورة.
 (٦٩) م : لتهوين، تصويبه من المراجع.
 (٧٠) م : بيرون، صحته ما أثبتنا، أنظر التعليق.
 البيتان (٧١ - ٧٢) ساقطان من المراجع.
 (٧٣) المراجع : "من مبلغ عني الصحب الآلي تركوا".
 (٧٤) المراجع : أقلب الطرف.
 (٧٥) المراجع : منها.
 (٧٦) المراجع : دهرك، وهو أنسب.
 (٧٧) م : أقسمت، وهو تحريف صحته ما أثبتنا.
 (٧٨) ورد هذا المطلع في الإحاطة مع الاسكوريال السفر ٨، لوحة ٥٨٤ على الصورة التالية :
 خليلي سيرا على أرض مارب ولا تعدلاني أنني غير آيسب
 (٧٩) كتب على الهامش.
 (٨٠) م : الأعاجيب، والأنسب ما أثبتنا.
 (٨١) م : فإن حد فضل فحموا، وهو تحريف واضح.
 (٨٢) م : وصهرت، وهو تحريف تصحيحه ما أثبتنا.
 (٨٣) م : بما، وسياق المعنى والوزن يقتضي ما أثبتنا.
 (٨٤) م : وارثة، تحريف صوابه ما أثبتناه.
 (٨٥) م : للرضى.
 (٨٦) م : عن دين، وهو تحريف صوبناه بما أثبت.
 (٨٧) م : لشائمه.
 (٨٨) م : ناصب، والسياق يقتضي ما أثبتناه.
 (٨٩) كتبت في أعلى السطر.
 (٩٠) م : أعدائنا.
 (٩١) م : فؤادي، زدنا الباء ليستقيم الوزن.
 (٩٢) كذا في الاصل، ويمكن قراءتها ظعن بالخلاذ بدل الطاء.
 (٩٣) م : بدى، وهو تصحيف.
 (٩٤) م : دماما، تصحيحه ما أثبت.
 (٩٥) م : فابذل، تصحيف صحته ما أثبتنا.
 (٩٦) م : ثعاما، تصويبه ما أثبت.
 (٩٧) م : لح، وهو تحريف صحته ما أثبتنا.
 (٩٨) م : أيقضت.
 (٩٩) م : الذكارا، وهو تحريف.
 (١٠٠) م : وحلى، والأنسب حل.

- (١٠١) م : التثاماء، والصواب ما أثبتنا.
- (١٠٢) م : حمدت، لعلها خدمت أو جمدت.
- (١٠٣) م : اطفيفة، ولعلها ما أثبتنا.
- (١٠٤) م ك تحلل، وهو تصحيف.
- (١٠٥) م : الثاماء، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
- (١٠٦) بياض بالاصل.
- (١٠٧) م : يطل، تحريف صوبناه بما أثبتنا.
- (١٠٨) م ك يدع.
- (١٠٩) م : سماه، تحريف مخل بالوزن والمعنى، تصحيحه ما أثبتنا.
- (١١٠) م : باندلوس، تحريف صوابه ما أثبتنا.
- (١١١) م : أطاحها، تحريف لا يستقيم به الوزن، صححناه بما أثبتنا.
- (١١٢) م : تزيد.
- (١١٣) م : بالكؤس.
- (١١٤) م : باسط، تحريف مخل بالوزن والمعنى.
- (١١٥) م : بدخنته، والصواب ما أثبتنا.
- (١١٦) ورد البيتان الأولان في الاحاطة، ط. القاهرة ج ٣٠٧/٢، كما أوردهما المقرئ في النسخ ١٥٤/٧.
- (١١٧) ح ٣٠٧/٢ : هاجت له منه ذكرة، وفي ن ١٥٤/٧ : هاجت له نار ذكرة.
- (١١٨) م : عبرة، وقد زدنا الباء ليستقيم الوزن.
- (١١٩) وما = وما، أسقطت الهمزة للضرورة الشعرية، ومعناها أشار.
- (١٢٠) م : ورداء، والصواب ما أثبتنا.
- (١٢١) م : الملاد.
- (١٢٢) م : سلما، ولعلها ما أثبتنا.
- (١٢٣) م : وتوى، وهو تحريف.
- (١٢٤) م : ميماء، لعل الصواب ما أثبتنا.
- (١٢٥) م : ويشد، وهو تحريف، تصحيحه ما أثبتنا.
- (١٢٦) م : فترغما، تصحيحه ما أثبتنا.
- (١٢٧) م : برقده.
- (١٢٨) م : أعد، والوزن يقتضي ما أثبتنا.
- (١٢٩) م : ليلة، وهو تحريف تصحيحه ما أثبتنا.
- (١٣٠) م : ناد، وهو تحريف.
- (١٣١) م : نخيره، وهو تصحيف.
- (١٣٢) يعارض الشاعر قصيدة أبي إسحاق إبراهيم الألبيري التي مطلعها :
تفت فؤادك الأيام فتسا وتحت جسمك الساعات نحتا
أنظر ديوان أبي إسحاق الألبيري ص ١٩ - ٣٠. أنظر التعليق.

- (١٣٣) م : ندير.
- (١٣٤) م : ستلفها، صحته ما أثبتنا.
- (١٣٥) م : خدعة، صحته ما أثبتنا.
- (١٣٦) م : لكن معاهد ثوية ثوية تخلص، وهو مكسور، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
- (١٣٧) هذا الشطر مكسور.
- (١٣٧) يبدو أن الناسخ أسقط لفظه.
- (١٣٨) م : مجاله، ولعل الأنسب ما أثبتنا.
- (١٣٩) م : وتصيح، وهو تصحيف صحته ما أثبتنا.
- (١٤٠) م : شداها.
- (١٤١) م : إرسال، وما أثبتناه يقتضيه الوزن والسياق.
- (١٤٢) م : بمنضها، وهو تحريف.
- (١٤٣) م : يديعها، وهو تصحيف.
- (١٤٤) م : بت، ولعلها لت.
- (١٤٥) م : لتشق، تصويبه ما أثبتنا.
- (١٤٦) م : جرى.
- (١٤٧) م : بالترى.
- (١٤٨) م : سمخت ولا معنى لها، الأنسب أن تقرأ كما أثبتنا.
- (١٤٩) م : الحاداث.
- (١٥٠) م : خيل، والصواب ما أثبتنا.
- (١٥١) هذا الشطر مكسور.
- (١٥٢) م : هجرتي، تحريف صححناه.
- (١٥٣) م : ليلي، تحريف مخل بالوزن والمعنى، صوابه ما أثبتنا.
- (١٥٤) م : صلت، وهو تصحيف.
- (١٥٥) م : داوه.
- (١٥٦) م : الجما، وهو تصحيف.
- (١٥٧) م : اضلع.
- (١٥٨) م : الألع.
- (١٥٩) م : وسئل اللهك، صحته ما أثبتنا.
- (١٦٠) م : حشني، وهو تحريف.
- (١٦١) م : المتضرع، وهو تحريف.
- (١٦٢) زيادة يقتضيهما الوزن.
- (١٦٣) وردت هذه القصيدة في الكتبية الكامنة، ص ٢٠٣ - ٢٠٤.
- (١٦٤) الكتبية : بخلاله.
- (١٦٥) م : هاجت.
- (١٦٦) المرجع : من.

- (١٦٧) الكتيبة : تحية.
(١٦٨) نفس المرجع : الفرقان.
(١٦٩) المرجع : حياة، والمتن أصح.
(١٧٠) الكتيبة : أبدا.
(١٧١) نفس المرجع : الهدى.
(١٧٢) المرجع : فانجلى.
(١٧٣) الكتيبة : مواسما.
(١٧٤) م : كان، وهو تحريف تصويبه من الكتيبة.
(١٧٥) الكتيبة : يعمته.
(١٧٦) الكتيبة : يسمى.
(١٧٧) الكتيبة : يرمي.
(١٧٨) م : مدحه، وهو تحريف مخل بالوزن، تصحيحه من الكتيبة.
(١٧٩) م : مستمع، وهو تحريف مخل بالوزن، تصحيحه من الكتيبة.
(١٨٠) الكتيبة : فتقت.
(١٨١) م : غرة، لا يستقيم بها الوزن، لعل الصواب ما أثبتنا.
(١٨٢) م : ياليت، تصحيحه ما أثبتنا.
(١٨٣) م : ثنا.
(١٨٤) م : الملاد.
(١٨٥) م : مليكهم فمن اعتل، وهو تحريف مخل بالوزن والمعنى.
(١٨٦) م : لك، والأنسب للمعنى ما أثبتنا.
(١٨٧) م : تنثا، وأعلها من فعل نثا : ورم.
(١٨٨) م : نوف، صوابه ما أثبتنا.
(١٨٩) كتبت في أعلى السطر.
(١٩٠) م : بوارد.
(١٩١) م : لبياض، ويستقيم الوزن بما أثبتنا.
(١٩٢) هذا الشطر مكسور.
(١٩٣) م : وما دارت، وهو تحريف مخل بالوزن.
(١٩٤) م : محيت نقطة الباء.
(١٩٥) م : حنيت، وهو تصحيف.
(١٩٦) م : بدت، والسياق يقتضي ما أثبتنا.
(١٩٧) م : لبناها، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا.
(١٩٨) م : الصبيح، وهو تحريف صوابه ما أثبت.
(١٩٩) الشطر مكسور، ويستقيم الوزن إذا قرئت (ولكم).
(٢٠٠) م : ظل.
(٢٠١) م : فلعل، والوزن يقتضي ما أثبتناه.

- (٢٠٢) م : الدين، وهو تصحيف.
- (٢٠٣) الشطر مكسور لتقصان لفظه.
- (٢٠٤) م : ما البحر، والسياق يقتضي ما أثبتنا .
- (٢٠٥) وردت الأبيات العشرية الأولى في الكتبية الكامنة من ٢٩٤. كما وردت القصيدة في النسخ ١١٥/٦ - ١١٧، ومطلعها في الإحاطة ٥٧٣/٣.
- (٢٠٦) ك : ينطق.
- (٢٠٧) كتبت في الهامش، وفي ك : أكن ما أجن، والمتن أصح.
- (٢٠٨) م : بالإبطال.
- (٢٠٩) ك : صبايقي، وفي ن ١١٥/٦ : بعض كنه صفاته.
- (٢١٠) ن : اللسان.
- (٢١١) ك : تحققت.
- (٢١٢) ن ١١٦/٦ : فاقتصد، وفي ك ٢٩٣ : فاقتصدن.
- (٢١٣) ك : الهوى.
- (٢١٤) ك : منه.
- (٢١٥) م : ولا تبه، تصويبه من ن.
- (٢١٦) ن : تلق.
- (٢١٧) ن : علائق وعوائق.
- (٢١٨) زيادة من المرجمين.
- (٢١٩) ك : سرنا.
- (٢٢٠) م : وأمن، تصويبه من ن.
- (٢٢١) ن : هديها.
- (٢٢٢) ن : وأنصه سر.
- (٢٢٣) ن : مسبق.
- (٢٢٤) ن ١١٦/٦ : مبلغ.
- (٢٢٥) ن : الجمال.
- (٢٢٦) ن : فهو عن الهوى لا ينطق.
- (٢٢٧) ن : فالذل والادعان.
- (٢٢٨) ن : لي.
- (٢٢٩) ن ١١٧/٦ : ورد البيت التالي زيادة، وهو :
- يا هل تساعدني الأمانى والمتى وأحل حيث سنا الرسالة يشرق
- (٢٣٠) م : تطليني، والأنسب ما أثبتناه من ن.
- (٢٣١) ن : بمقيد.
- (٢٣٢) ن ك فتشوقي.
- (٢٣٣) ن ١١٧/٦ : بعباءة.
- (٢٣٤) م : كيس ونجله، محيت نقطة النون، تصحيحه من ن.

- (٢٣٥) ن : الأناام.
(٢٣٦) م : مقنما، موقمه من الإعراب يقتضي ما أثبتنا.
(٢٣٧) م : يروي، صحته ما أثبتناه من ن.
(٢٣٨) غير واضح في الأصل، تصويبه من ن.
(٢٣٩) ن : اليسالة.
(٢٤٠) ن : تفرق.
(٢٤١) هذا البيت ساقط في ن.
(٢٤٢) ن : يشفق.
(٢٤٣) زيادة من ن يقتضيها الوزن والمعنى.
(٢٤٤) ن ١١٧/٦ : فاسلم.

تعليقات الفصل العاشر

- [1] من المثل : "والحديث نور شجون"، يضرب في الحديث يتذكر به غيره. (مجمع الأمثال ١/١٩٧ رقم ١٠٤٤).
- [2] زياد : فعله نود، أي دفع عن وحامي.
- [3] يتضمن معنى الأثر : عن سلمان الفارسي قال : "إن كان يعدت الدار من الدار فالروح من الروح قريب". أنظر (صحيح البخاري (الأنبياء) ٢).
- [4] الحاشر والعاقب والمأحي : من أسماء الرسول (صلعم)، أنظر على سبيل المثال (ابن سيد الناس : عيون الأثر ٢/٣١٥، باب ذكر أسمائه صلى الله عليه وسلم).
- [5] معجزات الرسول شهيرة للاطلاع عنها تراجع كتب السيرة، كسيرة ابن هشام وابن اسحاق وتاريخ الخميس وغيرها.
- Maurice Gaudefroy Demombynes, Mahomet, Paris 1937.
- [6] إشارة إلى أخبار الكهان ببعث الرسول أنظر (عيون الأثر ١/٥٤، باب ذكر ما حفظ الأخبار والرهبان والكهان).
- [7] إشارة إلى قوله تعالى : "ألم نشرح لك صدرك"، سورة ٩٤ (الشرح) آية ٩٧.
- [8] إشارة إلى قوله تعالى : "مثل نوره كمشكاة فيها مصباح"، سورة ٢٤ (النور) آية ٣٥.
- [9] الغ : فعله ولغ، أي شرب الماء أو الدم.
- [10] استعار أسماء الموفق والمستعين والسفاح من بني العباس، واستعملها استعمالاً مجازياً.
- [11] جناح : إثم.
- [12] إشارة إلى الثورة التي قام بها إسماعيل أخو الغني بالله بمساعدة ابن عمه محمد السادس، أنظر (لوحة ١٢٣ - ١٤١).
- [13] مسيلمة الكذاب : هو مسيلمة بن تمامة بن كبير بن الوائلي ولد ونشأ باليمامة، ادعى النبوة في زمن النبي، وقتل في عهد أبي بكر بن الخطاب سنة ١٢هـ/٦٣٢م. أنظر (الاعلام ٨/١٢٥).
- سجاح بنت الحارث التميمية، شاعرة أديبة عارفة بالأخبار وبالكتب السماوية، ادعت النبوة أيام الردة في عهد أبي بكر بن الخطاب، تزوجها مسيلمة فلما قتل أسلمت وهاجرت إلى البصرة حيث توفيت سنة ٥٦هـ/٦٧٥م. أنظر (الاعلام ٣/١٢٢).
- [14] يقصد المشور الذي بناه الغني بالله بعد استرجاعه ملكه وقد ورد وصفه في (المتن لوحة ٢١٣).
- [15] لياح : ظاهر وواضح.
- [16] ذمر : شجاع. - ججاج : سيد سمح كريم.
- [17] ضحضاح : ماء قليل يكون في الفدير أو غيره.
- [18] خود : فتاة حسناء.
- رداح : امرأة رداح أي عجزاء ثقيلة الأوراك، تامة الخلق.

- [19] أبو البركات بن الحاج، سبق تعريفه.
- [20] أبو جعفر بن جزي، سبقت ترجمته.
- [21] مالك بن أنس، سبقت ترجمته.
- ابن شهاب (... - ١٢٤هـ / ... - ٧٤١م) محمد بن مسلم بن عبد الله الزهري، من الأئمة المشهورين. (العسقلاني: تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥ - ٤٥١)
- (- EI 1, IV, 1239-41. [J. Horowitz]).
- [22] حللا : نزولا. - حلة : حلة القوم، النزول فيهم وتطلق أيضا عن المنازل.
- [23] طيبة : أو طابة أو يثرب تطلق على المدينة المنورة، كما تسمى أيضا المجبورة والمحبة والمحبوطة والقاصمة وجابرة. أنظر (الروض المعطار، تح. إحسان عباس ص ٤٠١).
- [24] بياب : خراب.
- [25] عابي : عيبي.
- [26] تريان : بكسر التاء وتسكين الراء، جمع تراب.
- [27] المخبت : فعله أخبت أي تخشع إلى الله .
- [28] لتفصيل رحلة ابن خلدون إلى الأندلس. أنظر (التعريف ص ٨٠).
- [29] العين : ج عيناء، الواسعة العين من النساء.
- [30] مصنع : بناء، ويقصد به المشور الذي بناه الفني بالله.
- [31] إيوان كسرى : يراجع وصفه في (معجم البلدان ١/٣٩٤).
- [32] أبواب جيرون : من منزهات دمشق، ويطلق إسم جيرون على دمشق. أنظر (معجم البلدان ٣/١٩١). الروض المعطار، تح إحسان عباس ص ١٨٦. والشطر الثاني مضمن من شعر ابن أبي قطفية.
- [33] الغور : غور تهامة، وكل ما انحدر سيله مغريا عن تهامة فهو غور. (معجم البلدان ٦/٣١١). ويعني بهذه الأبيات الوزير عمر بن عبد الله.
- [34] أبو الحسن بن الحسن النباهي، سبق تعريفه.
- [35] رامة : يطلق على مكانين : على منزل في طريق البصرة إلى مكة، وعلى قرية من قرى بيت المقدس. (معجم البلدان ٤/٢١٢).
- [36] أبو إسحاق بن الحاج، سبق تعريفه.
- [37] الأجرع : مفرد أجارع، وهي الأرض الطيبة المنبت، وكذلك الأرض التي فيها حزونة. - حاجر : موضع من ديار بني تميم. أنظر (معجم ما استعجم ١/٢٢٩).
- [38] زود : جبل رمل بين ديار بني عيس وديار بني يربوع. أنظر (الروض المعطار، تح. إحسان عباس ص ٢٨٧).
- [39] ثغاما : شجر أبيض الزهر واحده ثغامة، وصار الشعر ثاغما أي أبيض.
- [40] بارق : مكان من ديار بني تميم باليمامة (معجم ما استعجم ص ١٢٨/١). - كحالة : جغرافية شبه جزيرة العرب، دمشق ١٩٤٤، ص ١٨٢).
- [41] العقيق : في بلاد العرب أربعة أعقبة وهي أودية ولعل المقصود هنا عقيق بناحية المدينة وفيه عين ونخل. (معجم البلدان ٤/١٣٨ - ١٤٠)
- [42] قبا : قرية على بعد ثلاثة كيلو مترات من المدينة وبها مسجد الرسول الذي بناه الأنصار.

- (معجم البلدان ٣٠١/٤ - ٣٠٢ - حسين مؤنس : المساجد ، عالم المعرفة، يناير، الكويت ١٩٨١، ص ١٦٦ - ١٦٧).
- [43] البقيع : هو المكان الذي حمى الرسول، ويقع قريبا من المدينة وبه المقبرة الشهيرة التي دفن فيها عدد من أفراد أسرة النبي وكثير من صحابته، ولها مكانة خاصة عند المسلمين. (معجم ما استعجم ١/١٧٠).
- [44] الأوام : بضم الهمزة : العطش الشديد.
- [45] سعد بن عبادة الأنصاري (... - ١٤ هـ / ... - ٦٣٥ م)، وهو صحابي مشهور من أهل المدينة. أنظر (الاعلام ٣/٨٥).
- [46] قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي (... - ٦٠ هـ / ... - ٦٨٠ م) وهو من الصحابة، توفي في عهد معاوية. (الاعلام ٥/٢٠٦).
- [47] أبو عبد الله بن زمر، سبقت ترجمته.
- [48] أبو بكر بن أبي علي القرشي، ورد إسمه في الكتبية محمد بن محمد بن علي القرشي، وذكره ابن الخطيب ضمن وفيات ما قبل ٧٧٤ هـ = ١٣٧٢ م. أنظر (الكتبية ص ٢٠٠، الريحانة، ط. القاهرة ٢/٢٨٢).
- [49] غرثوا : اشتد جوعهم.
- [50] تباى : تفخر.
- [51] يقرط : يضع في الأذن قرطا، ويقصد تسمع الأذن ما تستلذه.
- [52] لسن : يفتح اللام والسين، الفصاحة.
- [53] أبو عيد الله الشريشي (... - ٧٧٠ هـ = ١٣٦٨ م) محمد بن محمد ابن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني، وهو من قرية شريش كان معلم واد السلطان. أنظر (- الاعلام ١/٣٢٦ - الكتبية ص ٢١٤ - ٢١٥).
- [54] هذه القصيدة معارضة لقصيدة أبي إسحاق الألبيري التي وردت في ديوانه، تحقيق رضوان الداية، بيروت ١٩٧٦، ص ١٩ - ٣٠.
- كما أوردها الدكتور كارثيا كورس في دراسته عن أبي إسحاق الألبيري وأشار إلى أن عدد أبياتها مائة واثنا عشر لكونها تختتم بالبيت :
- وقد أردفتها سنا حسنا وكانت قبل ذا مائة وستا
- ويعلق الدكتور عبد الله كتون في دراسة نشرها عن هذه القصيدة أن عدد أبياتها مائة وثلاثة عشر بيتا لأنه عثر على نسخ أخرى ورد فيها برواية أخرى وهي :
- وقد أردفتها سبعا حسانا وكانت قبل ذا مائة وستا
- V. (E. Garcia Góme, Un alfaquí español Abù Ishàq de Elvira, texto àrabe de su "diwàn", Madrid, 1944, pp. 63-69.
- عبد الله كتون : تائية أبي إسحاق الألبيري، المناهل، ٥، (١٩٧٦)، ص ١٢٧).
- [55] فتا : فت الشيء إذا كسره حتى صار فتاتا.
- [56] تفتى : تكلف الفتوة وتشبه بالفتيان.
- [57] سعت : المال الحرام.
- [58] القرن : قرن السيف أي حده ونصله.

- الصمصام : السيف الذي لا ينثني.
- صلنا : فعله أصلت أي جرد السيف من غمده.
- [59] الست : لفظة فارسية لها عدة معاني منها قانون، قاعدة، مسند الملوك، ودخلت إلى العربية بمعنى مجلس الحكم. (معجم اللغة الفارسية، نقله إلى العربية هنداوي، مصر ١٩٥٢، مادة (دست)).
- [60] أبو القاسم بن قطبة، سبق تعريفه.
- [61] إشارة إلى سورة ٣٦ (ياسين). والسورة ٢٠ (طه).
- [62] الوني : التعب والأعياء.
- [63] الوجيه ولاحق : أنظر تعليقات الفصل الخامس رقم ٦٢. - الوجي : ان يجد الفرس في حافره وجعا ويشتكيه من غير أن يهن منه شيء أو غيره. أنظر (المخصص ١٤٦/٢).
- [64] أجرد : فرس سريع، ويطلق أيضا على القصير الشعر. - فرس مشذب : طويل وغير ثخين. - عبل الشوي : غليظ القوائم. - مطهم : تتوفر فيه كل أوصاف الخيل الحسنة. أنظر (المخصص ٢ باب الخيل).
- [65] أبو عبد الله محمد بن محمد بن حسان النافقي، كان كاتب الانشاء في غرناطة، وقد ذكره ابن الخطيب ضمن وفيات ما قبل ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م. أنظر (الكنتية ص ٢٤٥ - ٢٤٧. - الريحانة ٣٨٨/٢).
- [66] مندل : العود الطيب الرائحة. - نسوع : ج نسع، وهو جبل تشد به الرجال.
- [67] أبو جعفر أحمد بن عبد الملك العدوي اللبسي، شاعر، كاتب، فقيه، من معلمي الكتاب، وقد كان حيا سنة ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م. أنظر (الكنتية ص ٢٧٨).
- [68] الجديدان : الليل والنهار.
- [69] إشارة إلى قوله تعالى : "في جنّة عالية، لا تسمح فيها لاغية، فيها عين جارية، فيها سرر مرفوعة". سورة ٨٨ (الغاشية) آية ٩ - ١٣.
- [70] انكال : ج نكل، يكسر النون، وهو القيد الشديد.
- [71] أبو بكر بن قطبة، سبق تعريفه.
- [72] أبارق : ج برقة، وهي الأرض الغليظة التي فيها رمل وحجارة وطين.
- [73] المهيع : الطريق الواسع البين.
- [74] الألمي : الذكي.
- [75] اسفع : أسود يميل إلى الحمرة.
- [76] أبو القاسم بن حميد بن إبراهيم بن محمد التجيبي، من أدياء غرناطة كان يشتغل بالتدريس، توفي قبل ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م. أنظر (الكنتية ص ٣٠٢).
- [77] أبو جعفر بن خاتمة، أنظر (١١٠/٣٩٢).
- [78] العي : الحصر وعدم القدرة على الكلام.
- [79] أبو عبد الله بن سودة، ترجم له ابن الخطيب في الاحاطة وذكر وفاته سنة ٦٣٧هـ/١٣٣٥م، لكن ابن سودة التي تنطبق عليه الأوصاف التي ذكرها ابن الخطيب في المتن يكنى أبا القاسم ويسمى محمد بن محمد بن علي بن سودة المرى، كان طبيبا وأديبا، وقد قال ابن

الخطيب في الاحاطة : "وتشوق إلى الرحلة الحجازية، والله يبسر قصده"، وهذا يثبت أن ابن سودة كان حيا في فترة تأليف الاحاطة. أنظر (- الاحاطة مخ الاسكوريال، السفر الأول، لوحة ١٤٤، ط. القاهرة ١٦٨٠/٣ - ابن الربيع الحوات : الروضة المقصودة، مخ الخزانة الحسينية، لوحة ١١).

[80] اللوى : واد من أودية بني سليم.

[81] الدميل : يطلق على سير الدابة البطيء.

[82] نواصله الأولى : يقصد بها أعلى الرأس، والثانية : السهم أو حديدة الرمح.

[83] اقتباس من المثل : "عند الصباح يحمد القوم السرى".

[84] أبو جعفر بن زرقولة : لعله ابن زرقالة الذي ترجم له الزركلي وهو أحمد بن محمد بن علي ويكنى أيضا أبا العباس، أديب من المريّة، اشتغل بالقضاء، أثبت الزركلي أنه توفي سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م. ويبدو أن التاريخ غير صحيح، حيث ذكر الزركلي أن ابن زرقالة جمع ما نظمه أحمد بن خاتمه في التورية، ومما هو معلوم أن هذا الأخير ولد سنة ٧٠٠هـ / ٧٣٨م وتوفي سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م، وهذا يرجح أن ابن زرقالة كان معاصرا لابن خاتمة وابن الخطيب. أنظر (الاعلام ٢٢٠/١).

[85] عبد العزيز بن علي بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد العزيز بن يشت، وفي الكتبية ابن برشيت، ويكنى أبا سلطان، اشتغل كاتبا في ديوان الاعمال، كان حيا سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م. أنظر (- الكتبية ص ٢٩٣ - الاحاطة ٥٧٢/٣ - ٥٧٣).

[86] برج الخفاء : من الأمثال، ويقصد به انكشف السر ووضح الأمر. أنظر (مجمع الأمثال ٩٥/١ رقم ٤٦٠).

[87] إشارة إلى قوله تعالى : "وما ينطق عن الهوى". سورة ٥٣ (النجم)، آية ٣.

[88] أبو عبد الله بن الجنان : محمد بن عبد الله اللخمي الغناتي كان شاعرا، كاتبا، فقيها، ذكر ابن الأحمر أنه رآه. أنظر (نشير فرائد الجمان ص ٣٣٢).

[89] أبو الحسن السكاك : علي بن إبراهيم بن علي بن خطاب، من أهل غرناطة، وهو شاعر ناثر، اشتغل كاتب ديوان الحساب. أنظر (النفح ٢٥٧/٦ - الريحانة ٤٢٠/٢).

[90] أبو يحيى القطان : محمد بن محمد بن عبد الرحمان، الهاشمي نسبيا، من شعراء الأندلس وكتابها، وقد ذكر ابن الخطيب أن وفاته كانت قبل ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م. أنظر (الكتبية ص ٢٣٠ - ٢٣١).

الفهارس

فهرس الفهارس

- 1 — فهرس الأحداث التاريخية حسب التسلسل الزمني.
- 2 — فهرس أسماء الأعلام والأمم والقبايل.
- 3 — فهرس الأماكن والبلدان.
- 4 — فهرس الأشعار.
- 5 — فهرس الرسائل والقطع النثرية.
- 6 — فهرس الآيات القرآنية.
- 7 — فهرس الأحاديث النبوية.
- 8 — فهرس الأمثال.
- 9 — فهرس مؤلفات ابن الخطيب التي ذكرها في المتن.
- 10 — فهرس المصادر والمراجع.
- 11 — فهرس الموضوعات.

فهرس الأحداث حسب التسلسل الزمني

- ٢٨ رمضان ٧٦٠هـ/ ٢٣ أغسطس ١٣٠٩م: الانقلاب الأول ضد الغنى بالله وفراره الى وادي اش.
- ١٠ ذوالحجة ٧٦٠هـ/ ٢ نونبر ١٣٥٩م: اتجاه الغنى بالله صحبة ابن الخطيب الى فاس بشفاعة من أبي سالم المريني.
- ٦ محرم ٧٦١هـ/ ٢٨ نونبر ١٣٥٩م: وصول الغنى بالله وابن الخطيب الى فاس
- ١٨ شوال ٧٦٢/ ٢١ أغسطس ١٣٦١م: عودة الغنى بالله الى الأندلس واستقلاله برنطة.
- تعيين ابن كماشة وزيراً وابن زمرك كاتباً ص ٧٢.
- ٧٦٢هـ-١٣٦١م معاهدة بين سلطان قشتالة وابي زيان ص ٧١.
- محرم ٧٦٣هـ/ نونبر ١٣٦١م: خروج ابي زيان من اشبيلية متوجها الى فاس.
- ٢١ صفر ٧٦٣هـ/ ٢٠ دجنبر ١٣٦١م: وصول ابي زيان الى فاس.
- ١٦ ربيع الأول ٧٦٣هـ/ ١٦ يناير ١٣٦٣م معاهدة صلح بين ابي زيان ويني عبد الواد ص ١٠٨.

٢٤ ربيع الأول ٧٦٣هـ/ ٢١ يناير : خروج ابن الخطيب من سلا قاصدا فاس لتقديم ولانه لأبي زيان ص ٦٢.

٣. ربيع الأول ٧٦٣هـ/ ٢٨ يناير ١٣٦٢ م: وصول ابن الخطيب الى فاس واتصاله بالسلطان. ص ٦٢.

- نزول المطر بعد جفاف كانت له عدة اضرار. ص ٦١

- انتشار داء الطاعون بفاس وتازا ومكناسة... ٦١، ٩٠.

٢ ربيع الثاني ٧٦٣/ ٩ يناير ١٣٦٢ م: القبض على منصور بن أبي علي. - قدوم وازماز بن عريف الى فاس لمناقشة الوضعية الاقتصادية. ص ٦٩.

٦ ربيع الثاني ٧٦٣هـ/ ٢ فبراير ١٣٦٢ م: ظهور من ابي زيان لابن الخطيب بترخيص الرحلة الى مراكش ص ٦٨، ٦٩.

١٠ ربيع الثاني ٧٦٣هـ/ ٦ فبراير ١٣٦٢ م - ظهور من ابي زيان لابن الخطيب بتجديد امتيازاته.. ص ٦٧، ٦٨.

ربيع الثاني ٧٦٣هـ/ فبراير ١٣٦٣ م: تعيين ابي ثابت عامر رئيس الجيش بمراكش وزوجه من بنت الملك الحفصي ص ٧٠.

١٦ جمادى الثانية ٧٦٣/ ١٢ أبريل ١٣٦٢ انتصار الغني بالله واحرازه بعض الحصون ثم دخوله الى مالقة ص ١١٨.

١٧ جمادى الثانية ٧٦٣/١٣ أبريل ١٣٦٢ - رسالة من الغني بالله الى ابنه بالمغرب
يفصل فيها خبر انتصاره ص ١١٨،
١١٩

١٨ جمادى الثانية ٧٦٣هـ/ ١٤ أبريل ١٣٦٢ م: - فرار ابي سعيد البرميخو الى مملكة
قشتالة وقتله من طرف ملكها ص ١١٩ .

٢٠ جمادى الثانية ٧٦٣هـ/ ١٦ أبريل ١٣٦٢ م: - استرجاع الغني بالله للملكه. ص ١٢٤ .

جمادى الثانية ٧٦٣هـ/ أبريل ١٣٦٢ م: خدعة ابي ثابت لعرب الخلط نتجت عنها
مدبحة. ص ١٠٨ .

٢٥ جمادى الثانية ٧٦٣هـ/ ٢١ أبريل ١٣٦٢ م: - خروج مسعود بن رحو في جيش من
سلا لمحاربة تامسنا لامتناع أهلها عن
دفع الجباية ص ١٠٩ .

١٤ رجب ٧٦٣هـ/ ٩ مايو ١٣٦٢ م: - مغادرة ابن الخطيب سلا قاصدا فاس
لمصاحبة اسرة الغني بالله الى غرناطة
ص ١٤٥ .

٢٠ رجب ٧٦٣هـ/ ١٥ مايو ١٣٦٢ م: - خروج ابن الخطيب واسرة الغني بالله
من فاس. ص ١٤٧

- رسالة من الغني بالله الى ابن الخطيب
يدعوه للعودة الى غرناطة ص ١٤٧، ١٤٨

٨ ربيع الأول ٧٦٤هـ/ ٢٦ دجنبر ٢٦ : - قدوم ابن خلدون الى غرناطة واعراسه
بجارية تدعى هند. ص. ٢٠٨، ٢١٦

٧٦٣- ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢- ١٣٦٣ م : - بناء مشور بقصر الحمراء ص ٢٧٥

١٢ ربيع الأول ٦٧٤هـ/ ٣٠ دجنبر ٦٢ : - احتفال الفني بالله بعيد المولد النبوي
في المشور - ص ٢٧٥ ، ٢٩٠.

فهرس اسماء الاشخاص والاسم والقبايل

الالف	
٣٠٩٠٢٩٦٠١٩٤	آدام
١٦٢	آل حفص
٤٦	آل الرسول
١٦١٠٤١	آل مرين
٣١١	آل نصر
٦٣٠٦٢٠٤١	آل يعقوب
٢٨١	آمنة
٧٣	ابراهيم بن السراج
١٠٧٠٩٥٠٩٢٠٧٠٤٢٠٤١٠٤٠٣٩٠٣٦	ابن ابي ثابت، عامر (ابو يحيى) الهنتاتي
١٠٩٠١٠٨	
١٢٣٠١١٦	ابن ابي العلي، ادريس بن عثمان
١٥٤	ابن ابي مدين، محمد بن محمد (ابو يحيى)
٢٩٥٠٤٥	ابن أنس، مالك (ابو عبد الله) الأصبحي
١٧٥٠١٧٤٠١٦٩	ابن بطرون، احمد
١٦٣	ابن تافر اجين، محمد بن عبد الله
٢٩٥٠٢٤٣	ابن جزي، احمد بن محمد (ابو جعفر)
٣٢٧	ابن الجنان، محمد بن عبد الله (ابو عبد الله)
٢١٦٠١٧٦٠١٥٢٠١٢٦	ابن الحاج، ابراهيم بن عبد الله (ابو اسحاق)
	الشميري
٣١٣	ابن حسان، محمد بن محمد (ابو عبد الله)
٣١٨	ابن حميد، محمد بن ابراهيم (ابو القاسم)
٣١٩٠٢٣٠٠٢٢٩٠٢٢٤	ابن خاتمة، احمد بن علي بن محمد (ابو جعفر)
١٤٩٠١٤٧	ابن الخطيب، محمد بن عبد الله لسان الدين
	(ابو عبد الله)
٢٩٧٠٢٠٨	ابن خلدون، عبد الرحمان بن ابي بكر (ابو زيد)

١٧٥	ابن رحو عثمان بن أبي زكريا
٩٠، ٣٧	ابن رحو يحيى بن عمر (ابو زكريا)
١٠٩، ٧٥، ٧٤	ابن رحو، مسعود بن علي
٣٧	ابن رشيد، محمد بن محمد (ابو سعيد)
٦٦، ٤٧	ابن رضوان، عبد الله بن يوسف (ابو القاسم)
١٨٩	ابن رضى، مسعود بن أبي بكر (ابو يحيى)
٣٢٣	ابن زرقالة، احمد بن محمد بن علي
٢٠٥، ٢٢٣	ابن زمرك، محمد بن يوسف (ابو عبد الله)
١٢١	ابن السراج
١٠٧	ابن سعد الله محمد
١٢٣	ابن سهل، الحاج سهل بن محمد
٣٢٠	ابن سودة، محمد بن محمد بن علي المري (ابو القاسم)
٢٩٥	ابن شهاب، محمد بن مسلم الزهري
١٢٥	ابن صفوان، احمد بن ابراهيم بن احمد (ابو جعفر)
٢٢٧، ٨٧	ابن عاشر، احمد (ابو العباس)
٣١٥	ابن عبد الملك، احمد بن محمد (ابو جعفر)
١٦٧	ابن عطية، عبد الحق ابن أبي القاسم المحاربي
١٠٧، ٩١، ٨٦، ٤٥	ابن عطية، مبارك بن ابراهيم الخلطي
٢٢٨	ابن غياث، عمر بن غياث
٢٣١	ابن الفخار، ابو القاسم بن داود
٣١٢، ١٣٤، ١٢١	ابن قطبة، محمد بن احمد (ابو القاسم)
٣١٦	ابن قطبة، محمد بن محمد (ابو بكر)
١٩٣	ابن قلاون، محمد المنصور بن حاجي المظفر
١٦١، ١٢١، ٧٢، ٤٤	ابن كماشة، علي بن يوسف (ابو الحسن)
١١٣	ابن محيو، عبد المؤمن بن عمر بن عبد الحق (ابو محمد)
٢٣٢	ابن مرزوق، محمد ابن احمد (ابو عبد الله)

- ١١٦ ابن مسعود، محمد بن علي
 ١١٣ ابن يفلوسن عبد الرحمان
 ٣٢٥ = ابن يشث عبد العزيز بن احمد (ابو سلطان)
 ابن برشيت
 ٢٩٤، ٢٢٤، ٨٨ ابو البركات، محمد بن محمد بن الحاج البليقي
 ٩٥، ٩٢، ٧٠، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٦ ابو ثابت، عامر بن عثمان بن ادريس الهنتاتي
 ٢٢٥، ١٢٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧ ابو الحجاج، يوسف بن اسماعيل السلطان
 النصري
 ١٦٩ ابو الحسن، التلمساني
 ٧٣، ٤٠ ابو الحسن، علي بن عثمان بن عبد الحق المريني
 ٧١، ٦٧، ٤٠، ٣٩ ابو زيان، محمد بن ابي عبد الرحمان بن ابي
 الحسن (المريني)
 ٢٢٠ ابو سعيد، عثمان بن يحيى
 ١٦٤ ابو سعيد، محمد بن اسماعيل بن محمد،
 البرميخو
 ٣٢٧ ابو عبد الله بن بهجونة
 ١٢٤ ابو معشر، جعفر بن محمد بن عمر البلخي
 ٢٠٩ ابونواس، الحسن بن هاتيء
 ٢٧٦ ابو الوليد، اسماعيل بن فرج النصري
 ١٣٥ اسماعيل بن يوسف (اخر القني بالك)
 ٢٣١ انوشرران
 ٢٢٥ ايوب (النبي)

الباء

- ٦٦ البرابر
 ٢١٢ البراض بن قيس الكناني
 ٧١ بطره بن الهنشة (Pedro el Grûel)
 ٧٤ البطروجي، ابراهيم بن احمد
 ١٩٦ بلج بن بشر

١١٩	بنو أمية
١١٩،٧٤	بنو العباس
٢١٩	بنو عبس
١٧٤،١٦٩	بنو عزون
١٢٧	بنو كهلان
٢٢٠،١٩٨،٤٠،٣٧	بنو مريـن
٣٢٤،١٣٣	بنو نصر
التاء	
١٣٠	التبابعة
٢٢٦،١٩٣،١٣٤،١٣٣،١٣٢	الترك
٢٢٦،١٩٣	التطار
الـجـيـم	
٢٠٩	الـجـنـيـد (ابو القاسم) بن محمد
الخاء	
١٣٣	الـخـلـيـل بن احمـد القـراـهـيـدي
الدال	
٢٢٥	داود (النبي)
١٧٨،١٧٤،١٧٠،١٦٩	الدليل البركي
الراء	
٤٥	ربيعة بن مكرم
١٣٥،١١٧	رضوان ابو النعيم (الحاجب)
١٦٤،١٦٢،١٦١،١٣٤،١٣٣،١٢٥،١٢٣،٧٣	الروم
٣٠٥،٢١٠،١٧٨٠	

الزاي

٩٠	الزنج
٢٩٣	سجاج بنت الحارث التميمية
٣٠٤	سعد بن عبادة الأنصاري
٣٢٧	السكاك، علي بن ابراهيم (ابو الحسن)
٢١٢	سليك بن سلكة
٢٩٣، ٢٢٥، ٢٠٢، ١٥	سليمان (النبي)
٢٠٨	السموال بن حيان بن عاديا

الشين

٧٣	شعيب بن يحيى بن شعيب
٣٢١، ٣١٠	الشريشي محمد بن محمد (ابو عبد الله)
٢٣٨	الششتري، علي بن عبد الله (ابو الحسن)
٢٠١	شمس الدين (ابو عبد الله) ابن ابي ركب

الطاء

١٢١	طارق بن زياد
٧٢	طويس، عيسى بن عبد الله

العين

١٠٩	عبد المؤمن بن عمر (ابو محمد) المريني
٩٣	عبد المؤمن الكومي
٢١٦	عروة بن حزام
١٧٤، ١٦٩	علي بن علي بن احمد بن نصر
٧٤	عمر بن العجوز

الغين

٩٣	الغريض
٦٦	الغز (الاغزان)

الفنى بالله، محمد بن يوسف بن اسماعيل
بن نصر (ابو عبد الله)

٧١، ٧٢، ١١٨، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥،
١٤٦، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٩٤، ٢٢١، ٢٢٣،
٢٢٤، ٢٤٤، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٩٣، ٢٢٥، ٢٩٦،
٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١١،
٣١٤، ٣١٧، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٦.

الفاء

١٦٨	فرسان الثغر
١٠٩	فرسان الدخلة
٦٨	فرسان نصارى السقيفة
١٩٣، ١٦٨	الفرنج
٤٥	الفضيل بن عياض (ابو علي) الفنديدي

القاف

١٣٠	قبائل مدحج
١٠٨	الحارث
١٣٠	حمير
١٣٠	الخرنج
١٠٨، ٩٢، ٨٦	الخلط
١٠٧	الدياشمة (الجياشمة)
١٠٨	سفيان
٧٠	سويد
٦٤	طسم
٦٤	عاد
١٠٨	قبائل العاصم
٦٤	عملاق
١٢٩	قحطان
١٠٨	المصامدة
٩٢	هنتاة

١٠٩،١٠٧	الهساكرة
١٦٧	قدار بن سالف
٣٠٨	القرشي، محمد بن محمد بن عمر (ابوبكر)
٣٢٧	القطان، محمد بن محمد (ابويحيى)
٣٠٤،١٢٩	قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري

الكاف

٣١٢،٣٠٠،٢٩٣	كسرى انوشروان
٢٣٥	كعب بن مامة

الميم

٦٢	المجدولي، عبد الله بن محمد بن يحيى
٢٢١، ٢٠٣، ١٣٣، ١٢٩، ١١٨، ٦٢، ٤٧، ٣٣	محمد (الرسول) = احمد = المصطفى = ابو
٣٠٩، ٣٠٨، ٣٠٦، ٣٠٤، ٣٠٠، ٢٨١، ٢٤٤	القاسم الماهي
٣٢٧، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢١، ٣١٨، ٣١٣، ٣١٢	
٢٩٣	مسيلمة الكذاب بن تمامة بن بكر الوائلي
٦٦	معبد بن وهب
٦٩	منصور بن عمر بن عثمان بن يعقوب (ابو علي) المريضي
١٠٧	منصور بن محمد بن عمر الهسكوري
٢١٨	المنصور الموحد
٩٣، ٧١	المهدي بن تومرت
١٦٢	الموحدون
١٢١	موسى بن نصير

النون

٢٩٩، ٢٤٣، ٢١٦، ١٢١، ٧٢	النباهي، علي بن عبد الله (ابو الحسن)
٩٠	النبط
١٠٧	النعمان بن المنذر

١٦٤

نوح (النبي)

الهاء

٢٩٩

هارون الرشيد

٢١٠

هند (جارية ابن خلدون)

٢١٨

هند بنت خارجة الفزازي

الواو

٢٠٣،٧٠

وانزمار بن عريف بن يحيى السويدي

الياء

١٤٥،٩٦،٦٥،٣٥

الياباني، عمر بن عبد الله (ابو علي)

١٥٣،١٤٥،١٢٧،١١٨

يوسف بن محمد الغني بالله

٣٩

يوسف بن الكتاني

٢٠٠

يلبغا الخاصكي

فهرس الأماكن

(الهمزة)

٧٣	أبدة (Ubeda)
٢٩٩	ابواب جبرون
٣١٦	الأجرع
١١٦	ارجدوته (Arjona)
١٥١	إغرم (Argron)
٣٢٣، ٢٩٤، ٢٣١، ١٦٩، ١٦١	المرية (Almeria)
١٦٤، ١٥٠، ١٣٥، ٧٣، ٧٢، ٦٩، ٦٧، ٦٦، ٤٤	الأندلس (Al-Andalus)
٢٩٩، ٢٤٥، ١٣١، ٢٠٠، ١٩٤، ١٨٠، ١٧٨، ١٧١	
٣٢٤، ٣١٦، ٣١٤، ٣٠٩	
١١٧	اليرة (Illora)
٢٢٧	أسمير
١٤٩، ١٢٣، ١١٩	اشبيلية (sevilla)
٧٠	افريقية (تونس)
٦٩	الايالة الزبانية (تلمسان)
٣٠٨، ٣٠٣، ٢٩٩، ٢٩٦، ٢٩٣، ٢٢١	ايوان كسرى (بالعراق)

(الباء)

١٦٩	باب البنود (بغرناطة)
١٢٤	باب الحمراء
١٦٨	برجه (Berja)
١٢٢	برجلونة (Barcelona)
٢٤٤	بسطة (Baza)

٦٢	البلد الجديد (فاس الجديد)
١٦٩	البلد (غرناطة)
١٢١	بلاد الكفر (قشتالة)
.١٠٩٠٨٧	البلاد المراكشية
.٣١٢٠٣٠٣	البيقيع
١٤٨	بليش (Vélez Málaga)
.٧٣	بياسة (Baeza)

(التاء)

٦٩٠٦١	تازا
٢٢٠	تافلقت
٦٧	تالمغت
١٠٩٠٩٥٠٨٩٠٨٧	تامسنا
.١٦٦٠١٦٢	تونس
٩١	تيط اقوران

(الثاء)

.١١٧	ثغر الطورون
------	-------------

(الجيم)

٣٦	جبل الجودي
١٢٤	جبل الحمراء

١٧٨،١٥٠	جبل الفتح (Gibraltar)
١٧٨	جبال الفخار (Alfacar)
٢٧٨،١٢٠	جنوة
١١٩،٧٣	جيان (Jaén)

(الحاء)

٣١٣،٣٠١،٢٣٠	حاجر
٣٢١،٣٢٠،٣٠٦،٢٠٧	الحجاز
١٩٧	حزن
١١٦	حصن اشر (Iznájar)
١٤٨،١١٩	حصن الحمية (Alhama)
١٧٢،١٧٨،١٤٨،١١٩،١١٦	" أنتقيرة (Antequera)
١٢١،١١٧	" برغة (Burgos)
١١٦	" بني بشير (Benamejí)
١١٨	حصن ثلث (Tolox)
١١٨	" نكوان (Coín)
١١٦	" السهلة
١١٦	" الصخرة
١٤٨،١١٦	" صالحة (Zalia)
١١٧	" فردالش (Ardales)
١١٥	" قاشره (Castro)
١١٨	" قرطمة (Cártama)
١١٧	" قصر بنيرة (Casarabonela)
١١٧	حصن قنط (Canet de las Torres)

١٧٨،١٧٠	حصن اللقون (Alicún)
١٤٨	" ملتماس (Bentomiz)
١١٧،١١٦	" منتفريد (Montefrío)
١١٨	" ميجش (Mijas)
٦٩	الحضرة (فاس)
٢٠٩،٢٠٨،١٥١،١٥٠،١٣٦،١١٧	الحضرة الأندلسية (غرناطة)
١٦٦	الحضرة التونسية (تونس)
٣٠٢،٢٠٢	الخطيم
١٧٧،١٤٨،١٢٢	الحمراء (قصر)
٢٤٠	حلب
٢٤٠	حمص

{الغاء}

٨٩	خندق هارون
----	------------

{الدال}

٣٢٤	دجلة (نهر)
٢٠٧	داريين
١٤٩	دار الصنعة (باشيبيلية)
٢٨	دشار البوير
٩٠،٨٩	دشار الزاوية (ماغوس)
٩٥،٨٩	دشار مكول
٢٩٩	دمشق

(الراء)

١٧٥،١٧٠،١٦٩	رياض البيازين (Albacín)
٢٢٧	رياض الفتح
٢٩٩	رامة
١٦١،١٤٨،١١٧،١١٦،١١٥،٧٢،٧١	رندة (Ronda)
١٦٧	
٢٢٧	رياض الشيخ (بسلا)
١٧٢،١٢٥	ريه
٣٠١	رومة

(الزاي)

٢٢٧	الزاوية العليا (بسلا)
٢٠٢	زمزم

(السين)

١٦٢،١٥٠،١١٩	سبته (Ceuta)
٦٢	سجلماسة
٦٩	ساحل غساسة
٢٢٠،١٥١،١١٨،١٠٩،٩٦،٦٧،٦٦،٦٥	سلا
٢٣١،٢٢٨،٢٢٧،٢٢٦	
٢٢٤	سهيل (Fuengirola)

(الشين)

٨٩	الشعراء(عين)
٣.٣.٣.٢.٣...٢٩٨.١٥٢	الشام
٢٢٧	شلة

(الصاد)

٦٢	صنعاء
١٩٧	صول

(الطاء)

١٦٧	طريف (Tariga)
٣٢٣.٣٢١.٣١٢.٢٩٦	طيبة

(العين)

١٢٦	العذيب(باليمامة)
٢.٧.١٥٢.١٢٩	العراق
٣.٢.٢٤.	عكا

(الغـين)

٨٥	غبسولا (عين)
١٦٣، ١٥٠، ١٤٨، ١٣٦، ١١٩، ٣٧	غرناطة (Granada)
٣٠٤، ٢٠٣، ٢٠٠	
٢٩٩، ٢٩١	الغورد (تهامة)

(الفـاء)

٢٦٣	الفرات (بالعراق)
٣١٣، ٣١٢، ٣٠٨، ٣٠٠	فارس
١٣٥، ١٢٨، ١٠٩، ٨٨، ٦٩، ٦٢، ٦١	فاس

(القـاف)

٣٠٣	قبا
١١٩	قرطبة (Córdoba)
١٦١، ١٥١، ١٤٩، ١١٦، ١١٥، ٧١	قشتالة (Castilla)
١٧٣، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤، ١٦٢	
١٤٨	القصبة (بمالقة)
١٢٢	قصر الحمراء
١٧٠، ١٢٣	قلعة الحمراء
١٥١	القنب جاغر (Campojalgal)
١٥١	قنب قيس (Quempe)
١٦٧، ٧٣	القيروان

(اللام)

١٦٢،١٤٨،١١٦
٢١١

لوشة (Loja)
اللوى

(الهميم)

٨٧،٦٩
١.٩.٩٥،٨٧،٨٥
٧٣
١١٧
١١٩
٢٠٠،١٩٢،٧٥
٢.٦.٢.٣،١٩٨،١٦١،٧٢،٧١،٧٠
٣١٢،٢٢٠
١٤٨،١١٩،١١٨،١١٧،١١٦،١١٥
٢.٥.١٤٨،١٦٤،١٦٢،١٦١،١٥٠
٣٢٦،٢٩٥،٢٣١
٣٢٤،٣١٣،٣.٣.٣.٢.٢٤٠،٢٣١
١.٩.٨٨،٦١
٩٥
٣.٢

المدينة البيضاء (فاس)
مراكش
مارتش (Martos)
مرج الحضرة
مرسية (Murcier)
مصر
المغرب

مالقة (Málaga)

مكة
مكناسة
المنار (بمراكش)
منى

(النون)

٣١٣،٣.١.٢٣٠

نجد

(الماء)

٣.١

الهند

(الواو)

٧٣، ١١٥، ١٦١، ١٦٤، ١٦٩، ١٧١،

وادي اش (Guadix)

١٩٨

١١٦

وادي شنجل (Genil)

٢٢٧

القبط (الغبط)

١١٨

الوادي الكبير (Guadalquivir)

٤٥

ولاته

٣.٢

وادي العقيق

(الياء)

١٧٧، ٢٣١، ٣١٤، ٣٢١

يثرب

فهرس الأشعار

مصدر البيت	قافيته	عدد الابيات	الشاعر	صفحة
البحر				
(الهمزة)				
مبنى اغر	السراء	٢٨ الكامل	ابن خاتمة	٣١٩ - ٣٢٠
لا تظهرن	الضراء	٢ الكامل	أبو علي الشبل	٢١٥
سيدي	جفائي	٢٨ الخفيف	ابن الخطيب	٦٦
(الباء)				
اني له	تعبا	١ البسيط	ابراهيم بن سهل	٢١٢
دعاني	أنسب	٤٦ الطويل	النباهي	٢٩٩ - ٣٠١
لولا ادكاري	التسكاب	٥٦ الكامل	ابو جعفر بن جزي	٢٩٥ - ٢٩٧
(التاء)				
الا بيتي	فشا	٣٧ الوافر	ابو عبد الله الشريشي	٣١٠ - ٣١١
هم اسكنونا	وأكتنت	٢ الطويل	ابن الخطيب	٨٨
انك لا تشكو	أومنت	١ الرجز	-----	٢١٣
مولاي	رمت	١٠ البسيط	ابن الخطيب	٢٨٠
ساعة	وافترضت	١٠ الرمل	ابن الخطيب	٢٨٠
مولاي	تجلت	١٠ المجتث	ابن الخطيب	٢٨١ - ٢٨٢
(الثاء)				
بشلا ننقل	البراغيثا	٢ البسيط	ابن الخطيب	٩٥
ومرت	الخيث	٢ المتقارب	بشار بن برد	٢١١

		(الجيـم)		
٢٢٣	ابن الخطيب	١١ الكامل	فَاجَا	يا طالب
٢٨٣	ابن الخطيب	١٠ السريع	للحِجَا	هذه ثمان
٩٥	ابن الخطيب	٤ البسيط	ولا حَرَجُ	ماذا أحدث
١٢٨ - ١٣١	ابو اسحاق ابن الحاج	٩٠ الكامل	الا بَلِجُ	وافتك

		(الحاء)		
٩٦	ابن الخطيب	٢ السريع	رائحةُ	اهل سلا
٤٤	ابن الخطيب	٤ الكامل	جناحُة	مر الذباب
٨٥	ايشت بن آدم	١ الوافر	قبيحُ	تغيرت
٢٩٤ - ٢٩١	ابن الخطيب	٩٦ الخفيف	جناح	ما على القلب

		(الدال)		
١٥٤ - ١٥٣	ابو اسحاق بن الحاج	٣٩ الطويل	ابن الهدى	الا ارتقبوا
١٠٨	المتبسي	١ الطويل	فوائدُ	بذا قضت
٢٤٣	ابن الخطيب	١٠ مج. الرمل	يندو	انت في
٦٢ - ٦١	ابن الخطيب	٩ الطويل	والنجدُ	لقد زالت
٧٢ - ٤٤	ابن الخطيب	٣ الطويل	الوعدُ	كما شيكم
٢٢١	ابن الخطيب	٤ الطويل	وتعتدي	لي الله
١٢٨ - ١٢٦	ابو اسحاق بن الحاج	٢٣ الطويل	لم يتوردِ	نايت
٩٤ - ٩٢	ابن الخطيب	٨٠ الطويل	مشهد	اهاجتك
٢٢٥	ابن الخطيب	٢ البسيط	محدودِ	جاء العذار
٢٢٥	ابن الخطيب	٢ البسيط	العودِ	ماغض
٢١٣	_____	١ الوافر	تنادي	لقد ناديت
٢١٦	عروة بن حزم	٢ الكامل	مزيدِ	الله يعلم

		(الراء)		
٩١	ابن الخطيب	٤ الطويل	سيره	مبارك
٢٢٢	ابن الخطيب	٤ الكامل	محصورة	يا من يعيد
٢١٠	" "	٢ السريع	مكرة	او صيك

٢٨١	ابن الخطيب	٩ الطويل	أَحْبَرُ	برابعة
٩٧	الأمير عبد الرحمان	٢ الطويل	أَكْثَرُ	نرى السوء
٩٥	ابن الخطيب	٢ الطويل	يَقْصِرُ	كانا بتمامنا
٢٢٠	"	٢ الوافر	الأثيْرُ	بتافلقت
١٣٥ - ١٣٤	ابو بكر بن قطبة	٤٤ الكامل	تُدَارُ	وجه الزمان
٢٨٤	ابن الخطيب	١٠ الكامل	يَشَارُ	يا من
٤٠ - ٣٩	"	١٥ الكامل	حَامِرُ	يا بن الخلائف
٢٩٥ - ٢٩٤	ابو البركات بن الحاج	٢٤ الكامل	أفكارُ	الله أكبر
١٦٧	ابن الخطيب	١٥ الخفيف	غَدَارُ	هدم السد
١٦٨ - ١٧٧	ابو اسحاق بن الحاج	٣٧ الطويل	الفَجْرُ	هنيئاً
٤٣	ابن الخطيب	٦ الطويل	الدَهْرُ	ايا سبع
٢١٢	—————	١ البسيط	الظَّفَرُ	وان تعددت
٢٠٥	"	١ الوافر	الديار	وأبرح
٢٢٥	ابن الخطيب	٢ المنسرح	نظري	انكرت
٢٢٦	ابن الخطيب	٨ مج. الكامل	الوطْرُ	مولاي

(الزاي)

٢٢٤	ابن الخطيب	٢ مج. الرمل	أعجزة	قال جوادى
-----	------------	-------------	-------	-----------

(السين)

٢١٤	—————	٢ الطويل	فأفلساً	تكرش
٢٢٠	ابن الخطيب	٦ الكامل	نفسٍ	اخجلتني
٢١٩	ابن الخطيب	٢ الكامل	تيسٍ	غضب

(الشين)

٤٤	ابن الخطيب	٢ مج الرمل	كماشة	قيل ماتت
----	------------	------------	-------	----------

(الضاد)

١٣٢ - ١٣١	ابو اسحاق بن الحاج	٣٤ الطويل	الأرضي	حظيت
-----------	--------------------	-----------	--------	------

(الطاء)

٩٠	ابن الخطيب	٨ البسيط	الشُرط	ماذا لقينا
----	------------	----------	--------	------------

(العين)

٤٦	ابن دريد	١ الرجز	ومسى	وإنما المرء
٢٢٩	—————	١ الكامل	سريع	لا تجمعي
٣١٧-٣١٦	ابو بكر بن قطيبة	٤١ الكامل	الأذمغ	دهها
٢٢٨	ابن الخطيب	٢ السريع	اسماعي	ثم في الهوى
٨٨	ابو البركات	٢ السريع	الوداع	يا من إذا
٢٢٨-٢٢٦	ابن الخطيب	٤٩ الرمل	وارتدع	خدع

(الفاء)

٢٢٦	ابن الخطيب	٥ المجتث	الخليفة	خليفة
٢١٤	—————	٢ الطويل	ملتف	تعقف
٢٨٣-٢٨٢	ابن الخيب	١٠ البسيط	خلف	سبع

(القاف)

٦٤-٦٢	ابن الخطيب	٦٠ الطويل	أفاق	لمن علم
١٢٥	ابن صفوان	٢٥ الكامل	تشرق	أنوار
٢٢٩	ابن عبد القدوس	١ الكامل	يفرق	وإذا امرق
٣٢٧-٣٢٥	ابن يشيت	٥٨ الكامل	منطق	القلب
٢٨٤	ابن الخطيب	١٤ الخفيف	من راقى	يا نسيم

(الكاف)

١٣٤-١٣٢	ابو عبد الله الشريشي	٤٩ الطويل	ملك	ابى الله
٤٥	ابن الخطيب	١٥ البسيط	السالك	عرصات
٣٥	ابن الخطيب	٥ السريع	أيسك	لا ترج
٢١٧	•	٢ السريع	شمسك	يا قاضي
٤٤	•	٢ الخفيف	مفتك	قلت

(اللام)

٢٢٣	ابن الخطيب	٦ الطويل	كلا	جعلت
٣٢٥-٣٢٣	ابن زرقالة	٦٣ الكامل	عليلاً	نفس
٢١٣	_____	٢ السريع	اسفله	ارفعه
٢٢٦	ابن الخطيب	٣ المنسرح	انفصلاً	انظر
٤٣	ابن الخطيب	٥ الطويل	المناسل	ايا سبع
١٥١	" "	١ الكامل	لايسأل	الحق
٣٢٢-٣٢٠	ابن سودة	٧٩ الكامل	التعليل	شط
٢٠٩	ابن الخطيب	٤ الطويل	والسهل	طلت
٢١١	امرؤ القيس	١ الطويل	إذلال	وسرنا
٢١٤	_____	٢ الطويل	بالي	بنفسي
٢١٢	_____	١ الطويل	قبلي	خليبي
٢٣٠	_____	١ البسيط	حال	ما بين غمضة
٢٢٢	ابن الخطيب	٢٤ البسط	الآل	مولاي
٢٢٠	" "	٨ البسيط	حالي	ودعت
٢٢٨	_____	١ الوافر	العليل	فكان
٢٢٤	ابن الخطيب	٢ طويل	بكلل	شريف

(الميم)

٣٠٨ - ٣٠٥	ابن زمرك	٨٧ الطويل	تعلمنا	تامل
٣٠٥ - ٣٠١	ابو اسحاق بن الحاج	١٢٨ الطويل	غراما	رعى
٢١٤	_____	٣ الطويل	زكاما	ايحسدني
٢٢٥	ابن الخطيب	٢ الطويل	وتكلما	مررت
٢٣٥	ابن الخطيب	٦ مج. الكامل	السلامة	ما تم
٢٢٩-٢٢٤	ابن الخطيب	٢ مج. الخفيف	عائنة	قسما
٣١٦-٣١٥	ابن عبد الملك	٣٧ الكامل	سقام	نار
٤٦	ابن الخطيب	٣ الطويل	رسم	ومدحي
٢٨٣	ابن الخطيب	١٠ الطويل	اعلامي	أمولاي
٢١٥	_____	٣ الكامل	المختوم	حكما
٩٢	ابن الخطيب	٤ الجديد	الحرام	نزلنا

(النون)

٩٥	ابن الخطيب	١ الطويل	رقلونا	وقالوا
٣٧	ابن الخطيب	٨ الوافر	ومعنى	بك الخطط
٢٨١	ابن الخطيب	١٠ الخفيف	يمينا	حلفاً
٢٢٥	" "	٢ السريع	مضمونة	يادرة
٢٢٣	" "	٢ المتقارب	ما أظنه	سالت
٨٧	ابونواس	٢ الطويل	والحدثان	علقتُ
١٥١	ابن الخطيب	١٢ الطويل	الشاني	هنيئاً
٩٥	ابن الخطيب	٢ الطويل	بلا ميين	ثرى
٢٢١	" "	١٤ البسيط	زيـن	شاهدُ
٢٩٧ - ٢٩٩	ابن خلدون	٦١ البسيط	ويظمنيـي	حيّ
٢٨٢	ابن الخطيب	١٠ مج. البسيط	الزمان	مولاي
٢٢٠	" "	٢ الكامل	عريـن	أسمي
٨٦	ابن الخطيب	٢ الكامل	سلطان	أبقاك
٣١٨ - ٣١٩	ابو القاسم بن حميد	٣٥ الكامل	أجفاني	جاد
٢٢٩	_____	١ الكامل	الزمان	ولو نعطي

(الهاء)

٢١٢	قيس بن الخطيم	١ الطويل	أضاءها	طعنت
٣١٣ - ٣١٥	ابن حسان	٤٠ الطويل	نزوعها	دعوها
٣١٢ - ٣١٣	ابو القاسم بن قطيبة	٤٤ الكامل	سواها	نفس
٩٠	ابن الخطيب	٢ السريع	وهي	ثرى
٩٦	ابن الخطيب	٢ المنسرح	أهلها	أسوار
٢١٣	ابو فراس الحمداني	١ الطويل	اجتهاده	اذالم
٣٠٨ - ٣١٠	ابو بكر القرشي	٥١ البسيط	تحدده	يحيي
٩٦	ابن الخطيب	٥ الطويل	بدينه	ايا عمر
٢٢١	" "	٤ البسيط	بانيه	يا حسنه
٦٥	ابن الخطيب	٦٩ الكامل	أشباه	حنت
٧١	ابن الخطيب	الكامل	بذره	ياوارث

٢١٤	————	٢ السريع	نفسه	عدمته
٢٢٥	ابن الخطيب	١ مج. الكامل	يَدِيهِ	والشكر
٢٢٤	ابو بركات	" " ١	لَدِيهِ	وهديته
٢٢٤	ابن الخطيب	" " ١	إِلَيْهِ	وقد كان
٢٢٤	ابو بركات	" " ١	عَلَيْهِ	لله من
٧١	ابن الخطيب	٢ الكامل	التنويه	قالوا

(الواو)

٤٥	ابن الخطيب	٨ مج. البسيط	مساوي	من طلب
----	------------	--------------	-------	--------

(الياء)

٢١٤	————	٢ الطويل	داهية	أقول
-----	------	----------	-------	------

الزجل

٢٤٥ - ٢٢٤	أفرح ووطييو / قد مضى عدو الله / وانجبر حبيبو
٢٤٢ - ٢٤١	البعد عنك يا بن أكبر مصايبي / وحين حصل قربك سيب أقاربي
٢٣٩ - ٢٣٨	من عول على صقل / ولم يلتفت عقل / واتحذق اذ ينتلف / فصل يتحقق
٢٤١ - ٢٤٠	انا لس نضمن ابدا لمكنا / ولا يلطم ظهري بمحكما
٢٤٠ - ٢٣٩	بي طلوع ربي نزول / اختلطت القزول
٢٤٣ - ٢٤٢	در بحال الرحي / حتى لس يبق عندك / يا بن في الرحي حي

فهرس الرسائل والقطمع النثرية

رقم الصفحة

٢٣١، ٢٣٠	رسالة الى ابن الخطيب	(١) ابن خاتمة
٤٨، ٤٧	اجازة لولدي ابن رضوان	(٢) ابن الخطيب
١٨، ١٧٩	خطبة على لسان الفني بالله	(٣)
٢٣٠-٢٢٨	رسالة الى ابن خاتمة	(٣)
٢٦٩-٢٠٨	رسالة الى ابن خلدون	(٤)
٢١٦، ٢١٠	رسالة الى ابن خلدون	(٥)
٢٣٧-٢٣٢	رسالة الى ابن مـرزوق	(٦)
٢١٧، ٢١٦	رسالة الى أبي اسحاق بن الحاج	(٧)
٢١٩-٢١٧	رسالة الى أبي اسحاق بن الحاج	(٩)
٣٧، ٣٦	رسالة الى ابي ثابت عامر	(١٠)
٤٣، ٤٢	رسالة الى ابي ثابت عامر	(١١)
٤١-٣٩	رسالة الى ابي زيان المريني	(١٢)
٨٧، ٨٦	(١٣)
٢٠٧، ٢٠٦	(١٤)
٣٩، ٣٧	رسالة الى ابي سعيد بن رشيد	(١٥)
٢٣١	رسالة الى ابي القاسم الفخار	(١٦)
٢٠٨، ٢٠٧	أحد الجلاء	(١٧)
٢٠٨	رسالة الى أحد الفضلاء	(١٨)
٣٦، ٣٥	رسالة الى عمر بن عبد الله	(١٩)
٤٢، ٤١	(٢٠)
٩٧، ٩٦	(٢١)
٢٠٢، ٢٠١	رسالة الى شمس الدين بن ابي ركب	(٢٢)

فهرس الآيات القوانيه

صفحة	الآية	رقم الآية	السورة ورقمها
١٥٠	وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور	١٨٥	آل عمران ٣
٤١	فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا	٢٣	الأحزاب ٣٣
٦٤	خذ العفو وامر بالمعروف	١٩٩	الأعراف ٧
١٧٥	ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق	٨٩	الأعراف ٨
١٧٦	ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ماكانوا يعملون	١٣٩	الأعراف ٧
٣٨	والآخرة خير وأبقى	١٧	الأعلى ٨٧
٨٦	بنور يمشي به في الناس	١٢٢	الأنعام ٥
١٩٩، ١٦٦	ويريد الله ان يحق ويقطع دابر الكافرين.	٧	الأنفال ٨
٢١٥	وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى	١٧	الأنفال ٨
١٧٦	ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفي على الله شيء في الأرض ولا في السماء	٣٨	ابراهيم ١٤
١٢٠	فهمت الذي كفر	٢٥٨	البقرة ٢
١٦٦	ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض	٢٠١	البقرة ٢
١٧٨	يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر	١٨٥	البقرة ٢
٢١٨	لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمنون	٦	التحریم ٦٦
٢٨٠	وان تفرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم	١٧	التغابن ٦٤
١٧٣	وظهر امر الله وهم كارهون	٤٨	التوبة ٩
٢٠٨	ولا يقطعون واديا	١٢١	التوبة ٩
١٧٣	انها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور	٢٣٧	الحج ٢٢

٢٢٨	كيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم	٢٣	الحديد ٥٧
٢٣٢	فهو على كل شيء قدير	٢	الحديد ٥٧
٢٢٦	فهو الواحد القهار	١٦	الرعد ١٣
٢٣٦	قل هو نبي عظيم انتم عنه معرضون	٦٧	(ص) ٣٨
٢٨٣-٢١٨	والضحى والليل اذا سجي	٢	الضحى ٩٣
٢١٣	سيجعل الله بعد العسر يسرا	٧	الطلاق ٦٥
١٩٧	كذلك نقص عليك ما سبق وقد اتيناك من لدنك ذكرا	٩٩	طه ٢٠
١٩٥	وجوه مسفرة ضاحكة مستبشرة	٣٨	عبس ٨٠
٣٤	الدار الآخرة خير لو كانوا يعلمون	٦٤	العنكبوت ٢٩
٢٠٧١	في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة	١٣-٩	الفاشية ٨٨
٢٠٤	ودار الآخرة دار القرار.	٣٩	غافر ٤٠
١١٩	ولا ينبئك مثل خبيسر.	١٤	فاطر ٣٥
٢١٨.٢٠٨	ومن شر ما غاسق اذا وقب.	٢	الفلق ١١٣
٢٣٠	وبرك يخلق ما يشاء ويختار.	٢٨	القصص ٢٨
٢١٥	اقتربت الساعة وانشق القمر.	١	القمر ٥٤
٣٣	انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلنا من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيمًا تذوره الرياح	٤٥	الكهف ٢٩
٢٠٧	وما تدري نفس ما تكسب غدا	٣٤	لقمان ٣١
٢٣	اولى ثم اولى له اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون.	١٩	المجادلة ٥٨
٣٤	اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها.	٢٢	المجادلة ٥٨
١٥٢	ولو انا كتبنا عليكم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه.	٦٦	النحل ١٦
١٧٩	واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيمًا	١٠٦	النساء ٤
٢٢١	وان تجمعوا بن الأختين الا ما قد سلف.	٢٢	النساء ٤
٢٢٥	حتى اذا اتوا على واد النمل....	١٧-١٨	النمل ٢٧
٢٧٥	ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار.	٤٤	النور ٢٤

٢٠٧	في بيوت اذن اله ان ترفع.	٣٦	النور ٢٤
٢٩٢.٢٠٩	مثل نوره كمشكاة فيها مصباح	٣٥	النور ٢٤
٢٢٤	ويسل لكل همزة	١	الهمزة ١٠٤
٢٧٦	الظل الممدود ...	٣٠	الواقعة ٥٦
	ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب	٦	يوسف ١٢
	كما اتها على ابويك من قبل		
١٧٩	ابراهيم واسحاق. ان ربك حكيم.		
٢٢٩	وانما اشكوبثي.	٨٦	يوسف ١٢
١٦٤	يا نوح ليس من اهلك	٤٦	هود ١١

فهرس الأحاديث النبوية

١٦٣	الأرواح جنود مجندة
٣٤	أكثرها من ذكر هادم اللذات.....
٣٦	أما الأعمال بالنيات
٢٠٤،١٦٤	أما الأعمال بالخواتيم
١٥٥	أتهادوا تحابوا
١٩٣	قال ما الحج ؟ قال : العج والشج
٢٠٢	المسلة الذي سقط على الحميم
١٦٨	هدنة على دخن
١٠٨	وأذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره...
٣٤	ولتتظر نفس ما قدمت لغد.....

فهرس الأمثال

- (١) أجود من كعب بن مامسة
 (٢) الأخذ سريط والقضاء سريط.
 (٣) اشأم من طويــــــــــــــــس
 (٤) اشعب الطمــــــــــــــــع
 (٥) الألمــــــــــــــــي
 (٦) انفك منك وان كان اجسدع
 (٧) اذا ما لم تكن ابل فمعــــــــــــــــزى
 (٨) ارعــــــــــــــــاد وابــــــــــــــــراق
 (٩) اليك يساق الحديــــــــــــــــث
 (١٠) انك لا تشكو الي غير مصمت
 (١١) برح الخفــــــــــــــــاء
 (١٢) اتخذ الليل جمــــــــــــــــلا
 (١٣) تضرب في حديد بارد
 (١٤) جلدة بين العين والأنف
 (١٥) الحديــــــــــــــــث ذوشجون
 (١٦) حفر قضهم وقضيــــــــــــــــفهم
 (١٧) رجوع ادراجــــــــــــــــه
 (١٨) صرح المخض عن الزبــــــــــــــــدة
 (١٩) صهب السبــــــــــــــــال
 (٢٠) ضيق العــــــــــــــــطن
 (٢١) شالت نجامتــــــــــــــــهم
 (٢٢) العصا من العــــــــــــــــصية
 (٢٤) عند الصباح يحمد القوم السرى
 (٢٥) عن المرء لا تسل واسال عن قرينه
 (٢٦) فتكة البــــــــــــــــراض
 (٢٧) قد اسمعت لونا ديت حيا.
 (٢٨) لا تجود يد بما لا تجسد
- (٢٣٥).
 (١٧٠).
 (٧٢).
 (١٢١).
 (٩٣).
 (٧٤).
 (٢٠٢، ٧٢).
 (٦٤).
 (٢١١).
 (٢١٣).
 (٣٢٥).
 (١٢١، ٨٦).
 (٢١٣).
 (١٦٨).
 (١٢١).
 (١٩٩، ١١٧).
 (٧٤).
 (١٢١).
 (١٩٥).
 (٣٩).
 (١٩٩، ١٦٥).
 (١٦٢).
 (٨٩، ٣٨).
 (٢٠٧).
 (٢١٢).
 (٢١٣).
 (٢٠٢).

- (٢٩) ليس هذا بعشك فادرجسي
- (٣٠) ما أشبه الليلة بالبارحة
- (٣١) ما عدا عما عدا
- (٣٢) مالي بالسائح بعد البحار
- (٣٣) من أيقن بالخلف جاد بالعطية
- (٣٤) من نهشته الحية حذر الرسن.
- (٣٥) نافع ضرمة.
- (٣٦) النذير العريان
- (٣٧) هدنة على دخن.
- (٣٨) الهياط والمياط
- (٣٩) وتد في قاع.
- (٤٠) وجدت خرقاؤه صوفا.
- (٤١) وافد البراجمة.
- (٤٢) ولو ترك القطا ليلا لناما.
- (٤٣) وما قلت الا بالذي علمت سعد.
- (٤٤) وعين الرضى عن كل عيب كلية.
- (٤٥) ونجا براس طمرة ولجام.
- (٤٦) وبياتيك بالأخبار من لم تزود.
- (٤٧) يحصد الانسان ما زرع.
- (٤٨) ياكل من هرى ويشرب من بير.
- (٤٩) يكثر الطير حيث ينتثر الحب.
- (١٣٠) *
- (٣٣) *
- (١٩٥) *
- (٢١٦) *
- (١٥٤) *
- (٢٢٩) *
- (١٠٩) *
- (١٠٨) *
- (١٦٨) *
- (٢٣٦) *
- (١٧٥) *
- (١٦١) *
- (١٢٢، ١٠٧) *
- (٢٢٩) *
- (٤٤) *
- (٢٢٩) *
- (١٢٢) *
- (٩٣) *
- (٢٢٨) *
- (٨٩) *
- (١٩٦) *

فهرس مؤلفات ابن الخطيب المذكورة في المتن

رقم الصفحة

	١ . الإحاطة
٤٧	٢ . ارجوزة في أصول الفقه
٤٨	٣ . ارجوزة في الأغذية
٣٣	٤ . ارجوزة في التاريخ الاسلامي
٤٨	٥ . ارجوزة في السياسة
٤٨	٦ . ارجوزة في العلاج
٤٨	٧ . الصيب والجهام
٤٨	٨ . طرفة العصر
٤٨	٩ . عائد الصلاة
٤٨	١٠ . عمل من طب لمن حب
٤٨	١١ . الكتاب اليوسفي
٤٨	١٢ . نفاضة الجراب
٣٤-٣٣	* اللحة البدرية
٩٧	الاشارة ادب الوزارة

فهرس المصادر والمراجع



المصادر العربية

- ابن أبي الخياط، أحمد: (١٢٩١ هـ / ١٨٨٤م)
«اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»، تحقيق لجنة من كتابة الدولة والشؤون الثقافية والأخبار، تونس ١٩٦٣-٦٤، ج ٦.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزى (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م):
- «الكامل في التاريخ» بيروت ١٩٦٥، ١٣ ج.
- «اللباب في تهذيب الأنساب»، بيروت ١٩٨٠، ٣ ج.
- ابن الأحمر، اسماعيل بن يوسف بن محمد الأنصاري الخزرجي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م).
«ذكر بعض مشاهير أعيان فاس القديم» نشر عبد الوهاب بن منصور الرباط، ١٩٧٦
- «روضة النسرين في دولة بني مرين»، نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٦٢.
- «مستودع العلامة ومستبدع العلامة»، تحقيق محمد التركي ومحمد الطنجي، تطوان ١٩٦٤.
- «نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان»، تحقيق رضوان الداية، بيروت ١٩٦٧.
- «نثير الجمان في شعر من نظمنا واياهم الزمان»، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت ١٩٧٦.

- ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ/٧٦٨م) :
«سيرة ابن اسحاق السمة كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي»، تحقيق محمد حميد
الله، الرباط ١٩٧٦.
- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (كان حيا سنة ٧٧٠هـ/
١٣٦٨-١٣٦٩م):
«تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، تحقيق علي المنتصر الكتاني،
بيروت ١٩٧٩ ج٢.
- ابن جابر، الوادي اشفي شمس الدين (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) :
«برنامج ابن جابر الوادي اشفي»، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس ١٩٨١
- ابن هزم، علي بن أحمد بن سعيد الفارسي ثم القرطبي (ت ٤٥٦/٦٤م).
«جمهرة انساب العرب»، نشر ليفي بروفنسال، مصر ١٩٤٨.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد البغدادي (كان حيا سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م) :
«صورة الأرض»، بيروت (د. تا).
- ابن هيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين القرطبي (ت ٤٦٩هـ/٧٦م) :
«المقتبس في أخبار بلد الأندلس»، ج ٢، تحقيق محمود مكي، القاهرة ١٩٧١
ج٣، نشر ميلتشو انطونيا، باريس ١٩٣٧
ج٥، تحقيق شالميتا، كورينطي ومحمد صبيح، مدريد ١٩٧٩.
- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م):
- «الإحاطة في أخبار غرناطة»، نشر محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٧٣، ١٩٧٤،
ج٤.
- مختصر الإحاطة» مخطوطة الأسكوريال، سفران رقم ١٦٧٣، ١٦٧٤.
- مخطوطة الأكاديمية التاريخية بمدريد تحت رقم ١٤٢.
- «الإشارة الى أدب الوزارة تليها مقامة السياسة»، تحقيق محمد كمال شبانة،
الرباط ١٩٨٠.
- «أوصاف الناس في التواريخ والصلوات تليها الزواج والعضات، تحقيق محمد

كمال شبانة، نشر اللجنة المشتركة لنشر التراث بين المغرب والإمارات العربية (د.تا).

- «كتاب اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الإحتلام»، ج٢، نشر ليفي بروفنصال، لبنان ١٩٥٦.

ج٣، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، الدار البيضاء ١٩٦٤.

- «جيش التوشيح»، تحقيق هلال ناجي ومحمد ماخور، تونس ١٩٦٨

- «ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام» تحقيق الشريف قاهر، الجزائر ١٩٧٣.

- روضة التعريف بالحب الشريف»، تحقيق محمد الكتاني، بيروت ١٩٧٠، ج٢.

- «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب»، نشر محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٨٠، ج٢

«ريحانة الكتاب»، مخطوطة الأسكوريال، رقم ١٨٢٥.

- «الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة»، تحقيق احسان عباس، لبنان ١٩٦٣.

- «كناسة الدكان بعد انتقال السكان»، تحقيق محمد كمال شبانة، القاهرة (د.تا)

- «اللمحة البدرية في الدولة النصرية»، تحقيق محب الدين الخطيب، ط٢، بيروت ١٩٧٨.

- «معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار»، تحقيق محمد كمال شبانة المغرب ١٩٧٧.

- «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب»، ج٢، تحقيق احمد مختار العبادي، القاهرة (د.تا).

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦) :

«كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من نوي السلطان الاكبر، ط٢، نشر عبد الكريم وحسن الزين، بيروت ١٩٦٧، ج٧.

- «مقدمة ابن خلدون»، تحقيق عبد الواحد وافي، نشر عبد الكريم وحسن الزين، بيروت ١٩٦٧، ج٧.

- «مقدمة ابن خلدون»، تحقيق عبد الواحد وافي، نشر البيان العربي ١٩٦٥.

ابن خلدون، أبو زكريا، يحيى (ت ٧٨٠هـ/١٣٧٨م)

«بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد»، تحقيق وترجمة الى الفرنسية
الفريد بيل، الجزائر ١٩٠٣، ج. ٢، ج. ١، ط ٢ تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر
١٩٨٠.

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن ابراهيم البرمي الأربلي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢) :
«وفيات الأعيان»، نشر محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٨، ج. ٦.
ابن دراج السبتي :

«كتاب الامتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع» نشر محمد بن شقرون، تحت
عنوان : اتجاهات أدبية وحضارية في عصر بني مرين، القنيطرة (د. تا).
ابن رزين،

«فضالة الخوان في طيات الطعام والألوان، نشر محمد بن شقرون، تحت عنوان :
فن الطبخ في الأندلس والمغرب في بداية عصر بني مرين، الرباط ١٩٨١.
ابن رشيقي ، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م) :
«قراضة الذهب في نقد اشعار العرب»، تحقيق . الشاذلي، تونس ١٩٧٢.
«الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، الدار البيضاء
١٩٨٤.

ابن الزيات، يوسف بن يحيى بن عيسى التادلي (ت ٦٢٧هـ/١٢٢٩م).
«التشوف الى رجال التصوف»، نشر ادولف فورفي، الرباط ١٩٥٨
ابن سيده، أبو الحسن علي بن اسماعيل المرسي الأندلسي (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)
«المخصص»، بيروت (د. تا)، ج. ٥.
ابن سيد الناس، أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد الطرابلسي (ت
١١١٣هـ/١٧٠١م):

«عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ط ٢ بيروت ١٩٧٤، ج. ٢.
ابن صاحب الصلاة، أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أحمد الباجي الأندلسي
(٥٩٤هـ/١١٩٨م)

«تاريخ المن بالأمامة على المستضعفين»، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت ١٩٦٥.
ابن عبد البر، أبو عمر يوسف النمرى القرطبي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) :

«القصء والأأم فف التفرفف بأصول أنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم»، القاهرة ١٩٣١.

ابن عبد الملك، محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٣م):

(الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة» تحقيق احسان عباس، بيروت ١٩٦٥
ابن عذارى، احمد بن محمد المراكشي (كان حيا سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م) :
«البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب» ج ١، تحقيق كولان وليفي بروفنسال،
ليدن ١٩٨٤.

ج ٢، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، ليذن ١٩٥١.

ج ٣، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس ١٩٣٠.

ج ٣، تحقيق ويشي ميراندا وابن تاويت ومحمد الكتاني، تطوان ١٩٦٣.

ابن عربي، محيي الدين

«الفتوحات المكية»، تحقيق عثمان يحيى ومراجعة ابراهيم مذكور، مصر ١٩٧٧ ج ٥.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م) :

«شذرات الذهب في اخبار من ذهب» القاهرة ١٩٥٠ - ١٩٥١، ج ٨.

ابن غازي، محمد بن احمد بن محمد (ت ٩١٩هـ/١٥١٣م).

«الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون» نشر عبد الوهاب بن منصور الرباط
١٩٦٤.

ابن فرحون، ابراهيم بن علي بن محمد اليعمري (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٧م) :

«الديبج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب»، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور،
القاهرة ١٩٧٤، ج ٢.

ابن القاضي، أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٢٩هـ/١٦١٦م) :

- «درة الحجال في غرة أسماء الرجال» تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، القاهرة
١٩٧٠.

- «جنوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس» ، ط ٢، نشر عبد الوهاب
ابن منصور، الرباط ١٩٧٣، ج ٢.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله مسلم (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩) :

- «عيون الأخبار»، القاهرة ١٩٢٥، ٣ مجلدات في مجلد.

- «المعارف»، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، القاهرة ١٩٦٩.

ابن قنفذ، أحمد بن حسن بن علي (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) :

«الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية»، تحقيق الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، تونس ١٩٦٨.

ابن مرزوق، محمد الخطيب التلمساني (ت ٧٨٢هـ/١٣٧٩م) :

«المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن»، تحقيق ماريا خيسوس بيغرا، الجزائر ١٩٨١.

ابن منجب، أمين الدين تاج الرياسة بن علي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٨م) :

«الإشارة الى من نال الوزارة»، القاهرة ١٩٢٤.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن جلال الأنصاري (ت ٧٧١هـ/١٣٧٩م) :

«لسان العرب» ط١، بولاق، ١٨٨٢. ج٢.

(الإحاطة) : انظر، ابن الخطيب.

الادريسي بن عبد الله الحسن بن السبتي (٥٦٤هـ/١١٦٠م)

Al-Idrissi, Opus Geographicum, ed A...Bombaci, U. Rizzitano R.

Rubinacci, I. Vaglieri, Naples-Roma, 1970-1984, 9 fasc.

(ازهار الرياض) : انظر، المقرئ.

(الاستقصا) : انظر، الناصري.

(أعمال الأعلام) : انظر، ابن الخطيب.

الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م) :

«شرح القوائد السبع الطوال»، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢. مصر (د. تا).

الأنصاري السبتي، محمد بن القاسم بن محمد (كان حيا سنة ٨٢٥/١٤٤٤م) :

«اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار»، نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٨٣؛ ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب، شرف الطالب في أسنى المطالب لأحمد بن قنفذ، وفيات الونشريسي لأحمد الونشريسي، لقط

- الفرائد من لفاظة حقق الفوائد لأحمد بن القاضي، تحقيق محمد حجي، الرباط ١٩٧٦.
- الانور الزاهية في ديوان أبي العتاهية، جمع أحد الأباء اليسوعيين، بيروت ١٨٨٦.
- البغدادي، صفي الدين عبد المومن (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) :
- «مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع»، تحقيق محمد البلجاري، القاهرة ١٩٥٤.
- البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).
- «جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك»
تحقيق عبد الرحمان الحجي، بيروت ١٩٦٨.
- «معجم ما استعجم»، نشر فرديناند وستنفلد، باريس ١٩٧٦.
- البيذقي، أبو بكر بن علي الصنهاجي :
- «أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين»، ط ٢، نشر عبد الوهاب بن منصور الرباط ١٩٧١.
- «المقتبس من كتاب انساب في معرفة الأصحاب» نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٧١.
- (البيان المغرب) : انظر، ابن عذاري.
- (تحفة النظر) : انظر، ابن بطوطة.
- (التشوف) : انظر، ابن الزيات.
- (التعريف) : انظر، ابن خلدون.
- التمبكتي، أبو العباس أحمد بابا (ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م) :
- «نيل الإبتهاج بتطريز الديباج»، القاهرة ١٩١١.
- (الجنوة) : انظر، ابن القاضي.
- الجزنائي، أبو الحسن علي (كان حيا سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٥) :
- «جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس»، نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٦٧.
- (جغرافية الأندلس وأوروبا) : انظر، البكري.
- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/٩٤٣م) :

«كتاب الوزراء والكتاب» نشر مصطفى السقا وابراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شبابي، القاهرة ١٩٣٨.

(جني زهرة الاس) : انظر، الجزناني.

«الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية» نسب خطأ الى ابن الخطيب، وقد نسبه البعض الى ابن سماك العامري (ق ٨/١٤م)، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء ١٩٧٩.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٧٥هـ/١٦٥٦) :

«كشف الظنون عن اسامي الكتاب والفنون، واستانبول ١٩٤١.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م).

«الروض المعطار في خبر الأقطار» تحقيق احسان عباس، بيروت ١٩٧٥. وقد نشر بروفنسال الجزء الخاص بالاندلس بالقاهرة ١٩٣٧.

الحوات، أبو عبد الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله (ت ١٢٣١هـ/١٨١٥) :

«الروضة المقصودة والحلل المعدودة في مآثر بني سوادة»، مخطوطة الخزنة الحسينية بالرباط، رقم ١٠٩٢٣.

(الخطط) : انظر، المقزيري.

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م) :

«مفاتيح العلوم» تحقيق فان فولتين، ألمانيا ١٩٦٨.

الدبارة، بكرى حسين بن محمد بن الحسن

«تاريخ الخميس في أحوال انفس نفيس»، بيروت (د. د. تا).

(الدرر الكامنة) : انظر، العسقلاني.

(الديباج) : انظر، ابن فرحون.

«ديوان ابن قزمان» تحقيق كورينطي، مدريد ١٩٨٠.

«ديوان أبي اسحاق الألبيري»، تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت ١٩٧٦

ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عزام، مصر (د. د. تا)

ديوان أبي الحسن الششتري، تحقيق علي سامي النشار، الإسكندرية ١٩٦٠.

«ديوان أبي نواس، برواية الصولي»، تحقيق بهجت عبد الغفور، بغداد ١٩٨٠.

الدكالي، محمد بن علي السلوي. (ت ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥).

«اتحاف اشرف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا» مخطوطة الخزانة الحسنية، رقم ٢٢٧

«الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين»، تح. مصصفي ابو شعراء المغرب ١٩٨٦.
«الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية»، مؤلف مجهول، (كان حيا سنة ٧٣١ هـ / ١٣٣١). نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٧٢.

(روضة التعريف) : انظر، ابن الخطيب.

(الروض المعطار) : انظر، الحميري .

(روضة النسرين) : انظر، ابن الأحمر.

«رياحنة من أدواح ونسمة من أرواح» ، مخطوطة الخزانة العامة، رثم ٢٦٩.

الزبيدي المرتضى، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م) :

«تاج العروس من جواهر القاموس»، بولاق ١٣٠٦ / ١٨٨٨، ج ١٠.

الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد (ت ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م) :

«أمثال العوام في الأندلس»، تحقيق محمد بنشريف، فاس ١٩٧٥.

(زهر الأكم) : انظر، اليوسي.

الزياني، أبو القاسم (ت ١٢٤٩ هـ / ١٨٠٩ م) :

«الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا»، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، المحمدية ١٩٦٧.

السراج، محمد بن محمد الأندلسي ثم التونسي (ت ١٤٤٩ هـ / ١٧٣٦) :

«الطلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس ١٩٧٠. ج ٤.

(صبح الأعشى) : انظر، القلقشندي.

الطواح، عبد الواحد بن محمد التونسي (كان حيا سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٨ م) :

«سبك المقال لفك العقال» مخطوطة الخزانة الحسنية، رقم ١٠٥.

(العبر) : انظر، ابن خلدون.

العذري، أحمد بن عمر بن أنس الدلائي (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) :

«نصوص عن الأندلس من كتاب توصيع الأخبار وتنويع الآثار، والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك»، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد ١٩٦٥.

العسقلاني، احمد بن علي بن محمد بن حجر (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩ م)
«الاصابة في تمييز الصحابة»، مصر ١٩٢٣، ج٦.

«تهذيب التهذيب» حيدر آباد ١٩٠٧، ج١٣.

«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة»، حيدر آباد ١٩٢٩، ج٤.

«لسان الميزان»، حيدر آباد ١٩٧١، ج٧.

العمرى، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي الدمشقي (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨ م) :
«مسالك الأصباف في ممالك الأمصار»، ج ١، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة
١٩٢٤.

الفتتالي، أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الصنهاجي (ت
١٠٣١هـ / ١٦٢١ م)

«مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء» تحقيق عبد الكريم كريم، الرباط ١٩٧٣.
(فصل المقال: انظر، البكري).

القزويني، زكريا بن محمد بن محمد (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣ م) :

«مغائب الخلوقات وغرائب الموجودات» تحقيق فاروق سعد، ط ٣، بيروت ١٩٨٧

القرافي، بدر الدين (٩٤٦هـ / ١٥٣٣ م).

توشيح الديباج وولية الأبتهاج» تحقيق أحمد الشتيبي، تونس ١٩٨٣.

القفطي، علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨ م) :

«المحمدون من الشعراء وأشعارهم»، تحقيق حسن معمرى، الرياض ١٩٧٠.

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاني القاهري (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م) :

«صبح الأعشى في كتابة الأنشا»، القاهرة ١٩١٣-١٩١٩، ج١٤.

«كتاب الطبخ في المغرب والأندلس» مؤلف مجهول، تحقيق ويثي ميراندا، مدريد
١٩٦٥.

الكتاني، عبد الحي.

«فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات، نشر احسان

عباس، بيروت ١٩٨١، ج٢.

(اللمحة) : انظر، ابن الخطيب.

(لع) : انظر، ابن منظور.

ليو الإفريقي، الحسن بن محمد الوزان (ت ٩٥٩هـ/١٥٥٢م) :
«وصف إفريقيا»، ج ١، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط ١٩٨٠.
(مجمع الأمثال) : انظر، الميداني.
(المرقبة العيا) انظر، النباهي.

المراكشي، عبد الواحد بن علي التميم (ت ٦٢٥هـ/١٢٢٨م) :
«المعجب في تلخيص أخبار المغرب»، تحقيق سعيد العريان ومحمد العربي العلمي.
القاهرة ١٩٦٣.

(المسند) : انظر، ابن مرزوق.

(معجم البلدان) : انظر، ياقوت.

(معيار الاختيار) : انظر، ابن الخطيب.

الميرد، أبو العباس محمد (ت ٢٨٢هـ/٨٩٩م) :

«التعازي والمراثي» تحقيق محمد الديباجي، دمشق ١٩٧٦.

المقري، أحمد بن محمد بن أحمد القرشي التلمساني (ت ٥١٠هـ/١٦٣١م) :

«أزهار الرياض في أخبار عياض» ج ١، ٢، ٣، تحقيق ابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ومصطفى السقا، نشر ج ١ بالقاهرة ١٩٣٩ ؛ ج ٢، ٣ بالرباط ١٩٧٨ ؛ ج ٤،
تحقيق أحمد أعراب ومحمد بن تاويت، الرباط ١٩٧٨، ج ٥، تحقيق أحمد أعراب
وعبد السلام الهراس، الرباط ١٩٧٩.

«روضة الاس العطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش
وقاس»، نشر عبد الوهاب بن منصور، الرباط ١٩٦٤.

«نفح الطيب، من غصن الأندلس الرصيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب،
تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٦٨، ج ٨.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) :

«المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار»، ط. النيل ١٩٠٨.

الميداني، أبو الفضل احمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨هـ/١١٢٤م) :

«مجمع الأمثال»، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط ٢، بيروت ١٩٧٢، ج ٢.

المقدسي، محمد بن أحمد البشاري (ت ١٠هـ/١٠م) :

«وصف اقليم المغرب. مقتبس من احسن التقاسيم»، نشر شارل بيلا، الجزائر
١٩٥٠.

(نزهة المشتاق) انظر الادريسي.

النباهي، علي بن عبد الله بن محمد الجذامي المالقي (كان حيا سنة ١٧٩٣هـ/١٣٩١م):

«المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا» ، تحقيق ليفي بروفنسال، مصر ١٩٤٨م

الناصرى السلاوي، شهاب الدين محمد خالد (ت ١٣١٩هـ / ١٩٠٩م) :

«الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى» تحقيق جعفر ومحمد الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤، ج٩.

الناصرى، محمد بن موسى المكي (ت ق ١٢هـ/١٨م) :

«الدرر المرصعة في أخبار درعة، مخطوطة الخزانة العامة، سفران، رقم ٢٣٦٨د.

(النفاضة ٢) : انظر، ابن الخطيب.

النويرى ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م).

«نهاية الأرب في فنون الأدب» القاهرة ١٩٢٩ - ١٩٣٥ ، ج٩ :

(نيل الأبتهاج) : انظر ، التمكنى.

الهلالى :

إضاءة الإدموس ورياضة الشموس من اطلاع صاحب القاموس» مخطوطة الخزانة العامة، الرياض، رقم ٢٧٩.

(وصف افريقيا) : انظر، ليو الافريقي.

(وفيات الأعيان) انظر ابن خلكان.

اليازجى، ناصيف بن عبد الله (ت ١٢٨٧هـ - ١٨٧١م) : «العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، بيروت (د. تا)، ج٢.

ياقوت الحموى، شهاب الدين (ت ٦٢٦هـ / ١٢٨٨).

«معجم الأدباء» ، نشر جليوث، ط٢. اكسفورد ١٩٢٢ ، ج٢٠..

«معجم البلدان» ، بيروت (د. تا)، ج٥.

اليوسى، أبو علي الحسن بن مسعود اليدراسنى (ت ١١٠٢هـ / ١٦٩٠م)

«زهر الأكم في الأمثال والحكم»، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، الدار البيضاء، ١٩٨١، ج٣.

«المحاضرات» تحقيق محمد حجي، الرباط ١٩٧٦.

المراجع العربية

ابن تاووت، محمد التطواني وعفيفي الصادق : الأدب المغربي، ط ٢، بيروت ١٩٦٦.

ابن تاووت، محمد التطواني :

«سبب الأسيرة»، مجلة البحث العلمي، ٢٦، (١٩٧٦)، ص ١١١ - ١٤٣.

«كتاب الإحاطة لابن الخطيب.. المناهل»، ١٢، (١٩٧٨)، ص ١١٢ - ١٦٠ : ١٣، (١٩٧٨)، ص ١٣٦ - ١٦٥ : ١٤، (١٩٧٩)، ص ٣٢٦ - ٣٧١ : ١٥، (١٩٧٩)، ص ١١٤ - ١٢٦ : ١٦، (١٩٨٠)، ص ١٠٠ : ١٥٠ : ١٨، (١٩٨٠)، ص ٣٣٥ - ٣٧٤ : ٢١، (١٩٨١)، ص ١٧٢ - ٢٠١ : ٢٣، (١٩٨٢)، ص ٦٦ - ١٢٩ : ٢٥، (١٩٨٢)، ص ٧٩ - ١٢٩ : ٢٦، (١٩٨٣)، ص ١٠٩ - ١٩٣.

ابن خلدون والفكر المعاصر (نثوة ابن خلدون)، تونس ١٩٨٠.

ابن زيدان، مولاي عبد الرحمان :

اتحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ط ١، الرباط ١٩٢٩، ج ٥.

ابن سوادة، عبد القادر :

دليل المغرب الأقصى، الدار البيضاء ١٩٦٠.

أبو ضيف، مصطفى أحمد :

القبائل العربية في الأندلس حتى سقوط الخلافة الأموية (٩١-٤٢٢هـ/ ١٠٣١-٧١م) المغرب ١٩٨٣.

أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبنو مرين، الدار البيضاء ١٩٨٢.

(الأعلام) : انظر، الزركلي.

أومليل، علي :

الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون، ط ٢، الرباط ١٩٨٤.

البجاني، اسماعيل باشا محمد أمين البغدادي :

- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،
استانبول ١٩٤٥، ج٢.

هدية العارفين وأسماء المؤلفين والمصنفين، استانبول ١٩٥٥، ج٢.
بروكلمان . ك. :

تاريخ الأدب العربي، ترجمه الى العربية عبد الحليم النجار ورمضان التواب،
القاهرة ١٩٧٧، ج٦.

ابن شريفة، محمد :

أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي، حياته واثاره، الرباط ١٩٦٦..
ابن عبد الله، عبد العزيز :

الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، تطوان ١٩٥٣.

المعجم التاريخي، الدار البيضاء (د. تا).

الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، الرباط ١٩٧٥، ج٣.

نحو تفصيح العامة في الوطن العربي، دراسة مقارنة بين العربية والعامية،
الرباط ١٩٧٢.

ابن منصور، عبد الوهاب :

قبائل المغرب، ج١، الرباط ١٩٦٨.

بوجندار، محمد :

شالة واثارها، الرباط ١٩٢٢.

التازي، عبد الهادي :

وزير غرناطة لسان الدين ابن الخطيب، الدار البيضاء ١٩٨٠.

التطواني، محمد بن أبي بكر :

ابن الخطيب من خلال كتبه، تطوان ١٩٥٤، ج٢.

جرار، صلاح : «ريحانة الكتاب لابن الخطيب تحقيق عنان»، مجلة الناشر العربي،
٢، (١٩٨٤)، ص ٩٣-١١٣

الجراري، عباس :

- القصيدة، الرباط ١٩٧٠.

- معجم مصطلحات الملحون الفنية، الرباط ١٩٧٨.
- فوشحات مغربية، دراسة ونصوص، الدار البيضاء ١٩٧٣.
- الحجي، عبد الرحمان :
- التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢) ١٩٨٨/٧١١/١٤٤٢)، القاهرة ١٩٨٣.
- حركات، ابراهيم :
- «الحياة الدينية في العهد المريني» مجلة البحث العلمي، ٢٩، ٣٠ (١٩٧٩)، ص ٢٠٩-٢٣٩.
- «معالم التاريخ الاجتماعي للمغرب على عهد بني مرين»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ٢، (١٩٧٧) ص ٢٠٧ - ٢٤٣.
- حسن، عبد الوهاب :
- ورقات عن الحضارة العربية بأفريقية التونسية، تونس ١٩٧٢، ج٣.
- الخمريسي، أحمد :
- المتصوفة وبدعة الاحتفال بمولد النبي، الدار البيضاء ١٩٨٣
- الداية، محمد رضوان :
- التقد الأدبي في الأندلس، لبنان ١٩٦٨.
- دغفوس، راضي :
- «العوامل الاقتصادية لهجرة بني هلال وبني سليم من مصر الى أفريقيا» أوراق ٤، (١٩٨١) ص ١٤٧-١٦٣.
- ذنون، طه عبد الواحد : «استقرار القبائل البربرية في الأندلس»، أوراق ٤، (١٩٨١) ص ٣٥-٤٨.
- الزركلي، خير الدين :
- الأعلام، قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٥، بيروت ١٩٨٠، ج٨.
- زمامة، عبد القادر :
- «بنو الأحمر في غرناطة»، مجلة البحث العلمي، ٢٦، (١٩٧٦)، ص ١٠١ - ١١٠.

زنيبر، محمد :

«ابن الخطيب والتجديد في المنهاج التاريخي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ٢، (١٩٧٧)، ص ١٢٦٧٩.

السائح، حسن :

منوعات ابن الخطيب، الرباط ١٩٧٨

سركيس، يوسف الياس :

معجم المطبوعات العربية والمعربة، مصر ١٩١٩.

شبانة، محمد كمال :

«الإشارة الى أدب الوزارة للوزير الغزنائي لسان الدين...»، مجلة البحث العلمي، ٢٦، (١٩٧٦)، ص ٩٣ - ١٠٠.

- «الحالة الاقتصادية بالأندلس من خلال القرن الثامن الهجري» مجلة البحث العلمي، ٨، (١٩٦٦)، ص ١٣٦ - ١٥٠.

- «السياسة الخارجية لمملكة غرناطة النصرية»، مجلة البحث العلمي، ١١، ١٢، (١٩٦٧)، ص ٥٩٣٥.

- «شيوخ الغزاة المغاربة في الأندلس كما أرخ لهم ابن الخطيب في الأحاطة»، مجلة البحث العلمي، ١٣، (١٩٦٨)، ص ١٢٤ - ١٣٨.

- «المؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب» مجلة دعوة الحق، ٨، (١٩٦٨)، ص ٩٢-٨٧.

الشكمة، مصطفى :

الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، بيروت ١٩٨٣.

العبادي، أحمد مختار :

- «بين ابن خلدون وابن الخطيب»، (مهرجان ابن خلدون)، الدار البيضاء ١٩٦٢. ص ٦٥-٥٥.

- «حياة ابن الخطيب المغربية، مجلة البيئة، ١، (١٩٦٢)، ص ٥٤ - ٦٥.

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية ١٩٨٢

«فترة مضطربة في تاريخ غرناطة كما يصفها شاهد عيان»

مجلة المعهد المصري بمدريد، ٨٧، (١٩٥٩ - ٦٠)، ص ٤٣ - ٧٣.

- مساهمات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، الإسكندرية ١٩٥٨.
- عبد الباقي، محمد فؤاد :
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، القاهرة ١٩٤٤.
- عبد الحليم، عبد اللطيف : «الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب...» أوراق، ٤، (١٩٨١) ص ١٠٩-٤٩.
- عثمان، عثمان اسماعيل :
- تاريخ شالة الإسلامية، بيروت ١٩٧٥.
- العروبي، عبد الله :
- العرب والفكر التاريخي، ط ٣ بيروت. ١٩٨٠.
- عزام، عبد الوهاب :
- دولة الإسلام في الأندلس، القاهرة ١٩٦٩.
- العلوي النقي: «أصول المغاربة...» مجلة البحث العلمي، ٢٧ ، (١٩٧٧) ، ص ١-٣، ٢٣٩-٢٨؛ (١٩٧٨)، ص ٢٠٩-٢٤٨.
- عنان، محمد عبد الله :
- الأعلام الجغرافية والتاريخية الأندلسية باللغتين الإسبانية والعربية، مدريد ١٩٧٦.
- دولة الإسلام في الأندلس من الفتح الى بداية عصر الناصر، ط ٤، القاهرة ١٩٦٩.
- لسان الدين، حياته وتراثه الفكري، القاهرة ١٩٧٨.
- غراب، محمود :
- شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية من كلام الشيخ محيي الدين العربي، بيروت ١٩٨١.
- كحالة، عمر رضا :
- جغرافية الجزيرة العربية، دمشق ١٩٤٤.
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، بيروت ١٩٧٨، ج ٣.
- معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، دمشق ١٩٥٧-٦١-١٥ ج. كنون، عبد الله :

- «لسان الدين الكاتب الساخر» مجلة البحث العلمي، ٢ (١٩٦٤) ص ١٢٣ - ١٣٣ .
- تائية أبي اسحاق الألبيري، المناهل، ٥ (١٩٧٦) ، ص ٧ - ٢١ .
- النبروغ المغربي في الأدب العربي، ط٢، بيروت ١٩٦١ .
- المراكشي ابن ابراهيم، عباس بن محمد التعارجسي :
- الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، نشر بن منصور، الرباط ١٩٧٤ - ٨٣، ٨٩ - ١٠ .
- مؤنس، حسين :
- تاريخ الجغرافية والجغرافيين، مدريد ١٩٦٧ .
- «المساجد»، عالم المعرفة، سلسلة شهرية، يناير ١٩٨١ .
- محسن، جمال الدين :
- احتفالات الموالد النبوية في الأشعار الأندلسية والمغربية المهجرية، بغداد ١٩٦٧ .
- المكناسي، أحمد :
- المدن الإسلامية المندرسة في شمال المغرب ١٩٥٩ .
- المنوني، محمد بن عبد الهادي :
- «تاريخ حفلات الشموع بالمغرب»، مجلة الفنون ٦، ٧، (١٩٧٤) ص ٣٤ - ٣٨ .
- «قطعة عن نشاط الرماية الشعبية بالجنوب المغربي»، مجلة الباحث، ١، (١٩٧٢) ، ص ١ - ٣٠ .
- «مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البرية»، مجلة دعوة الحق، ٨، (١٩٧٧) ، ص ٢٠ - ٣١ .
- «مجموعات مغربية في المدائح النبوية»، مجلة الثقافة المغربية، ٤، (١٩٧١) ، ص ٨٧ - ١٠٢ .
- المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الحديث، ج١ الدار البيضاء ١٩٨٣ .
- «ملاحم ودواوين في السيرة والمديح النبوي»، مجلة دعوة الحق، ٩، ١٠، (١٩٦٦) ، ص ٩٧ - ١١١ .
- «وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني»، مجلة البحث العلمي، ١، (١٩٨٤) ص ١٣١، ١٥٣ .
- «ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، الرباط ١٩٧٩ .

النبهاني، أبو المحاسن يوسف بن اسماعيل :
المجموعة النبهاية في المدائح النبوية، بيروت ١٩٠٢
هيكل، أحمد : الأدب الأندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، القاهرة ١٩٥٨.
(ورقات المنوني) : انظر، المنوني.
وسنك ا. ي :
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ليدن ١٩٣٦ - ٦٩، ج٧.

المراجع الأجنبية

- AL-^ʿABBĀDĪ, A.M.,
El reino de Granada en la época de Mohammad V, Madrid 1973.
- AL-^ʿABBĀDĪ, A.M.,
"Los móviles económicos en la vida de Ibn al-Jatīb", trad. E. García Gomez, en Al-Andalus, XX, (1955), pp. 214-222.
- ABD AL-KARĪM, G.,
Terminología geográfico-administrativa e historia político-cultural de al-Andalus en el "Mu'ayam al-Buldān" de Yaqut, 3a edición, Sevilla 1972.
- ALLOUCHE, I.S.,
"La vie économique et sociale à Grenade au XIVe siècle", Mélanges d'histoire de l'Occident musulman, Argel 1957, T. II, pp. 7-12.
- ALVAREZ DE CIENFUEGOS, I.,
"Sobre la economía en el reino nazari granadino", Miscelánea de Estudios Arabes y Hebraicos, VII, (1958), pp. 85-98.
- ARIE, R.,
L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, (1232-1492), Paris 1973.
- ARIE, R.,
"Les relations entre Grenade et la Berbérie au XIVe siècle", Orientalia Hispanica, I (1974), pp. 33-44.
- ARIE, R.,
"Quelques remarques sur le costume des musulmans d'Espagne au temps des Nasrides", Arabica, XII (1965), pp. 244-261.
- ARIE, R.,
"Un opusculé grenadin sur la peste noire de 1348 : La Nasīha de Muḥammad al-Saqurī", Boletín de la Asociación Española de Orientalistas, 1967, pp. 189-199.
- ARIE, R.,
"Les relations diplomatiques et culturelles entre musulmans d'Orient au temps des Nasrides", Mélanges de la casa de Velazquez, 1965, pp. 87-107;
- ARIE, R.,
España musulmana siglos VIII-XV, dirigida por Manuel Tuñón de Lara, Barcelona 1983.
- ARIE, R.,
"Lisan al-Din Ibn al-Khaṭīb, quelques aspects de son œuvre" en Atti del terzo Congresso di Studi Arabi e Islamici, Napoles 1967, pp. 69-81.
- AVILA NAVARRO, Ma L.,
"La proclamación (bay'a) de Hisām II ano 976 d.C.", Al-Qantara, I (1980), pp. 79-114.
- AYALON, D.,
The Mamluk military Society, London 1979.
- AZIMAN, M.,
"Kitab Rawdat al-Ta'rif bi-l-Hubb al-Sarif, li-Lisan al-Din b.al-Jatīb", Tamuda, III (1955), pp. 23-37.
- BLACHERE, R.,
"Le vizir poète Ibn Zumruk et son œuvre", Annales de l'Institut d'études Orientales de Faculté de Letures de l'Université d'Alger, II (1963), pp. 291-312.

- BOSCH VILLÁ, J., Y HOENERBACH, W.,
 "Un viaje oficial de la corte nazarí (1347)", *Andalucía Islamica*, II-III (1981-82), pp. 34-69.
- BOSCH VILLÁ, J.,
 Ha de Albarracín y su sierra, 2 vols., Teruel 1959, t. II, p. 79.
- CALLE, J.,
 La ville de Rabat jusqu'au protectorat français, Paris 1949, 2 vols.
- CARRIAZO, J. M.,
 "Un alcalde entre los cristianos y los moros, en la frontera de Granada", *Al-Andalus*, XIII (1948), pp. 35-97.
- CASCIARO, J.M.,
 "Don Pedro I de Castilla y Muhammad V de Granada", *Al-Andalus*, XI (1946), pp. 245-247.
- CASCIARO, J.M.,
 "El visirato en el reino nazarí de Granada", *Anuario de Historia del Derecho español*, XVIII (1947), pp. 233-258.
- CORRIENTE, F.,
 "Observaciones sobre la métrica de Aš-Šuštari (Materiales para un estudio diacrónico del zéjel y el muwaššah)", *Awraq* 5-6 (1982-83), pp. 39-87.
- CORRIENTE, F.,
 Gramática, métrica y texto del cancionero hispanoárabe de Aban Ouzman, Madrid 1980.
- CORRIENTE, F.,
 A Grammatical sketch of the spanish arabic dialect Bundle, I.H.A.C., Madrid 1977.
- CHEJNE, A.G.,
 Historia de España Musulmana, Ed. Catedra, Madrid 1980.
- EI 1 : Encyclopédie de l'Islam, 1a edición, 4 vols, Leiden 1913-34.
- EI 2 : Encyclopédie de l'Islam, 2a edición, (Nouvelle édition), 5 vols, (en curso de publicación), Leiden 1960-83.
- DERENBOURG, H.,
 Les manuscrits arabes de l'Escorial, Paris 1978.
- DOZY, R.,
 Supplément aux dictionnaires arabes, 2 vols., Leyden 1927.
- GARCIA GOMEZ, E.,
 Todo Ben Ouzman, Madrid 1972, 3 vols.
- GARCIA GOMEZ, E.,
 Un alfaquí español Abu Ishaq de Elvira, Madrid-Granada 1944.
- GARCIA GOMEZ, A.,
 "Métrica de la moaxaja y métrica española. Aplicación de un nuevo método de medición completa al-Gais de Ben al-Hatib", *Al-Andalus*, XXXIX (1974), I-II, pp. 1-240.
- GARCIA GOMEZ, E.,
 "El parangón entre Málaga y Salé de Ibn al-Ja'fīb", *Al-Andalus*, II (1934), pp. 183-196.

- GARCIA SANCHEZ, E.,
 "La alimentación de la Andalucía Islámica", *Andalucía Islámica*, II-III (1983), pp. 139-176.
- GARULO, T.
 Bibliografía provisional de obras árabes trad. al español (1800-1982), (en prensa).
- GASPAR REMIRO, M.,
 Correspondencia diplomática entre Granada y Fez (s. XIV). Extractos de "Raihanat al-Kuttāb" de Lisaneḍḍīn Abenaljaūib, el-Andalosí, Granada 1916.
- GASPAR REMIRO, M.,
 Documentos árabes de la corte nazarí de Granada, Madrid 1911.
- GAUDEFROY-DEMONBYNES, M.,
 Mahomet, Paris, 1957.
- GENIVAL, P.,
 "Les emires de Hintata "Rois" de Marrakech", *Hespéris*, XXIV, (1937), pp. 245-254.
- GIBERT, S.
 "Abū l-Barakāt al-Balafīqī, qāḍī, historiador y poeta", *Al-Andalus*, XXVIII (1963), pp. 381-424.
- GIBERT, S.,
 El diwān de Ibn Jātima de Almería, Barcelona 1975.
- GRANJA, F. de la
 La Marca Superior en la obra de al-Úḍrī, Zaragoza 1966.
- GRANJA, F. de la
 "Fiestas cristianas en al-Andalus (Materiales para su estudio) I : "al-Durr al-Munazzam" de al-ʿAzafī", *Al-Andalus*, XXIV (1969), pp. 1-53.
- GRANJA, F. de la
 "La carta de felicitación de Ibn al-Jaḍīb a un almotacen malagueño", *Al-Andalus*, XXVI (1961), pp. 471-475.
 Les guides blueux, Maroc, Libraire Hachette, Paris 1969.
- HOENERBACH, W.,
 "Loja en la época nazarí", *Miscelánea de Estudios Arabes y Hebraicos*, III (1954), pp. 55.
 Historia de la ciencia árabe, Real Academia de Ciencias Exactas, Físicas y Naturales, Madrid 1981.
- HOENERBACH, W.,
 "La teoría del "zéjel" según Ṣafī al-Dīn Ḥilli", *Al-Andalus*, XV (1950), pp. 297-308-344.
- HOENERBACH, W.,
 "El historiador Ibn al-Jaḍīb, pueblo, estado", *Andalucía Islámica*, I (1980), pp. 43-63.
- HUICI MIRANDA, A.
 "La cocina hispano-magribí durante la época almohade", *Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos*, V (1957), pp. 137-156.
- HUISMAN, A.J.W.,
 Les manuscrits arabes dans le monde, Leiden 1967.

IBN AL-JAṬĪB

Kitāb a'māl al-A'lām, Parte 3a, Historia medieval islámica del Norte de Africa y Sicilia, traducción, notas e índices por Rafaela Castrillo, I.H.A.C., Madrid 1983.

INAN, M.A.,

Toponimia arabigo-española, I.E.E.I., Madrid 1976.

LADERO QUESADA, M.A.,

Granada, Hitoria de un país islámico(1232-1571), Madrid 1979.

LAFUENTE ALCÁNTARA, E.,

Historia de Granada, 4 vols., Granada 1843-46.

LAFUENTE ALCANTARA, E.,

Inscripcionnes árabes de Granada, precedidas de una reseña histórica y de la genealogía detallada de los reyes Ahmares, Madrid 1859.

LEÓN AFRICANO

Descripción de Africa, Tetuan 1952.

LÓPEZ DE COCA CASTANER, J.E.,

"Sobre historia económica y social del reino nazarí de Granada. Problemas de fuentes y métodos", I Congreso de Historia de Andalucía, Andalucía Medieval, Córdoba 1978, T.II, pp. 395-404.

LOPEZ ORTIZ, J.,

"Fatwas granadinas de los siglos XIV y XV", Al-Andalus, VI (1941), pp. 73-127.

MADOZ, P.,

Diccionario geográfico-estadístico histórico de España y sus posesiones de Ultramar, Madrid 1850.

MANZANO MARTOS, R.,

"El baño termal de Alhama de Granada", Al-Andalus, XXIII (1958), pp. 408-417.

Marocco oficial names approved by the United States Board on geographic names, Washington, D.C. 20315, June 1970.

MASSIGNON, L.,

Le Maroc dans les premiers années du XVIe siècle, Tableau géographique d'après Leon l'Africain, Alger 1906.

MEUNIE, J.,

"La zaouiat en Noussak une fondation Merinide aux bords de Salé", Mélanges d'Histoire et d'Archeologie de l'Occident musulman, Alger 1957, II, pp. 129-145.

OCAÑA JIMENEZ, M.,

Nuevas tablas de conversión de datas islámicas a cristianas y viceversa, Madrid 1981, I.H.A.C.

PAZ, J.,

Castillos y fortalezas del Reino. Noticia de su estado y de sus alcaides durante los siglos XV y XVI, Madrid 1978.

PONS BOIGUES, F.,

Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arabigo-espanoles, Madrid 1898.

PREMARE, A.L. de

Maghreb et Andalousie au XIVe siècle. Les notes de voyage d'un andalou au Maroc 1344-1345, Lyon 1981.

- RUBIERA MATA, Ma J.,
 "De nuevo sobre los poemas epigraficos de la Alhambra", Al-Andalus, XLI (1976), pp. 207-211.
- RUBIERA MATA, Ma J.,
 "Ibn Zamrak, su biógrafo Ibn al-Aḥmar y los poemas epigráficos de la Alhambra", Al-Andalus, XLII (1977), pp. 447-451.
- SALMI, A.,
 "Le genre des poèmes de nativité (Maulúdiyya-s) dans le royaume de Grenade et au Maroc du XIIe au XVIIe siècle", Hespéris, XLIII (1956), pp. 335-435.
- SANCHEZ ALBORNOZ, C.,
 La España según los autores islamitas y cristianos medievales, 2 tomos, Buenos Aires 1946.
- SANTIAGO SIMÓN, E. De
 "Jaṭibians mistica : el Kitáb Rawḍat al-Ta'ríf, su temática" Andalucía Islámica. Textos y estudios, Granada 1980, pp. 105-121.
- SANTIAGO SIMÓN, E. De
 El polígrafo granadino Ibn al-Jaṭīb y el sufismo, Granada 1983.
- SECO DE LUCENA, L.,
 "Acerca de la Qauráya de la Alcazaba Vieja de Córdoba", Al-Andalus, XXXIII (1968), pp. 197-203.
- SECO DE LUCENA, L.,
 "Notas para el estudio de Granada bajo la dominación musulmana : acerca de algunas familias ilustres árabe-granadinas", Boletín Universidad de Granada, (1951), pp. 169-191.
- SECO DE LUCENA, L.,
 "Nuevas rectificaciones a la historia de los nazaríes, Al-Andalus, XX (1955), pp. 381-405.
- SECO DE LUCENA, L.,
 "Sobre algunos topónimos granadinos de la Iḥaṭa", Al-Andalus XVII (1952), pp. 369-378.
- SECO DE LUCENA, L.,
 "De toponimia granadina : sobre el viaje de Ibn Baṭṭūta al Reino de Granada", Al-Andalus, XVI (1951), pp. 49-85.
- SECO DE LUCENA, L.,
 "Un nuevo texto en árabe dialectal granadino", Al-Andalus, XX (1955), pp. 153-165.
- SECO DE LUCENA, L.,
 "Nuevas rectificaciones a la historia de los Naṣrís", Al-Andalus, XX (1955), pp. 381-405.
- SECO DE LUCENA, L.,
 "Una rectificación a la historia de los últimos naṣrís", Al-Andalus, XVII (1952), pp. 153-163.
- SECO DE LUCENA, L.,
 Topónimos árabes identificados, Granada 1974.

- SECO DE LUCENA, L.,
 "Toponimia árabe de la vega y los montes de Granada", *Al-Andalus*, XXIX (1964), pp. 311-327.
- SHATZMILLER, M.,
 L'historiographie merinide. Ibn Khaldún et ses contemporains, Leiden 1982, pp. 76-88.
- SIMONET, F.J.,
 Descripción del reino de Granada bajo la dominación de los Naṣrītas, 2a ed, Granada 1872.
- SIMONET, F.J.,
 Historia de los mozárabes de España, Madrid 1897-1903.
- SOURDEL, D.,
 Le visirat abbaside de 749 a 936, Damasco, 1959-60.
- SOURDEL, D.,
 "Wazír et Háǧīb en Occident", *Études d'Orientalisme dédiées a la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, 2 vols.
- STERN, S.M.,
 Hispano-Arabic strophic poetry, Oxford 1974.
- STERN, S.M.,
 "Studies on Ibn Quzmán", *Al-Andalus*, XVI (1951), pp. 379-425.
- STEINGASS, F.,
 A comprehensive Persian - English Dictionary, Londres 1982.
- TERRASE, H.,
 "Le royaume naṣride dans la vie de l'Espagne du moyen âge, indications et problèmes", *Mélanges...Marcel Bataillon*, (Bulletin Hispanique, 64 bis, 1962), pp. 253-260.
- TORRES BALBÁS, L.,
 "Esquema demográfico en la ciudad de Granada", *Al-Andalus*, XXI (1956), pp. 131-146.
- TORRES BALBÁS, L.,
 "La mezquita mayor de Granada", *Al-Andalus*, X (1945), pp. 409-432.
- TORRES BALBÁS, L.,
 "Antequera islámica", *Al-Andalus*, XVI (1951), pp. 427-451.
- TORRES DELGADO, G.,
 El antiguo reino nazarí de Granada, 1232-1340, Granada 1974.
- TORRES DELGADO, G.,
 Bases para el estudio de la economía del reino nazarí, Granada 1972.
- TURKI, A.M.,
 "Lisán al-Dín Ibn al-khaṭīb (713-776/1313-47), Juriste d'après son œuvre inédite : "Muḥla al-Ṭariqa fi ḍamm al-waḥīqa", *Arabica*, XVI (1969), pp. 155-211, 279-312.
- VALLVE, J.,
 "Medidas de capacidad", *Al-Andalus*, XII (1977), pp. 61-121.
- VAZQUEZ RITIS, J.,
 "Zéjeles en Marruecos", *Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos*, XXI (1981-82), pp. 43-57.

VERNET, J.,
Estudios sobre historia de la ciencia medieval, 2 vols., Barcelona 1979-80.
Villes et tribus du Maroc par la mission scientifique du Maroc, Rabat et sa région,
Paris 1919, 4 vols.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
5	تقديم العلامة الأستاذ المنوني مقدمة التحقيق :
7	- تعريف كتاب نفاضة الجراب
7	- عدد أجزائه
10	- عنوانه وظروف تأليفه
13	- خلاصة لمضامينه
21	- أهميته
27	- منهجيته تحقيقه
28	- رموز التحقيق
29	- وصف المخطوطتين
نص الكتاب	
الفصل الأول :	
33	- رسائل وأشعار ومؤلفات كتبها ابن الخطيب أثناء إقامته في المغرب
الفصل الثاني :	
61	- رجوع التاريخ
62	- سفر ابن الخطيب إلى فاس لتقديم ولانته للسلطان الجديد أبي زيان
69	- القبض على منصور بن أبي علي
70	- تنصيب أبي ثابت عامر رئيسا على الجند في مراكش
71	- أحداث أندلسية
74	- استبداد الوزير عمر بن عبد الله بشؤون الدولة بفاس
الفصل الثالث :	
85	- رحلة ابن الخطيب إلى مراكش
421	

	الفصل الرابع :
107	- خدعة أبي ثابت عامر لبعض القبائل
	الفصل الخامس : (رجع التاريخ)
115	- حروب بين المسيحيين والمسلمين بالأندلس
118	- انتصار الغني بالله
124	- استرجاع الغني بالله للملكة بقرناطة
125	- قصائد تهنئته من شعراء مختلفين بمناسبة انتصار الغني بالله
	الفصل السادس : (رجع التاريخ)
161	- عودة ابن الخطيب إلى قرناطة صحبة أسرة الغني بالله
	الفصل السابع : (رجع التاريخ)
161	- نفي ابن كماشمة إلى تونس
167	- استبزار عبد الحق بن عطية بيت المال بقرناطة
168	- زهد ابن الخطيب
168	- ثورة ضد الغني بالله
178	- القبض على الدليل البركي (زعيم الثورة)
	الفصل الثامن :
193	- رسائل وأشعار
238	- أزجال لابن الخطيب
	الفصل التاسع : (رجع التاريخ)
275	- وصف المشور الذي بناه الغني بالله
276	- وصف احتفال الغني بالله بعيد المولد النبوي
279	- وصف الساعة الميكانيكية
280	- مقطوعات شعرية لابن الخطيب في الساعة
	الفصل العاشر :
291	- قصائد مولدية لشعراء مختلفين
343	الفهارس

طبعة (الاولى) الكويت
الصدار الخمسة

الايداع القانوني رقم 1989/269

... وقد توفقت الباحثة في اختيارها لنص بالغ الأهمية بين آثار ابن الخطيب، بما يكشف عنه من معلومات جديدة عن حياة المؤلف، وعن واقع الأندلس والمغرب خلال ق 14/8.

وإلى هذا توفقت الدراسة - مرة أخرى - في تعاملها مع النص الخقيق: تصحيحا وشكلا، فضلا عن مجهود المقارنة والتعليق الوافية. وتزداد أهمية هذا العمل إذا تذكرنا أن النص المنوه به، كان إلى حدود الستينيات، يعتبر من الكتب الضائعة.

ومن حسن الاتفاق، أن يناقش ثم ينشر هذا الكتاب، في توقيت غير بعيد عن موعد الذكرى الستائة لوفاة ابن الخطيب 1374/776.

وبهذا الاعتبار وما تقدمه، جاء عمل الباحثة يعبر عن توفيق في اختيارها، وعمق في تحقيقها، ومجد كللها به إعدادها للكتاب المنوه به، فضلا عن مساهمة أطروحتها في تخليد ذكرى المؤلف.

فلتهنأ السعدية فاغية بنجاحها في مجهودها، وليهنأ البحث التاريخي بظهور السفر الثالث من «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب».

محمد المنوني